مصطفى غالب

أعلام الإسماعيلية

منشورات
دار اليقظة العربية
للتأليف والترجمة والنشر

بيروت — ١٩٦٤

لدار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر
١٩٦٤

الاهداء

الى الأمير سليمان العلي

حفيد الأمير اسماعيل باني سلمية

عمي الحبيب :

في حياتك الزاخرة بالخدمات الجليلة كنت تنهد لما فيه خير الاسماعيلية ، مضحيا بكل غال ورخيص في سبيل تنمية روح المحبة والاخاء في مجتمعنا الصغير . ان أبناء الطائفة الاسماعيلية في سورية لا يزالون يذكرون بفخر تضحياتك الجسام ، ويعتبرونك رمزا لنضالهم الطويل في تركيز وجودهم في هذه المدينة ، ومثلا أعلى لقوتهم ، مستلهمين من روحك القدسية الطاهرة التي تتخيلها أبدا رائدا يهيب بنـا للرشف من منهل الاخلاص الذي عودتنا عليه ؛ فالى روحك أيها العم الحبيب الغالي أرفع هذا السفر اعترافا بفضلك العميم ، وخـدماتك القصوى لعقيدتك الحقة ، وتقديسا لنزعتك الوطنية اللامحدودة . فاهنأ في رياض الخلود اننا على أثرك لسائرون .

مصطفى

المُقدّمة

لنا في سيرة العظماء والمبدعين منهل عذب لا ينضب من المعرفة والعلم والايمان العميق ، فهم كالقمم الشماء ، والجبال الرواسي ، يتطلع اليها كل متشوق الى السمو ، نزاع الى الرفعة ، وهم كالمنارات ، تنير الطريق للسفن التائهة في دياجير الظلمة الحالكة .

عرف هذا العصر الذي نعيش فيه ، بانطلاق الفكر الحر الوثاب بعيدا عن المؤثرات الدينية ، والعنصرية ، ليبني ويفعل في كيان المجتمع البشري ؛ فقام العلماء والكتاب والمؤرخون في كافة أنحاء العالم ، يجوبون آفاق العلم والمعرفة ، ويبحثون عن حقيقة تاريخ الجنس البشري ، وتطوره منذ الازل ، معتمدين في ذلك على أحدث الاساليب العلمية الناهدة الى اكتناه جوهر الوجود ، رائدهم التجرد والنزاهة ، وخدمة العلم والحقيقة .

ولما كانت الدعوة الاسماعيلية تحتل مكان الصدارة في تاريخ الشعوب الاسلامية ، التي هي جزء فعال من الجنس البشري ، رأينـاه ونحن الذين أخذنا على عاتقنا منذ أمد طويل دراسة تاريخ هذه الدعوة وتطورها العلمي والفكري والعقائدي ، أن نقدم للمهتمين بالدراسات الاسلامية ، كتـاب (أعلام الاسماعيلية) ، وهو عبـارة عن بحث تاريخي علمي استعرضنا فيه سير أشهر رجالات هذه الدعوة ، الذين عرفوا بمقدرتهم العلمية ، والفلسفية ، والسياسية ، وبتأثيرهم الفعال في تكوين النهضة الفكرية الاسلامية .

وقد توخينا في تأليفه الامانة ، والصدق ، والتجرد ، والبحث العلمي الصحيح .

ومما لا جدال فيه أن رجالات هذه الدعوة ، قد عملوا على تطوير الفكر الاسلامي ، وجعله خصبا منتجا يوزع العلم والمعرفة ، على أركان المعمورة في مختلف العصور والأزمنة ، ولقد كان لهؤلاء الاعلام ، أياد بيضاء وجهود ملموسة ، في خلق الوعي الاشتراكي لدى كافة الطبقات الاسلامية ، وبذلوا جهودهم العلمية والسياسية لتخليص المجتمعات الاسلامية ، من الظلم والتحكم والسيطرة ، مما كان له أثره في كثرة الاقبال على الانخراط في صفوفهم واعتناق مبادئهم ، فطبقت شهرة منظماتهم الآفاق ، بعد أن انضم اليها الفلاحون والعمال وأصحاب الحرف ، وأصبحوا حجر الثقل في العالم الاسلامي .

لم تحظ عقيدة من الاهتمام والدرس والملاحظة لدى جمهرة الكتاب والنقاد والمؤرخين ، كما حظيت العقيدة الاسماعيلية خلال مراحل سيرها الطويل عبر الزمن ، وليس في هذا أي استغراب ، اذا ما عرفنا أن الدور الرئيسي الذي لعبته هذه العقيدة كان له الاثر الفعال في ترسيخ مداميك التأمل الفلسفي لدى العالم الاسلامي قاطبة ، غير ان مواطن الاستغراب تتوضح للدارس عندما يقف حائرا ، قلقا ، أمام العديد من التيارات الفكرية المناوئة ، والاحكام المضطربة المتباينة ، التي ألصقها المؤرخون ، والنقاد ، والكتاب ، في جبين هذه المدرسة الفلسفية الاسلامية ، فحاولوا بدوافع متغايرة ، ولأسباب اما شخصية ، أو سياسية ، أو عقائدية ، تشويه هذه العقيدة ، ومسخ أصولها ، وتجريح صفائها ، كي تنال من سمو مرتبتها ، وعظيم خدمتها للمجتمع الاسلامي .

ونحن نعلم — دونما كبير عناء — أن الخلافة العباسية اتخذت من قرابة العباسيين للرسول ، أمضى سلاح في انتزاع الخلافة من الامويين ، وأنهم استغلوا بكل طاقاتهم ما لاقاه آل البيت من تقتيل ، وتشريد ، وابادة على أيدي الامويين ، مغتصبي الخلافة . غير أن العباسيين لم يعيدوا الامانة الى أصحابها الشرعيين — وهم الهاشميون — الاقرب منهم نسبا ، وأحقية في

تسنم سدة الخلافة ، بل ما ان اشتد ساعدهم ، وقضوا على الامويين ، حتى التفتوا الى الهاشميين أخوتهم في الكفاح ، وسندهم في استخلاص الخلافة ، فرموهم بنعوت الانحراف ، والتآمر ، وعملوا فيهم قتلا وتنكيلا وابادة ، مع علمهم الاكيد بأن الدعوة العباسية نفسها لم يكن ليتسنى لها النجاح ، ويكتب لها النصر ، لو لم تحظ بمؤازرة الهاشميين أنفسهم ، ولو لم تقم — أصلا — على محاربة الامويين باعتبارهم متجنين على الهاشميين آل رسول الله .

فحري والحالة هذه أن تتعرض الدعوة الاسماعيلية الى حملات عنيفة شنها العباسيون عليها في مختلف الميادين الفكرية والعقائدية ، والشخصية ، طالما كانت الدعوة الاسماعيلية تدعو لآل البيت دون سواهم في الخلافة والامامة .

فلقد جند العباسيون جميع امكانياتهم من أجل شل الحركة الاسماعيلية ، وابادة أئمتهم ليخلو الجو لهم بعد أن أعمتهم المناصب ، وغرتهم الحياة الدنيا ، فاسترسلوا في التنكيل بالأئمة وأتباعهم ، ودعاتهم ، وشردوهم في متاهات البلاد ، وأباحوا دماءهم ، ورغبوا الرعية على محاربتهم واستئصال شأفتهم .

وليت الامر وقف عند هذا الحد ، بل تعداه الى ميدان الفكر ، حيث وجد العباسيون ، أن الدعوة الاسماعيلية قد رسخت في مجال الفكر والفلسفة ، عقيدة اسلامية فلسفية سليمة ، وأشادت صرحا اسلاميا شامخا للفكر والمعرفة ، فهالهم وقد وجدوا أنفسهم عاجزين تمام العجز عن دحض الحجج والبراهين التي تؤكد صدق وأحقية المطالب الاسماعيلية ، والتزامها هدي القرآن الكريم والحديث الشريف ، فاعتمد العباسيون على شراء الضمائر من الكتاب والمؤرخين الذين خانوا الأمانة ، وانساقوا وراء غاياتهم الشخصية ، وماتت في ضمائرهم نفحة الحق ، وصرخة الوجدان الحي ، فسخروا أقلامهم للتجريح في آل البيت والأئمة الفاطميين ، وألصقوا في

الاسماعيلية وأعلامها المناضلين أبشع التهم ، وأحط الاحكام ، وصوروهم لدى العامة ، بأنهم دخلاء على الاسلام ، مبتدعون لأحكام وأنظمة مغايرة لأصول الدين الحنيف ، كل ذلك تلبية لرغبة العباسيين ، وخـدمة لعرشهم الزمني المغتصب .

ومن هنـا ، ونتيجة لذلك ، تضاربت أفكار وآراء الكتاب والمؤرخين في حقيقة الاسماعيلية ، ومـدى شرعية رسالتها ، وعلى اعتبـار أن دور الخلافة العبـاسية امتد فترة طويلة ، وأن القوة رافقتهم خـلال حكمهم ، فطبعي أن تتصدر مؤلفات وكتب أنصارهم واجهات المكتبات العامة ، بينما أحرقت وأبيدت معظم المؤلفات الاسماعيلية ، بعد أن كان شبح الموت يهدد كل من يقتني أي مؤلف اسماعيلي ، أو يجهر بآراء تتفق مع النهج الفلسفي الروحي لدى الاسماعيلية . وكما أسلفنا من أن الدعوة الاسماعيلية كانت تعتمد قبل كل شيء على ضرورة وجود امام من آل البيت يسهر على تأمين العدل بين الناس ، ويخلصهم من الظلم والاضطهاد ، ويأخـذون عنه علوم الدين ، لذلك التفوا حول أئمة آل البيت يدعون الى حقه الشرعي في حكم المسلمين . ومن الطبعي جدا أن يوجس الحاكمون في تلك الاوقات خيفة من أمثال هذه الدعوات والتجمعات حول آل البيت ، اذ رأوا فيهـا خطرا عظيمـا يهدد سلطانهـم ، فعمدوا الى تشويه صحة النسب لـدى الأئمة الاسماعيليين ؛ غير أن شمس الحق لم تخف من جحافل الظلام وعتمة الباطل ، فلم يختنق صوت الحق على الرغم من البطش والطغيان ، بل كثيرا ما كان ينفحنا التاريخ بأعلام ومفكرين وقفوا وجودهم على قول الحق ، ورهنوا حياتهم في خدمة الحقيقة المطلقة ، فكنا نشهد في مجالس أحكام العباسيين العديد من الفقهاء والفلاسفة ، يجهرون بآرائهم ، ويتحدون طغيان العباسيين المستبدين ، مفضلين الموت حـرقا ، أو سلخا ، أو شنقا على الانسياق في ركب المغتصبين ، وتمريغ جباههم على أعتاب السلطان الباغي .

كمـا وان الطـريقة الايجابية التي اعتمدتهـا الاسماعيلية في اعتماد

(الستروالتقية) والاستمرار في النشاط السري ، والتأليف المتواصل ، والتنظيم الرائع للحركة الاسماعيلية ، أدى بعـد زوال كابوس العباسيين وتفكك أوصالهم ، الى جلاء الحقيقة ، وانتصارها لدى النفوس الواعية ، والعقول المتجردة . فكانت هذه المؤلفات والعقائد أساسا متينا سهل دونما كبير جهد لاقامة الدولة الفاطمية وانتصار نظرتها في الحياة .

فما من أديب أو فيلسوف ، أو عالم في الرياضيات ، أو متبصر في أي نوع من أنواع المعرفة ، حـاول الجهر بالحق ، وجهد في تقييم الرسـالة الاسلامية ، وأنكر عنت السلطات وانحرافها عن الخط الاسلامي الصحيح ، الا وتعرض لأبشع الاتهامات ، ورمي بالزندقة والالحاد والكفر ، ولعـل الاسماعيلية ، قد حظيت بأكبر قسط من الجور والاضطهاد ، مما اضطرها الى الاعتصام في مواطن نائية منيعة ، يعز على الخصوم اقتحامها ، واستمروا في مزاولة نشاطهم ، مستميتين من أجل نشر دعوتهم ، فوصفوا بالحشاشين تارة ، وبالزنادقة والملحدين تارة أخرى ، بعد أن هال خصومهم ثباتهم الرائع على المبادىء الحقة ، والبذل السخي من أجل خلق مجتمع اسلامي صحيح ، خال من الشوائب والادران ، تتكافأ فيه القوى الخلاقة الخيرة المبـدعة ، وتقدر فيه الامكانات البناءة ، في ظل نظام اشتراكي علماني ، ثابت الاركان ، واضح الغايات والأهداف ، مستند الى أدق الحجج وأصدق البراهين .

ونحن الذين ، توخينا من كتابنا هـذا كشف النقاب عن الحقائق التي تضاربت حولها الآراء ،نتيجة للاضطراب السياسي في تلك العصور ، كان لا بد لنا من التسلل بحذر وتبصر ودراية ، الى مواطن توضع الاسماعيلية في قلاعهـم وحصونهم ، ومرافقتهم في أعمـالهم وتآليفهـم وتفكيرهم ، وليس هنالك من سبيل يكفل لنـا بغيتنا في الوصول الى تلك القـلاع والحصون ، واقتحام الاسـوار الشاهقة في آلموت ومصياف و .... الا سبيلا واحدا ، هو اعتمادنا كليا على الآثار والمخطوطات التي خلفها هؤلاء

الأعلام من الاسماعيلية ، والتي ترسم لنا صورة حية لمدى التفوق العقلي عند الاسماعيلية ، وتتحفنا بأدق التفاصيل عن مجريات حياتهم ٠

واذا اعتبرنا أن الاسماعيلية حركة عقلانية هدفت الى اقامة مجتمع اسلامي رفيع ، تتضافر فيه جهود أبناء الامة لبلوغ الهدف الأمثل لدى الانسان الكامل ، كان طبيعيا أن تتعرض هذه الحركة لمناوءة عنيفة من الخصوم ، وحرب لا هوادة فيها ولا رحمة ٠

ولعل التجارب والاحداث الجسام أكسبت الاسماعيلية نظرة واقعية للامور ، فدفعتهم الى ضرورة انشاء دولة تخلصهم من دور التستر ، ومرارة التشريد الذي قاسوه زمنا طويلا ، فكان للتخطيط الدقيق الذي اعتمده الدعاة الأفذاذ في سلمية أكبر الاثر في اقامة الدولة الفاطمية في المغرب ، ومن ثم اجتياحها لبلاد مصر ، وانتقال مركز الخلافة الفاطمية الى القاهرة حيث امتد نفوذ الفاطميين فيما بعد الى بلاد الشام وتعداها الى العراق معقل الخلافة العباسية ٠

ولكي يأتي كتابنا شاملا من كافة نواحيه لتاريخ أعلام الدعوة وملابساتها ، وعلائقها مع بقية التكتلات التي حصلت آنذاك ، رأينا أن نفرد بحثا خاصا عن علاقة هذه الدعوة بحركة القرامطة ، لما لهذه العلاقة من صلة وثيقة في التاريخ الاسماعيلي العام ، ولما تمخضت عنه من آراء ومعتقدات كان لها أثر فعال في تطور المعتقدات الاسلامية بشكل عام ٠

كما واننا عمدنا الى تنظيم شجرات نسب لكافة الفرق التي خرجت عن الاسماعيلية منذ وجودها حتى الآن ، دون أن نعلق عليها أو نعطي رأينا فيها٠

ولأجل أن نعطي فكرة صحيحة للقارىء عمدنا الى كتابة فصل خاص أوردنا فيه عقائد الاسماعيلية بصورة واضحة مستقاة من مصادر اسماعيلية سرية وعلنية ، مطبوعة وخطية ، وبذلك تكون الفائدة أعم وأشمل ٠

وبطبيعة الحال أصبح من الضروري بمكان أن يعلم القارىء أيضا شيئا عن مراكز الدعوة الرئيسية التي لعبت دورا هاما في التاريخ الاسماعيلي، لهذا فقد أفردنا بحثا خاصا عن بلدة سلمية احدى مراكز الدعوة الاسماعيلية الهامة في سورية ٠

وختاما لا يسعنا الا أن نتقدم بالشكر الجزيل لكل من آزرنا في عملنا هذا حتى جاء مستوفيا الغرض ، وأخص منهم بالذكر أصحاب دار اليقظة العربية الذين قاموا على نشر هذا الكتاب راجين أن يوفقنا الله لما فيه خدمة العلم والحقيقة والتاريخ ٠

سلمية ـ مصطفى غالب

عقائد الاسماعيلية وتنظيماتها السرية

على الرغم من أن الغاية من تأليف هـذا الكتاب ، هي استعراض سير أشهر رجالات الدعوة الاسماعيلية ، فانه من المحتم علينا أن نضع بين يدي القارىء لمحة دراسية مجملة لخطوط العقيدة الاسماعيلية البارزة ، وتبيان أسس مرتكزاتها ، وتنظيماتها السرية ، ليتمكن من الالمام بقسط مما تحمله هذه الدعوة في جوهرها من أهداف نبيلة ، وغايات سامية ، وما تزخر به من نظرات فلسفية الى الكون والوجود ، وتنظيمات دعائية تستمد أصولها من حقيقة الدين الاسلامي ونظراته الشاملة .

ليست الفكرة الاسماعيلية كمـا نفهمها نحن ، وليدة حـادثة معينة ، أو تفكير استبد بشخص أو جماعة في أمر من الامور ، أو حال من الاحوال ؛ بل هي امتداد أزلي لنظرة أزلية عاشت في دم الانسانية منذ بدء الخليقة ، وستستمر في تجددها وتصاعدها نحو الاكمل ، ما دامت الخليقة ، وما دامت الحيـاة .

ولربما استطاع المؤرخون أن ينسبوا ميـلاد الحركات والعقـائد الى أحداث تاريخية معينة ، تسببت في خلقها ، وعملت على تطويرها وبلورتها . غير أن هـذا المقياس لا ينطبق على الفكرة الاسماعيلية من حيث جوهرها الذي كان توأماً للحياة عينها ، ولكننا لا ننكر ما للتاريخ من أثر في ظواهر العقيدة وهيكلها الخارجي بحيث أتت متكيفة مع الزمن ، متطورة بشكل يوافق العقلية البشرية النزاعة أبدا نحو الأفضل والأكمل .

ولعل الحدث التاريخي الهام الذي بلغت به الفكرة الاسماعيلية حـد

الوضوح الكامل من حيث الشكل والمبنى ، يعود الى بعث النبي الهـادي محمد رسولا الى العالمين •

لا ينكر أحد قط أن الرسالة الاسلامية الهادية التي أوحى بهـا الله الى عبده محمد صلى الله عليه وسلم هدفت في غايتها الى اسعاد البشرية وانقاذها من دوامة الفوضى التي تخبطت بها أجيالا طويلة ، فكان الايمان بها قويا ، وكان التمسك بهـا عظيما ، فنشط المسلمون واتسعت آفاق دنياهم ، وترسخت أصول دولتهم تحت علم الاسلام ورايته الخفاقة •

ولم يكن المسلمون في بدء أمرهم — والنبي بينهم — بحاجة ماسة الى التبصر في اكتشاف حقائق الدين الاسـلامي وتشريعاته ، والوقوف على مدلول الآيات الكريمة بدقة ، بل اعتمدوا على النبي المعلم الذي اتخذ دور المجيب على كل أمر ، والمعالج لكل معضلة تعترض سبيل المسلمين ؛ وكان من أسباب هذا الاعتماد على النبي أن أحدث غيابه — بعد وفاته — فراغا شعر المسلمون به ، وتحسسوا نفوسهم ، فوجدوا هوة سحيقة بين معارفهم البدائية ، وكنوز القـرآن الكريم الخفية ، فتطلعوا بشغف الى شخص له من القدرة العلمية ، والتبصر الحكيم ، ما يستطيع أن يسد فراغ تعطشهم ، ويشبع نفوسهم ، وفهمَ اكتشاف دروب التقرب من الذات الالهية •

فمن لهم بالمرشد لذلك الشخص المؤهل أن يكون في منزلة تمكنه من تصريف أمور المسلمين والقيام بأعباء الدين بشكل يكفل الابتعاد عن الخطأ ، ومواطن الزلل •

لم يجد المسلمون الا كتـاب الله العزيز دستورا يتقيدون بأحكامه ، والحديث النبوي الشريف سنة يعتمدونها في معالجة أمورهم • ولم يكن المسلمون في مستوى علمي واحد ، أو ارتباط موحد بالاسلام ، فسرعان ما ظهرت التـأويلات ، وتعـددت التفسيرات ، وكثرت الآراء ، وتشعبت بحسب درجة الوعي ، وتأثير الغايات والخواطر ، فتولد عن ذلك أول بذرة

من بذور الانقسام في صفوف المسلمين ، وظهر هذا الانقسام بشقين لكل منهما مبرراته وحججه وبراهينه ، وكان أحدهما يرى في ان القرآن الكريم نص صراحة في بعض آياته على ضرورة وجود الامامة بعـد الرسـول • وأن النبي صدع بأمر ربه وأعلن عن امامة علي بن أبي طالب من بعـده ، واستشهدوا بالعديد من الأحاديث النبوية ، والمواقف التي تدل اما صراحة أو استنتاجا على امامة علي بن أبي طالب ، بينما تمسك الفريق الثاني بضرورة قيام الشورى بين المسلمين ، والاحتكام اليهـا معتمدين على آيات قرآنية وأحاديث نبوية أخرى •

ولسنا هنا في معرض المفاضلة بين أي الفريقين كان على حق ، ومن منهما كان على باطل ، اذ الغاية المتوخاة في كتابنا هذا هي دراسة تاريخية وعقائدية للاسماعيلية ، ولكننا أرغمنا على وضع هـذا التمهيد لكي نحدد بالضبط الحادثة التاريخية التي تولدت عنها الاسماعيلية بشكلها الظاهر •

فالفئة التي والت علي بن أبي طلب وأقرت له بالامامة والخلافة من بعد النبي ، سميت بالشيعة لكونهم شايعوه وبايعوه • وتطورت العقيدة الشيعية بمرور الزمن ، فأصبحت الولاية والامامة ركنا من أركان الدين • ودفعهم هذا التطور الى تقصي الاحكام الاسـلامية في القرآن لدعم آرائهـم ، واكتشاف الحجج التي تثبت معتقداتهم ، فاستنبطوا فلسفة شاملة تستمد أصولها من جذور القرآن ، وكانت ضرورة تسلسل الامامة وحصرهـا في آل البيت باعتبارهم منحدرين من أشرف عقب ، وأرفع نسب • كما وانهم رافقوا النبوة منذ ولادتها ، وكان لهم شرف الاغتراف من معينها الصافي ، فاقترنت ذاتهم ، بذات الرسول الاعظم ، حيث أعدهم مثلا أعلى للمسلمين قاطبة ، وحجة للفضيلة وضمانا للحق • فكانوا الشموس الهادية ، والمشاعل التي تنير سبل البشر أجمعين •

وانطلاقا من هذه النظريات ، استمر الشيعة في دعم معتقداتهم واستخلاص الحجج المفيدة لهم ، فتولد عن ذلك العقيدة الشيعية المعروفة الآن •

والعقيدة الاسماعيلية ، اعتمدت في أصولها المذهبية على الاصول الشيعية ، والتقت مع الشيعة في أكثر من نقطة ، وأبعد من غاية .

وأبرز أوجه التلاقي عند الاسماعيلية والشيعة ، قضية الامامة ، وضرورة وجود الامام المنحدر من صلب علي بن أبي طالب صاحب الحق الشرعي في الامامة والخلافة بعد رسول الله (ص) . وان حفدة النبي أحق الناس بأن يعرفوا حقيقة رسالة جدهم ، فهم وحدهم ورثة علم النبي ، خصهم به ليكونوا حجة على المسلمين من بعده .

وذلك كله بأمر من الله تعالى الذي نص على ولاية علي بن أبي طالب يوم غديرخم في آية النص (يا أيُّها الرسولُ بَلِّغْ ما أنزلَ اليكَ من ربِّكَ ، وان لم تَفعلْ فما بَلَّغْتَ رسالتَهُ والله يَعصِمُكَ من النَّاسِ[1]) والتي فهمها الشيعة وأوَّلها تأويلا يتفق مع مذهبهم وآرائهم في ولاية علي بن أبي طالب وأبنائه من بعده ، على أن يكون الابن الاكبر من أهل البيت . واعتبروه القائد الروحي للمسلمين ، وبالوقت نفسه الحاكم ، أي صاحب السلطان الديني والسياسي معا . لارتباط الدين والسياسة في تلك الايام بعضها ببعض ارتباطا وثيقا ، فالشيعة على هذا النحو طالبوا بقيام النظام الثيوقراطي في الاسلام ، هذا النظام الذي كان معروفا في العصور القديمة عند كل الدول ذات الحضارات القديمة التي كانت قبل الاسلام . ففي النظام الثيوقراطي ينظر الشعب الى الملوك نظرة دينية بجانب النظرة الدنيوية ، وكانت الحكومات حكومات الهية ، بمعنى أن الملك كان الها مقدسا ، فله أن يحكم البلاد حكما مطلقا ، لأن الحكم له بأمر الآلهة التي عبدها الشعب ، ومن هذه الآلهة كان ملكهم .

وطبعي أن يعمد خصوم الشيعة الى وصمهم بالكفر والمروق عن الاسلام ، وينسبون اليهم تأليه علي بن أبي طالب ، وما شابه ذلك من التهم التي تهدف

---

(١) سورة ٥/٦٨ .

الى تجريح الشيعة والطعن في معتقداتها بدافع الصراع العنيف الذي نشب بينهم .

غير أنه من التجني بمكان ، أن نقر في الشيعة مثل هذه الامور ، على الرغم من حالة التقديس التي أحاطوا بها أئمتهم ، واعتبارهم في مستوى العصمة والكمال من حيث المناقب والفضائل .

وما أن توفي الامام جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين ابن الحسين بن علي بن أبي طالب ، حوالي سنة ١٤٧ هجرية – الذي التف حوله عدد كبير من الشيعة ، واعتبروه المؤسس الحقيقي للمدرسة الشيعية الدينية ، وواضع أصول العقيدة الشيعية – حتى انقسمت الشيعة الى فريقين ؛ فريق ساق الامامة الى ابنه موسى الكاظم واستمر في تسلسل الامامة في الأكبر سناً من عقبه حتى الامام محمد بن الحسن العسكري الذي دخل سردابا في مدينة سامراء – شمالي بغداد بالعراق – واختفى فيه خوفا على نفسه من بطش العباسيين وتنكيلهم بالشيعة عامة وأهل البيت خاصة ، ويقول شيعته انه لا يزال الى الآن حيا ، وأنه سيخرج من سردابه يوم القيامة على أنه (المهدي المنتظر) الذي سيملأ الدنيا عدلا ويرد الحق الى أهله . وسميت هذه الفرقة بالموسوية نسبة الى موسى الكاظم ، أو بالامامية الاثنى عشرية نسبة الى عدد الأئمة . أما الفريق الثاني فهم الاسماعيلية الذين قالوا بامامة اسماعيل بن جعفر الصادق فنسبوا اليه . وتدور حول امامة اسماعيل قصص وروايات أتينا على ذكرها في ترجمة حياة اسماعيل بن جعفر الصادق .

ولا تنكر أن الصراع بين مختلف المذاهب في ذلك الحين ، بلغ من العنف والاحتدام شأوا بعيدا ، وكان لزاما على كل فرقة أن تعمد الى دحض الاتهامات التي يلصقها بها خصومها ، فتولد عن ذلك شحذ الفكر ، واستنشاط للهمم العلمية ، فكثر الجدل والمناظرات ، مما تسبب بايجاد ثروة علمية شغلت الفكر زمنا طويلا ، وتمخض عنها العديد من النظريات الفلسفية التي لم يكن للمسلمين سابق وعي لها .

ومما لا شك فيه أن الاسماعيلية كانت السباقة في هذا المضمار ، ويعود لها الفضل الاول في اقتحام ميادين الفلسفة ، وفتح مغاليق النفس البشرية الى دنيا زاخرة بالمعرفة والكوامن الفلسفية ، فكانوا بحق رواد الفكر الاسلامي في عالم الفلسفة ، وحملة مشعل العلم أحقابا طويلة ، وأصبحت الاسماعيلية مادة البحث لدى الفلاسفة والمؤرخين العالمين ، وكنزا غنيا للاقلام ، ومادة وفيرة للكتب حتى الآن .

أسرار نظام الدعوة :

لم توجّه أية دولة من الدول ، أو فرقة من الفرق اهتماما خاصا بالدعاية وتنظيمها ، كما اهتمت بها الاسماعيلية ، حيث أحدثت التخطيط الدعاوي المنظم ، وابتكرت الاساليب المبنية على أسس مكينة مستوحاة من عقيدتها الصميمة .

واذا قورنت أحدث التنظيمات العصرية الحديثة مع تنظيمات الاسماعيلية ، وأجهزتها الدعائية ، لتبين لنا ان الاسماعيليين كان لهم القدح المعلى في هذا المضمار ، من حيث الدقة في التنظيم . فقد برعوا براعة لا توصف في تنظيم أجهزة الدعاية – على قلة الوسائل في ذلك العصر – واستطاعوا أن يشرفوا بسرعة فائقة على أقاصي بقاع المسلمين ، ويتنسمون أخبار أتباعهم في الابعاد المتناهية ، وذلك بما نظموا من أساليب وأحدثوا من وسائل ، وقد كان للحمام الزاجل – الذي برع في استخدامه دعاة الاسماعيلية – أثره الفعال في تنظيم نقل الاخبار والمراسلات السرية الهامة . وعلى أيدي الدعاة العلماء – الذين اشتهروا بحججهم القوية ، ومنطقهم السليم ، ومعرفتهم التامة العميقة لاصول كافة الاديان والمذاهب ، والعادات والتقاليد – انتشرت الدعوة الاسماعيلية في مختلف الاقطار والامصار . وأخذ هؤلاء الدعاة على عاتقهم التفاني في سبيل نشر دعوتهم والدفاع عنها سواء بالقلم أو باللسان .

ولقد كان الامام الاسماعيلي – والذي يعتبر رئيسا للدعوة – يعتبر الدعاة عصبا مهما بالنسبة للدعوة ، فينتخب الدعاة من ذوي المواهب الخارقة ، والقدرة الفائقة في بث الدعوة والعمل على نشرها بين مختلف الطبقات ، وقد جعل الدعاة من (حدود الدين) ، امعانا في اسباغ الفضائل عليهم ، ليتمكنوا من نشر الدعوة وتوجيه الاتباع دونما أية معارضة أو مخالفة . لأن مخالفتهم ومعارضتهم تعتبر بنظر الاسماعيلية مروقا عن الدين وخروجا عن طاعة الامام نفسه ، لأنهم من صلب العقيدة وحدودها .

ولقد وفقت الحركة الاسماعيلية بين جهاز الدعاية الذي نظمته خير تنظيم ، وبين نظام الفلك ودورته ، فجعلوا العالم – الذي كان معروفا في عصرهم – مثل السنة الزمنية ، فالسنة مقسمة الى اثني عشر شهرا ، واذن فيجب أن يقسم العالم الى اثني عشر قسما ، وسموا كل قسم « جزيرة » ، وجعلوا على كل جزيرة من هذه الجزر داعيا ، هو المسؤول الاول عن الدعاية فيها ، واطلقوا عليه لقب « داعي دعاة الجزيرة » أو « حجة الجزيرة » . وقالوا ان الدعوة لا يمكن استقامتها الا باثني عشر داعيا يتولون ادارتها ، يقابلهم في عالم الفلك الواحد اثنى عشر برجا : الحمل ، الثور ، الجوزاء ، السرطان ، الاسد ، السنبلة ، الميزان ، العقرب ، القوس ، الجدي ، الدلو ، الحوت . يطابقها في جسد الانسان اثنى عشر ثقبا هي : العينان ، والاذنان ، والمنخران ، والثديان ، والسبيلان ، والفم ، والسرة . يقابلها في عالم الحجب اثنى عشر حجابا هم : حجاب القدرة ، وحجاب العزة ، وحجاب العظمة ، وحجاب الهيبة ، وحجاب الجبراؤت ، وحجاب الرحمة ، وحجاب النبوة ، وحجاب الكربة ، وحجاب المنزلة ، وحجاب الرفعة ، وحجاب الشفاعة ، وحجاب السعادة . وقالوا أيضا ان النبي قال : « طوبى لمن حفظ الرأس وما حوى ، والعقل وما طوى ، والقلب وما وعى ، وذكر القبر والبلى ، ولم يتأثر بالحياة الدنيا » . أي طوبى لمن حفظ رأس دعوة الحق والائمة من ولده ، ويقولون بأن الرسول أراد من قوله (العقل وما وعى) ، أي ان في

العقل اثنى عشرة قطعة دليلا على اثني عشر داع الذين هم في جزائر الارض ، وهم في الدنيا مشهورون : العرب ، والترك ، والبربر ، والزنج ، والحبشة ، وخزر ، والصين ، وفارس ، والروم ، والهند ، والسند ، والصقالبة• ولما كانت الابراج ستة قبلية ، وستة شمالية ، كذلك اقتضى أن تكون الثقوب ستة في الجانب الايمن ، وستة في الجانب الايسر ، يطابقها أن شهور السنة على نوعين : سنة شمالية ، وسنة جنوبية ، فالسنة الشمالية عدد أيامها ثلاثون يوما ، ويسمون بالاشهر الكاملة ، والسنة الجنوبية ، عدد أيامها تسعة وعشرون يوما ، ويسمون بالاشهر الناقصة •

والشهر ثلاثون يوما ، ولذلك كان لكل داعي جزيرة ثلاثون داعيا نقيبا لمساعدته في نشر الدعوة ، وهم قوته التي يستعين بها في مجابهة الخصوم ، وهم عيونه التي بها يعرف أسرار الخاصة والعامة ، فكانوا بمثابة وزرائه ومستشاريه في كل ما يتعلق بجزيرته •

واليوم مقسم الى أربع وعشرين ساعة ، اثنتي عشرة ساعة بالليل ، واثنتي عشرة ساعة بالنهار ، فجعل الاسماعيلية لكل داع نقيب أربعة وعشرين داعيا ، منهم اثنى عشر داعيا ظاهرا كظهور الشمس بالنهار ، واثنى عشر داعيا محجوبا مستترا استتار الشمس بالليل • وبعملية حسابية نجد أن عدد الدعاة الذين بثهم الاسماعيلية في العالم كان حوالي ٨٦٤٠ داعيا ، في وقت واحد ، وذلك بخلاف عدد آخر من الدعاة لا يشملهم هذا الاحصاء ، وهم الدعاة الذين يكونون دائما في مركز الدعوة الرئيسي مع الامام ، علما بأنه كان لكل فئة من هؤلاء الدعاة عمل خاص لا يتعداه حفظا لنظام الدعوة وسريتها ، فدعاة النهار الاثني عشر في كل جزيرة كانوا يعرفون بالمكاسرين أو المكالبين وهم أصغر طبقة في درجات الدعاة ، وعلى عاتق المكالب تقع مهمة مجادلة العلماء والفقهاء أمام جماهير الناس ، وكأنهم تلاميذ يريدون الافادة من أساتذتهم ، دون أن يخالج الشك العلماء والفقهاء أو الجماهير المجتمعة للاخذ عن هؤلاء العلماء أو الفقهاء ، بأن من يجادله ويناقشه مناقشة

علمية عنيفة أنه من الدعاة ، وفي أغلب الاحيان يظهر عجز العالم عن الجواب ، الصحيح ، أو تبدو منه أخطاء فيسخر منه الداعي المكاسر ويتركه ، وهنا تظهر عبقرية الداعي المكاسر فيسرع اليه الناس يلتمسون منه الجواب الشافي عن الاسئلة التي طرحها والموضوعات التي ناقش فيها العلماء ؛ ومن الظاهر ان الداعي المكاسر كان يختار اختيارا خاصا ، ولا يسمح له بالمكاسرة الا بعد امتحان عسير وتجارب كثيرة ، ونجد في بعض الكتب الاسماعيلية الشروط الواجب توفرها عند اختيار الداعي المكاسر والخصال التي يجب أن يتحلى بها ، من ذلك أن يكون من نفس البيئة التي سيكاسر فيها ، ولد ونشأ بها ، حتى يكون معروفا عند الجمهور ، ويجب أن يكون حسيبا ونسيبا بين قومه ، فالحسب والنسب يكسبانه بعض الاحترام ، وان يكون معروفا بالصدق والامانة والتقى والورع ، فهذه الصفات تزيده احتراما في قومه ، فاذا وثق داعي الجزيرة في شخص تتوفر فيه هذه الشروط شرع في تعليمه العلوم الاسلامية حتى يتبحر فيها ، فاذا تم له ذلك ، أخذ يلقنه مسائل اختلاف المذاهب وآراء أهل الملل والنحل كلها من فرق اسلامية وغير اسلامية ، ويظهر له مواطن الضعف في كل مذهب وفي كل رأي ، ثم يعلمه كيف يجادل في اختلاف هذه الآراء ، وكيف يناقش أصحابها ، فاذا تم له ذلك يبدأ الداعي في تدريبه على تفهم نفسية كل جماعة من الجماعات ، وكيف يخاطب كل طائفة من الطوائف حتى يستميل الناس اليه ، فاذا أتقن كل هذه الامور وتدرب عليها ، ونجح فيها النجاح الملحوظ سمح له الداعي أن يكاسر ويجادل الفرق الاخرى دون أن يشعر أحدا بأنه اسماعيلي المذهب بل يجب أن يكتم ذلك كتمانا شديدا ، ولذلك يجب أن يكون المكاسر ذكيا ذا فراسة حتى لا يخطىء في معرفة نفسية المجتمع أو تقدير الناس الذين يخاطبهم ، فاذا فرض ووجد المكاسر أمامه خصما عنيدا أكثر منه علما وتبحرا في مختلف الفنون ، وجب على المكاسر في هذه الحالة أن يلح في المسائل الفلسفية العميقة التي لا حد لها والتي لا يفهمها العامة ، ويدخل

معه في مناقشات باطنية هي من أخص خواص الفلسفة الاسمـاعيلية التي لا يعرفهـا غير الدعاة . وبذلك ينجو المكاسر من الظهور بمظهر الضعف أمام العامة ، بل وربما عظم شأنه في أعينهم لأنه يتحدث عن أشياء لا يفهمونها ولا يعرفون كنهها ، هكذا كان شأن الداعي المكاسر أو « الداعي المكالب » الذي كانت مرتبته أقل مراتب النظام الاسماعيلي للدعاية ، فاذا كان هـذا هو شأن أصغر الدعاة استطعنا أن ندرك ما كان عليه أمر كبار الدعاة على اختلاف درجاتهم وتباين مراتبهم .

وفي حالة توصل الداعي المكاسر الى اقناع أحد المستجيبين ممن يرغبون الوصول الى معرفة الحقيقة ، يأخذه الى أحـد الدعاة الذين هم أعلى منه مرتبة ، فيلاطفه ويفاتحه في لين ورفق دون أن يظهر له صفته المذهبية أو شيئا من عقائده ، بل يكتفي باطلاعه على بعض المسائل المذهبية ويلمح له ببعض التأويلات البـاطنية التي لا ضير في كشفها ، فاذا أصر المستجيب على الاستزادة من المعرفة أحاله الى الداعي المأذون وهو من دعاة الليل الذي يبدأ بأخذ العهود والمواثيق ، فاذا وثق باخـلاص المستجيب بدأ يكاشفه ببعض الأسرار الخفية التي لا ينفر منهـا ، ويتدرج به حتى يطمئن الداعي المأذون الى اخلاصه ، ويطمئن المستجيب الى الداعي ويثق به ، عندئذ ينقله الى الداعي الذي هو أرقى منه رتبة ، وهكذا يتدرج المستجيب بين الدعاة حتى يسمح له أخيرا بحضور مجالس داعي دعاة (الجزيرة) الذي له وحده الحق في أن يعلم الناس التأويلات البـاطنية للدين والقرآن والحديث ، كما يعلم الدعاة فلسفة الدعوة المذهبية أي (علم الحقيقة) . صحيح كان داعي الدعاة يلقي المجالس والاحاديث على العامة الذين أخذت عليهم العهود والمواثيق دون أن يصلوا بعـد الى درجة عالية في علوم الدعوة ، ولكن هذه المحاضرات كانت بعيدة عن الاسرار الاسماعيلية العليا .

على هذه الصورة الدقيقة نظم الاسماعيليون دعوتهم ودعاتهم ، وحددوا

صلاحيات ومهمة كل واحد من هؤلاء الدعاة ، وامعنوا في تكريم الدعاة واسباغ المناقب والفضائل عليهم ، فجعلوهم من (حدود الدين) الذين يجب أن يعرفهم ويتوالاهم جميع المؤمنين .

أما الدعاة الذين يكوّنون « القيادة العليا » للدعوة ، والذين يظلون بمعية الامام دائما ، فالامام يختارهم بنفسه من أقوى واعلم دعاة الجزائر ، ويطلق على الداعي المختار لهذه المهمة « داعي الدعاة » ، واليه حق الاشراف على الدعوة في جميع الجزائر ، ويكون الواسطة بين دعاة الجـزائر وبين الامام ، ويكون معروفا بين الدعاة جميعـا وبين حاشية الامام في أدوار الستر والظهور . وعلى عاتقه تقع مهمة عقد مجالس الحكمة التأويلية على اختلاف درجاتها ، ومع مرتبة داعي الدعاة كانت هنـاك مرتبة « الحجة » ويسمى صاحبها « حجة الامام » ، وأحيانا كان الامام يولي المرتبتين لشخص واحد ، وأحيانا أخرى كان يجعل كل مرتبة لشخص ، وفي هـذه الحالة يستتر اسم صاحب مرتبة الحجة فلا يعرفه أحد حتى داعي الدعاة نفسه . وهناك مرتبة سرية أخرى وهي مرتبة « باب الابواب » ولا يعرف شـاغل هذه المرتبة الا الامام نفسه . وقد وصف أحـد الدعاة الاسماعيلية العلماء هذه المرتبة بقوله : « وحدّ الباب هو من الحدود الصفوة واللبـاب فهو أفضل الحدود وهو حد العصمة ولا ينتهي الى ذلك الا الآحاد والافراد » ويقول آخر : « باب الابواب هو باب صاحب الزمان الذي يؤتى منه اليه وحجته على الخلق وحامل علمه وصاحب دعوته » . فمرتبة باب الابواب أو « الباب » فقط من أرفع مراتب الدعوة وتلي مرتبة الامام الدينية مباشرة ، وهي مرتبة سرية للغاية ، ولقد قال عنهـا الفيلسوف أحمد حميد الـدين الكرماني في كتابه راحة العقل : « الباب وله مرتبة فصل الخطابة » . ومهما كان الامر ، يمكننا أن نرتب مراتب كبار الدعاة الذين كانوا يلازمون مركز الامامة كما يلي :

١ ـ مرتبة (الباب) ، وهي أعلى المراتب كلها ، وهي مرتبة سرية للغاية .
٢ ـ مرتبة الحجة .
٣ ـ مرتبة داعي البلاغ .
٤ ـ مرتبة داعي الدعاة ، أو الداعي المطلق ، وهي أعلى مرتبة ظاهرة .

وهناك الترتيبات العامة الرئيسية والتقسيمات التي تعتبر الاساس الذي اقيم عليه جهاز أنظمة الدعوة وهي :

١ ـ الناطق وله رتبة التنزيل .
٢ ـ الاساس وله رتبة التأويل .
٣ ـ الامام وله رتبة الامر .
٤ ـ الباب وله رتبة فصل الخطاب .
٥ ـ الحجة وله رتبة الحكم فيما كان حقا أو باطلا .
٦ ـ داعي البلاغ وله رتبة الاحتجاج وتعريف المعاد .
٧ ـ الداعي المطلق وله رتبة تعريف الحدود العلوية والعبادة الباطنية .
٨ ـ الداعي المحدود وله رتبة تعريف الحدود السفلية والعبادة الظاهرة .
٩ ـ المأذون المطلق وله رتبة أخذ العهد والميثاق .
١٠ ـ المأذون المحدود وله رتبة جذب الانفس المستجيبة وهو المكاسر[١] .
١١ ـ لاحق } ولهما رتبة مؤازرة المأذون المحدود ، والقيام بمهمته أثناء غيابه .
١٢ ـ الجناح }

على هذه الصورة رتب الامام رئيس الدعوة الاسماعيلية الحدود الجسمانية في النظام الاسماعيلي ، واجتهد الائمة بأن لا يخلو بلد من دعاتهم ، حتى ان الامام المعز لدين الله قال : « ان أكثر الناس يجهلون أمرنا ويظنون أنا لا نعني الا بمن شاهدناه وكان بحضرتنا ، ولو كان ذلك

(١) المشرع السادس من السور الرابع من كتاب راحة العقل للكرماني .

لكنا قد ضيعنا من بعُد عنا ، وقد أوجب الله على جميع خلقه ولايتنا ومعرفتنا واتباع أمرنا والهجرة والسعي الينا من قرب ومن بعد ، ولكننا للرأفة بهم ، ولما ندعوه ونحبه من هدايتهم قد نصبنا بكل جزيرة لهم من يهديهم الينا ويدلهم علينا » .

وبفضل هذا التنظيم الدقيق انتشرت الدعوة الاسماعيلية بشكل لم تعهده أية دعوة اسلامية أو غير اسلامية من قبل في جميع الاقاليم ، وبين كل طبقات المجتمع على السواء .

ولا بد لنا من الاشارة ، بأن هناك بعض الاختلافات البسيطة في أسماء ورتب بعض الدعاة ، قد يجدها الباحث في بعض الكتب الاسماعيلية ، ولربما كان مرد هذا الاختلاف الى ظروف واسباب خاصة ، أو نتيجة لعدم تعمق المؤلف ووقوفه على التمييز بين كل واحد وآخر . الا أن كتب الحقيقة السرية التي ألفها كبار الدعاة والعلماء والفلاسفة تتفق مع التنظيمات التي ذكرناها آنفا ، واذا صدف ووجدت تنظيمات مخالفة لما أوردناه وذكرناه فهي لا شك وليدة تعليلات لا تنسجم مع واقع الحقيقة ، لأن التنظيمات التي ذكرناها ظلت باقية ومعمول فيها حتى نهاية العهد الفاطمي في مصر .

ولما انتقلت الدعوة الاسماعيلية النزارية الى فارس ، أجرى الامام النزاري بعض التعديلات الجديدة ، وأوجد تنظيمات تتناسب مع ظروفه وعصره ، ومع ذلك ظل القسم الخاص بالدعاية الدينية قريب الشبه من النظام السابق ، ولو أن عدد الدعاة تقلص ونقص ؛ فالامام النزاري جعل رتبة « الشيخ » في دعوته بدلا من رتبة (داعي الدعاة) ، وعين له النواب في كل منطقة من المناطق الاسماعيلية ، وألحق بنائب الامام أو حجته أو « الشيخ » عددا غير محدود من الدعاة الذين كانوا يدعون الناس للمذهب الاسماعيلي النزاري . أما القسم الثاني ، فهو خاص بالفدائية ، والجيش ، وهؤلاء كانوا يتبعون مباشرة مركز الامامة أو نائب الامام في قطره ، ويتلقون الاوامر

والمهمات السرية منه مباشرة • وكان الفدائية على ثلاث درجات :

أولا — الرفاق أو المقدمون ، وهم قادة الجيش ، والفدائية يشرفون على تدريبهم ، ويسهرون على تنفيذ المهمات العسكرية وغير العسكرية •

ثانيا — مرتبة الفدائيين الذين ينتقون من العناصر المخلصة المعروفة بالتضحية والاقدام والشجاعة النادرة ، والجرأة الخارقة ، فيكلفون بالتضحيات الجسدية وبتنفيذ أوامر الامام أو نائبه •

ثالثا — المستجيبون ، وهم الذين يقضون دور التدريب والتعليم ، وهؤلاء يدخلون مدارس الفدائية وهم في سن مبكرة ويتلقون التدريب والتعليم في المدارس الخاصة بهم ، على أيدي كبار المقدمين • ويسهر على تدريبهم وتعليمهم الامام نفسه ، أو نائبه « الشيخ » • وقد عمل بموجب هذه الانظمة جميع الاسماعيلية النزارية في جميع المناطق ، وقد أطبقت شهرة الفدائية وأعمالهم الخارقة الآفاق • أما الآن ، فالاسماعيلية البهرة ، يجعلون في كل بلد من البلدان التي فيها جماعة منهم ، رجلا من رجال الدين الذين تخرجوا من (الجامعة السيفية) بمدينة سورت في الهند ، ويسمونه (العامل) وهو المكلف بجمع أموال الخمس و (السلة — فطرة) ويقدمها للداعي المطلق بمناسبة عيد الفطر وغيره ، ويقوم على شؤونهم الدينية من تنظيم عقود الزواج والطلاق ، وغير ذلك •••

أما الاسماعيلية النزارية في عصرنا الحاضر ، فتنظيماتها الدينية ، لا تتفق بأي حال من الاحوال والتنظيمات التي كانت معروفة في العصور السابقة ، وعلى الأغلب ان التنظيمات القديمة لم تعد تتلائم والعصر الحديث ، بدليل أنه قد أصبح للقضايا الاجتماعية والاقتصادية والثقافية التأثير الاكبر •

ونلاحظ الآن أن الدعاية الدينية ، وهي الأهم ، في المعتقدات الاسماعيلية مفقودة تماما ، ولم يعد لها أي وجود • كما وأن المثقفين ثقافة دينية عالية ليس لهم وجود في صفوف الاسماعيلية النزارية ، بالنظر لانعدام المدارس

الدينية الخاصة ، والمدرسين الأكفاء الذين كانوا يعقدون المجالس الخاصة ، والندوات لاعطاء المستجيبين العلوم الاسماعيلية • كما وأن الوظائف أصبحت وقفا على رجال الاقتصاد ، وعلى الظروف والمناسبات ، فلا تراعي مطلقا الكفاءات العلمية ، أو الثقافية •

ونأمل أن يكون عصر امامنا الحاضر صاحب السمو (آغا خان الرابع) عصر ازدهار ينظر فيه الى هذه النواحي الحيوية الهامة •

والوظائف المعروفة الآن هي :

(الهيئة الدينية) :

١ — سيف الدعوة — أو وزير الدعوة : وهي رتبة شرفية ولقب فخري لكبار زعماء الطائفة •

٢ — مكي : يشرف على تعيين موظفي المساجد ، ويراقب جباية الأموال وجمعها ويترأس المصلين ، وفي أغلب الاحيان يكون صاحب هذه الرتبة لا يتمتع بأي ثقافة دينية ، ولا تراعى في تعيينه أية ناحية من النواحي المعروفة في العهود السابقة •

٣ — كامريا : أي أمين خزينة الدعوة ، ويهتم بالشؤون المالية فقط •

٤ — ناظر : مهمته سير أمور الدعوة من الناحية المالية •

٥ — واعظ : مهمته وعظ الأتباع ، وحضور المآتم لتلاوة آيات القرآن ولا يتمتع بأي ثقافة دينية •

(المجلس الاسماعيلي الاعلى) :

مهمة هذا المجلس الاشراف على شؤون الاسماعيلية الدينية والثقافية والاقتصادية ويعين تعيينا من قبل الامام ، ويتألف من : الرئيس ، وأمين السر ، وعدد من الاعضاء قد يصل في بعض الاحيان الى العشرة •

(اللجنة الثقافية) :

وتتألف من : الرئيس ، وأمين السر ، وعدد من الاعضاء يصل في بعض الأحيان الى الخمسة عشر عضوا • ومهمة هذه اللجنة الاشراف على الامور الثقافية والمدارس وارسال البعثات العلمية • وفي الاقطار الاسماعيلية الاخرى ، كالهند وأفريقيا والباكستان وغيرها ، عدة تنظيمات أخرى ، كالجمعيات الخيرية ، والنسائية ، والصحية ، وروابط الطلبة • الخ •• وما هنالك من تنظيمات عصرية تتناسب مع المناطق والبلدان التي يقطنها الاسماعيلية • وقد كان لهذه التنظيمات أثرها الفعال في نهضة الطائفة الاسماعيلية في مختلف المجالات ، وفي بعض البلدان بلغت الذروة •

عقائد الاسماعيلية :

اذا اعتبرنا الفكرة الاسماعيلية كائنا حيا يتمتع بالحسية المطلقة ، والادراك الكامل للواقع من مختلف نواحيه ، كان لا بد أن ينمو هذا الكائن الحي ويستمد أسباب نموه ، اما من ذاته ، بما يفجر من طاقات روحانية في عالم النفس ، واما اكتسابا مما يحيط به من مؤثرات في عالم المادة • لهذا رافقت الحركة الاسماعيلية في مسيرتها ، مسيرة الزمن ، وآخت في حياتها وحدة الحياة • فكانت مزدوجة في تقمصها دور المعلم الذي يشق طريق السعادة للبشرية ، ودور المجرب الذي يتكشف أسرار ما غلق على النفس ، ويستخلص من تجاربه عصارة الحياة ليحقن بها قوة زخمة تدفعه خطوات أسرع نحو التقدم والسمو من أجل الكمال • ومن هنا كانت الحركة الاسماعيلية قديمة في جدتها ، عتيقة في حداثتها ، فاكتسبت في ذلك مناعة ضد الهرم ، ولبست من نصاعة جوهرها ثوبا لا يشيخ ، ولا تعبث به عناكب البلى •

وانطلاقا من هذه الحقيقة الواضحة ، نستطيع أن نبين أن الحركة

الاسماعيلية مبنية على عقيدة جامعة شاملة لكامل أمور الحياة ومتفرعاتها • وهذه العقيدة تترتب في حقائق أزلية ثابتة ، رافقت الكون منذ البدء ، وستستمر الى ما لا نهاية • ومن معتقدات متطورة جديدة تتلاءم مع مقتضيات الحياة نفسها ، ومتطلبات الزمن المتجدد • غير أن هذه المعتقدات الجديدة المتطورة تبقى في تلازم متين مع صلب العقيدة الجامعة الاولى ، ومتماسكة مع لحمتها ، كي تزيد في اتقادها ، وتمعن في اشعاعها ، فتضمن لها استمرارا أزليا •

فالعقيدة الاساسية الجامعة للاسماعيلية تترسخ في حقائق ثابتة هي :

١ ـ العبادة العملية (أي علم الظاهر) : وهو ما يتصل بفرائض الدين وأركانه •

٢ ـ العبادة العلمية (أي علم الباطن) : من تأويل ، ومثل عليا للتنظيمات الاجتماعية ، ومثل عليا للادارة السياسية • وكل هذه النقاط تعتبر من صميم العقائد ، تتداخل مع بعضها تداخلا كليا ، وتعتمد كل واحدة على الاخرى ، فهم يقولون بالباطن والظاهر معا ، وذهبوا الى تكفير من اعتقد بالباطن دون الظاهر ، أو بالظاهر دون الباطن • وفي ذلك يقول الداعي المؤيد في الدين :

« من عمل بالباطن والظاهر معا فهو منا ، ومن عمل بأحدهما دون الآخر ، فالكلب خير منه وليس منا » •

ومن أصول ومرتكزات العقيدة الاسماعيلية ضرورة وجود الامام المعصوم ، المنصوص عليه ، من نسل علي بن أبي طالب ، والنص على الامام يجب أن يكون من الامام الذي سبقه ، بحيث تتسلسل الامامة في الاعقاب ، أي أن ينص الاب على امامة أحد ابنائه • ولا تزال الامامة المحور الذي تدور عليه كل العقائد الاسماعيلية وفلسفتها ، لأن الامامة ركن أساسي لجميع أركان الدين ، فدعائم الدين هي : الطهارة ، والصلاة ، والزكاة ، والصوم ، والحج ، والجهاد ، والولاية •

والولاية هي أفضل هذه الدعائم ، فان أطاع المؤمن الله تعالى وأقر برسالة الرسول الكريم ، وقام بأركان الدين كلها ثم عصى الامام ، أو كذب به ، فهو آثم في معصيته ، وغير مقبولة منه طاعة الله وطاعة الرسول • وتدور حول هذه النقطة أكثر أبحاث علماء الاسماعيلية الذين يعتبرون الامام كالهرم ، رأس الهرم : الرأس ، والرأس هنا هو الامام بكل ما حاز من فضائل ومثل ، والقاعدة : هم الاتباع ، ومن الطبيعي أن تتطلع القاعدة الى القدوة في اتخاذها الكمال ، فتلتقي نظرتهم عند رأس الهرم ، واعتبروا الامام كالبحر الخضم تصب فيه كافة العيون والسواقي والانهار ، فهي منه ، أي منه انبثقت ، واليه معادها • أو كالمولد الكهربائي الذي يشع نوره في المصابيح ، وتفقد هذه المصابيح قدرتها على الاشعاع عندما يمتنع المولد عن مدها بالنور • والاسماعيلية يعتبرون من حيث الظاهر أن الائمة من البشر ، وأنهم خلقوا من الطين ، ويتعرضون للأمراض والآفات والموت ، مثل غيرهم من بني آدم ، ولكن في التأويلات الباطنية يسبغون عليه (وجه الله) ، و (يد الله) ، و (جنب الله) ، وأنه هو الذي يحاسب الناس يوم القيامة ، وهو الصراط المستقيم ، والذكر الحكيم ، الى غير ذلك من الصفات • وفي هذه الاقوال أدلة على كل صفة من هذه الصفات ، فمثلا : ان الانسان لا يعرف الا بوجهه ، ولما كان الامام هو الذي يدل العالم على معرفة الله ، فبه اذن يعرف الله ، فهو وجه الله ، الذي يعرف به الله ، وان اليد هي التي يبطش بها الانسان ويدافع بها عن نفسه ، والامام هو الذي يدافع عن دين الله ، ويبطش بأعداء الله ، فهو على هذه المثابة يد الله ، ومن جهة ثانية نرى الاسماعيلية يجردون الله من كل صفة ، وينزهونه التنزيه كله ، وينفون عنه جميع ما يليق بمبدعاته التي هي الاعيان الروحانية — ومخلوقاته — التي هي الصور الجسمانية — هي الاسماء والصفات ، ويعتبرون نفي المعرفة ، هو حقيقة المعرفة ، وسلب الصفة هو نهاية الصفة •

وقد دعموا هذه المعتقدات بنظريات فلسفية وتأويلات باطنية ، اما

اكتسابا أو استنباطا • فأصبحت الفلسفة وسيلة بنظرهم لتقييم العقيدة ، وطريقا الى تكشف جوهر الخالق والدين • ونادوا بوجوب التأويل الباطن ، لأنه من عند الله ، خص به عليا بن أبي طالب ، كما خص الرسول بالتنزيل • واستدلوا على ذلك بقصة موسى مع الرجل الصالح المذكورة في سورة الكهف • وعمدوا الى احاطة علوم الباطن بالستر والكتمان ، وحظروا اظهارها الا لمن يستحق ذلك فقط • وقد نظم داعي الدعاة المؤيد في الدين في عقيدة التأويل الباطن ، ووجوبه ، وضرورة ستره ، الا لمن يستحقه بقوله :

وانْ أجزنا ظاهر الكلام ... في ذاك ، أسلمناه للخصام

ففي اختلافات القرآن كثره ... من كل قول مع كل زمره

يا قوم ، سر الملكوت هذا ... يجعل أصنامكم جُذاذا

سر له صاحب موسى الخضرا ... قال : معي لن تستطيع صبرا

وقال موسى : سوف ألقى صابرا ... فلم يكن اذ ذاك الا قاصرا

تدبروا القصة ، ماذا يمما ... من قصّها ، ان لم تكونوا نوّما

لعلكم أن تحسبوها سَمَرا ... اذن أسأتم للنفوس النظرا

ورُبَّ معنىً ضمه كلامُ ... كمثل نور ضمه ظلام

باقٍ بقاء الحب في السنابل ... في معقلٍ من أحرز المعاقل

وانما باب المعاني مقفل ... وأكثر الأنام عنها غفل

مفتاحه أضحى بأيدي خزَنَه ... بهم الهي علمه قد خزنه

كيما يلوذ الخلق طرًا بهم ... خُصّوا بهذا النور من ربهم (1)

---

(1) المجالس المؤيدية ٥١/٢ ، القصيدة الاولى من ديوان المؤيد في الدين داعي الدعاة .

واعتبروا التأويل الباطن نظرية دينية فلسفية ، تتلخص كما ذكرنا في أن الله سبحانه وتعالى جعل كل معاني الدين في المخلوقات التي تحيط بالانسان ، لذا يجب أن يستدل بما في الطبيعة ، وبما على وجه الارض ، على ادراك حقيقة الدين ، وقالوا ان المخلومات قسمين : قسما ظاهرا للعيان ، وقسما باطنا خفيا ؛ فالظاهر يدل على الباطن ، وما ظهر من أمور الدين من العبادة العملية ، وما جاء في القرآن هي معاني يعرفها العامة ، ولكن لكل فريضة من فرائض الدين تأويلا باطنا لا يعلمه الا الائمة وكبار دعاتهم وحججهم وحدودهم .

وللاسماعيلية أدلة عقلية على وجوب التأويل استقوها من القرآن الكريم ، فذهبوا الى أن مثالة الدين تؤخذ من خلقة السموات والارض ، وتركيب الأفلاك ، وجميع ما يتأمل مما خلقه الله ، فقد ركزت في المخلوقات كل معاني الدين الذي حمله القرآن الكريم ، فآيات القرآن اذن في حاجة الى من يخرج كنوز هذه المعاني[1] ، واستنادا لهذه الطريقة ، أوجدوا نظرية المثل والممثلون ، والباطن والظاهر ، وجعلوا الظاهر يدل على الباطن ، وسموا الباطن ممثولا ، والظاهر مثلا ، وفي ذلك قال المؤيد في الدين : « خلق الله أمثالا وممثولات ، فجسم الانسان مثل ، ونفسه ممثول . والدنيا مثل والآخرة ممثول . وان هذه الاعلام التي خلفها الله تعالى ، وجعل قوام الحياة بها ، من الشمس والقمر والنجوم لها ذوات قائمة يحل منها محل المثل ، وان قواها الباطنة التي تؤثر في المصنوعات هي ممثول تلك الامثال[2] . وجاء في المجالس المستنصرية : « معشر المؤمنين ، ان الله تعالى ضرب لكم الأمثال جملا وتفصيلا ، ولم يستحِ من صغر المثال اذا بين به ممثولا ، وجعل ظاهر القرآن على باطنه دليلا[3] » . ويقول المؤيد :

(١) المجالس المؤيدية ٢/٥٢ .
(٢) المجالس المؤيدية : المجلس الثامن من المائة الثانية .
(٣) المجالس المستنصرية : ص ٩٨ — ٩٩ .

أقصد حمى ممثوله دون المثل ذا ابر النحل ، وهذا كالعسل[1]

وبناء على نظرية المثل والممثول هذه يجب أن يكون في العالم الارضي عالم جسماني ظاهر يماثل العالم الروحاني الباطن ، فالامام هو مثل السابق ، وحجته مثل التالي ، وكل خصائص العقل الاول (السابق) جعلت للامام .

وقالوا : ان الله سبحانه وتعالى متعال عن المراتب كلها كمالا ونقصانا ، ووحدة وكثرة ، وأول ما ترتب أولا في الوجود وهو موجود وجد على طريق الابداع والاختراع لا على طريق الفيض كما يقول الفلاسفة ، وهذا الموجود الاول علة أولى يتعلق بها ويترتب عنها وجود ما سواها من الموجودات ومثله في هذا كمثل الواحد الذي هو في الاعداد التي ترتب عنه ، بمثابة العلة الاولى في وجودها .

فان الاول ان لم يثبت وجوده لم يكن للثاني طريق الى الوجود ، والثاني ان لم يثبت وجوده لم يكن للثالث طريق الى الوجود ، واذا لم يكن للثاني والثالث وجود الا بثبوت وجود مايكون أولاهما وسببا لوجودهما[2] . فمن وجود الثالث والرابع وغيرهما من الموجودات قيام الدليل على وجود أول لها ثابت ، وسبب لولاه لما وجد ما سواه ، فقد ثبت للموجودات بوجودها مبدأ أول ، عنه ترتبت في الوجود ، وذلك المبدأ الاول نسميه : العقل الاول ، والموجود الاول ، الذي وجوده لا بذاته بل بابداع المتعالي سبحانه اياه . ولما كانت الموجودات موجودة ثابتة ، ثبت أن العلل ثابتة وانها لا تزال ترتفع عن الكثرة عند التوجه نحو الاول منها ، وتقل الى أن تنتهي الى شيء واحد ثابت هو علة تنتهي اليها العلل ، مثل التسعة من الاعداد ، التي وجودها يدل على وجود الثمانية ، ووجود الثمانية يدل على وجود السبعة ، فلا تزال ترتفع عن الكثرة تحليلا الى ما منه وجدت الى أن تنتهي

(١) القصيدة الاولى من ديوان المؤيد في الدين داعي الدعاة .
(٢) راحة العقل : للكرماني ص ٥٩ .

الى واحد ثابت هو علة لجميعها ، وبه قوامها • فيكون ذلك الواحد المتقدم الرتبة وجوده لا بذاته ، بل هو في ذاته فعـل عمن لا يستحق أن يقال انه فاعل ، وهو مفعول لا من مادة ، وهو فاعل لا في مادة هي غيره • وانما قلنا انه هو فعل في ذاته لكونه أول موجود •

ولما كان الانسان الذي هو آخر الموجودات ، وهو النهاية الثانية لهـا منحلا الى أشياء كثيرة مفعولة فيها هي كالمادة التي منها فعل وهي كلها دار الطبيعة ، والى أشياء كثيرة فاعلة صارت دار الطبيعة مادة لها تفعل فيهـا لاخراج ما من شأنه أن يوجد منها الى الوجود مثل الانسان وغـيره ، وهي كلها قائمة بالفعل ، وهي الملائكة الموكلة بالعالم ، فالانسان فاعل في مواد هي غيره عند ايجاد الصورة الصناعية ، ومفعول من دار الطبيعة ، وفعل للملائكة القائمة بالفعل ، وفاعليته بكونه فعلا لغيره الذي قام بفعله ، أعني ايجاده ، ووجدنا دار الطبيعة والفاعلين فيها منحلة الى أشياء ليست في الكثرة ، مثل دار الطبيعة ، بما تجمعه ، والفاعلين فيها ، بل أقل ، وهي الهيولى والصورة معا ، وما صارت الهيولى والصورة مادة له في تكوين الافلاك والاستقصات من الملائكة أعني العنصر القائم بالفعل ، ودار الطبيعة والفاعلون فيها فاعلة للانسان وغيره من أنواع الموجودات ، ومفعولة مما منه وجدت ، أما دار الطبيعة فمن الهيولى والصورة ، وأما الفاعلون فمن فاعل مثلهم سابق عليهم ، وفعل للملك القائم بالفعل الذي هو سابق للجميع ، وفاعليتها بكونها فعلا للذي قام بفعله اياها ، ووجدنا الهيولى والصورة والفاعل فيهما متحللين الى شيء واحد منه وجودها بانتهاء التحليل الى أول الكثرة بالذوات التي ليس وراء أولها الذي هو اثنان الا الواحد ، وامتناع الامـر في انحلالهما الى شيئين يجريان منهما مجرى الآباء والامهات والفاعلـين فيها مـن الانسان والهيولى ، والفاعلين فيها من الأباء والامهات لاتصال الامر فيه أن لو كان كذلك الى مالا يتناهى ، يكون سببا لا وجودية الموجودات ، فقد ثبت بانتهاء التحليل الى واحد به يتعلق وجود ماسواه ، أن هذا الواحد هو العـلة الثابتة،

وهو فعل في ذاته ، وفاعل في ذاته ، ومفعول بذاته • ثم تقول : لما كـان كل قائم بالقوة ناقصا ، وكان خروجه الى الفعل الذي هو درجة الـكمال لا يكون الا بالذي يستند اليه في ذلك ، فمن هو قائم بالفعل تام في ذاته وفعله ، وكانت أنفس البشر في دار الطبيعية قائمة بالقوة ناقصة ، فخروجها الى الفعل اذن لا يكون الا بالذي هو قائم بالفعـل ، تام في ذاته وفعله • ولما كان موجودا من أنفس البشر من خرج الى الفعل مثل الانبياء والاوصياء والأئمة عليهم السـلام وتابعيهم بنيهم الكماليين ، واستيفائهم السعـادتين ومصيرهم مجمعا للفضائل ، صفرا من الرذائل تاما ، كان القائم بالفعـل التام في ذاته وفعله الذي به كان كمالهم وارتقاؤهم الى درجة القيام بالفعل وباستنادهم اليه كان وجودهم تامين ولولاه لما كان لهم خروج الى الفعل موجـودا [1] •

وتحدث الفلاسفة الاسماعيليون عن وجود الله فأثبتوا ضرورة وجوده عن طريق وجوده عن طريق ليسيته ، وضرورة استناد الموجودات واحتياجها الى موجد ، ونفوا عن الله الأيسية كما نفوا عنه الليسية ، وقالوا : ان الله لا يمكن أن يكون ليسا ولا أيسا ، أي أنه لا يصح أن يكون الله غير موجود ، ولا أن يكون موجودا من نوع الموجودات التي وجدت عنه ، ويطلق عليه اسم المبدع الاول ، والعقل الاول ، والمحرك الاول الذي لا يتحرك باعتباره مبدأ لحركة جميع المتحركات في عالمي العقل والجسم وعلة لوجود الموجودات الكائنـة ، كالواحد الذي هو أول الاعداد [2] •

ويأتي بعده في ترتيب العقول : العقل الثاني ، الذي وجد عن العقـل الاول عن طريق الانبعاث ، كما أن وجود العقل الاول عن الله عـن طريق الابداع ، لذلك أطلق على العقل الثاني اسم المنبعث الاول ، كما أطلق على

---

(١) راحة العقل ص (٦١ — ٦٢) •

(٢) المصدر نفسه ص (٩٢ — ٩١) •

العقل الاول اسم المبدع الاول ، والمنبعث الاول • ويسمى في السنة الالهية : (القلم) • ويأتي بعد المنبعث الاول المنبعث الثاني ، وهو أول الموجودات القائمة بالقوة ، وهو الهيولى المسماة في السنة الالهية اللوح ، لكونه قابلا للصور قائما بالقبول ، كقبول اللوح من القلم صور التخطيط ، التي تعرف بالهيولى المقترن وجودها مع الصورة •(١) .

ويوجد عن العقل الاول والمنبعث الاول عقول سبعة وجد كل منها عن الآخر صاعدا الى المنبعث الاول• كما أن كلا منها ساطع سار فيما وجد عن الاول من الهيولى والصورة التي منها وجود السماوات والارض وحركاتها ؛ ومن تمامية الدور بالسبعة بعد الناطق والاساس وقيام العاشر في مقام الناطق بالدعوة الى أمر جديد في دور آخر على وقوف الانبعاث عن وجود المثل عند انتهائه الى العاشر من العقول ، وقيام العاشر مقام الاول في تدبير أمر دار الجسم ، وكون أئمة كثيرة فيما بين الأتماء السبعة ، على أن بين العقول المنبعثة ملائكة كثيرين بحسب كثرة الاكر في دار الجسم ؛ ومن كون مراتب الأئمة شيئا واحدا من الامامة والكمال ، على أن مراتب العقول شيء واحد في كونها برية من الأجسام والمواد • ولما كان محصول ضرب الواحد فيما عنه ذاته من الفردين اثنين ، كان ذلك موجبا أن يكون الموجود عن الابداع الذي هو المبدع الاول بفعله في ذاته احاطة بها ونظرة اليها التي هي على نسبتين وكمالين اثنين ، وهما المنبعثان الاولان أولا وثانيا : اللذان هما العقل الثاني القائم بالفعل ، والعقل القائم بالقوة الذي هو الهيولى والصورة ، كما أن الموجود عن الناطق اثنان الوحي القائم بالفعل مقامه والكتاب الذي هو امام قائم بالقوة ، وهو بمنزلة الهيولى والصورة التي مادة تتضمن كل شيء • ولما كان الطرف الاول من الاثنين أجل من الطرف الآخر بقربه مما عنه وجوده وبعد الطرف الآخر وان كانا في الوجود معا ، كان ذلك موجبا أن يكون أحد

(١) راحة العقل ص ١٢٤ للكرماني .

الموجودين عن المبدع بقيامه بالفعل احاطة بذاته ، واغتباطا بها الذي هو العقل الثاني أجل وأشرف من الآخر الذي هو الهيولى القائمة بالقوة المفعول به • كما أن الوصي القائم مقام الناطق هو أشرف من الكتاب المعمول به ، ولما كان محصول ضرب اثنين في اثنين أربعة ، وكانت مع الحاصل في الوجود ستة من واحد واثنين وثلاثة وعشرة ، وكانت العشرة مكانها في العشرات كالواحد من الآحاد ، كان ذلك موجبا أن يكون ما وجد بالابداع والانبعاث من العقول الفاعلة في ذواتها بذواتها عشرة(١) تم بها عالم الابداع والانبعاث الذي هو المبادىء الشريفة ، وقام العاشر منها لعالم الجسم مقام المبدع الاول في عالم الابداع الاول والانبعاث الاول ، كما ان الموجود في الدور من الحدود العشرة أولها الناطق والوصي وسبعة من الاتماء الذين يتمون الادوار الصغار ، والعاشر هو الذي يقوم مقام الناطق في دوره ثم يظهر بأمر جديد في دور جديد •

وعلى هذه الصورة يمكننا أن نرتب العقول العشرة مع مايقابلها من مراتب الدعوة الاسماعيلية ، ومراتب الموجودات ومطابقتها لها على الشكل التالي :

١ ــ العقل الاول أو المبدع الاول = الناطق •

٢ ــ العقل الثاني : (فلك الكواكب الاعلى الحاوي لكل ما في عالم الجسم الثاني الذي يأتي في الترتيب بعد عالم الجسم الاول وهو عالم الهيولى والصورة) = الاساس •

٣ ــ العقل الثالث (فلك زحل) = المتمم الاول = الامام •

٤ ــ العقل الرابع (فلك المشتري) = المتمم الثاني = الباب •

٥ ــ العقل الخامس (فلك المريخ) = المتمم الثالث = الحجة •

(١) المصدر نفسه ص ١٢٦ للكرماني .

٦ — العقل السادس (فلك الشمس) = المتمم الرابع = داعي البلاغ •

٧ — العقل السابع (فلك الزهرة) = المتمم الخامس = الداعي المطلق•

٨ — العقل الثامن (فلك عطارد) = المتمم السادس = الداعي المحدود

٩ = العقل التاسع (فلك القمر) = المتمع المتمم السابع = المأذون المطلق •

١٠ — العقل العاشر (مأذون فلك القمر) = المتمم الثامن = المأذون المحدود = المكاسر = المكالب •

كما وأن الموجودات الروحية والمادية التي وجدت عنه تعالى بابداعه لها واختراعه اياها ، فقد رتبت على الشكل التالي :

١ — أول الموجودات ، هو المبدع الاول ، أو الموجود الاول ، الذي ليس وجوده بذاته ، والذي هو علة الموجودات تنتهي اليها هذه الموجودات • وهو عين الابداع وعين المبدع من ناحية ، وعين الوحدة وعين الواحـد من ناحية أخرى •

٢ — ثاني الموجودات ، هو العقل الثاني ، أو المنبعث الاول ، العقل القائم بالفعل ، وهو في الكمال كالعقل الاول ، كما أنه لا جسم ولا في جسم •

٣ — وثالث الموجودات ، هو العقل القائم بالقـوة ، أو المنبعث الثاني الاول ، وهو الهيولى والصورة ، وقد سمى بالمنبعث الثاني الاول لانـه ثاني في الرتبة بعد المنبعث الاول من ناحية ، ولانه أصل لعالم الجسم ، فهو أول بالنسبة لما ينشأ عنه من الاجسام من ناحية أخرى •

٤ — وعن العقل الثاني القائم بالفعل يصدر الملائكة الموكلون بعـالم الطبيعة ، وهم كثيرون ، ووجود كل منهم عن الآخر •

٥ — وعن العقل القائم بالقوة الذي هو الهيولى والصورة يصدر عالم الطبيعة بأفلاكها وكواكبها •

وكذلك وجد في الجسد سبع قوى فعالة جسمانية وهي : الجاذبة ، والماسكة ، والهاضمة ، والدافعة ، والغازية ، والنامية ، والمصورة • وسبع قوى روحانية حساسة خفيفة لطيفة وهي : الباصرة ، والسامعة ، والذائقة ، والشامة ، واللامسة ، والناطقة ، والعاقلة ، ومن هذه القوى الحساسة خمسة منها تشبه الكواكب الخمسة الجارية في السماء : المريخ والمشتري وعطارد وزهرة وزحل • والقوى الناطقة مناسبة للقمر ، والقـوى العاقـلة مناسبة للشمس •

وقالوا : ان للقوى الفاضلة التي هي : العاقلة ، والمفكرة ، والذاكـرة ، والمتخيلة ، والمميزة ، والحافظة ، والناطقة ، في الدنيا نظير ، السبعة النطقاء ، ودعائم الاسلام السبعة التي هي : الصلاة ، والصوم ، والحج ، والزكاة ، والجهاد ، والولاية ، والطهارة • وقسموا هـذه العلوم الى ثلاثة أقسام : رياضية وطبيعية ، والهية • وقالوا : ان العلوم الرياضية هي دون فلك القمر ، والعلوم الطبيعية في الفلك التاسع الى فلك القمر ، أما العلوم الالهية فهي فوق الفلك التاسع ، مثل العقل ، والنفس ، والامر ، والباري ، وقد أشرف على كل نوع من هذه العلوم عقول تسيرها وترعاها ، ففضلوها ورتبوها حسب أهميتها ، فجعلوا المرتبة الاولى للعلم الالهي ، وموضوعاته تبحث عن كنه الله تعالى ، وكنه النفس الناطقة العلامة بالقوة ، الفعالة بالذات ، معتمدين على قول الرسول : (من عرف نفسه فقد عرف ربه) ، و (أعرفكم بنفسه أعرفكم بربه) • ومن يتوصـل الى معرفة نفسه اطلـع على الخفايا والأسرار ، وأصبح اسمه لدى العامة (النقال) أي الذي ينقل النفوس من الظلمات الى النور ، ويخرج من الفجار أشخاصا أخيارا ، ويجعل من الـكافر الملحد ، مؤمنا وليا ، وهذا النقال لا يعرج على قرية خاوية الا وأحياها ، ولا أرضا قاحلة الا وأخصبها ، يهييء الاسباب ، ويرفع الحجاب ، ويهوّن الامور الصعاب ، ويحمل نورا من أنوار الله يقذفه في قلب من يشاء من عباده واتباعه الصالحين ، ويرشدهم الى جوهر العقول ، وأسرار النفوس ، وأنوار

الافكار ، وحكم الازهار ، ويطلعهم على السر المكنون ، والنور الشريف اللطيف ، وهو علم الربوبية ، والسر الامري ، والرحمة الواسعة التي يخص بها من يشاء •

وقالوا : ان الانسان هو النفس قبل الجسم ، لان نفسه لبست زمنا طويلا حتى عرفت وعقلت المعقولات ، أي عرفت امام عصرها وزمانها ، ولما عرفته ارتقت الى عالمها النوراني ، عالم الملكوت الاعلى •

وقالوا : بان الله أبدع من نوره الشعشعاني صورة أزلية كاملة دعاها العقل الكلي ، فكان حدا من حدوده أطلق عليه السابق لسبقه الحدود الروحانية الى معرفة الخالق وتوحيده ، فكان أولا لاحقا ، ثانيا موجودا ، ثالثا واحدا ، رابعا تاما ، خامسا كاملا ، سادسا أزليا[1] ، سابعا عاقلا ، ثامنا عالما ، تاسعا قادرا ، عاشرا حيا ، وأطلق المبدع على هذا الملاك الاول والحد الاول ، اسم (القلم) وقال له : أقبل ، فأقبل ، وقال له : أدبر ، فأدبر ، فقال : بعزتي وجلالي ماخلقت خلقا أعز منك ، بك أثيب ، وبك أعاقب ، وبك تبلغ النفوس المنازل العالية ، قد جعلتك وسيلتي لجميع عبادي ، من أطاعك فقد أطاعني ، ومن عصاك فقد عصاني ، وأفاض الله من نوره ومن العقل الكلي الفعال ، جوهرا آخرا في كماله ، دونه في رتبته • فكان ملاكا ثانيا قابلا للصورة •

وعن الملائكة وعالم الطبيعة يصدر الانسان بالنفس والجسم • فترجع نفس الانسان الى ماعنه وجدت وهو الملائكة ، ويرجع جسمه الى ماعنه وجد وهو الهيولى والصورة •

وتقابل مراتب الموجودات أو مراتب عالم الصنعة الالهية ، ومراتب عالم الصنعة النبوية أو عالم الدين كما يلي :

---

(١) اسرار النطقاء على هامش جامع الحقائق ٦/٢

١ — الناطق وهو الاصل الذي يصدر عنه الدين بما فيه من علم وعمل، وبمن فيه من أئمة يدعون الى التحقق بكمال العلم عن طريق العبادة العلمية الباطنية ، والى التحقق بكمال العمل عن طريق العبادة العملية الظاهرة •

٢ — وعن الناطق الذي هو أصل عالم الدين من جهة التركيب ، وجد الامام القائم بالفعل وهو الاساس •

٣ — وعن الناطق أيضا وجد الامام بالقوة وهو الكتاب •

٤ — وعن الامام القائم بالفعل الذي هو الاساس وجد الأئمة القائمون بحفظ الشريعة ، وهم كثيرون •

٥ — وعن الامام القائم بالقوة الذي هو الكتاب وجدت الشريعة الجامعة للعبادتين الباطنة والظاهرة علما وعملا ، وهي أشياء كثيرة •

٦ — وعن الأئمة والشريعة يحصل كمال النفس البشرية ، اذ بالشريعة يحصل كماله العملي الذي يأتي من العبادة الظاهرة ، ومن الأئمة يحصل كماله العلمي الذي يأتي من العبادة الباطنة •

وعدا عن هذه الآراء الفلسفية والنظريات العميقة أوجدوا نظريات الهياكل السبعة والادوار السبعة ، فقالوا عن الهياكل : انها على نوعين : سبعة مؤتلفة ، وسبعة مختلفة • والنطقاء سبعة ، وأسسهم سبعة ، والأئمة سبعة • فالنطقاء السبعة والأسس السبعة هم : آدم ، وأساسه شيث ، ونوح وأساسه سام ، وابراهيم وأساسه اسماعيل ، وموسى وأساسه شمعون الصفاء ؛ ومحمد وأساسه علي بن أبي طالب ، واسماعيل وأساسه قداح الحكمة • والأئمة السبعة هم : علي ، والحسين ، وعلي زين العابدين ، ومحمد الباقر ، وجعفر الصادق ، واسماعيل ، ومحمد بن اسماعيل ، وطابقوا هذه النظرية على الاعداد ورتبوها كما يلي[1] :

---

(١) البيان لمباحث الاخوان : للشادلي تحقيق مصطفى غالب ص ١٤ — ١٣

آدم : بمنزلة الآحاد ومنه السلالة .

نوح : بمنزلة العشرات وهو كالنطفة في الصورة الجسمانية .

ابراهيم : بمنزلة المئات وهو كالعلقة في الصورة الجسمانية .

موسى : بمنزلة الآلاف وهو كالعظام في الصورة الجسمانية .

عيسى : بمنزلة عشرات الالوف وهو كاللحم في الصورة الجسمانية .

محمد : بمنزلة مئات الالوف وهو كالصورة التمامية

القائم : بمنزلة آلاف الالوف وهو كالنفخة الاخيرة .

قائما بالقبول ، أطلق عليه اسم اللوح المحفوظ ، فكان حدا ثانيا ، أبدعهما الله بالكلمة القدسية (كن) فكان ، الكاف منها دليلا على السابق ، والنون اشارة الى تاليه .

فـ (كن) كلمة من كلام الله الساري وحيا بلا واسطة ، فكان حدا ثالثا أطلق عليه اسم (الجد) ، آخذا من قوله تعالى « وانه تعالى جد ربنا »[1] ونتج عن ذلك الحد الرابع الذي هو (الفتح) ، لانه فتح بالذكر ماصح بالفكر ، فتم بهذا الابداع ، الحد الخامس الذي أطلق عليه اسم (الخيال) لانه كان أول عارض تخيل بالفكر ، والنافخ الاول في نفخة البعث ، وبذلك قال أحد الدعاة :

غدا السابق السامي اليه وناله   مع الجد والفتح والخيال الملاوم

وأطلق على هذه الحدود الخمسة اسم الحدود العلوية الروحانية ، وقيل عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : تسلمت من خمس ، وسلمت الى خمس ، وبيني وبين ربي خمس ، وأنا وآل بيتي خمس .

١ — آدم : وحظه : بحيرة الراهب .

(١) سورة ٧٢/٤

٢ — نوح : وحظه : خديجة بنت خويلد .

٣ — ابراهيم : وحظه : ميسرة

٤ — موسى : وحظه : عمر بن نافل .

٥ — عيسى وحظه : زيد .

أما الخمسة التي سلم اليهم ملكة الدين هم : الأساس ، والوحي ، والامام ، والحجة ، والداعي . والخمسة التي بينه وبين ربه هم : العقل ، والنفس ، والجد ، والفتح ، والخيال . يقابلهم في عالم الملائكة ، القلم ، واللوح ، وميكائيل ، واسرافيل ، وجبرائيل ، وقوله : أنا وآل بيتي خمس ، يقصد : محمد ، وعلي ، وفاطمة ، والحسن ، والحسين .

وقالوا : ان جميع الانبياء ، لم يأخذوا التأييد ، ولا اتصل بهم الوحي الا عن طريق الحدود الروحانية ، الغير متشخصة ، وقد فسر أحد الفلاسفة الاسماعيلية قوله تعالى « وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا ، أو من وراء حجاب ، أو يرسل رسولا فيوحي باذنه مايشاء[1] » بأن القسم الاول من هذه الآية هو رتبة (الجد) الذي هو كلام الله وحيا ، وكلمة من وراء حجاب ، هي رتبة ، (الفتح) ، وكلمة ويرسل رسولا هي : رتبة (الخيال) ، وأفضى السابق الى تاليه بالمادة الارادية ، والمشيئة المقتضية ، وأفضى التالي الى الجد ، وهو اسرافيل بما يجري في العالم الروحاني ، فافضى به اسرافيل الى الفتح وهو ميكائيل الذي أبلغه الى الخيال ، جبرائيل ، فبلغه جبرائيل الى الناطق الحي ، الذي يمثل في دوره ، السابق ، كما يمثل الحجة أي الاساس دور التالي ، ويمثل الداعي الجد ، والمأذون الفتح ، والمكاسر ، الخيال في كلا الدورين . فقول النبي : اني أخذ الوحي عن جبرائيل ، وجبرائيل يأخذه عن ميكائيل ، وميكائيل يأخذه عن اسرافيل ، واسرافيل يأخذه عن اللوح ، واللوح يأخذه عن القلم ، أنه يعني بذلك ، اني أخذ الوحي عن

(١) سورة ٤٢/٥٠ .

الخيال ، الذي يأخذه عن الجد ، عن التالي[1] الذي يأخذه عن السابق ، فيكون قد أخذ عن خمسة حدود علوية اتصل عنهم خمسة حدود أرضية هم : النطقاء عن السابق ، والاوصياء عن التالي ، والدعاة عن الجد ، والمأذونون عن الفتح ، والمكاسرون عن الخيال .

والمأذونون ، والمكاسرون أقرب الحدود الى المستجيبين ، ومرتبتهما كبيرة ، لا تتوافر الا فيمن كان على علم تام بالعقائد ويعرف مواضع الضعف فيها ، ليتمكن من مجادلة أصحاب الفرق الاخرى واظهار ما في معتقداتهم من أخطاء لترغيب المستجيبين ، واذا ما طبقنا نظرية المثل والممثول يكون في العالم الارضي حدود جسمانية تماثل الحدود العلوية وتتصف بصفتها وتسمى بأسمائها ، لأن الله سبحانه وتعالى المنزه عن الاسماء والصفات ، أقام العالمين العلوي والسفلي بعشرة حدود كاملة ، خمسة حدود روحانية ، وخمسة حدود جسمانية ؛ فالحدود الجسمانية أو الارضية هم : النبي والوصي والامام والحجة والداعي ، يقابل كل منهم : السابق والتالي والجد والفتح والخيال[2] وان العالم العلوي يمد العالم السفلي ، وعالم العرش يمد عالم الكرسي ، وعالم الكرسي يمد فلك زحل ، وفلك زحل يمد فلك الشمس ، وفلك الشمس يمد فلك زهرة ، وفلك زهرة يمد فلك عطارد ، وفلك عطارد يمد فلك القمر ، وفلك القمر يمد فلك الحرارة ، وفلك الحرارة يمد فلك الهواء ، وفلك الهواء يمد فلك الماء ، وفلك الماء يمد فلك التراب .
والوجود بحد ذاته تأسس من علتين : احداهما الامر وهو علة العلل ، والثاني العقل الفعال وهو علة ومعلول ، والامر هو المادة الالهية التي تمد العلة الثانية ولا تستمد منها ، والامر والباري كلمة واحدة تستمد منهما كافة الحدود الروحانية ، وقد يظهر الامر في العالم السفلي متجسدا في صورة الحجاب

(1) المجالس المؤيدية ٢/٢١١

(2) الفترات والقرانات ص ٦٩ .

البشري ، وقيامه بالمدة المقررة ، فاذا غاب الامام انتقل الامر الى شخص آخر من ولده بموجب النص ، فهو اذن علة الوجود كما ان الواحد علة الاعداد ، ومنه تكونت كسورها واعدادها ، والامر هادي بذاته ، لأنه يمد ولا يستمد ، بينما العقل يمد ويستمد ، فهو هادي بهدايته ، لأن مادته من الآمر استمدها لأنه علته ، والآمر ظهر في العالم السفلي في صورة الحجاب البشري ، والآمر هو الامام بالحقيقة لأنه هادي بجوهره وهو الآمر ، والجسم البشري حجابه قد سمي باسمه .

وقالوا في التوحيد : « ان كون المبدع سبحانه لا مثل له ، ليس يتعلق بتوحيد الموحدين ، ولا بتجريد المجردين ، فيخرج من أن يكون لا مثل له ، اذا لم يوحده الموحدون أو عن نعوت مبدعاته اذا لم يجرده المجردون ، بل هو تعالى ــ تكبر ووحد الموحد أو لم يوحد ، وجرد المجرد أو لم يجرد ــ لا مثل له ، اذ لو كان لكانا اثنين ، ولكانا من حيث كونهما اثنين يوجد في كل واحد منهما ما يباين به الآخر ، وبه تقع الاثنينية فيكون لكل واحد منهما جزآن بهما ، وجود ذاتهما . أحدهما مشترك والآخر خاص ، فيجب بذلك ما يتقدم عليهما جميعا ، ويكون هو الذي أعطى[1] كلا منهما ما اختص به وباين الآخر وهو بالالهية أحرى ، وهو تعالى من العلاء في ذروة لا يجوز أن يكون غير يسبقه أو يتأول عليه ، والذي يكون بهذه المثابة لا يكون له ضد ولا مثل .

وليس التوحيد تدقيق المعنى في الاخبار عن الله تعالى بأنه فرد ، فيكون المدقق موحدا ، ولا تخصيص الله تعالى بمعنى من المعاني فيثبت أنه بذلك المعنى فرد ، اذ عظمة كبريائه في حجاب من الامتناع عن أن تكون الحروف تترجم عنها بوجه من الوجوه ، وكيف تترجم الحروف عنها ولا تعلى لها منارا في تأليف ليدل الا وماء قدرته يفيض ولا ينبىء منها نبأ لينطق بمعنى

(1) الرسالة الدرية : للكرماني ص ٢١٨ وراحة العقل للكرماني ص ٤٨ ..

يدق أو يجل الا وعجزها يفرخ ويبيض ، وتعالى الاله المعبود عن قضـايا العقليات ، وتقدس عن نعوت الطبيعيات • وانما هو (أي التوحيد) مصدر على التفضيل ، وله من معناه وجهـان أحدهما منسوب الى ابداع المبدع تعالى وتقدس ، والآخر منسوب الى فعل المؤمن الموحد ، فالذي هو منسوب الى ابداع المبدع تعالى وتقدس هو أن يقتضي موحدا ، وهو الفاعل للواحد ، وموحدا وهو المفعول للواحد ، واذا كان التوحيد فعل الموحد بمعنى الفاعل للواحد فكان الواحد قد يقال على أوجه منها : أن يكون الواحد واحدا بتناهي ذاته الى جهات يفارق غيره ، مثل أشخاص الاشياء المحسوسة ، وهو مستحق من هذه الجهة لأن يقال انه واحد ، وتناهيه الى الجهات واستيعاب الحدود جملة يدل على أن هذا الواحد محدث[1] •

ومنها أن يكون الواحد واحدا ، بمعنى أن يختص بمعنى لا يوجد في غيره ، مثل قوة حجر المغناطيس في حجر الحديد ، وهو مستحق من هذه الجهة أن يقال انه واحد ، واختصاصه بهذا المعنى من دون غيره يوجب أن يكون هذا الواحد محدثا[2] •

ومنها أن يكون واحدا مطلقا ، فالواحد المطلق ناطق عن ذاته بالازدواج الذي هو الوحدة وحاملها ، وجميع هذه الوجوه توجب أن يكون الواحد على الاطلاق محدثا ، واذا وجب أن يكون الواحد على الاطلاق محدثا ، كان منه الايجاب بأن التوحيد وهو فعل الواحد النـاطق عن ذاته بحدثه لا يليق بمجد المبدع سبحانه وتعالى كبرياؤه ، اذ المبدع تقدس موحد بمعنى أنه مبدع الواحد والاحد[3] والله بريء من الصفات الواقعة تحت اختراعه ومتقدس عنها لا سيما أنه تعالى فاعل على هـذه الصفات وفاعل الاشياء كلهـا •

---

(١) الرسالة الدرية للكرماني ص (١٩ ، ٢٠ ، ٢١) .
(٢) المصدر نفسه ص ٢٣
(٣) المصدر نفسه ص ٢٤

هذه هي الخطوط الرئيسية التي تتركز عليها عقائد الاسماعيلية ، والتي تستمد أصولها من جوهر الاسلام الصحيح ، وتلتقي في أهدافها العليا مع أحكام الله في آياته البينات ، وتقر بوحـدانية الخالق وتنزهه عن الصفات والاشياء ، مع الاستمساك بكافة الشرائع السماوية والاعتصام بآل رسول الله الائمة الاطهـار •

« يا أيُّها الَّذينَ آمنوا أطيعوا اللهَ وأطيعوا الرَّسولَ وأولي الأمرِ مِنكُم • فانْ تنازعْتُم في شيءٍ فردُّوه الى الله والرَّسولِ انْ كنتُمْ تؤْمِنون »[1] •

* * *

---

(١) سورة ٤/٦٠

القرامطة والاسماعيليون

يعتبر البحث في حركة القرامطة بحد ذاته بحثا شاقا ، ترتسم حول معظم النقاط الاساسية فيه علامات استفهام كبيرة ، تتأرجح بين الشك واليقين .

فما ظنك في بحث نود أن نخوض غماره في طائفتين لم يتمكن المنقبون والباحثون من تحديد خط بياني واضح للعلاقة بينهما ، وهما : الاسماعيلية والقرمطية ؟

فبقدر ما تتقارب أهدافهما من بعضها ، وتذوب في انطلاقة واحـدة ، وغاية مشتركة ، سرعان ما تتسع من جديد ، وتزداد في الاتساع حتى يخيل للدارس أنهما على طرفي نقيض .

ونحن ، وقد أدركنا جسامة المهمة في ايضاح العـلاقة بين الطائفتين ، اعتمدنا الروّية المطلقة ، في البحث والتنقيب ، وجمعنا الشواهد التاريخية ، والمخطوطات المتناثرة من أقاصي فارس ، حتى حدود سلمية ، وتلمسنا خيط الحقيقة الدقيق الذي يسرح ضمن سطور هذه المخطوطات ، فتكللت مهمتنا بقسط عظيم من الدقة ، وأتت أقرب ما تكون من الحقيقة ، التي اكتنفت هذا الموضوع الشائك .

فالقرامطة فرقة اسماعيلية محضة ، لا أثر للجـدال في صحة نسبهـا الاسماعيلي ، ولا مجال للابهام في أنها أسست على أساس اسماعيلي صرف ، الغاية منها أن تكون قاعدة ينطلق منها دعاة الاسماعيليين الى مختلف أصقاع الدنيـا .

ففي مطلع القرن الثالث الهجري كانت حركة التأويل والتفسير ناشطة في جميع أرجاء بلاد المسلمين ، وكانت الاضطرابات الاقتصادية والتفكك

الاجتماعي من أهم الاسباب التي دفعت سواد الشعب المسلم ومفكرية الى الانعطاف على التعاليم الاسلامية ، علهم يجدون فيهـا حلولا جذرية سريعة تنقذهم من حمى الفوضى ، ومصائب البلبلة ، التي أحدثها انحراف المسؤولين، واتباعهم أهواءهم الشخصية ، وانقساماتهم حسب آرائهم وأفكارهم الخاصة ، فتعددت بذلك الدعوات ، وكثرت المتناقضات ، وتشعبت الآراء ، فضاعت بذلك صرخة الحق ، وخبت شعلة الهدى ، وادعى أتباع كل دعوة أنهـم أصحاب الحق ، وأن سواهم هم الضالون .

في هذه الحالة العارمة بالفوضى ، سير الامام الاسماعيلي وحجته عبد الله ابن ميمون القداح ــ وهما في الاهواز ــ الى سواد الكوفة في العراق الداعي الحسين الاهوازي ، فبلغ هذا الداعي سواد الكوفة ، واستطاع بما أوتيه من حجة بالغة في الاقناع ، وتفقه عميق لاصول التعاليم الاسلامية أن يضم اليه لفيفا من المؤيدين لدعوته ، وكان أبرزهم حمدان بن الاشعث المعروف بقرمط[١] الذي خلف معلمه الاهوازي في اتمام رسالته ، والنهوض بأعباء[٢] الدعوة الاسماعيلية ، وقد وفق بعد حين ، حيث استطاع أن يضم الى دعوته جميع منطقة سواد الكوفة ، فأمر أتباعه سنة ٢٧٦ هجرية بشراء الاسلحة ، وأنشأ أول دار للهجرة في السنة التالية . ويقول النويري[٣] :

---

(١) اختلف المؤرخون في أصـل كلمة قرمط ، قال المقـريزي (اتعاظ الحنفا ص ١٠١) ان حمدان بن الاشعث ، كان قصير القامة والسير ، وكانت خطواته متقاربة ، فأطلق عليه اسم قرمط ، وفي القـاموس ما يوضح هـذا الاشتقاق اذ يقول : القرمطة دقة الكتابة ومقاربة الخطو ؛ وقيل أيضا انه كان في القرية رجل أحمر العينين يحمل على أثوار له ، يسمونه كرميته لحمرة عينيه (ومعناه بالنبطية أحمر العين) ، فسمي باسـم الرجل الذي في دار كرميته ، ثم خفف اللفظ فصار قرمط . وقيل معنى قرمط في الارامية ، المعلم السري .

(٢) ابن الاثير ١٤٧/٧ ، النوبختي ورقة ١٤٤ .

(٣) نهاية الارب : مخطوط بدار الكتب المصرية ٢٣/ورقة ٦٩

« ثم ان الدعاة اجتمعوا واتفقوا على أن يجعلوا لهم موضعا ، يكون وطنا ودار هجرة يهاجرون اليها ويجتمعون بهـا ، فاختاروا من سواد الكوفة .. قرية .. فحازوا اليها صخرا عظيما ، وبنوا حولها سورا منيعا ، عرضه ثمانية أذرع ، ومن ورائه خندق عظيم ، وفرغوا من ذلك في أسرع وقت ، وبنوا فيها البناء العظيم . وانتقل اليها الرجال والنساء من كل مكان ، وسميت دار الهجرة ، وذلك سنة سبع وسبعين ومائتين . فلم يبق حينئذ أحـد الا خافهم ، ولا بقي أحد يخافونه ، لقوتهم وتمكنهم في البلاد » .

وقد لاقت الدعوة الاسماعيلية على يد حمدان قرمط رواجا عظيما بين العرب ، حيث أخذ هو واتباعه ينشرون الدعوة بين العناصر العربية ، وسن حمدان قرمط نظاما ماليا متقنا ، ونادى بالاشتراكية « وأخذ (بالالفة) وأمر أن تجمع الاموال في موضع واحد ، وأن يكون الجميع فيه اسرة واحدة . لا يغفل أحد صاحبه ولا أخـاه في ملك يملكه ، وأقام الدعاة في كل قرية رجلا مختارا من ثقاتها . يجمع عنده أموال أهل قريته ، من بقر وغنم وحلي ومتاع وغيره . وكان يكسو عاريهم ، وينفق على سائرهم ما يكفيهم ، ولا يدع فقيرا بينهم ولا محتاجا ولا ضعيفا ؛ وأخذ كل رجل منهم بالاجتهاد في صناعته والمكسب جهده ، فيكون له الفضل في رتبته . وجمعت المرأة كسبها من مغزلها ، والصبي أجرة نظارته للطير ، وأتوه بها ؛ فلم يتملك أحد منهم الا سيفه وسلاحه »[1] وكان عبدان صهر حمدان قرمط من أكبر مساعديه ودعاته ؛ وكان مشهورا بعلمه ، وتعمقه في أصول المذهب الاسماعيلي ، وقد أخذ عنه كبار دعاة الاسماعيلية والقرامطة كافة العلوم ، وحتى أن أبا سعيد الحسين بن بهرام الجنابي مؤسس دولة القرامطة في بلاد البحرين ، وزكرويه ابن مهرويه زعيم قرامطة الشمال ، أي شمال غربي بلاد العراق وبادية السماوة وبعض بلاد الشام ، قد أخذوا الدعوة عنه .

(١) المقريزي : اتعاظ الحنفا ص ١٠٤ ـ ١٠٥

وبهذه السياسة الاشتراكية العملية ، قدروا أن يضمـوا كثـيرا الى صفوفهم ، وأن يكونوا جماعة متحمسة ، لا فقير فيهـا ولا غني ، كمـا استطاعوا أن يعدوا العدة لنضال عنيف مع العباسيين . ولم يلبث أن اختفى حمدان قرمط ، وقتل عبدان ، فتحول نشاط القرامطة نحو الشمال على يد زكرويه ، ونحو الجنوب على يد أبي سعيد الجنابي كما سيأتي[1] :

قلنا ان زكرويه بن مهرويه كان من أكبر دعاة حمدان قرمط ، وقد نشأ في احدى قرى سواد الكوفة حيث أخذ يدعو الى امامة محمد بن اسماعيل. وبانتفاض حمـدان وعبدان على رياسة الدعوة انضم زكرويه الى دعـاة الاسماعيلية وساعدهم على التخلص من حمدان وقتل عبدان . فأخذ قرامطة السواد والعباسيون يضيقون عليه الخناق ، فاختفى عن الانظار ، وبدأ يوجه دعوته في الخفاء ، وبعث أبناءه لنشر الدعوة الاسماعيلية في بني كلب على مقربة من الرقة ، ونجح ابنه يحيى بن زكرويه في جذب طائفة من هؤلاء العـرب اليه .

وامتد نشاط هذا الفرع في شمال العراق الغربي وبادية السماوة وبعض مدن الشام . وتسمى هذه الحركة (حركة الجزيرة العراقية والشام)[2] . ويقول الطبري[3] : « فأرسل زكرويه أولاده اليهم فبايعوهم وخالطوهم ، وانتموا الى علي بن أبي طالب ، والى محمد بن اسماعيل بن جعفر ، وذكروا انهم خائفون من السلطان ، وأنهم ملجؤون اليهـم ، فقبلوهم على ذلك . ثم دبوا فيهم بالدعاء الى رأي القرامطة . فلم يقبل ذلك أحد منهم ، أعني من الكلبيين ، الا الفخذ المعـروفة ببني العُلَيْص بن ضمضم بن عـدي ابن جناب ، ومواليهم خاصة ، فبايعوا في آخر سنة تسع وثمانين ومائتين

(١) تاريخ الدولة الفاطمية : حسن ابراهيم حسن ص ٣٨٨

(٢) Bernard Lewis : the origins of ismailism, p.p. 74.

(٣) ج ٨ ص ٢١٤ الاستقامة حوادث عام ٢٨٩

بناحية السماوة ، ابن زكرويه المسمى بيحيى والمكنى أبا القاسم ، ولقبوه الشيخ ، على أمر احتال فيهم ولقب به نفسه ، وزعم لهم أنه أبو عبد الله ابن محمد بن اسماعيل بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي ابن أبي طالب ... وانحازت اليه جماعة من بني الاصبغ وأخلصوا له ، وتسموا بالفاطميين ، ودانوا بدينه » .

ولم تلبث دعوة يحيى بن زكرويه أن انتشرت في بلاد الشام ، حتى انه حاصر دمشق نفسها سنة ٢٨٩ هجرية وضيق الحصار على طغج بن جف ابي محمد بن طغج الاخشيد ، وكان يلي بلاد الشام من قبل الطولونيين . ولم ينقذه الا بدر الكبير الذي أرسله اليه هارون بن خمارويه . وقتل يحيى على أبواب دمشق ، فانتقلت رياسة الدعوة الى أخيه الحسين بن زكرويه الذي ادعى ، كأخيه يحيى الانتساب الى محمد بن اسماعيل[١] . وسمى نفسه أحمد ، وتكنى بأبي العباس ، وعرف بأبي مهزول .

ودعا الناس فأجابه أهل البوادي من تنوخ ، وبكر ، وتغلب ، وقضاعة ، القبائل التي كانت تنزل ديار ربيعة ومضر ، واستنجد من بالبحرين من عقيل ، وتغلب ، وعبد القيس ممن كان استجلبهم أبو سعيد الجنابي الى الدعوة فخفوا لنجدته حتى تجمع لديه خلق كثير ، فأظهر شامة في وجهه ، وزعم أنها آيته ، واطلق على نفسه اسم صاحب الشامة ، وقصد دمشق محاصرا وأمعن في أهلها تقتيلا ، وفي أرضها تبشيرا ، حتى دخل في دعوته أكثر من هم حول دمشق من سكان الغوطة ، وسير الدعاة الى جبل لبنان في منطقة وادي التيم ، والبقاع ، وصالحه أهل دمشق على مال دفعوه اليه[٢] . وتظاهر أهل حمص بما يبطنون ، وكتبوا الى أبي مهزول صاحب الشامة ، الحسين ابن زكرويه ليأتي اليهم ، وقوبل بالحفاوة فيها وخطب له على منابرها ،

(١) التنبيه والاشراف للمسعودي ص ٣٢٢ ، الكامل لابن الاثير ١٧٣/٧ .

(٢) خطط الشام : كرد علي ٣٠٧/١

وضرب نقودا ، ولقب بأمير المؤمنين[١] .

واستمرت حركة الحسين بن زكرويه مصدرا للقلق والانزعاج في بلاد الشام ، حتى قضى عليه محمد بن سليمان الكاتب ، قائد الخليفة العباسي المكتفي سنة ٢٩١ هجرية . فتحول مركز نشاط قرامطة الشمال نحو الكوفة نفسها . وخرج زكرويه من مخبئه وحارب ضد العباسيين ، وفتك بقوافل الحجاج انتقاما لقتل ابنيه ورغبة في نشر الدعوة الاسماعيلية الى أن قضت عليه جيوش العباسيين سنة ٢٩٤ هجرية[٢] .

وكذلك انتشرت الدعوة الاسماعيلية في القطيف على يد الحسين بن بهرام الجنابي ، ويكنى أبا سعيد الجنابي[٣] ، وقيل انه فارسي الاصل . وقد التف حوله جماعة من الاعراب والنبطيين الذين رحبوا بدعوته ، فاستفحل أمره وقويت شوكته ، وقتل من وقف في طريقه من أهل القطيف .

وفي سنة ٢٨١ هجرية سار الى القطيف رجل من كبار دعاة الاسماعيلية ، يدعى يحيى بن المهدي ، وادعى أنه رسول المهدي من بيت علي بن أبي طالب . فأجاب دعوته أهل هذه المدينة وسائر بلاد البحرين ، ولم يلبث يحيى أن غاب عن الناس مدة ، عاد يحمل كتابا من الامام المهدي الى أتباعه ، يأمرهم فيه بأن يدفع كل منهم الى يحيى خمس أموالهم ففعلوا[٤] .

وأغار أبو سعيد على مدينة هجر عاصمة بلاد البحرين فاستولى عليها بعد حصار سنتين ، واتخذ الاحساء عاصمة لدولة القرامطة الجديدة ، وقد استطاعت هذه الدولة أن تبسط نفوذها في الجزيرة العربية ، وقامت حكومة ملكية وراثية في بيت الجنابي يعاونها مجلس من ١٢ عضوا ، وضع لها

(١) تاريخ أبي الفداء : ٦٢/٢

(٢) اتعاظ الحنفا : المقريزي ص ١٢٣ — ١٢٤

(٣) نسبة الى جنابة ، وهي بليدة على ساحل الخليج الفارسي شرقا .

(٤) ابن اثير : الكامل ١٧٥/٧

القوانين والانظمة ، وأوجد نظاما حربيا كما أعد جيشا قويا ؛ مما أثار مخاوف الخليفة العباسي المعتضد فأرسل الى الجنابي جيشا بقيادة العباس بن عمرو الغنوي ، فهزمه الجنابي ووقع القائد بالاسر ، وهكذا استطاع الجنابي أن يقيم دولة اسماعيلية قوية بالبحرين ، امتد نفوذها على هجر والاحساء ، والقطيف وسائر بلاد البحرين والطائف[1] • وقتل في الحمام بيد أحد خدمه في سنة ٣٠١ هجرية • ولما تولى ابنه سعيد (٣٠١ — ٣٠٥ هجرية) سار على سياسة أبيه التي تنطوي على التقرب من العباسيين والتباعد عن الفاطميين ، لذا قرر الخليفة الفاطمي في المغرب خلعه وتولية أخيه أبا طاهر سنة ٣٠٥ هجرية[2] • وقد أخذ أبو طاهر على عاتقه تنفيذ سياسة الفاطميين ، التي ترمي الى القضاء على العباسيين • وفي الوقت الذي كانت تغزو فيه جيوش الفاطميين مصر ، كان أبو طاهر يوجه حملاته الارهابية الى العباسيين • ففي سنة ٣٠٧ هجرية حاول الاتصال بجيوش الفاطميين في مصر بزعامة قائده أبي القاسم بن عبد الله المهدي ؛ ولكن مؤنسا الخادم قائد الخليفة العباسي المقتدر حال دون تحقيق ذلك الاتصال[3] • فعمد القرامطة الى شن غاراتهم البحرية على جنوب غربي بلاد فارس ، في الوقت الذي تتوجه فيه جيوش الفاطميين لغزو مصر سنة ٣٢١ هجرية • وفعلوا ذلك بقصد اشغال جيوش العباسيين ليتيحوا الفرصة للفاطميين لامتلاك مصر ؛ وفي سنة ٣١٧ هجرية هاجم القرامطة مكة واقتلعوا الحجر الاسود ، ولما بلغ ذلك الامام الاسماعيلي المهدي في المغرب كتب الى أبي طاهر ينكر ذلك عليه ويلومه ويقول : « حققت على شيعتنا ودعاة دولتنا اسم الكفر والالحاد بما فعلت »• وأمره في الكتاب بأن يعيد الحجر الاسود الى موضعه ، فأعاده[4] •

---

(١) ابن الاثير : الكامل ٤/٨٨ — ٨٩ •

(٢) ابن خلدون : العبر ٤/٨٨ — ٨٩ •

(٣) ابن خلدون : العبر ٤/٨٩ •

(٤) ابن رزام النويري : مخطوط في باريس ورقة ٧ — ٨ ف ، ابن الاثير ٨/١٥٨ •

ومن هنا يتضح لنا أن الائمة الاسماعيليين كانوا على صلة وثيقة بالقرامطة ويتدخلون في تولية زعمائهم رياسة الدعوة الاسماعيلية في البحرين •

ولما توفي ابو طاهر في سنة ٣٣٢ هجرية ، أقر الخليفة الفاطمي القائم ، أخاه أحمد في رياسة الدعوة هناك ، وولي سابور العهد من بعده • ولكن أحمد كان يؤثر ابنه الحسن الاعصم على ابن أخيه سابور • لذلك دب النزاع بين بيت أبي طاهر ، وبيت أخيه أحمد ، وانتهى الامر بقتل سابور سنة ٣٥٨ هجرية ، وتولية الحسن الاعصم عهد ابيه أحمد ، ونفي أنصار سابور الى جزيرة أوال[1] •

ولقد أغضب قتل سابور ونفي مؤيديه الامام الاسماعيلي الذي كان قد عينه وليا للعهد بعد عمه أحمد ، واعتبر قتله خروجا على طاعته • مما أدى الى انقسام القرامطة بسبب ذلك الى فريقين :

الفريق الاول بزعامة بيت أبي طاهر ، وقد ظل على اخلاصه للفاطميين ، وفريق آخر بزعامة بيت أحمد بن أبي سعيد وعلى رأسه الحسن الاعصم ، خرجوا على الفاطميين وتقربوا من العباسيين[2] • لذلك نشب نزاع مسلح بين المعارضين والمؤيدين للفاطميين ، فاتخذ حسن الاعصم من استيلاء الفاطميين على دمشق بقيادة جعفر بن فلاح سنة ٣٥٨ هجرية ، ومنعهم الجزية التي كانت تدفع للقرامطة من قبل ، ومقدارها ثلثمائة ألف دينار كل سنة ، فرصة للانتقام من الفاطميين ، فسار الى بلاد الشام ، للاستيلاء عليها وأخذ هذه الجزية بالقوة •

وقد حاول الحسن الاعصم أن يعقد حلفا مع الخليفة العباسي المطيع ضد الفاطميين ، ولكن الخليفة العباسي ، رفض هذا العرض وقال : « كلهم

---

(١) أوال : بوزن سحاب ، جزيرة كبيرة في البحرين عندها مغاص اللؤلؤ •

(٢) المسالك والممالك : ابن حوقل (طبعة لندن سنة ١٨٧٢ م) ٢/٢١—٢٢

قرامطة وعلى دين واحد : فأما المصريون ، فأماتوا السنن ، وقتلوا العلماء ، وأما هؤلاء فقتلوا الحاج وقلعوا الحجر الاسود »[1] . فعمد الحسن الاعصم الى التقرب من البويهيين ، الذين مدوا له يد المساعدة بالاموال والرجال والعتاد ، فسار الحسن الاعصم الى الشام ، واشتبك مع جعفر بن فلاح في ناحية الدكة على نهر يزيد بمقربة من دمشق ، فقتل جعفر بن فلاح في ٦ ذي الحجة سنة ٣٦٠ هجرية . واستولى الحسن الاعصم على دمشق ، وسار الى الرملة مصمما غزو مصر ، وفي الرملة انضم اليه كثير من الاخشيدية والكافورية ، واستأنف السير الى مصر فاستولى على الفرما في محرم سنة ٣٦١ هجرية ، وأمعن السير داخل البلاد حتى وصل الى عين شمس حيث عسكر بجنده ، وأخذ يهدد مدينة القاهرة ، ولما علم جوهر بذلك ، أعد العدة للحيلولة دون وصوله الى القاهرة ، فحصنها .

وفي أوائل شهر ربيع الاول سنة ٣٦١ هجرية بدأ القتال بين الفاطميين والقرامطة ، عند باب مدينة القاهرة ، وانتهت المعركة بهزيمة القرامطة ، وارتدادهم الى القلزم[2] . ولما سمع الامام المعز وهو في المغرب خبر غزو القرامطة لمصر ، أرسل اليها جيشا بقيادة أبي محمد الحسين بن عمار ، فازدادت قوة جوهر العسكرية ، فتوجه الى مدينة تنيس وأخضعها ، وعفا عن أهلها .

عاد الحسن الأعصم الى دمشق ، كما انسحب أسطوله من النيل ، وأخذ يعد العدة لغزو مصر من جديد ، ولكنه اضطر الى العودة الى الاحساء ، لاخماد ثورة أنصار أبي طاهر . وفي أواخر سنة ٣٦٢ هجرية وصل الامام المعز الى مصر ، واتخذ القاهرة عاصمة لدولته ، وارسل الى الحسن بن أحمد القرمطي كتابا طويلا يهدده فيه ويتوعده ، ويعرض عليه في نهاية الكتاب أن

---

(١) ابو المحاسن : النجوم الزاهرة ٧٤/٤ .

(٢) المقريزي : اتعاظ الحنفا ص ٨٦ .

يختار لنفسه احدى ثلاث خصال ، والا أصبح الحكم بينهما للسيف وحده[1] .

« ونحن عارضون ثلاث خصال ، والرابعة أردى وأشقى لبالك . وما أحسبك تحصل الا عليها ، فاختر : اما قدت نفسك لجعفر بن فلاح وأتباعك بأنفس المستشهدين معه بدمشق والرملة من رجاله ورجال سعادة بن حيان ، ورد جميع ما كان لهم من رجال وكراع ومتاع الى آخر حبة من عقال ناقة وخطام بعير وهي أسهل مايرد عليك . واما أن تردهم أحياء في صورهم وأعيانهم وأموالهم وأحوالهم ، ولا سبيل الى ذلك ولا اقتدار .

واما سرت بمن معك بغير ذمام ولا أمان ، فأحكم فيك وفيهم بما حكمت ، وأجريكم على احدى ثلاث : اما قصاص واما من بعد ، واما فداء ، فعسى أن يكون تمحيصا لذنوبك واقالة لعترتك . ان أبيت الا فعل اللعين ، فاخرج منها فانك رجيم وان عليك اللعنة الى يوم الدين ... »[2] . وكان رد الحسن الاعصم ، أن ظهر ثانية في عين شمس في ربيع الثاني سنة ٣٦٣ هجرية . فاستعرت الحرب بين الفريقين فهزم جيش الحسن ، واسترد الفاطميون دمشق ، وهرب القرامطة عائدين الى البحرين .

وفي عهد الامام العزيز وصل الاعصم الى دمشق فتحالف مع افتكين ، وتوجها بجيوشهما الى الرملة حيث تقابلا مع جيوش العزيز الفاطمي التي كان يقودها بنفسه في موقعة (نهر الطواحين) وحلت الهزيمة بالقرامطة وافتكين .

ولقد احدثت هذه الحروب في صفوف القرامطة التفكك ، فثار آل طاهر على آل الحسن الاعصم واضطروهم الى الهجرة ، بينما أعلن البقية الولاء والعودة الى حظيرة الدعوة الاسماعيلية ، ومحاربة العباسيين .

---

(١) المقريزي : الخطط ١٣٨/٢ .

(٢) من يرغب في مراجعة الكتاب كاملا فليراجع كتابنا تاريخ الدعوة الاسماعيلية ص : (١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٤٩ حتى ص ١٥٥) .

واستمر القرامطة فيما بعد على ولائهم للاسماعيلية الى أن زالت دولتهم من جزيرة أوال سنة ٤٥٩ هجرية ، ومن البحرين سنة ٤٧٠ هجرية .

يتضح مما تقدم أن القرامطة هم اسماعيليون في بدء حركتهم قلبا وقالبا ، ولكن الاحداث المضطربة التي اجتاحت أرجاء الدولة الاسلامية في ذلك الحين ، أحدثت بعض العوامل الجذرية التي تسببت بوجود بعض الشقاق والانكماش لدى القرامطة ، الذين تعنتوا حول بعض النظريات الاسماعيلية التي تلقنوها عن كبار دعاتهم الاول ، ورفضوا أن يقتنعوا بأن هذه النظريات والمعتقدات تتطور مع تطور العصر ، وتظهر بمظهر جديد لا يؤثر على جوهرها، بل يبقى سليما خاليا من الشوائب .

فمن البدهي أن يختط الامام الاسماعيلي ومجالس دعاته العليا ، سياسة عليا للدعوة الاسماعيلية ، ويضع منهاجا مفصلا للترتيبات التي تكفل قيام المجتمع الاسماعيلي الكامل ، متوفرة فيه جميع التشريعات الاسلامية الحقة التي تتلاءم مع جوهر الدين وصلب العقيدة ، ولم يكن للقرامطة سبيل الى الاطلاع على هذه السياسة العليا والوقوف على مجمل أهداف الدعوة الاسماعيلية وغاياتها ، نظرا لما كان الأئمة الاسماعيليون في ذلك الوقت يعتمدون السرية التامة ، والتستر والتقية ، خوفا من بطش العباسيين وتنكيلهم .

فالمعضلة الرئيسية التي حملت في طياتها بذور الفرقة بين الاسماعيليين والقرامطة هي مرحلة التستر عينها ، التي حالت دون استمرار التماس بين الفئتين ، واطلاعهما على الأهداف العليا . فلقد كان الامام الاسماعيلي محاطا بأسوار كثيفة منيعة من السرية التامة ، وبمعزل الا عن المقربين المخلصين له ، وكبار الدعاة والحجج والابواب ، الذين اعتمدهم الامام واسطة العقد بينه وبين أتباعه . لهذا لم يتسن لجميع الاتباع أن يقفوا على أخبار امامهم ، ولا محل اقامته بالضبط حرصا على سلامته ، فاتخذوا من الدعاة قدوة واعتبروا تعاليمهم صحيحة لا تغير فيها طالما تحظى بتأييد الامام واقراره .

ولكن دور الستر والتقية ينتهي عند الأئمة بعد بلوغ الدعوة مرحلة النضج ، وانطلاقها في مرحلة التأسيس لدولة اسماعيلية حقة . وما أن تناهى للقرامطة أن الامام هو عبيد الله المهدي ،حتى التبس عليهم الامر ، لانهم كانوا لايزالون يدينون بالطاعة والولاء للامام محمد بن اسماعيل الذي في حياته تم نشر الدعوة بينهم ، واعتبره المهدي المنتظر . ولم تفلح الحجج والبراهين التي اعتمدها الدعاة في أقناعهم بأن الامام عبيد الله المهدي هو الامام الشرعي بحسب النص الذي تركه الامام محمد بن اسماعيل الى ولده ومنه الى ولده حتى وصلت اليه .

ويرجع هذا التعنت من القرامطةالى انقطاعهم في البادية، وعدم احتكاكهم الدائم في مركز الدعوة الاسماعيلية في سلمية وتتبعهم تطورات هذه الدعوة فاعتبروا أن هذه التطورات خارجة عن مفهوم التعاليم الاولية التي لقنوها . فأحدث هذا الامر لدى القرامطة شيئا من الاضطراب العقائدي ، وبلبلة في تفكيرهم تجاه الامام عبيد الله المهدي ، حتى أنهم ذهبوا الى أبعد من ذلك ، فاعتبروا أن عبيد الله المهدي ربما كان قد اغتصب الامامة من أصحاب الحق الشرعيين .

وثمة معضلة أخرى كان لها الاثر البارز في انحراف القرامطة عن سير الحركة الاسماعيلية ، وهي أنهم كانوا تواقين بعنف الى امام مهدي منتظر يسارع الى انقاذهم من الفوضى الاقتصادية التي عصفت بهم ، والقلق النفسي الذي تملك مشاعرهم ، فأصروا على الامام أن يباشر فورا في اعلان دولة اسماعيلية في بلاد الشام ، يطبق فيها النظام الاشتراكي الذي تعلموه من الدعاة الاسماعيليين الاوائل ، وكانوا قد أعدوا أنفسهم لتقبله ، حيث شرع الجميع بحصر ممتلكاتهم في بيت للمال واحد ، وسنوا بعضا من التشريعات تحدد صلاحية الفرد ، وتبين حقوقه الاشتراكية ضمن المجموع ، وضمنوا حياة العاجز والعاطل ، والعامل والصانع والفلاح .

كما وأن القرامطة باعتقادي قد انكروا على الامام الاسماعيلي المرونة

وسياسة الملاينة التي اعتمدها في كسب العناصر غير الاسماعيلية ، وتمسكوا في أن تكون الدولة الاسماعيلية قائمة بكافة أجهزتها ودعاماتها على الاسماعيليين دون سواهم ، وأن تبقى وقفا عليهم وحدهم .

كل هذه الامور الجوهرية والسطحية بالاضافة الى بعض العوامل الشخصية ، أحدثت شقة ، ولو صغيرة ، بين القرامطة والاسماعيلية ، وكانت من أسباب انعطاف القرامطة الى منحى جديد ، ونهج آخر مغاير لروح الاسماعيلية وتعاليمها .

لكن التاريخ لم يسجل أي عداء صريح ، أو اصطدام مكشوف بين القرامطة والاسماعيلية . بل استمر القرامطة في ولائهم التقليدي العقائدي للامام الاسماعيلي ، وليس أدل على ذلك من مسارعتهم للحاق بالامام عبيد الله المهدي حتى الرملة في فلسطين ، محاولين اقناعه بالعدول عن الذهاب الى المغرب وتأسيس الدولة الاسماعيلية المنشودة في بلاد الشام بدلا من المغرب .

كما نستطيع الاعتماد على استخدام الامام الفاطمي فيما بعد سلطته الروحية لدى القرامطة عندما أمرهم باعادة الحجر الاسود الى الكعبة الشريفة ، سببا وجيها يبين مدى تأثير الامام فيهم وعظيم مرتبته عندهم .

ومما لاجدال فيه أن الامام كان يشرف بنفسه على تعيين أمراء القرامطة ورؤسائهم .

جميع هذه الاسباب تعتبر من الشواهد الحسية على أن التعاليم الاسماعيلية بقيت تسري في دماء القرامطة . وتؤكد أيضا أن الاختلاف والمنازعات كانت الوسيلة التي يمكن اعتمادها لاقامة المجتمع الاشتراكي الاسماعيلي الصحيح . كما أنه يجدر بنا من خلال تتبعنا سير قادة القرامطة وزعمائهم ، أن لا نغفل المطامح الشخصية ، وحب الاستئثار بالسلطة لدى البعض منهم ، وتمردهم في بعض الاحيان على أوامر الامام في تنفيذ وصاياه بخصوص تعيينهم .

ويمكن أن نعلل أسباب عدم ذوبان القرامطة في الدولة الاسماعيلية الفاطمية ، والوقوف كليا بجانبها ، الى أن أجهزة الدولة الفاطمية اعتمدت مرونة سياسية في تصريف شؤون الدولة ، وجعلت نصب أعينها في المرحلة الاولى تثبيت أركان الدولة الفاطمية وكسب المناوئين لها الى صفوفها بالترغيب والليونة ، مما دفع المغالين من الدعاة الى اعتبار سياسة اللين هذه انحرافا عن النظرة الاسماعيلية العميقة ، ومخالفة صريحة للتعاليم الاولى التي تلقنها القرامطة ، والتي تقر في أن يكون الاسماعيليون كل الدولة ، وعليهم وحدهم تقع مهمة النهوض بأعبائها ، وأن الدولة الاسماعيلية يجب أن تصهر جميع أفرادها في بوتقة اسماعيلية خالصة . فكانت نظرة القرامطة أن تستمر الاسماعيلية في كفاحها ضد الخلافة العباسية دونما هوادة أو استكانة حتى تستأصل شأفة الفساد والفوضى ، وتقيم المجتمع الاشتراكي السليم الخالي من الشوائب والادران .

ونحن — وان كنا في دور المؤرخين فقط — انما يجدر بنا أن نعطي العذر للقرامطة في نظرتهم هذه ، لقلة تمرسهم في أصول السياسة ، ولما لاقوه من ظلم واضطهاد وتفكك اقتصادي واجتماعي وديني ابان الخلافة العباسية .

وخلاصة القول ، ان القرامطة اسماعيليون بكل مافي الكلمة من معنى . آمنوا بالعقيدة الاسماعيلية طريقا للخلاص الى مجتمع مثالي صحيح ، عن طريق الثورة الجذرية العارمة ، غير أن أحداثا عديدة متشابكة تجمعت كلها فأحدثت صدعا في بنيان القرامطة ، وساقتهم الى التمسك بمواقف تتغاير مع السياسة العليا التي اعتمدها الخلفاء الفاطميون ، فزادوا في انحرافهم ، واشتطوا في تصرفاتهم ، حتى ناصبوا أئمتهم العداء ، ووقفوا على النقيض من أصول منبتهم . ومن ثم تكشفت لهم سبل الهداية ، فتبينوا الاخطاء التي ارتكبها بعض القادة فيهم ، فانتظموا في سلك الدعوة الاسماعيلية من جديد ، واستمروا في نشاطهم وولائهم للأئمة حتى زوال دولتهم .

سلمية

سلمية ، هذه المدينة التاريخية ، العريقة في القـدم ، الجاثمة على مدخل البادية السورية ، خطت في السنوات الاخيرة ، خطوات سريعة نحو النمو والازدهار ، وامتازت عن بقية المدن المجاورة بالروح التعاونية التي تسيطر على مجتمعها المحلي ، فاستيقظ الفرد وأصبح يعرف معنى لوجوده في الحياة، ويدرك أنه عضو عامل في الهيئة الاجتماعية ، وأنه جزء لا يتجزأ من الكل ، سيما وان سكان سلمية ـ بالرغم من ازدياد عددهم على مرور الايام ـ ينحدرون من أصل واحد وسلالة واحدة •

تقع مدينة سلمية على بعد ٣٢ كيلو مترا ، في الجنوب الشرقي من مدينة حماه ، وعلى مسافة ٤٤ كيلو مترا ، في الشمال الشرقي من مدينة حمص ، على خط عرض ٣٥ درجة ، وخط طول ٣٧ درجة شرقي غرينيتيش •

قال عنها بطليموس : « مدينة سلمية طولها ثمان وستون درجة وعشرون دقيقة ، وعرضها سبع وثلاثون درجة وخمس دقائق ، طالعها خمس وعشرون درجة من السرطان من الاقليم الرابع ، ولهـا شركة من الاسد مع القلب ، ولها شركة في الدب الاصغر ، ولهـا شركة تحت عشر درجة من السرطان ، يقابلها مثلها من الحمل ، عاقبتها مثلها من الميزان » •

وتبلغ مساحة المدينة مع المزارع التابعة لها (١٩٥١٥) هكتارا ، وتقسم الى أربعة مناطق مساحية هي : (بركان وبين الجبال والمزيرعة والشيخ علي) ، وتقدر مساحة منطقة سلمية بكاملها بما فيهـا القرى والنواحي التابعة لهـا (٤٥١٣٢٠) هكتارا •

ويبلغ ارتفاعها الوسطي عن سطح البحر ٤٥٥ م •

ومنـاخ سلمية متـأثر بالمنـاخ السوري المنحصـر بين خط أمطـار ٥٠٠ ـ ٢٥٠ مم وباعتبارها منحرفة نحو الجنوب تتأثر بالنفوذ البحري لفتحة (حمص ـ طرابلس) ، هذا المناخ الانتقالي جعلها تتميز بأمطار أقل انتظاما ، وحرارات ذات فروق كبيرة ، وفصل جاف قد يستمر أكثر من أربعة أشهر ، وقد تتعرض المنطقة للقحط اذا ما قلت كميـة الامطار الهـاطلة سنويا عن ١٢٠ مم •

والحرارة قد تصل في أشهر الصيف وخاصة في تموز وآب الى ٤٠° ، والمعدل الوسطي في كانون الثاني ٦° وفي تموز ٣٠° ، والرياح التي تهب على المنطقة غير شديدة ، ففي فصل الشتاء تأتيها الرياح الغربية التي تجلب الامطار ، وأحيانا تهب الرياح الشمالية الشرقية وتسبب طقسا باردا ، وفي فصل الصيف تهب على منطقة سلمية الرياح الغـربية الجافة ، وفي أكثر الاحيان تثور الزوابع وتملأ الجو بالغبار • وفي فصل الشتاء تبلغ الرطوبة النسبية ٩٠٪ أما في تموز فتبلغ ٤٥٪ ، لذلك تصبح ليـالي الصيف فيها منعشة • المعـدل السنوي للامطار هو بين ٢٥٠ ـ ٣٥٠ مم ولكنها تهطل في فصل الشتاء •

ومدينة سلمية واقعة في سهل كبير منبسط مترامي الاطراف ينتهي شرقا بسلسلة جبـال البلعاس • وتشرف على المدينة من الجهة الغربية الشمالية تلال منبسطة بارتفـاع ٦٠٠ ـ ٦٥٠ م • وهي (جبـل عين الزرقا وقلعة شميميس وجبل الاطوز وجبل الخضر) • أما من الناحية الشمالية فتتصل بالبراري الممتدة نحو خرائب الاندرين ، وقصر ابن وردان ، ومن الجنوب يحدها المنبسطات الذاهبة الى حمص •

وسلمية بحد ذاتهـا واقعة في مجرى السيول التي تأتيهـا أحيانا من الشرق ، والجنوب الشرقي • وباعتبارها واقعة على المدخل الرئيسي للبادية السورية ، فقد كانت منذ القديم محطة لتموين البدو والقوافل والجيوش التي كانت تزحف من مختلف البلدان في شتى العصور • ولقد ساعد موقعها

الجغرافي ووفرة مياهها السطحية على ازدهارها وتقدمها ، وأصبحت محط أنظار الفاتحين في العصور القديمة والحديثة لكثرة مروجها الخضراء السندسية ووفرة مراعيها وخصبها •

ومما ساعد على تجديد بنائها واعمارها كونها كانت معقلا من معاقل الدعوة الاسماعيلية في القرن الثاني والثالث الهجريين ، ومنها انطلق الامام الفاطمي عبيد الله المهدي مؤسس الدولة الفاطمية في المغرب •

ولقد اختلفت آراء المؤرخين وتضاربت أقوالهم حول تسمية هذه المدينة بهذا الاسم ، باعتبار سلمية مدينة عريقة في القدم ، بدليل ما استخرج منها من آثار ونقوش تدل دلالة واضحة على قدمها في التاريخ ، وقد عرفت منذ عهد السومريين عام ٣٠٠٠ — ٢٤٠٠ ق•م ومن قبل الآموريين عام ٢٤٠٠ — ٢٠٠٠ ق•م واجتيحت خلال عام ٢٠٠٠ — ١٦٠٠ ق•م بالتوالي من الحثيين والميتانيين ، وفي عام ١٥٠٠ ق•م مرت تحت سلطة الهكسوس ، ثم سكنت من قبل الآشوريين وعرفت باسم (سلمياس) في العهدين اليوناني والروماني حينما ضمت الى أفامية ومن ثم لحمص • وازدهرت في العهد الروماني حيث حفرت فيها الاقنية الكثيرة لتروي مساحات واسعة من الاراضي الخصبة • وفي العهد البيزنطي كانت سلمية مقر أبرشية مسيحية •

وقيل انها سميت سلمية ، تخليدا لمعركة (سالميس) التي انتصر فيها اليونان على الفرس عام ٤٨٠ ق•م بقيادة (تمستوكل) أو نسبة للبلدة المشهورة (سالميس) •

ولكن ياقوت يقول في معجم البلدان : ان أصل اسمها مشتق من كلمة (سلم مائة) نسبة للمائة رجل الذين نجوا من خراب المؤتفكة ، فنزحوا الى سلمية فعمروها وسكنوها وتحرفت الكلمة على مر الازمان[1] واقلبت

(١) معجم البلدان ١١٢/٥ •

الى سلمية ، بفتح أوله وثانية وسكون الميم وياء مثناة من تحت خفيفة •

ويستدل من أقوال المؤرخين أن سلمية كانت خرابا خلال القرن الأوَّل الهجري وفي أواخر عهد البيزنطيين ، حتى جاءها صالح بن علي بن عبد الله ابن عباس الهاشمي وعمَّرها وبنى هو وولده فيها الأبنية ، وأجروا اليها الأقنية ، وزرعوها ، وكان فيها المحاريب السبعة ، ويقال أن تحتها قبور التابعين ، وفي طريقها الى حمص قبر النعمان بن بشر •

ويذكر الطبري في كتابه الرسل والملوك ، أن معركة قامت في مرج الاخرم (الكريم الآن) سنة ١٢٢ هجرية بين عبد الله بن علي العباسي ، أول قائد وعامل عباسي في بلاد الشام ، وبين أبي الورد بن الكوثر الكلابي من قواد مروان بن محمد آخر الخلفاء الامويين ، وكان النصر حليف العباسيين ، ولما استتب لهم الامر ، جاء عبد الله بن صالح بن علي في ولاية أبيه صالح ابن علي العباسي على قنسرين وحمص ودمشق ، وكان عبد الله هذا محبا للبناء والعمران ، فعمر هو وأولاده سلمية ونزلوها ،وأجروا اليها الاقنية ، وكان لعبد الله هذا لدى أبناء عمه العباسيين مكانة سامية ، فزاره الخليفة العباسي المهدي في سلمية سنة ١٦٣ هجرية فأعجب بما شاهده في سلمية وهو في طريقه الى بيت المقدس ، فدعى عبد الله الى العراق وزوَّجه أخته ، وأصبح جميع سكان سلمية من أقرباء عبد الله بن صالح وغيرهم من بني هاشم • وقال عنها ابو الفداء : انها كانت مأهولة بالنصارى ثم دمرتها الحروب في العهد العباسي ، ولم يبق منها سوى انقاض وأثر دير على رأس رابية في الجهة الشمالية يسمى الآن لدى العامة (الخضر) ، وكانت هذه المدينة على قسط عظيم من الرقي والازدهار ، لما كان يكتنفها من العمران والمدنية ، كما كانت حلقة اتصال بين المدن الغربية السورية الشاطئية ومدينة بغداد ، فكان أمراء المقاطعات يتنازعون لموقعها الجغرافي •

وازدهرت سلمية ودب فيها النشاط الفكري والعلمي عندما أصبحت

مركزا للدعوة الاسماعيلية ، وكعبة لكبار فلاسفتها ومفكريها ، حيث قدم اليها الامام الاسماعيلي المستور واستوطنها ، وجعل منهـا ندوة فلسفية وعلمية يتوافد اليها الدعاة وطلاب العلم من جميع أنحاء العالم الاسلامي ، ويحدثنا عنها محمد اليماني فيقول[1] : « أتوا الدعاة الاسماعيلية الى سلمية ، وكانت مدينة محدثة بناها محمد بن عبد الله بن صالح لما أخرجه الخليفة من بغداد ، وقال له : ارحل عني ، واطلب لنفسك مدينة تبني وتسكن بها • وكان فيها أربعة وعشرون ديرا للنصارى ، فبنى عليها رسوما وسكن بهـا مع عبيده ، وأخرج أهلها منها وبعث الى الخليفة ابن عمه ببغداد وقال له : اني وقعت في مدينة في طرف الدنيا ، ولكن أحب عمارتها فتأمر لي بالنداء في الامصار والتجار أن يحضروا سوقها ـ يعني سلمية ـ حتى تعمـر ، فجعل السوق يعمر ثلاثة أشهر لا يفتر عنه كل يوم ، فكان التجار يأتون الى هذا السوق ويتسوقون منه • وهي مدينة كثيرة الخيرات ، وكان التجار اذا أتوها لا يحبون الزوال منها ، ويسألون صاحبها أن يسكنوا بها ويأذن لهم ، فيقيمون ويوجهون بياعيهم وعبيدهم يحملون اليها بضائعهم ويسألون المقام معه ، فحصلت سلمية قطائع لأولئك التجـار ، فقال لهم صاحبها اختطوا ، فاختط أهل بلخ ، وأهل مدينة الرسول ، وأهل حلب ، وأهل الرقة ، وأهل كل ناحيـة •

وأتى الدعاة الاسماعيلية الى محمد بن عبـد الله بن صالح فقالوا له : ان هاهنا رجلا بصريا من التجار يسألك فيما يسألك به هؤلاء التجـار ، فأمرهم أن يطلبوا موضعا يصلح له ، وفرح به وأنزله في مجرى المدينة من ناحية سوقها ، فاشتروا له دار ابي فرحة ونزل ع٠م بسلمية كسائر التجار ، فلما نزل بها زاد دورا كثيرة وهـدم وبنى وتأهل وأتى اليه طوائفه ودعاته وأحدث قصرا شامخا[2] • وكانت الأموال تحمل من كل بلد من قبل الدعاة

(1) سيرة جعفر الحاجب ص ٩٤ ـ ٩٥
(2) سيرة جعفر الحاجب ص ٩٦

الى سلمية ، وكان الامام الاسماعيلي قد حفر سردابا في الصحراء الى جوف داره في سلمية طوله اثنى عشر ميلا ، وكانت الاموال والذخائر تحمل على الجمال ، فيفتح لها باب السرداب في الليل وتنزل فيه بأحمالها عليها حتى تحط في داخل الدار ، وتخرج في الليل ويغمى على باب السرداب بالتراب فلا يدري به أحد ، وكانت الاموال عظيمة » •

وفي مطلع القرن الثالث الهجري أصبحت سلمية مركزا رئيسيا لدعوة الأئمة الاسماعيلية المستورين ، ومما أدى الى تحول الشرق الادنى ، وبلاد المغرب الى معسكرات اسماعيلية ؛ ولا غرو فان قرب سلمية من العـراق وبلاد العرب ساعد الدعوة الاسماعيلية على الانتشار • ويكفي سلمية فخرا أنها أنجبت جماعة (اخوان الصفاء) ، ومنها انطلقت جحافل الامام عبيد الله المهدي لتأسيس الدولة الفاطمية في المغرب • وظلت سلمية تزدهر وتنمو حتى جاءها القرامطة وهدموها وفتكوا بأهلها وذلك سنة ٢٩٠ هجرية[1] بعد أن كان الامام الاسماعيلي عبيد الله المهدي قد غادرها متوجها الى المغرب مع ولده ودعاته •

ومن ثم استوطنت من قبل اعراب البـادية ، وقد غزاها سيف الدولة الحمداني عام ٣٤٤ هجرية أثناء مطاردته للاعراب الذين شقوا عليه عصـا الطاعة ، ففتك بهم في المعركة الفاصلة التي جرت بينهم في مروج سلمية ، وبذلك قال المتنبي من قصيدة له يمدح فيها سيف الدولة :

فأقبلهـا المروج مسومات ضوامر لاهـزال ولا شيار
تثير على سلمية مسبطرا تنـاكر تحته دون الشعار

ويذكر التاريخ أنهـا أصبحت سنة ٤٧٦ هجرية من أعمال الامير خلف ابن ملاعب الكلابي صاحب حمص ، حتى جاء (تتش) أخو السلطان ملكشاه

(1) الطبري ١١/٢٨١

السلجوقي واستخلصها هي وحمص ، وظلت تابعة لحمص حتى سنة ٤٩٦ هجرية حيث دخلت في حوزة رضوان بن تتش السلجوقي صاحب حلب • وفي سنة ٥٣٢ هجرية جاءها عماد الدين الزنكي وخرج منها لمقاتلة جيوش الروم في شيزر • وفي سنة ٥٧٠ هجرية استخلصها صلاح الدين الايوبي من يد فخر الدين بن الزعفراني أحد أمراء نور الدين محمود ، وفي سنة ٥٧٤ هجرية أعطاها صلاح الدين الى ابن اخيه الملك المظفر تقي الدين عمر ، فازدهرت في عهد الايوبيين الذين بنوا فيها الحمام وقلعة (شميميس) والتي قيل ان (شيركوه) الايوبي صاحب حمص هو الذي عمرها •

وفي عهد التتار أصبحت سلمية ممرا لجيوشهم ومركزا لتموين قواتهم ، ولما كسرهم الملك المظفر في معركة (عين جالوت) اقطعت سلمية للامير مهنا آل الفضل من ربيعة مكافئة له على مساعدته للملك المظفر أثناء قتاله مع التتر فظلت بيده ، ويد ابنه عيسى وحفيده مهنا وأعقابه من بعده ، فازداد انحطاط سلمية في عهد هؤلاء •

ولما اجتاحت جيوش تيمورلنك بلاد الشام سنة ٨٠٣ هجرية ــ وهو في طريقه من حلب الى دمشق ــ دمرت سلمية وأصبحت خرابا ، وظلت كذلك مدة خمسة قرون ينزلها عربان البادية من آل عيسى ، وفي القرن التاسع تبدل اسمهم وعرفوا بآل جبار ، ثم صاروا في القرن العاشر يدعون بآل أبي ريشة وهم فخذ من آل جبار ، وسمي الاعراب الذين يلتفون حولهم بالموالي ، وظلوا يضربون في جهات سلمية حتى أقطعها العثمانيون لهم لقاء ضريبة يدفعونها للدولة •

وفي القرن الحادي عشر هجري عندما سيطر الامير فخر الدين المعني أمير جبل لبنان على حمص وحماه حالفه الموالي آل أبي ريشة وظلوا في جهات سلمية ، حتى غزتهم قبائل شمر النازحة من نجد طلبا للمرعى والسكن في سلمية لما عرف عنها من الخصب والمراعي العظيمة ، فاشتبكوا مع الموالي

في معارك لمدة عشر سنوات ، وبالنهاية انتصرت الموالي على شمر وأجبرتها على النزوح الى الجزيرة •

وفي أواخر القرن الثاني عشر هجري أغارت قبائل عنزه على الموالي في جهات سلمية فاضطرتهم الى النزوح نحو الشمال ، وذلك في أواخر القرن الثالث عشر هجري • وظلت سلمية مرتعا خصبا للقبائل البدوية حتى جاءها الاسماعيليون بزعامة الامير اسماعيل ابن الامير محمد ابن الامير سليمان سنة ١٨٤٠ ميلادية في عهد السلطان عبد المجيد العثماني • فسكنوا القلعة في أول الامر لتقيهم غارات القبائل البدوية المجاورة ، وبعد أن أخذت جموع الاسماعيلية تأتيها من كل حدب وصوب شرعوا في التوسع فخرجوا من القلعة وأخذوا يبنون المزارع والمنازل ، ويفلحون الارض ويستثمرونها بعد أن وزعها عليهم بالقسطاس زعيمهم الامير اسماعيل المذكور ، هذا ولما كانت الروايات متعددة والاقوال متضاربة حول تجديد بناء سلمية للمرة الاخيرة ، أجرينا اتصالات كثيرة مع كبار المعمرين في سلمية وبعد جهود طويلة ، عثرنا على وثيقة خطية كتبها الشيخ محمد المير أحمد منذ ثلاثين عاما تقريبا وقد عاش الشيخ محمد المذكور حتى بلغ المائة • ويستنتج من الوثيقة المذكورة ومن الروايات الكثيرة ما يلي : اثر النكبات والمصائب التي ألمت بالاسماعيلية في مصر على يدي السلطان صلاح الدين الايوبي نزحت عائلات كثيرة من مصر الى بلاد الشام فاستوطنوا في جهات الخوابي والقدموس ، ومع الوافدين جاء أجداد الامير اسماعيل بن الامير محمد بن الامير سليمان واستقروا في قرية (تعنيته) وما جاورها من جهات القدموس ، وبنفس الوقت وصلت من بلاد فارس عائلات اسماعيلية أخرى ومن بينهم عائلة (آل ميرزا) فاستقروا في بلدة القدموس (لا يزال فيها نبع ماء يسمى بنبع بيت ميرزا) ويستدل من التاريخ الاسماعيلي أن ذلك كان في عهد دولة الاسماعيلية في مصياف التي كان يتزعمها سنان راشد الدين • وفي عهد السلطان العثماني عبد المجيد تسلم زعامة الاسماعيلية في جهات القدموس

الامير اسماعيل بن الامير محمد ، باعتباره كان من الرجـالات المشهورين بالتقوى والورع ويتمتع بأخلاق عالية ، كل هذه الصفات جعلت الاسماعيلية في تلك المنطقة يسلموه قيادتهم ويقرون له بالفضل على بقية الامراء ، وفي نفس الوقت تسلم زعامة الاسماعيلية في جهات مصياف الامير ملحم •

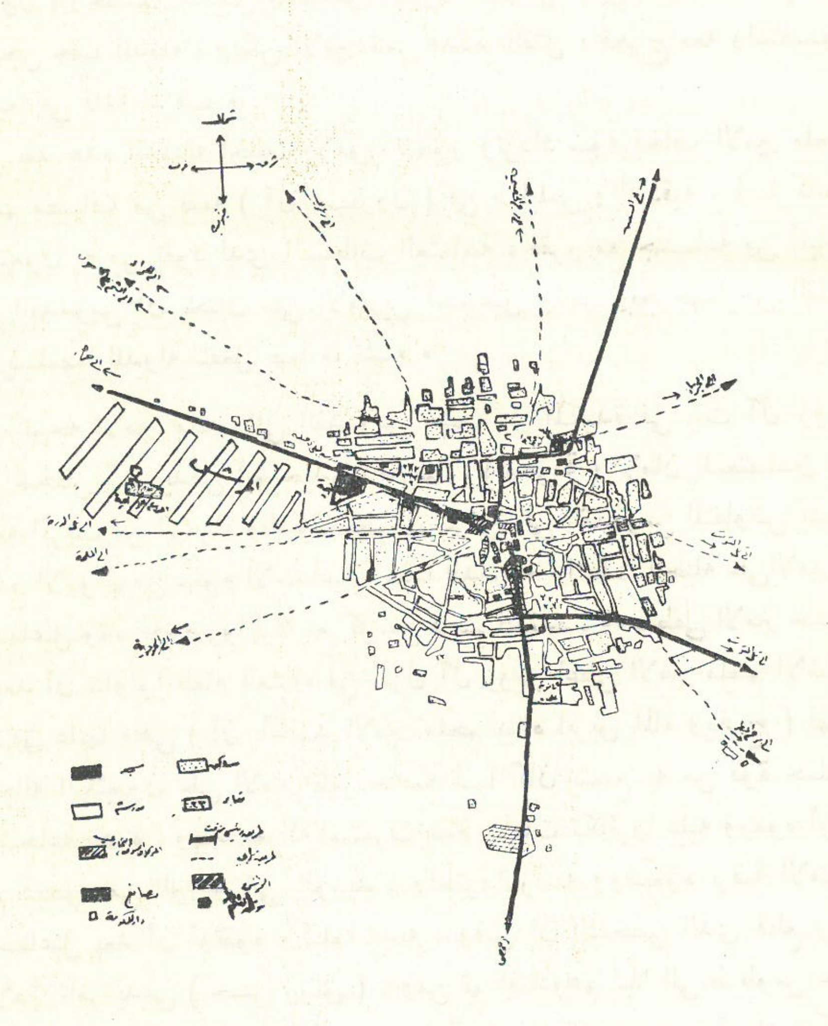
والظاهر أن بعض أفراد عائلة الامراء من آل ميرزا الذي كان يتزعمهم الامير تامر الاكبر قد شقوا عصا الطاعة على الدولة العثمانية وتمـردوا عن دفع الضرائب المترتبة عليهم للدولة ، ولما كان الامير اسماعيل هو المسؤول الوحيد تجاه الحكومة فقد كلفته بجمع تلك الاموال ، ولكن هؤلاء سوفوا وماطلوا لقلة ما بيدهم ولسوء مواسمهم الزراعية ، واعتصموا في قلعـة (المرقب) الحصينة ، وأجبروا الامير اسماعيل على الاعتصام معهم ، وهنا أرسلت السلطات العثمانية في اللاذقية أحد كبار موظفيها المدعو (مصطفى بربر) على رأس كتيبة من الجند وزودوه بالاوامر المشددة لتحصيل الاموال بالطريقة التي يراها مناسبة ، وما كاد يصل بلدة القدموس حتى عمل فيها نهبا وسلبا وانتهاكا للحرمات • وهنـا تدخل أحد وجهاء القدموس السيد (عبدو الجندي) وتمكن من اقناع (مصطفى بربر) بأن يمنح الاسماعيلية الفرصة لجمع تلك الاموال ، فعاد الى اللاذقية •

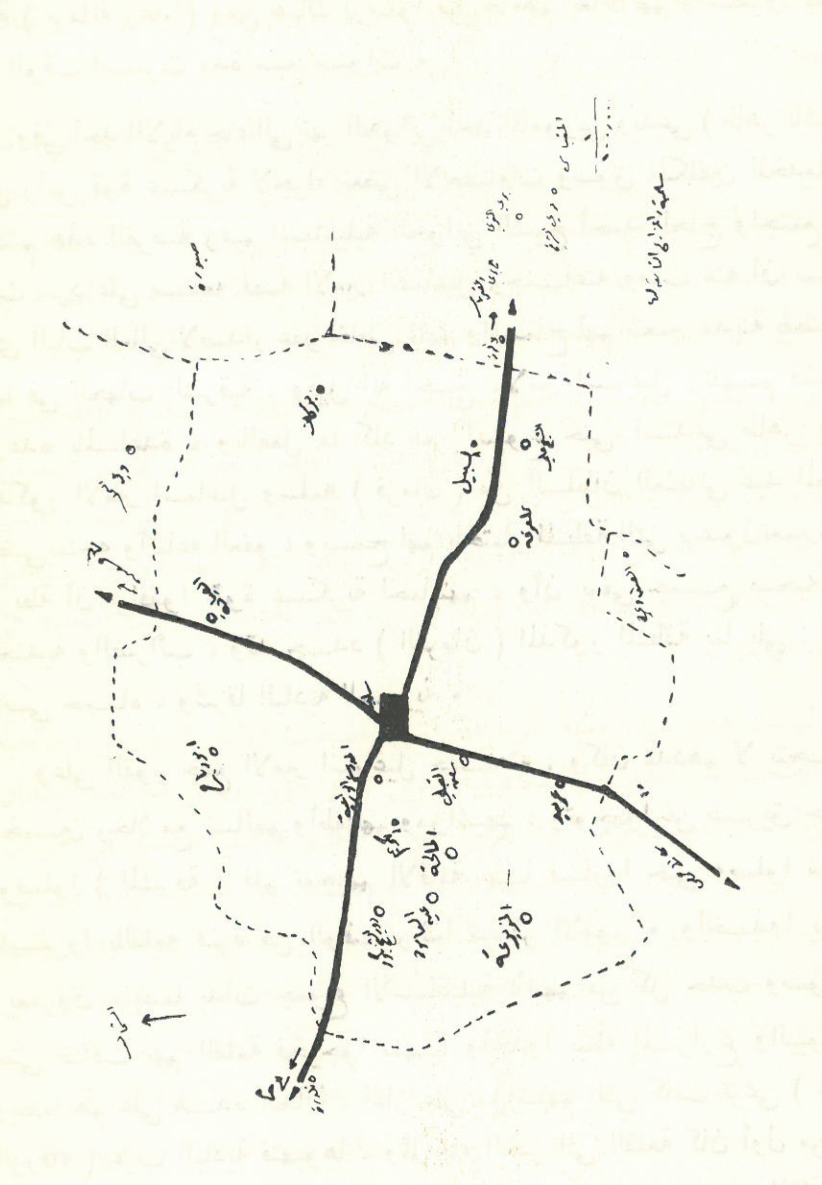
ثم أوفدت الحكومة العثمانية بعد فترة السيد (أحمد هارون) وعينته مديرا لناحية القدموس ، وما كاد يستقر به المقام حتى أرسل يطلب الامير اسماعيل للتفاوض بشأن تقسيط الاموال ليسهل دفعها على الاسماعيلية ، وما كاد الامير تامر يعلم بعرض (أحمد هارون) حتى قال للامير اسماعيل : لا تذهب الى القدموس ، انها مكيدة مدبرة للقبض عليك ، وأقسم أنه اذا ذهب الى القدموس وسجنه المـدير ، فانه سينتقم منه ، ولمـا كان الامير اسماعيل محبا للسلم ويرغب في وضع حـد لهذه القضية خشية أن تؤدي الى المزيد من الاعمال الارهابية ، فقد قرر مقابلة (أحمد هارون) مهما كانت النتائج ، وبالفعل غادر القلعة وتوجه الى القدموس ، وكانت النتيجة كما

توقع الامير تامر ، فقد وضع الامير اسماعيل في السجن ، وهنا ثارت نخوة الامير تامر وتوجه ليلا مع بعض رجاله وصعدوا القلعة حيث قتلوا (أحمد هارون) وحطموا السجن وأخرجوا الامير اسماعيل الذي حاول أن لا يغادر السجن حقنا للدماء ، ولكن الامير تامر هدده بالقتل ، فخرج معه واعتصموا جميعا في قلعة المرقب •

بعد هذه الحادثة أخذت الامور تتطور وتزداد سوء فخاف الامير ملحم زعيم مصياف من نقمة (آل هـارون) في طرابلس واللاذقية ، لـما كانوا يتمتعون به من نفوذ لدى السلطات العثمانية ، فقرر مع جمـاعة من أتباعه في القدموس أن يحتال على الاميرين اسماعيل وتامر ويخرجهما من القلعة ثم يسلمهما للدولة لتفعل بهما ما تشاء •

توجه الامير ملحم الى القدموس حيث دبر المكيدة في بيت آل زريق مع شخص آخر يدعى أبو حيدر ، فأرسلوا (محرمة) الامان للمعتصمين في قلعة المرقب من الامراء وطلبوا منهم أن ينزلوا الى القدموس للتفاوض بشأن جمع الاموال من عموم الاسماعيلية حقنا للدماء • وانطلت الحيلة على الاميرين اسماعيل وتامر فحضروا ليلا مع كل من قاسم العقده ، ومصطفى الامير حسن، وبعد أن تناولوا طعام العشاء في منزل آل زريق أعطى الامير ملحم الاشارة المتفق عليها وهي (أن يأخـذ الامير ملحم بيده ابريق الماء ويخرج) فهجم رجاله الكثيرون على الامير تامر خاصة لـما كان يتمتع به من قوة جسدية وشجاعة نادرة ، وبعد معركة استمرت عدة ساعات تكاثروا عليه ورموه أرضا ثم ذبحوه من الوريد الى الوريد ، واجتزوا رأسه ووضعوه برقبة الامـير اسماعيل بعد أن أوثقوه وكبلوا يديه ، وقيل ان الشخص الذي قطع رأس الأمير تامر يدعى (حسن زريق) ، ومن ثم اقتادوهم ليلا الى طرطوس حيث وضعتهم السلطات المسؤولة في جزيرة أرواد ، ومن جـزيرة أرواد تمكنوا من الهرب الى نهر الخوابي فأقاموا في قرية (دويرطه) مدة اسبوع ، ولما علم بهم زعيم نهر الخوابي في ذلك الوقت الشيخ أحمد الحاج ، استقدمهم الى





قرية (برمانة رعد) ومن هناك أرسلوا من جاءهم بعائلاتهم واستقروا فترة من الوقت استمرت مدة سبع سنوات .

وفي أحد الايام جاء الى نهر الخوابي أحد المأمورين ويدعى (طاهر باشا) على رأس قوة عسكرية لاجراء بعض الاحصاءات وسوق المكلفين للخدمة ، فاغتنم هذه الفرصة زعيم اسماعيلية الخوابي الشيخ أحمد الحاج واجتمع به حيث سرد على مسمعه قصة الامير اسماعيل وجماعته وطلب منه أن يسعى لدى الباب العالي لاصدار عفو خاص عنهم والسماح لهم بتعمير مدينة يقطنون فيها في الجهات الشرقية ، وقيل انه اجتمع بالامير اسماعيل وتفهم قضيته ووعده بالمساعدة ، وبالفعل ما كاد يمر اسبوع حتى استدعى طاهر باشا المذكور الامير اسماعيل وسلمه (فرمان) من السلطان العثماني عبد المجيد يقضي بمنحه وأتباعه العفو ، ويسمح لهم باختيار المنطقة التي يرغبون تعميرها ، شريطة أن يرافقوا بقوة عسكرية لحمايتهم ، وأن يعفي جميع صحبه من الجندية والضرائب ، وقد حدد (الفرمان) المذكور المنطقة بما يلي : غربا عاصي حماه ، وشرقا البادية السورية .

وعلى الفور جمع الامير اسماعيل جماعته ، وكان عددهم لا يتجاوز الخمسين رجلا مع نسائهم وأطفالهم ومواشيهم ، وتوجهوا عن طريق حمص فوصلوا (المشرفة) فلم تعجبهم الاقامة بها فساروا حتى وصلوا سلمية فاستقروا بالقلعة فترة من الوقت ريثما تستقر الامور . وأخذوا يبنون ويعمرون ، بينما بدأت جموع الاسماعيلية تأتيهم من كل حدب وصوب ، حتى ضاقت بهم القلعة فخرجوا منها وأخذوا ببناء المزارع والبيوت ، وبينما هم على هذه الحالة ، أغار على مواشيهم التي كانت ترعى (عين الزرقاء) عرب البادية فنهبوها ، ولما جاء الخبر الى القلعة كان أول من علم به ولد الامير اسماعيل ، الامير سليمان وأخوه محمد ، فتبعاه مع ثلاثة عشر فارسا من الاسماعيلية ، حتى سهول (تلسنان) ، فجرت بينهم معركة ضارية

أسفرت عن اعتقال ثلاثة من زعماء الغزاة واسترجاع المواشي ، واقتادوا الجميع الى سلمية .

ولما علم متصرف حماه بوجود ثلاثة من الاسرى أرسل في طلبهم لتأديبهم ، ولكن الامير اسماعيل رفض تسليمهم وأكرمهم وخلع عليهم ثم أطلق سراحهم بعد أن قال لهم : لا تحاولوا مرة ثانية الاغارة على سلمية . ولما عادوا الى ذويهم وقصوا عليهم ما كان من الامير اسماعيل ومعاملته الحسنة لهم ، جاء وفد من كبار القبيلة الى سلمية وقدم الشكر للامير والمصادقة معه .

وبعد مضي ستة اشهر على هذه الحادثة لجأت الى سلمية قافلة كبيرة من الجمال خوفا من قبائل الموالي التي أغارت عليها ، فحماها الامير اسماعيل وصحبه حتى جاءت نجدات من فرسان عنزه بقيادة سليمان المرشد ، الذي تمكن من ابعاد الموالي وانقاذ القافلة ؛ ومنذ ذلك الوقت أخذ الامير اسماعيل يعقد الصداقات مع القبائل المجاورة حتى استتب له الامر وثبت أقدامه في سلمية بالقوة .

وليست هذه هي العقبة الوحيدة التي اعترضت الامير اسماعيل وصحبه بل هنالك عملية استقدام الاسماعيلية الذين كانوا موزعين في مختلف البلدان السورية ، وتأمين الارض والسكن لهم ، فكان يذهب بنفسه في فترات متقطعة الى حيث يعلم بأن هناك عائلة أو عائلتين من الاسماعيلية فيقنعهم بوجوب النزوح الى سلمية لاعادة بنائها وتعميرها ، فكانوا يتوافدون يوميا بالعشرات فيجمع الاموال ويقدم لهم القروض والماشية ويوزع عليهم الارض بالتساوي لا فرق بين أمير وشخص عادي ، بل كل يأخذ حقه بالعدل والمساواة ، وما كادت تمر سنوات حتى ازداد عدد الاسماعيلية فضاقت بهم سلمية ، فتوسعوا شرقا وجنوبا وشمالا . وفي سنة ١٩٠٠ ميلادية جعلت الحكومة التركية سلمية مركز قضاء وألحقته بمتصرفية حماه .

وظل هؤلاء ينعمون بالرخاء ويعمرون القرى والدساكر حتى عاد وفد

الاسماعيلية الذي ذهب الى الهند للاجتماع بالامام الاسماعيلي آغا خان الثالث سلطان محمد شاه الحسيني وقدم بين يديه أموال الزكاة ، فسر سرورا عظيما لاعادة بناء سلمية وزودهم بالتعليمات والارشادات • وما كاد الوفد المذكور يصل سلمية حتى قام بعض الموتورين بابلاغ السلطات التركية ، بأن الاسماعيلية في جهات سلمية والخوابي أصبحت لهم علاقات مشبوهة مع دولة أجنبية ، فناصبتهم الحكومة التركية العداء ، واعتقلت جميع زعماء الاسماعيلية ، وصادرت أموال الزكاة ، وأغلقت دور العبادة ، وحرمت عليهم مزاولة نشاطهم الديني ، وقدمت الزعماء والمشايخ للمحاكمة أمام المحكمة العرفية بدمشق ، وقد مات بعض الزعماء في سجون دمشق ، وظلوا على هذه الحالة من الاضطهاد حتى عام ١٩٠٩ ميلادية حيث أصدر فرمان بحرية الاديان • والظاهر أن هذا الفرمان لم يشمل الاسماعيلية فشنت عليهم الحكومة التركية الغارات الاستفزازية الانتقامية وصادرت أموال الزكاة وهي في طريقها الى الهند وتقدر بعشرين ألف ليرة ذهبية ، وذلك سنة ١٩١٠ ميلادية ، فأنفقت قسما منها على بناء المدرسة الزراعية التي لا تزال حتى الآن ، وتبخر القسم الآخر • ولقد تدخل الامام آغا خان دوليا بالامر فقابل السلطان التركي عبد الحميد وطالبه بأن يمنح أتباعه الاسماعيليين في سورية كامل حريتهم لمزاولة شعائرهم الدينية وأن تعاد الاموال المصادرة ، ويسمح لهم باعادة افتتاح مساجدهم بأسرع وقت ممكن • وقد وافق السلطان العثماني على جميع هذه المطاليب الا انه ادعى أن الاموال قد أنفقها والي دمشق على بناء المدرسة الزراعية •

ومع كل هذا لبث الاسماعيليون في سورية يقاسون الظلم والاضطهاد العثماني حتى زالت الدولة العثمانية من الوجود •

وبعد أن وضعت الحرب أوزارها تنفس الاسماعيليون الصعداء ، واستبشروا خيرا ، ولكن الاسماعيليين الذين كانوا يقطنون الجبال السورية الغربية (القدموس ــ مصياف ــ نهر الخوابي) تعرضوا لغارات النصيرية

عام ١٩١٩ ميلادية ، ونهبت مواشيهم ، واضرمت النيران في منازلهم ، وبالرغم من أنهم كانوا عزل من السلاح فقد دافعوا دفاعا قويا ، وتمكنوا من دحر العصابات النصيرية وردوهم على أعقابهم أكثر المعارك ، وفي ٢٨ آب سنة ١٩١٩ ميلادية • تدخلت السلطات الفرنسية الموجودة في اللاذقية لفض هذا النزاع ، وعقدت اجتماعا بين المتخاصمين في قرية (الشيخ بدر) ، ونتيجة لذلك الاجتماع شكلت لجنة خاصة لتقدير الخسائر التي لحقت بالاسماعيليين ، الا ان تلك اللجنة عجزت عن التعويض عليهم •

وفي ١٢ آذار سنة ١٩٢٠ ميلادية هاجمت العصابات النصيرية بقيادة الشيخ صالح العلي مدينة (القدموس) وحاصرتها عدة أيام ، وبعد أن نفذت موادهم التموينية وذخيرتهم اضطروا للاستسلام ، فعملت العصابات النصيرية في البلدة نهبا وسلبا وتقتيلا ، وغادر النساء والاطفال الاسماعيليون المدينة حفاة عراة باتجاه سلمية ، فعمروا الحارة الغربية من الناحية الشمالية المسماة باسمهم (حي القدامسة) •

وبعد أن احتل الشيخ صالح العلي القدموس واحتل قلعتها أمر أفراد عصابته أن يجمعوا له ما يعثرون عليه من كتب الاسماعيليين أثناء تفتيش المنازل ، وأمر بأن تجمع في الساحة العامة وتحرق حتى لا يستفيد منها أحد ، وهكذا قد قضي على المكتبة الاسماعيلية السورية قضاء مبرما •

وفي ١٧ نيسان سنة ١٩٢٠ ميلادية تجمع الاسماعيليون من كل حدب وصوب وهاجموا القدموس فاحتلوها وطاردوا النصيرية حتى اعتصموا في الجبال والمعاصي الصعبة المسلك •

وأخيرا دخلت الجيوش الفرنسية البلاد وانتهت تلك الحوادث وعاش الجميع بسلام ووفاق ، وقد منحت فرنسا الحرية الدينية للاسماعيليين التي فقدوها أبان الحكم العثماني • وافتتحت مساجدهم وأصبحوا يزاولون شعائرهم الدينية ، كما ان دستور البلاد قد صان لجميع المواطنين حرية

المعتقدات الدينية وكفل للفرد حق التعبير عن آرائه ومعتقداته ضمن حدود القانون •

وعلى الفور شكل الاسماعيليون في سورية وفدا أرسلوه الى الهند للمثول بين يدي الامام الاسماعيلي آغا خان الثالث ، وعرض عليه أوضاع الاسماعيليين في سورية ، وقد استقبلهم استقبالا حارا وأخذ كافة مطاليبهم بعين الاعتبار ، وبعد دراستها دراسة واقعية على ضوء المصلحة العليا ، زود الوفد بتعاليمه وارشاداته وخصص لهم المبالغ الطائلة لتنفق على تنفيذ المشاريع الحيوية التي أمرهم أن يوجدوها في بلادهم ليتمكنوا من النهوض من كبوتهم التي طال أمدها ، واللحاق بركب الحضارة السريع •

عاد الوفد يحمل تعاليم وارشادات ، ومشاريع كثيرة كانت أكبر عونا لهم في اداء مهمتهم الاصلاحية ، كما شكلت لجنة خاصة للاشراف على تسيير أمور الاسماعيليين في سورية ، ولتنفيذ المشاريع التي أمر بها آغا خان الثالث •

وتلك التعاليم تكفل للفرد الاسماعيلي حق التعلم والمداواة على حساب صندوق الطائفة • وشيدت عدة مدارس في منطقة سلمية بالاضافة للمدرسة الزراعية التي بنيت بأموال (آغا خان) وتأسست في نهر الخوابي المدرسة المحمدية وبدأ التدريس فيها سنة ١٩٣٠ ميلادية ، وفي برهة وجيزة انتقلت سلمية من الظلام الدامس الذي غرقت فيه طوال نصف القرن الاخير بعد أن كانت منهلا عذبا للظامئين ، وعادت الى النهوض من جديد بفضل المساعدات المادية التي قدمها (آغا خان) فأصبحت المدارس منتشرة بكثرة في منطقة سلمية ، وأقيم في سلمية بناء حديث على انقاض المدرسة الابتدائية السابقة وأصبح مدرسة ثانوية كبرى تستوعب أكبر عدد ممكن من الطلاب ، ويرعى المجلس الاسماعيلي الاعلى الآن في سلمية عدة مدارس تجهيزية وثانوية للذكور وللاناث ، ويزداد الاقبال على التعليم يوما عن يوم ولم تشهد سلمية في تاريخها الطويل مثل هذا الاقبال على ارتشاف العلم والتزود بسلاح

المعرفة وخاصة بعد عهد الاستقلال حيث عمت المدارس الابتدائية والاعدادية والثانوية جميع المنطقة ، وارتفع عدد المتعلمين بسرعة مدهشة ، وتنوعت اختصاصاتهم في مختلف المجالات ، فأصبح منهم الاطباء ، والمحامون ، والمفتشون ، والضباط ورؤساء الدوائر ، ونبغ من سكان منطقة سلمية ادباء وشعراء وصحافيون مشهورون احتلوا مكانا لائقا في جميع الاوساط الادبية والعلمية في العالم العربي •

وازداد زيادة ملحوظة عدد الذين يحملون الشهادات الجامعية من مختلف جامعات العالم ، فهناك عدد كبير من الطلاب يتابعون دراساتهم العالية في الجامعات الاجنبية • وكذلك خطت مدينة سلمية خطوات سريعة في السنوات الاخيرة نحو النمو والازدهار ، فشيدت فيها الابنية العصرية الحديثة ، وشق في وسطها الشوارع الجديدة ، وازدهرت فيها الحركة الاقتصادية ، فكثر التصدير وقل الاستيراد ، واستعمل الاهلون الآلات الزراعية الحديثة بكثرة ، واتسعت زراعة القطن اتساعا كبيرا في سلمية والقضاء حتى كادت تشمل ثلاثة أرباع مساحة الاراضي الصالحة للزراعة وذلك بين ١٩٥١ — ١٩٥٦ وازداد الدخل الفردي مما ساعد على تأسيس المشاريع الزراعية الخاصة التي تعتمد على استنباط المياه السطحية أو الجوفية لارواء مساحات واسعة من الاراضي الزراعية الخصبة المنتجة التي تزرع الحبوب والخضار والقدح والبصل والقطن ؛ ولقد أدى هذا التوسع في استنباط المياه السطحية وتركيب المحركات النارية الى استئصال جميع الكروم التي كانت منتشرة في سلمية والاستعاضة عنها بزراعة القطن بدون أن يدور بخلد أولئك المزارعين ان الكروم ثروة لا تعوض وخاصة بعد أن جفت معظم المياه السطحية في سنوات القحط الاخيرة ، وكنتيجة حتمية للازدهار الزراعي وخاصة بعد عام ١٩٤٨ حتى عام ١٩٥٤ أصبحت سلمية تعيش في بحبوحة فدب النشاط في الاسواق ، واتسعت الحركة التجارية وأسست المحالج ، والمصانع التي لم تكن معروفة من قبل واستبدلت أغلب الابنية الترابية بالبناء الحجري

الحديث ، وتعددت الطوابق واستعمل البيتون المسلح والحديد واللبن الاسمنتي ، وكثر عدد الغرف ، وعدد المخازن التجارية ، والمستودعات الخاصة بالمحروقات • واتسعت المواصلات وزاد عدد وسائط النقل وشقت الطرق التي تصل سلمية بكافة القرى المجاورة وبالمدن القريبة •

ومن الطبعي أن تنعكس آثار التقدم الزراعي والاقتصادي والثقافي والعمراني على المجتمع السلموني فتسير فيه في طريق التقدم والرقي والانسجام والتآلف ، وقد شذبت جميع الظاهرات الاجتماعية الريفية وسايرت تقدم البلدة وتطورها نحو مجتمع سليم متآخ • ولا تزال بعض العادات والتقاليد العشائرية والطائفية تسيطر على المجتمع السلموني الذي سيتحرر منها حتما وبوقت قريب •

ولا بد من الاشارة الى ان المرأة الاسماعيلية أخذت تلعب دورها الفعال في بناء المجتمع السلموني وتطوره ، فقد شجع السفور الذي أمر به (آغا خان) المرأة الاسماعيلية على التحرر والانطلاق ، فمنحت حقوقها كاملة وأصبحت تعيش وتعامل بالتساوي مع الرجل ، لذلك نشاهد الآن المرأة الاسماعيلية قد ترقت وسارت في موكب العلم والحضارة ، وخاصة في مجال العلم والثقافة وأصبحت تضاهي زميلتها في أرقى المدن السورية •

ومع مرور الايام زالت الفوارق الطبقية ، وانصهرت عائلات الامراء مع عائلات الشعب ليعيشوا سوية على قدم المساواة ، مع الاخذ بعين الاعتبار مكانة الامراء وانقياد الشعب اليهم في المشورة والارشاد والتوجيه لما فيه مصلحة البلد •

ولا يزال المواطنون يذكرون دائما فضل الامير اسماعيل الذي عمر سلمية وأوصلها أحفاده الى ما هي عليه من التقدم والازدهار ، فأصبحت بين عشية وضحاها مدينة مشهورة ومحط أنظار المسؤولين في الجمهورية السورية الذين بذلوا الكثير في سبيل الاخذ بيدها أثناء محنة الجفاف التي ألمت بها

في السنوات الاخيرة ، فاضطربت المواسم الزراعية ونقصت بشكل هائل ، مما حدى بقسم كبير من الناس الى الهجرة من سلمية الى بقية المدن السورية وخاصة الى دمشق واللاذقية ، ومنهم ذهب خارج البلاد السورية الى العراق والكويت والسعودية •

ولقد أدت هذه الهجرة الموقتة الى تحسين الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية لأن مبالغ كبيرة من الاموال أخذت تتدفق على المدينة •

ونحن اذ نكتفي بهذا القدر الذي سيكون لدى الباحث فكرة عن هذه البلدة التي تتمتع بمكانة تاريخية مرموقة بالنسبة لمن يود دراسة تاريخ الدعوة الاسماعيلية ، باعتبارها كانت دار هجرة ومركزا من مراكز الدعوة العلمية الرئيسية ، ومنها انطلق أول خليفة فاطمي الى المغرب حيث أسس الدولة الاسماعيلية المعروفة •

* * *

أعلام الإسماعيلية

ملاحظة هـامة

تسهيلا للاستفادة من هذا الكتاب وسرعة الرجوع الى ترجمة **كل علم** من أعلامه فقد رتبنا هـذه الاعلام على حروف الابجدية ، **بدءا من حرف** الالف حتى انتهاء حرف الياء وبالله المستعان •

المؤلف

حرف الالف

ابراهيم بن اسماعيل العجمي

من كبار دعاة حلب في عهـد الملك رضوان ، **لا نعلم شيئا عن تاريخ** حياته قبل أن يصبح نائبـا من أصحاب النفوذ الواسع لدى الملك رضوان حيث كان ينوب عنه في المحافظة على قلعة حلب ، ويستدل من لقبه (العجمي) على أنه من أصل فارسي ، وربما وفد كغيره من الدعاة الذين أرسلهم الحسن ابن الصباح لنشر الدعوة الاسماعيلية النزارية في بلاد الشـام • **فاستقر في** مدينة حلب واتصل برضوان فوثق به وسلمه أخطر المناصب في ذلك الوقت• ومن الواضح جدا بحسب منصبه أنه كان همزة الوصل بين مقدم الاسماعيلية في حلب والملك رضوان ، ويمكننا أن نقول بأنه كان من القواد العسكريين الذين يثق فيهم رضوان حتى توصل الى أن ينيبه عنه في المحافظة على القلعة التي كان يلجأ اليها الملك ورجال الدولة في الملمات ، فلو لم يكن من ذوي النفوذ العسكري لما استطاع أن يحتل هذا المنصب • **وعلى ما يظهر أنه أبعد** عن منصبه بعد وفاة الملك رضوان وتمكن من الالتجاء الى **قرية شيزر بعد** مذابح ألب أرسلان المشهورة ، وهنـاك عمل على **جمع فلول الاسماعيلية** من أهالي أفامية ، وسرمين ، ومعرة النعمان ، ومعرة مصرين[1] **فوثبوا على** حصن شيزر فملكوه واتخذوه ملجأ لهـم • ويشير ابن **القلانسي الى ذلك** بقوله[2]: « ورد الخبر من شيزر بأن جماعة من الباطنية من أهل « **أفامية** » و « سرمين » و « معرة النعمان » و « معرة مصرين » ، **في فصح النصارى ،** وثبوا في حصن شيزر على غفلة من أهله ، في مائة راجل ، **فملكوه وأخرجوا**

---

(١) الدول والملوك : ابن الفرات : ١ ورقة ٧١ •

(٢) ذيل تاريخ دمشق : ابن القلانسي : ص ١٩٠

جماعته ، وأغلقوا باب الحصن ، وصعدوا الى القلعة ، فملكوها وأبراجها »٠
ويقول ابن الفرات : « بعد الايقاع بالاسماعيلية الباطنية في حلب ، تجمعوا الى « شيزر » وصار بها جماعة كثيرة ، ورتبوا أحوالهم ، وفكروا في تحصين حصن « شيزر » ٠ والذي جذبهم الى هذا الحصن حسن موقعه ، فقد كان يستقر فوق جبل منيع يتعذر الوصول اليه ، ويقع بالقرب من نهر الاورنت ــ العاصي ــ فكان الدافع الى امتلاكه هو حسن موقعه أولا ، والرغبة في الاستقرار ببلاد الشام ثانيا ٠ أما طريقة احتلالهم هذا الحصن ، فانه ما كاد امراؤه من بني منقذ ، يخرجون منه يوم الشعانين لمشاهدة حفلات ذلك اليوم ، حتى انقض النزارية عليه واحتلوه ، وهكذا « اغتنم الاسماعيلية الباطنية ، الذين تجمعوا بشيزر ، خلو البلاد من العامة ، وخلو القلعة من الامراء والجند ، واجتمعوا ، ووثبوا في الحصن ، وملكوه[1] » ٠

ولم يستقر هذا الداعي وجماعته طويلا في هذا الحصن المنيع لأن أصحابه ، هاجموه ليلا وتسلقوا الجدران ، وفتكوا بجميع الاسماعيلية ، قيل أفنوهم عن آخرهم ، وعلى رأسهم الداعي ابراهيم بن اسماعيل العجمي ، وتتبعوا كل من كان على مذهب الاسماعيلية في القرية وفتكوا بهم ٠ وقيل ان بني منقذ وجدوا مع الاسماعيلية رقعة من الحسن بن الصباح فيها : « رحمكم الله يا اخواننا ! لن يصاد من الطير الا من يحسن التسبيح لا غير » وكان ذلك سنة ٥٠٧ هجرية ٠

* * *

(١) الدول والملوك : ابن الفرات : ١ ورقة ٧١ ٠

ابراهيم بن الحسين الحامدي

كان من كبار الدعاة الذين أوجدتهم المدرسة اليمنية ، واسمه السلطان ابراهيم بن الحسين بن أبي السعود الحامدي الهمداني ، أصبح داعيا للامام المستور من سلالة المستعلي الفاطمي ، وذلك بعد وفاة الداعي المطلق الذؤيب ابن موسى ، فجعل مقره صنعاء ، وهدف الى دراسة العلوم ونقل التراث الاسماعيلي العلمي وجمعه وتدريسه للدعاة التابعين لمدرسته ، ووزع الدعاة في بلاد اليمن والهند والسند ، وفي سنة ٥٣٦ هجرية وهو تاريخ تسميته داعيا مطلقا أعلن عدم تدخله في سياسة الدولة وواظب على التأليف والنشر والقاء المحاضرات العلمية ، ويذكر التاريخ له عدة مؤلفات علمية بحتة تبحث في فلسفة الدعوة الاسماعيلية وفي التأويل والحقائق ، ومن مؤلفاته القيمة كتاب كنز الولد وقد تعرض فيه لرسائل اخوان الصفاء وخلان الوفاء ولرسالة الجامعة وأشار الى نظرية الشخص الفاضل مؤلف الرسائل والجامعة ، ومن مؤلفاته أيضا[1] :

١ ــ كتاب الابتداء والانتهاء ٠

٢ ــ كتاب تسع وتسعين مسألة في الحقائق ٠

٣ ــ كتاب الرسائل الشريفة في المعاني اللطيفة ٠

وعثر له مؤخرا في كتاب اسماعيلي يمني يسمى (كتاب مجموع التربية) على بحوث ومقالات ورسائل جلها في الابحاث المذهبية الاسماعيلية ٠ وفي عهده تعرضت الدعوة المستعلية الى أيام عصيبة ، لأن ملوك آل زريع في عدن

(١) المرشد الى أدب الاسماعيلية : W. Ivanow (ص ٥٤) ٠

مالوا الى الدعوة المجيدية التي انتشرت في أنحاء اليمن حتى في قلب الدعوة المستعلية ومعاقلها ، كحراز ونجران واليمن الاسفل ، كما أعلن ملوك همدان اليامبين في صنعاء وبلاد همدان عن تحررهم من جميع المذاهب والدعوات[٢] .
وجعل ابراهيم بن الحسين الحامدي الشيخ علي بن الحسين بن جعفر مأذونا له ، فساعده على نشر الدعوة في السر والجهر حتى توفي ، ولم يعمر بعده طويلا فقد وافته المنية سنة ٥٥٧ هجرية في شهر شعبان .

* * *

(٢) الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن للهمداني (٢٧١ — ٢٧٢) .

أحمد بن ابراهيم النيسابوري

ما أكثر الدعاة المغمورين في تاريخ الدعوة الاسماعيلية السرية ، فالباحث المنقب يقضي الشهور الطوال وهو يتحرى ويفتش حتى يعثر على القليل من آثارهم الكثيرة ، وبالرغم من جهودنا الكثيرة واتصالاتنا مع المهتمين في الدراسات الاسماعيلية في جميع أنحاء العالم ، لم يتسن لنا الا معرفة القليل عن الشيخ الجليل والداعي العظيم سيدنا أحمد بن ابراهيم النيسابوري وقد وجدناها في مصادر متفرقة وبلغات عديدة ، نوجزها بما يلي[١] :

ولد سيدنا أحمد بن ابراهيم أو محمد النيسابوري في مدينة نيسابور بفارس في أواخر القرن الرابع الهجري في بيت عرف بانتمائه للاسماعيلية ، ففي هذا البيت استوعب عقائدها ، وانخرط في شبابه في تنظيمات الدعوة السرية .

وفد على القاهرة في عهد الامام العزيز بالله ، في ذلك العهد المشهور بالرخاء والتسامح الديني والثقافي ، وفد كغيره من الدعاة الكثيرين للتزود من العلم والانتهال من ينابيع الفكر الفلسفية ، المتدفقة في دار الحكمة ومن الثابت أنه تلقى المزيد من العلوم الفلسفية الباطنية على أيدي كبار الدعاة وسمع المجالس التأويلية ، التي كانت تلقى للعامة والخاصة ، ومن المرجح أنه وضع أكثر مؤلفاته في القاهرة ، وتوفي في عهد الامام الحاكم الفاطمي ، أي في أوائل القرن الخامس الهجري .

والمصادر التاريخية لا تشير الى مكان وفاة النيسابوري وتاريخها الا أن

(١) هذا البحث مأخوذ من مقدمتنا لكتاب اثبات الامامة الصفحة (١٣ — ١٤)

بعض الدعاة في فارس قد لمحوا الى ذلك فقالوا انه عاد الى فارس وتسلم رئاسة الدعوة فيها وظل قائما بالامر حتى وفاته بدون أن يشيروا الى تاريخ الوفاة ومكانها .

ترك النيسابوري عدة مؤلفات أتى على ذكرها ايفانوف في كتابه المرشد الى أدب الاسماعيلية وهي[١] :

١ — كتاب اثبات الامامة[٢] .

٢ — رسائل استتار الامام[٣] .

٣ — الموجزة الكافية في آداب الدعاة والحدود .

٤ — الظاهرة في معرفة الدار الآخرة .

٥ — كتاب التوحيد[٤] .

* * *

(١) المرشد الى الادب الاسماعيلي ص (٤٢) .

(٢) حقق هذا الكتاب وقدم له المؤلف .

(٣) نشره ايفانوف في مجلة كلية الآداب المجلد الرابع الجزء الثاني ١٩٣٩

(٤) منه نسخة خطية موجودة في مكتبتي الخاصة .

أبو الطيب المتنبي
أحمد بن الحسين الجعفي الكندي

قد يتساءل البعض عن علاقة المتنبي بالاسماعيلية ، ولماذا ورد اسمه في كتاب كهذا يضم سير أعلام الدعوة الاسماعيلية ؟ وهل ان كتاب الاسماعيلية — كما يقولون — اعتادوا على الادعاء بأن كل عـالم وعبقري وفيلسوف يجب أن يكون اسماعيليا ؟

ونحن نرد على هؤلاء فنقول لهم :

الامر ليس بجديد فلقد سبقنا الى هذا الاكتشاف أدباء كبار ، وعلماء منصفون أكدوا أن المتنبي كان على علاقة وثيقة بالقـرامطة الاسماعيليين ، وحتى أنهم ذهبوا الى القول بأنه كان أحد دعاتهم لدى القبائل . والظاهر انه فضل أن يظل أمره من الاسرار الغامضة ، فعمد الى حذف أغلب أشعاره التي تدل على هذه العلاقة من ديوانه .

اننا في هذا المجال لا نريد تقديم المتنبي كشاعر فحل ، وأديب كبير ، فالمتنبي له من الشهرة الشعرية والادبية ما يكفيه ، وان الكتب والمقـالات التي كتبت عنه أكثر من أن تحصى ، ولكننا أردنا من وراء هذا اظهار علاقة المتنبي بالاسماعيلية ، أو القرامطة ، وليس من شك عندي أن المتنبي درس في مدارس الدعوة الاسماعيلية في الكوفة ، فتعلم أصول المذهب وفروعه واضطلع على الفلسفة وعلم التأويل والفقه ، فجاء شعره كما يقول الدكتور طه حسين متأثرا بآراء القرامطة ، ولم يكن بعيدا في شعره عن أمور القرامطة وأخبارهم ، وهذه الابيات الثلاثة التي استبقاها المتنبي من قصيدة لعلها كانت

مطولة ، فلما أراد المتنبي جمع ديوانه حذف منها أكثرها ، مداراة للظروف ، واشفاقا من السلطان[1] .

الى أيّ حين أنتَ في زيّ مُحرِمِ … وحتى متى في شقوةٍ والى كم ؟
والا تمُتْ تحتَ السّيوف مُكرَّماً … تمُتْ وتُقاسِ الذلَّ غيرَ مُكرَّمِ
فَثِبْ واثقاً باللهِ وَثْبَةَ ماجدٍ … يرى الموتَ في الهيجا جنى النحل في الفم

وأردف قائلا : ان هذه الابيات تصور ما عاد به الغلام من البادية بعد أن عاش في بيئتها الخشنة المقنعة بالمذهب الجديد ، المنتظرة من وراء هـذا المذهب وانتشاره الخير كل الخير[2] . واذا كانت هذه الابيات تصور تأثر المتنبي بالبيئة العملية القرمطية ، فان هناك قصيدة أخرى طويلة بعض الشيء تصور تأثر المتنبي بالمذهب النظري للقرامطة وغلاة الشيعة ، وهي التي مدح بها المتنبي رجلا يعرف بأبي الفضل :

يا أيُّها المَلِكُ المُصَفّى جَوهَراً … من ذاتِ ذي الملكوتِ أسمى من سما
نورٌ تَظاهَرَ فيكَ لاهُوتيّهُ … فتكادُ تَعلَمُ عِلمَ ما لن يُعلما
ويَهُمُّ فيكَ اذا نَطَقتَ فصاحةً … من كلِّ عُضْوٍ منكَ أن يتكلّما
أنا مُبْصِرٌ وأظنُّ أنّي نائمٌ … مَنْ كان يحلُمُ بالالهِ فأحلُما
كَبُرَ العِيانُ عَلَيَّ حتّى انّهُ … صار اليقينُ مِنَ العِيانِ تَوَهُّما

« فنحن هنا بازاء رأي صريح في الحلول ؛ فالمتنبي يرى أن صاحبه ملك قد صفي جوهره من ذات ذي الملكوت ، أي ان روحه قبس من ذات الله . وهو يرى أن هذا القبس نور لاهوتي قد استقر في صاحبه ، فكاد يظهره على الغيب . وعندي (القول للدكتور طه حسين) أن المتنبي حين ارتحل الى

(١) مع المتنبي : طه حسين ص ٤٣ .
(٢) المصدر نفسه ص ٤٤

البادية انما اتصل فيها بداع من دعاة القرامطة الذين كانوا يجولون في البادية ومن يدري ! لعل هذا الداعي كان أبا الفضل نفسه هذا الذي يمدحه المتنبي . وانما عاد مستصحبا رجلا آخر أو قوما آخرين ، يريدون أن يستقروا في الكوفة وأن يدعوا فيها لمذهب القرامطة » ويستخلص الى القول « فاني أجد في نفسي شعورا قويا جدا بأن المتنبي قد نشأ نشأة شيعية غالية ، لم تلبث أن استحالت الى قرمطية خالصة[1] » .

هذا رأي أكبر أديب وعالم في عصرنا الحاضر أكد فيه بقوة العلاقة المتينة التي كانت تربط المتنبي بالقرامطة ، ونحن نضيف الى ذلك القـول بعض المعلومات التي حصلنا عليها من مصادر اسماعيلية تتعرض لذكر زيارات المتنبي المتواصلة الى سلمية وتؤكد أنه كان يقضي فيها أوقاتا طويلة ، وسلمية في ذلك الوقت كانت عاصمة النشاط الفكري في الشرق الاسلامي ومركز توزيع الافكار الاسماعيلية . وفيها قال المتنبي :

فأقبلها المـروج مسومات … ضـوامر لا هـزال ولا شيار
تثير على سلميـة مسبطرا … تنـاكر تحتـه دون الشعـار

ولقد استطاع المتنبي أن يجد له في سلمية مدرسة فكرية استمد منهـا تعاليمه المذهبية ، وباعتقـادي أنه كان من دعاة الاسماعيلية المتجـولين في البـادية ، وكان يزور سلمية لتقديم تقاريره السـرية عن نشاط الـدعوة وانتشارها في تلك النـواحي . ومن جهة اخـرى كان المتنبي يتردد على (بدر آل عمار) في اللاذقية ويمدحه ، وبدر هـذا كان من (آل عمـار) الاسماعيليين ، ومهما يكن فلا نستطيع أن نجزم بأن المتنبي ظل حتى وفاته مخلصا عاملا في الحقل الاسماعيلي ، لأن الشعراء قلما يظهرون عقائدهم ،

(١) مع المتنبي : طه حسين ص ٤٤ — ٤٥

وخـاصة في عصر مضطرب كعصر المتنبي حيث كان يصـول ويجول على مسارح السياسة أمراء لا ينظرون بعين الرضا الى كل من ينتسب الى القرامطة الاسماعيليين ، وحيـاة المتنبي تدلنا على أنه كان فقيرا يتكسب من شعره ، فيضطر الى مدح هؤلاء الامراء ونيل رضاهم ، فليس غريبا أن يكتم عقيدته٠

واسمه : أبو الطيب أحمد بن الحسين الجعفي ، ولد في الكوفة سنة ٣٠٣ هجرية ، نصب له جماعة كمينا في الطريق وهو عائد الى الكوفة ، فقاتلهم وليس معه الا ابنه وغلام حتى قتل سنة ٣٥٤ هجرية ٠ له ديوان شعر ضخم٠

* * *

أحمـد بن الحسين

(دندان)

لا تزال الروايات مضطربة والاقوال متناقضة حول حياة هـذا الداعي الكبير الذي يعتبر بحق من الدعاة الافذاذ الذين قدموا للدعوة الاسماعيلية في دورها الاول أعظم الخدمات ٠ لم نتمكن من معـرفة تاريخ ولادته بالضبط ، ولكننا استطعنا أن نستنتج بأنه ولد بنواحي الكرخ ، وكان أبوه راوية وعالما من علماء الشيعة ، وورد اسمه في المصادر الشيعية كما يلي :

دندان أبو جعفر أحمد بن الحسين بن سعيد بن حمـاد بن سعيد ابن مهران[١]٠ وقيل محمد بن الحسن بن جهار نجار الملقب دندان[٢] ، والمصادر متفقة على أنه عاش في أصفهان والاهواز ، وعرف بالثراء والعـلم ورواية الحديث ، ويذكر التاريخ أنه سجن في مدينة بغداد وهناك تعرف على حجة الامام عبد الله بن ميمون القداح فتجادلا وتناقشا وتعالما وكانت النتيجة أن خرج من السجن معتنقا المذهب الاسماعيلي ، وابتدأ بالدعوة من جهة الجبل فدخل في دينه كثير من الاكراد ، ولم يقف نشاطه عند هـذا الحد بل قدم للدعوة المساعدات المادية ، فدفع اعانة مالية قدرت بمليوني دينار وضعت في الخزينة الاسماعيلية في السلمية لتصرف على نشر الدعوة في خراسان وفارس والاهواز واليمن[٣] ٠

---

(١) الطوسي : ٢٦ ، ١٠٤ ، ابن شهراشب : ١٠ ، ٣٥ منهاج المقال : ٣٤ ، ١١٣ الذريعة : ٢٨١ ٠

(٢) نهاية الارب في فنون الادب للنويري (٢٦) ٠

(٣) النويري : نهاية الارب : ٢٣/٢٦ ٠

وباعتباره كان من علماء عصره فقد صنف عدة مؤلفات عرفنا منها :

١ ــ كتاب الاحتجاج .

٢ ــ كتاب الانبياء .

٣ ــ كتاب المثالب .

٤ ــ كتاب المختصر في الدعوات .

ظل يتنقل بين سلمية وفارس ينشر الدعوة ويلقي المحاضرات ويصنف الكتب حتى توفي في قم بفارس ودفن فيها . وقيل انه أوصى بثروته الطائلة لتوضع تحت تصرف الامام الاسماعيلي لتنفق في سبيل تقوية الدعوة ونشرها ، وكانت وفاته في منتصف القرن الثالث الهجري .

هذا ما استطعنا تقديمه عن حياة هذا الفيلسوف الكبير والداعي العظيم ، وكل ما ورد حوله من روايات لا يتعدى التحامل والدس .

* * *

أبو حاتم الرازي

هو ابو حاتم أحمد بن حمدان الليثي الورسناني الرازي[١] من أكبر الدعاة العلماء الذين أنجبتهم الدعوة الاسماعيلية والذين كان لهم شأن كبير في عالم الدعوة وفي عالم الادب والفلسفة والتأليف ، حيث أخذوا على عاتقهم مهمة التفاني في الدفاع عن الدعوة بالقلم واللسان ، والعمل على جذب العامة والامراء بنفس هذا السلاح العلمي ، ويعتبر أبو حاتم الرازي من أعلام النهضة العلمية الاسلامية البارزين في القرنين الثالث والرابع الهجري . ولقد مثل نشاط الدعوة الاسماعيلية في بلاد الري في عهد امامة عبيد الله المهدي وخلافته ، وقد تأثر الى حد كبير بمدارس الدعوة في بلاد اليمن والمغرب ، فلعب دورا عظيما في الشؤون السياسية في طبرستان والديلم ، لا سيما في أصفهان والري حتى استجابت له جماعة من كبار الدولة مثل أسفار بن شيرويه ومرداويج بن زيار[٢] وكان لجهود أبي حاتم الاثر الفعال في اتصال مرداويج بالامام عبيد الله المهدي ، وكذلك أسهم أبو حاتم الرازي في النهضة العارمة بالمذهب الاسماعيلي كما أسهم في نشر الثقافة الاسلامية عامة ، فتحدث في الفلسفة واللغة ، والتفسير والفقه ، وشرح نظريات الاسماعيلية وعقائدهم ، وله نظريات كثيرة في مبدأي الستر والظهور، حتى قيل عنه انه أول من وجه هذين المبدأين في الاسلام توجيها جديدا ؛

---

(١) لسان الميزان للحافظ رقم ٥٢٣ . وبالرغم من التنقيبات الكثيرة لم نعثر على تاريخ ولادته ونشأته قبل أن ينضم للدعوة الاسماعيلية ومن المحتمل انه تخرج من مدرسة دعاة اليمن ، ومنها أوفد الى بلاد الري .

(٢) مقدم الديلم ، تاريخ الخلفاء ص (٢٥٩) نظام الملك : سياسة نامه ج ٢ ص (٢٧٢) .

ومن أهم مؤلفات الرازي : كتاب الزينة ويحتوي على ١٢٠٠ صفحة وهو من أقدم كتب آداب الدعوة التي احتفظت بها الاسماعيلية وهو في الاحرف ومعانيها وفي الكلمات العربية والدخيلة التي نطق بها القرآن وسنها مسلمون وصارت فيما بعد المصطلحات الاسلامية[١] • ومن مؤلفاته أيضا كتاب (أعلام النبوة[٢]) ويعد من أهم كتب فلسفة المذهب الاسماعيلي ، وقد تناول فيه الكلام على نظريات الاسماعيلية في الرسل ، وفي الله تعالى وفي النفس والهيولى والزمان والمكان ، وفي هذا الكتاب يرد الرازي على أحد الزنادقة الملاحدة ، ويحتوي هذا الكتاب أيضا على ما جرى بينه وبين الفيلسوف محمد بن زكريا الرازي من مناظرة في مسألة النبوة وأمر الدين[٣] • ولا يقل كتاب (الاصلاح) أهمية عن هذه الكتب ويتكون من خمسمائة صفحة ، وترجع أهميته الى ما أورده المؤلف من تأويل الآيات القرآنية ، وما ذكره عن الانبياء • ويذكر له ابن النديم[٤] كتاب (الجامع) •

ولم يسلم الرازي من اضطهاد السنيين ، وخاصة الديالمة ، فاتهمه البعض بالباطنية والزندقة والثنوية والدهرية (ولا يلاحظ في مؤلفاته شيء من هذا) فاضطر الى الاختفاء في آخريات حياته ومات سنة ٣٢٢ هجرية وقيل سنة ٣٣٣ هجرية •

* * *

(١) الفهرست ص ١٨٩

(٢) نشر جزء منه بأول كرادس في Roginal Orient V على أساس النسخة المخطوطة الموجودة في M. S. H.

(٣) ومن كتاب الاقوال الذهبية للكرماني يتضح أن الذي ناظره كان معاصره ومواطنه الفيلسوف محمد بن زكريا الرازي •

(٤) الفهرست ص (٢٤٦) •

أحمد حميد الدين الكرماني

ذكرنا أكثر من مرة في هذا الكتاب أن حياة أكثر الدعاة والفلاسفة الاسماعيلية وخاصة نشأتهم الاولى من الصعب جدا على الباحث أن يذكرها بدقة ووضوح ، لأن أغلب المصادر التاريخية التي هي بين أيدينا لا تشير اليها لا من قريب ولا من بعيد ، وكل ما نعلمه عن هذا الفيلسوف العظيم ونشأته الاولى أنه كان من دعاة الاسماعيلية في عهد الامام الحاكم بأمر الله الفاطمي ، ويلقب بحجة العراقين ، وكبير الدعاة الاسماعيلية بجزيرة العراق • واسمه كما ورد في المؤلفات الاسماعيلية : هو سيدنا الشيخ أحمد حميد الدين الكرماني صاحب التآليف العديدة في المذهب الاسماعيلي ، واثبات الامامة للفاطميين والرد على مخالفيهم ، وصفه الداعي ادريس عماد الدين فقال :

« حتى ورد الى الحضرة الشريفة النبوية الامامية ، ووفد الى الابواب الزاكية الحاكمية باب الدعوة الذي عنده فصل الخطاب ، ولسانها الناطق بفصل الجواب ، ذو البراهين المضيئة ، والدلائل الواضحة الجليلة ، مبين سبل الهدى للمهتدين ، حجة العراق أحمد عبد الله الملقب بحميد الدين الكرماني قدس الله روحه ورضي عنه[١] » وقال عنه أيضا : « مهاجرا عن أوطانه ومحله ، ووارداً كورود الغيث الى المرعى بعد محله ، فجلى ببيانه تلك الظلمة المدلهمة ، وأبان بواضح علمه ونور هداه فضل الائمة ••• والداعي حميد الدين أحمد ابن عبد الله هو أساس الدعوة التي عليه عمادها ، وبه علا ذكرها ، واستقام منارها ، وبه استبانت المشكلات ، وانفرجت المعضلات[٢] ••• » •

(١) عيون الاخبار : ٦/٤٥ •

(٢) المرجع السابق •

واستخدم الامام الحاكم هذا المفكر الكبير والعالم النحرير فجعله رئيسا لدار الحكمة التي كانت مغلقة منذ زمن • وقيل ان سبب قدوم الكرماني الى مصر هو أن داعي الامام الحاكم ختكين قد استدعاه ، عندما اشتدت الفتن الدينية وخمد النشاط العلمي ونسب الغالون الالوهية الى الحاكم ، فوصل القاهرة سنة ٤٠٨ هجرية وجادل أصحاب هذه الفتنة (الدرزية) الذين زاغوا عن دعوة الاسماعيلية ، وألف رسالته المسماة بالواعظة ، وهي عبارة عن لون من ألوان مناقشته للذين ألّهوا الحاكم ، وفي هذه الرسالة يبرىء الحاكم من ادعائه الالوهية ، ويعترف بأن الامام الحاكم هو عبد خاضع لله تعالى ، له يسجد ، وعليه يتوكل ، واليه يفوض الامر كله •••

وبكل أسف نقول : ان المعلومات التي نستطيع على ضوئها أن نصور شخصية الكرماني ونقدم له ترجمة وافية ، قليلة ، ولكننا نستنتج من لقبه (الكرماني) أنه من أصل فارسي وعلى الارجح أنه ولد في كرمان بفارس ، وارتحل الى القاهرة كغيره من دعاة الاسماعيلية للتزود من العلم ، وبعد أن بلغ درجة علمية كبيرة عين حجة في العراقين ، (فارس — والعراق) ، ومنذ ذلك الوقت عرف (بحجة العراقين) وتمكن من استمالة والي الموصل المقلد بن يوسف فاعتنق الاسماعيلية وخطب للامام العزيز على منبر الموصل سنة ٣٨٢ هجرية • وهذا ما يوضح أنه قدم للقاهرة في أول مرة في عهد الامام العزيز ، واستدعي اليها ثانية عام ٤٠٨ هجرية في عهد الامام الحاكم حيث جادل الفرق التي ثارت على التعاليم الاسماعيلية بزعامة (الدرزي) وصحبة •

خلف الكرماني للدعوة الاسماعيلية مؤلفات كثيرة بعضها كتب طوال ، وبعضها الآخر رسائل قصيرة ، عرض فيها لكثير من المشكلات الفلسفية ، ومزج تعاليم الاسماعيلية بعلوم الشرع والمعارف الفلسفية الاخرى ، مما يشهد برسوخ قدمه وعلو كعبه في العلم وتضلعه في فقه الدعوة • ومن

أهم مؤلفاته : كتاب المصابيح[1] في اثبات الامامة • وتنبيه الهادي والمستهدي ، وكتاب معاصم الهدى ، والاصابة في تفضيل علي على الصحابة ، والاقوال الذهبية في الدفاع عن أبي حاتم الرازي ، وفصل الخطاب وابانة الحق المتجلي عن الارتياب ، وكتاب المحصول ، ورسالة الوضيئة ، وكتاب الرياض أو الاصلاح بين الشيخين ، عدا رسائل كبيرة نخص بالذكر منها : الرسالة الدرية في معنى التوحيد ، ورسالة النظم في مقابلة العوامل بعضها ببعضها ، والرسالة المضيئة في الامر والآمر والمأمور ، والرسالة الحاوية في الليل والنهار ، ورسالة مباسم البشارات ، والرسالة الواعظة ، والرسالة الكافية ، ورسالة المعاد ، والفهرست ، والمقادير والحقائق ، وتاج العقول ، وميدان العقل ، وكتاب النقد والالزام ، واكليل النفس ، وكتاب المقايس ، وكتاب المجالس البغدادية والبصرية ، ورسالة الشعري والخواص ، وكتاب راحة العقل ، مما يشهد بما يتمتع به هذا الفيلسوف من منزلة في عالم الفلسفة •

ومن أعظم كتب الكرماني التي تدل على تعمقه في الفلسفة واحاطته بشاردها وواردها كتاب راحة العقل ، الذي ينقسم الى أسوار ، ويشمل كل سور عدة مشارع ، وبذلك يصبح الكتاب كأنه مدينة ، ويشتمل على سبعة أسوار ، وكل سور الى سبعة مشارع ، ويتألف الكتاب من ٧٩ مشرعا • وهذه الاسوار السبعة تقابل السيارات السبعة ، التي لها تأثير على المواد الجسمانية من معدنية ونباتية وحيوانية •

أما المشارع فهي تقابل الافلاك الكبار والصغار ، ومن يطلع على كتاب الكرماني هذا يلمس ولوعه بالتأويل المعروف عن دعاة الاسماعيلية ، وهو يريد أن يضم كتابه : المعارف والفضائل التي ينبغي أن تتحلى بها النفس الانسانية علما وعملا ، فيتهيأ لمن يقرؤه ويستوعب ما فيه ، الراحة ، والهداية ،

(١) المرشد الى الادب الاسماعيلي ايفانوف (ص ٤٣) •

والسعادة ، والنجاة • ولذلك سمي الكتاب : (راحة العقل[1]) •

وللكرماني فوق كل هذه المؤلفات عدة رسائل عرفت في أدب الاسماعيلية باسم رسائل الكرماني ، وهي تشتمل على ثلاث عشرة رسالة • وله أيضا كتابان أحدهما يعرف بالمجالس البغدادية والآخر يعرف بالمجالس البصرية ، جمع فيهما محاضراته التأويلية في العراق والبصرة وبغداد[2] •

وهذه المؤلفات الضخمة التي تركها الكرماني والتي تبحث في جميع العلوم تدل على ما كان يمتاز به من المهارة العلمية الفائقة بألوان العلوم المختلفة لاسيما ما كان منها عقليا ، كما تؤكد على رسوخ قدمه بفلسفة الدعوة الاسماعيلية ، فضلا عما تظهرنا عليه من المهارة الفائقة والقدرة العجيبة على التأليف بين العناصر المستقاة من مصادر متباينة في موضوعاتها وطبيعتها ومنهجها •

والخلاصة لا يسعنا الا أن نعتبر الكرماني شيخ فلاسفة الاسماعيلية بحق وصدق ، ولقد أحرز قصب السبق في ايجاد بعض النظريات والمذاهب الفلسفية التي لم تكن معروفة في عصره ولا قبل عصره ، فأصبحت معينا يرتشف منها الفلاسفة ، الشرقيون والغربيون ، وكما كانت حياة الكرماني من الغموض على هذا الوجه ، فكذلك كان تاريخ وفاته • فالخلاف بحيث لا يمكن ذكره على سبيل القطع : فقد قال ايفانوف عن تاريخ وفاة الكرماني انه ليس معروفا ، ولكنه توفي سنة ٤٠٨ هجرية بقليل ، وهي السنة التي يؤرخ بها اتمام تأليف أحد كتبه[3] • على ان الكرماني نفسه قد ذكر في كتابه (راحة العقل) بأنه ألفه سنة ٤١١ هجرية ، وهذا يعني أن وفاته لايمكن أن تكون الا بعد هذا التاريخ ، أي بعد سنة ٤١١ هجرية •

---

(١) راحة العقل للكرماني (ص ١١) .

(٢) الرسالة الواعظة (ص ٢) .

(٣) المرشد الى أدب الاسماعيلية (ص : ٤٣) .

أبو العــلاء المعري

(أحمد بن عبد الله بن سليمان المعري)

عرف العصر الذي وجد فيه هذا العبقري الشاعر الفيلسوف بنضوج الحياة الفكرية عند الاسلام ، وبكثرة المناقشات والمناظرات بين المفكرين والفلاسفة والفقهاء والعلماء • وكانت المعرة حين ولادة ابي العلاء تخضع لسيطرة الدولة الحمدانية ، ثم أصبحت تحت حكم الفاطميين •

ولد الشاعر الفيلسوف العبقري أحمد بن عبد الله بن سليمان بن محمد[1] المعري التنوخي في اليوم السابع والعشرين من ربيع الاول سنة ثلاث وستين وثلاثمائة هجرية في بلدة « معرة النعمان » من ابوين اسماعيليين ، وقد ذهب بصره قبل أن يبلغ الرابعة من عمره لاصابته بمرض الجدري ، وقد أشار الى ذلك في بعض رسائله الى داعي الدعاة المؤيد في الدين هبة الله الشيرازي[2] •

وقد استعاض عن فقد بصره بنور بصيرته ، فلم يعقه في تحصيل العلوم والآداب ، وقد أجمع المؤرخون على شدة ذكائه وقوة ذاكرته ، درس العلم والأدب وأصول المذهب الاسماعيلي على أبيه أولا ، والذي كان رئيسا للدعوة في منطقة المعرة ، ثم على جماعة من علماء المعرة • وكان ابو العلاء يحفظ ما يسمعه للمرّة الأولى • وقال الشعر وهو في الحادية عشرة من عمره ، وانتقل بعد ذلك الى بعض المدن الشامية المعروفة بالعلم حينئذ كانطاكية وحلب واللاذقية وطرابلس الشام ، فدرس على علمائها ، واستفاد

---

(١) في معجم الادباء ١٠٧/٣ : (.. بن داود بن المطهر ...)

(٢) سيرة المؤيد الشيرازي داعي الدعاة : ورقة ١٣٠

من مكتبة أمراء (آل عمران) الشهيرة في طرابلس الشام ، ويظهر أنه اشتغل بدراسته بنفسه بعد العشرين من عمره فلم يدرس بعدها على أحد من الشعراء .

وفي سنة ٣٧٧ هجرية بلغه وفاة والده في حمص فحزن عليه وتألم وتفجع وقال من قصيدة له :

فيا قبر آه من ترابك لينا   عليه ، وواه من جنادلك الخشن
لاطبقت اطباق المحارة فاحتفظ   بلؤلؤة المجد الجديدة بالحزن

وقام برحلة الى بغداد سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة هجرية فمكث فيها مدة سنة وتسعة أشهر ، وقيل سنة وسبعة أشهر[1] اطلع فيها على علوم الفلسفة وناظر وناقش وجادل في العلوم والاديان والمذاهب والفرق ، وكان خلال اقامته في بغداد يتردد على البصرة ، واشتهر حتى اتهم بالزندقة والالحاد وبالميول الباطنية .

ويذكر التاريخ حادثة جرت له في بغداد كانت من الاسباب الرئيسية التي جعلته يعود الى معرة النعمان ، كان يوما في مجلس الشريف المرتضي ، وكان هذا يبغض المتنبي ، وكان المعري معجبا به يفضله على كل شاعر ، وجرى حديث المتنبي فتنقصه المرتضي ، وجعل يتتبع عيوبه ، فقال المعري : لو لم يكن للمتنبي من الشعر الا قوله : « لك يا منازل في القلوب منازل » لكفاه فضلا ، فغضب المرتضي فسحب برجله ، واخرج من مجلسه ، ثم قال لجلسائه :

أتدرون أي شيء أراد الأعمى بذكر هذه القصيدة ؟ فان للمتنبي ما هو أجود منها لم يذكرها ، فقالوا : السيد أعرف ، فقال : أراد قوله في هذه القصيدة :

---

(1) معجم البلدان ١٠٨/٣

واذا أتتك مذمتي من ناقص   فهي الشهادة لي بأني كاملُ

ويظهر أن المعري اشتاق الى والدته وقد بلغه مرضها ، وقلّ ماله ، فرحل الى المعرة والى ذلك يشير مخاطبا اخوانه وجماعته :

أثارني عنكم أمران : والدة   لم ألقها وثراء عاد مسفوتا

ولما رجع المعري الى المعرة وجد أن أمه قد فارقت الحياة ، وكان ذلك سنة ٤٠٠ هجرية ، فجزع لموتها ورثاها رثاءً مفجعاً باكياً ، وقال في مطلع ميميته المشهورة :

مضت وقد اكتهلت ، فخلت أني   رضيع ما بلغت مدى الفطام

ولزم داره معاهدا الله بأن لا يبرحها حتى يوافيه الأجل ، وسمى نفسه « رهين المحبسين » ، يعني حبس نفسه في المنزل ، وترك الخروج منه ، وحبسه عن النظر الى الدنيا بالعمى . وكان الطلاب والأدباء والرواة والعلماء والمتفلسفون يفدون عليه ليغرفوا من بحر علمه ، ويقتبسوا من روائع حكمته ، فغصت بيوت المعرة بمريديه ، ولم يعد بيته يستوعب هذا العدد الضخم من طلاب العلم ، فاضطر الى جعلهم حلقات مختلفة ، فريقاً يجيء وفريقاً ينصرف ، والمعري متربع لا يتزحزح الا حين تدعوه حاجة كالأكل والشرب . وقد أشار الى مدرسته هذه بقوله :

يزورني الناس هذا أرضه يمن   من البلاد وهذا أرضه الطبس
قالوا سمعنا حديثا عنك ، قلت لهم :   لا يبعد الله الا معشرا لبسوا
يبغون مني معنى لست أحسنه   فان صدقت عرتهم أوجه عبس
أعاننا الله ، كل في معيشته   يلقي العناء ، فدرّي فوقنا دبس

وعزلة المعري هذه لم تمنعه عن العمل . فقد نظم في هذا الدور لزومياته ، وألف أكثر كتبه ورسائله ، وتربع على عرش المجد العلمي والأدبي والفلسفي ، يزوره الأمراء ويخطب وده الملوك ، ويذكر الفيلسوف الاسماعيلي

ناصر خسرو الذي زاره في المعره أثناء رحلته الى مصر : « انه رجل ذو نفوذ عظيم في بلدته وذو غنى ينفق على الفقراء والمعوزين » • وحرَّم المعري على نفسه أكل الحيوان وما يشتق منه ، مكتفياً بالنبات والفاكهة والدبس ، وعاش عزباً الى أن مات سنة تسع واربعين واربعمائة هجرية بالمعرة ، وأوصى أن يكتب على قبره :

هـذا جنـاه أبي عليَّ   وما جنيت عـلى أحـد

وقيل ان الناس حزنوا لموته حزناً شديداً ، ووقف على قبره زهاء ثمانين ومائة شاعر فيهم الفقهاء والمحدثون والفلاسفة والمتصوفون •

ترك لنا هذا الشاعر الفيلسوف مؤلفات كثيرة في الشعر والأدب واللغة والفلسفة والدين ونقد المجتمع ، وقد ضاع أكثرها بسبب الحروب الصليبية ، وله رسائل كثيرة ، ولقد اعتبره النقاد لصدقه ونبله واخلاصه وتفانيه في مهاجمة الفساد في طليعة شعراء العربية وكتابها وفلاسفتها ومفكريها بالرغم من اسلوبه المعقد ، ومن مؤلفاته المشهورة : سقط الزند ، واللزوميات ، والدرعيات ، ورسالة الغفران ، وكتاب الأيك والغصون ، ويعرف باسم الهمزة والردف ، ويقع في مائة مجلد تبحث في الأدب وأخبار العرب والعلم ، ورسالة الملائكة ، وكتاب الفصول والغايات ، وكتاب معجز أحمد ، وهو شرح لديوان المتنبي ، وعبث الوليد ، وهو شرح لديوان البحتري ، وذكرى حبيب ، وهو شرح لديوان أبي تمام ، الخ ••

ولا بد لنا قبل أن ننهي كلمتنا هذه عن هذا الشاعر العبقري من أن تتعرض الى ناحية هامة في حياته ، وهي مذهبه وعلاقته بالدعوة الفاطمية ، أو بالأحرى بالمذهب الاسماعيلي ، والجدير بالاهتمام أن أغلب الذين كتبوا عن المعري قد أغفلوا هذه الناحية ، حتى طلع علينا أخيرا الأديب اللبناني الكبير مارون عبود في كتابه (زوبعة الدهور) ، فأكد أن المعري كان على صلة تامة بالفاطميين ، وكان من من كبار دعاتهم في سورية ، وذهب الى القول :

« فأبو العلاء هو الفاطمي العظيم الذي لم يرتد ساعة ، وان رأى فاطميو اليوم في كتابه ، بل في كتبه شيئا يستوقفهم لحظة فليذكروا أن شاعر الدعوة الأعظم كان قبل ما وصل اليهم من رسائل ، وأن عقلا كعقل أبي العلاء يحق له أن يفسر ويؤول كما فسر وأوّل غيره من رجال الدعوات والديانات الذين جاؤوا على آثار المؤسسين[1] » •

ويذهب الى أبعد من هذا فيقول : ان أبا العلاء قد ذهب الى بغداد للكشف عن أحوال الدعوة هناك ، واتصل بالجمعية السرية الفاطمية ، ودعم أقواله هذه ببعض العبارات التي جاءت في رسالة المعري التي كتبها الى أهل المعرة ، وقد ناقش هذه الرسالة فقرة فقرة فخرج منها على أن المعري كان من كبار أعلام الاسماعيلية ، واعتبر لزومياته كتابا خاصا في أصول المذهب الفاطمي •

هذا من ناحية ، ومن ناحية ثانية فقد تعرض الى اقامة الداعي الاسماعيلي اسماعيل التميمي في المعرة فقال : ان الامام الحاكم الفاطمي رأى أنه بحاجة الى شخص عالم كالمعري في دار الحكمة فأوفد الداعي التميمي وأمره أن يحضر مجالس المعري ويدرس عليه ، ثم يرغبه في الحضور الى القاهرة ليلقي الدروس على الدعاة في « دار الحكمة[2] » وبالفعل وصل التميمي الى المعرة وأخذ يحضر مجالس المعري دون أن يعرفه بنفسه وبالمهمة التي جاء من أجلها ، وأخيرا وبعد أن يتأكد التميمي من قوة حجج المعري وعبقريته الفذة يبسط بين يديه المهمة التي جاء من أجلها ، فيبتسم أبو العلاء ويقول له : كان ذلك قبل النذر ، خذ عني ما تشاء ، واكتب ماتشاء ، وخبر « الامام » بما رأيت وسمعت ، أما ذهابي الى القاهرة فهيهات فهيهات • هيهات أن يحمل عني مولانا الحاكم وزر يميني • نحن قوم ، وأنت من العارفين ، ندين بالصدق ، ومن

(١) زوبعة الدهور : مارون عبود : ص ٧٨ — ٧٩
(٢) المصدر نفسه : ص ١١١

يكذب على نفسه يكذب على الامام والاخوان ، والعياذ بالله ، واستمر الأخذ والرد طوال اقامة التميمي في المعرة ، وهو يدور حول الشيخ ويداوره ويأخذ عنه ، ويزين له الاقامة في القصر ودار الحكمة ، والشيخ ثابت لا يتحول ولا يتزعزع[1] • وأدرك التميمي ان ما يأخذه من علم الشيخ وما ينقله عنه الى مولاه خير وأبقى ، فكتب دفاتر كثيرة أملاها عليه الشيخ • واكب على الدفاتر التي لم تمل فأخذ منها ما شاء ولسان حاله يقول : أنا على سفر لا بد من زاد ••• والخلاصة عاد التميمي الى القـاهرة وأبلغ مولاه بأن المعري فضل البقاء في المعرة ، وعرض أمام الامام الحاكم كل ما تمكن من معرفته عن هذا العالم الكبير • ونحن من جانبنا نوافق الاستاذ عبود على أن المعري كان على صلة تامة بكبار دعاة الاسماعيلية الذين كانوا يترددون عليه من وقت لآخر ، باعتبار أن والده كان رئيسا للدعوة في معرة النعمان ، وممـا لاشك فيه أن المعري اعتنق هذا المذهب ، وأصبح من كبار الفلاسفة والدعاة الذين يعتمد عليهم في الجدل والمناظرات ، وباعتقادي أن المعري كغيره من فلاسفة الاسماعيلية حاول ادخال بعض النظريات والآراء في فروع فلسفة المذهب الفاطمي ، وهذا ليس بغريب على كل عاقل مفكر يسعى الى الأفضل والأكمـل •

* * *

---

(١) المصدر نفسه : ص ١١٤

أحمـد بن عبـد الله

(محمد التقي)

عرف عهد الأئمة الاسماعيلية المستورين بالخصب والانتاج ، ففي هـذا العهد بلغت العلوم الاسماعيلية الذروة ، وانتشرت الدعوة انتشارا منقطع النظير على أيدي دعاة علماء عرفوا بحججهم القوية ، وعبقريتهم الخلاقة المنتجة ، مما جعل الكثيرين من الملوك والأمراء وحكام المقاطعات يميلون الى اعتناق المذهب الاسماعيلي ، والى تقديم جميع الامكانيات والمساعدات الى الدعاة لنشر دعوتهم وتعميمها في جميع الأقطار الشرقية ، وفي عصر هذا الامام العالم المفكر بلغت الدعوة أسمى درجات الرقي والازدهار ، مما ساعد على تأسيس الخـلافة الفاطمية في المغرب التي كانت مقـدمة للخلافة الكبرى في مصر •

تدل المصادر الاسماعيلية السورية على أن ولادة الامام أحمد بن عبد الله ابن محمد بن اسماعيل المعروف (بمحمد التقي) أو (تقي محمد) كانت في سلمية سنة ١٩٨ هجرية •

وتسلم الامامة بعد وفاة أبيه عبد الله (الوفي أحمد) سنة ٢١٢ هجرية ، وكان في الرابعة عشر من عمره • اشتهر هذا الامام بكرمه النادر ، وعلمه الجم ، ونشاطه المستمر في سبيل نشر الدعوة • وكان حجته وباب أبوابه أحمد بن عبد الله بن ميمون القداح سـاعده الأيمن ورئيس مدرسة دعاته في سلمية ، وعرف الامام تقي محمد بكثرة التجول والتنقل ليشرف بنفسه على تفقد شؤون أتباعه وتنظيم دعوته ، وكان يختار بنفسه الدعاة الأكفاء فيوزعهم على جميع المدن والبلاد الاسلامية ، تجول في جميع المدن السورية

وذهب الى الري وهمذان وأزربيجان ، وقيل أنه ذهب الى استنبول حيث أدركته الوفاة سنة ٢٢٩ هجرية[1] .

ونحن نستغرب جدا أن يذكر بعض المؤرخين أن وفاته كانت باستنبول ونعتبر هذا القول مردود ولا أساس له من الصحة ؛ فالامام محمد التقي ظل يتجول متنقلا بين أتباعه في العراق وفارس وسورية حتى أصيب بمرض خطير فعاد الى سلمية حيث عقد مجلسا للدعاة ونص على امامة ولده (رضي الدين عبد الله) وتوجه الى مصياف للاستشفاء بناء على نصيحة طبيبه الخاص ، وفي مصياف توفي سنة ٢٢٩ هجرية ودفن في قمة جبل مشهد .

وتشير المصادر أن الدعوة ازدهرت في اليمن على يد ابن حوشب رئيس مدرسة الدعاة فيها ، وكذلك في فارس وكثير من بقاع العالم الاسلامي ، مما أثار مخاوف العباسيين بعد أن أخذ الضعف يدب في جسم الخلافة العباسية وأحاطت بهم الثورات من كل جانب ، وفي عهد هذا الامام انتقلت أنظمة الدعوة من دور التأسيس والتكوين وخلق المبادىء الى طور العمل .

* * *

(1) طائفة الاسماعيلية لكامل حسين ص ١٨ .

أحمد بن عبد الله بن ميمون القداح

الخدمات الجليلة التي قدمتها اسرة القداح للدعوة الاسماعيلية لا تقدر ولا يمكن للمرء مهما أوتي من قوة التعبير وحسن الاسلوب أن يستطيع تعداد تلك الخدمات التي كان لها أكبر الأثر في تركيز دعائم الدولة الاسماعيلية في المغرب ومصر ، وتعتبر أعمال آل القداح الأسس القويمة التي بنيت عليها أنظمة الدعوة الاسماعيلية .

ولقد لعبت أسرة آل القداح دورها الفعال في نشر الدعوة الاسماعيلية في مختلف بلدان العالم الاسلامي ، مما جعل أغلب المؤرخين يحيطون هذه العائلة العريقة باسماعيليتها بهالة من الالحاد والزندقة ، فيضفون عنها الروايات والقصص التي لا أساس لها من الصحة .

لذا جاءت الروايات كلها مضطربة متناقضة لا يمكن للمؤرخ المنصف أن يعتمد عليها في أبحاثه حول هذه الاسرة التي رافقت الدعوة منذ عهد الامام اسماعيل وحتى انتهاء دور الستر الأول بتأسيس الخلافة الفاطمية في المغرب ، وقد كان أغلب أبناء القداح نوابا وحججا للأئمة المستورين سموا بأسمائهم ليحيطوهم بستار كثيف من السرية خشية الأضداد ، مما حذا بالمؤرخين الى الخلط بين أسماء هذه الاسرة وأسماء أئمة دور الستر ، حتى أن بعضهم ذهب الى القول بأن الأئمة الاسماعيلية المستورين هم من ولد القداح .

تدل المصادر الاسماعيلية السورية التي اعتمدنا عليها في معلوماتنا عن هذا الداعي الكبير والفيلسوف العظيم على أن ولادته كانت في سلمية سنة ٢٠٤ هجرية ، وما كاد يبلغ أشده حتى انتسب الى مدرسة الدعاة في سلمية ، وبعد أن تخرج منها ، أظهر ذكاء نادرا ، ومقدرة علمية لا تجارى ، أوفده

حجة الامام عبد الله بن ميمون والده الى اليمن ، ومن ثم جعل مجاله الحيوي في العراق وفارس ، وكان يتردد على البحرين لتفقد شؤون الدعاة فيها .

ولما أعلنت وفاة أبيه (حجة الامام) عبد الله بن ميمون سنة ٢٦٦ هجرية انتخب من قبل رئاسة الدعوة في السلمية ليحل محل أبيه نظرا لما كان يتمتع به من مقـدرة علمية فائقة . فجاء الى السلمية حيث أصبح بابا من أبواب الامام المستور وحجة له .

قال الداعي أدريس عماد الدين[1] :

« كان حجة ثالث الأئمة المستورين أي الحسين بن عبـد الله بن محمد ابن اسماعيل تسلم من عبد الله بن ميمون ، فأصبح الحجة الجليل قدرها ، العظيم خطرها ، وأرفع الحجب وأسماها ، وألطفها وأعلاها » .

ولقد انتشرت في عهده الدعوة في كثير من البلدان الاسلامية ، وعرف بـ (أحمد الحكيم) ، ولقب كمـا تذكر المصادر (أبا الشلعلع) . اتصـل بالقرامطة فحسن العلاقات التي كانت قد ساءت بعض الشيء في عهد والده عبد الله ، وأخذ يتجول في كافة البلدان التي يقطنها الاسماعيليون ليشرف بنفسه على تنظيم الدعوة ، مستعينا على نشر دعوته بأعظم الدعاة وأعلمهم ، ولما عمت شهرته البلدان ، أثار مخاوف العباسيين فأخذوا يطاردونه ويقتفون أثره ؛ وما زال يتنقل من مكان الى مكان يلقي المحاضرات والمجالس في علم التأويل والفلسفة ، حتى استقر في آخـر أيامه في مركز الدعوة الرئيسي بالسلمية ؛ ومنها أرسل الداعي الحسين الأهوازي الى البحرين[1] . وقيل انه هو الذي أخذ العهود والمواثيق على الداعي علي بن الفضل وسيره الى اليمن لينضوي تحت لواء ابن حوشب ، كما وجه عناية خاصة لمركز الدعوة

---

(١) زهر المعاني : للداعي ادريس ص ٦٤ .

(١) شرف : تاريخ الاسماعيلية السياسي : ٤٨/١

في المغرب ومصر ، فعمل جاهدا على تنظيم تلك المـراكز ، فسارت الأمور كما ينبغي مما مهد الى انتشار الدعوة انتشارا عظيما في تلك البلاد .

وهكذا نرى أن هـذا الداعي الكبير قد استطاع بما كان يتمتع به من مقدرة علمية فائقة ورجاحة عقل أن يجني ثمار ما غرسه أبوه وجده ؛ ومما لا شك فيه أنه كان كثير التصنيف والتـأليف ، ولكن ومع مزيد الأسف الشديد ، ذهبت كل مؤلفاته كما ذهب غيرها من مؤلفات كبار رجال العلم والفلسفة الاسماعيليين .

وكانت وفاة أحمد بن عبد الله في سلمية سنة ٢٧٥ هجـرية ودفن في الجامع الكبير بقرب قبر الامام رضي الدين عبد الله .

* * *

أحمد بن عبد الملك بن عطاش

هو داعي العراقين[1] ومن أكبر علماء فارس وأعظم دعاة المذهب الاسماعيلي فيها . ولد في نيسابور حوالي سنة ٤٣٧ هجرية من أبوين اسماعيليين ، كان والده عبد الملك حكيما متعمقا في علوم الفلسفة والفقه ، فنشأ ابنه مقتديا به ، فأصبح في مدة وجيزة من الدعاة المشهورين ، فأوفده أبوه الى القاهرة سنة ٤٦٠ هجرية لينهي دراسته المذهبية[2] ، ومن ثم عاد الى الري حيث أصبح داعي دعاة العراقين فوصلها سنة ٤٦٤ هجرية وعرض عليه الحسن ابن الصباح فأعجب به كثيرا وأمره بالمسير الى مصر ، ومن دعاته المشهورين : أبو نظم ، والحسن الصباح ، وأبو مؤمن ، وغيرهم من الدعاة الأفذاذ الذين نشروا الدعوة في أزربيجان ودمشق وصيدا وعكا والطائف وغيرها من البلاد الأخرى .

وبذل جهودا جبارة في سبيل تأليف جيش اسماعيلي تمكن بواسطته من الاستيلاء على عدد من الحصون المنيعة بالقرب من أصفهان كقلعة (خالنجان) و (شيركو) و (خورخوس) وغيرهما من الحصون المنيعة التي أصبحت فيما بعد ، أكبر عون له في تحقيق أمانيه[3] ، فاستقرت أحواله واستتب الامن في مناطق نفوذه وعظم أمره ، وشيد مدرسة لتنشئة الدعاة القديرين والتلامذة

(١) العراق العجمي والعراق العربي .

(٢) المقصود من ارسال الدعاة الاسماعيلية الى مقر الدعوة في القاهرة لتلقي العلم وحضور المجالس التأويلية أولا ، ولزيارة الامام المفروضة على كل من بلغ أعلى المراتب . وهذه الزيارة مفروضة كالحج ، لأن الاسماعيلية يعتبرون زيارة الامام الحج الباطن ، وزيارة بيت الحرام الحج الظاهر .

(٣) البنداري : ص ٩٠ ، ٩٢ ، تاريخ الدعوة الاسماعيلية ص ١٨٥

المخلصين ، فوزعهم على مختلف المناطق فتمكنوا من استمالة ٣٠٠٠٠ من أهالي تلك البلاد ونتيجة لهذه الجهود تجمع الاسماعيليون من كل المناطق وفي احتفال مهيب توجوا ابن عطاش بتاج الذهب الخالص تقديرا لخدماته واعترافا بفضله وبما بلغته الدعوة على يديه من تقدم وازدهار .

شعر السلطان محمد السلجوقي بأن خطر الاسماعيليين وانتشار دعوتهم السريع أخذ يهدد دولته ويحيط ببلاده من جميع الجهات فأمر بتعبئة الجيوش لقتالهم وخرج بنفسه سنة ٤٩٤ هجرية فتمكن من اجتياح بعض المعاقل الاسماعيلية بعد أن دافعوا عنها دفاع المستميت وقتل منهم عدداً كبيراً . وسرعان ما وصلت النجدات من بقية القلاع فتمكنت من دحر الجيوش السلجوقية ، ولكن السلطان عاد لقتالهم ثانية بعد أن جمع فلول جيشه وزوده بالعتاد والمؤن والاسلحة الكثيرة وكان ذلك في شعبان سنة ٤٩٥ هجرية فطوقت جيوشه قلعة (شاه دزا) مقر القيادة الاسماعيلية ومركز ابن عطاش ويذكر ابن الأثير ذلك الحصار فيقول[1] : خرج السلطان محمد السلجوقي على رأس عساكر جرارة لقتال الاسماعيلية فحاصرهم في شعبان سنة ٤٩٥ هجرية وتجمع لحربهم جموع كثيرة فما أحاطوا بجبل قلعة (شاهدز) ورتب الأمراء لقتالهم فكان يقاتلهم كل يوم أمير ، فضاق الأمر بهم واشتد الحصار عليهم فاستبسلوا في معاقلهم ونفذت الأطعمة منهم ففتحت قلعتهم بعد حصار طويل وأخذ شيخ الجبل أسيرا في السجن ثم أمر به فشهر في جميع البلاد وسلخ جلده حتى مات . وقتل ولده كما أن زوجته فضلت أن تقذف بنفسها من أعلى القلعة فماتت .

* * *

(١) ابن الاثير : الكامل ١٠/١٠٨

اسلام شاه

(أحمد بن قاسم بن شمس الدين محمد)

أخذت موجات من الاسماعيلية الذين فروا من المغول بعد ما حل بهم من أهوال ومذابح تتوجه الى أزربيجان حيث كان يستقر الامام ، والى بلاد الشام والهند بصورة خاصة حيث أسسوا لهم مراكز دعوة في ملتان والسند ، والبنجاب وبامير ، وكشمير ، وهندكوش ، وكانوا يعملون على نشر دعوتهم سرا ، وامتهن أغلب هؤلاء المهاجرين التجارة والصناعة .

وما كاد الامام أحمد بن قاسم بن شمس الدين محمد يتسلم الامامة بعد وفاة والده قاسم شاه سنة ٧٧١ هجرية حتى وجه عناية خاصة لتنشئة الشبيبة الاسماعيلية تنشئة صالحة تمكنهم من السير بخطى سريعة نحو الرقي والازدهار(١) .

ولد الامام أحمد بن قاسم بن شمس الدين محمد في مدينة (قائم أباد) ، وتسلم الامامة سنة ٧٧١ هجرية ولقب (باسلام شاه) وجعل مقره موزعا على ثلاث مدن في فارس ، فكان يتنقل من (شهري بابك) الى (كاهاك) ثم الى (الديرشة) ليشرف على ادارة شؤون الاسماعيلية(٢) وجعل من قصوره في المدن الثلاثة مراكز علمية يؤمها طلاب العلم والمعرفة من مختلف البلدان الاسماعيلية ، وكان الامام اسلام شاه يشرف بنفسه على أمور التدريس عدا عن نخبة ممتازة من الدعاة العلماء الذين أظهروا مقدرة علمية في جميع

(١) نور مبين حبل الله المتين : جنارا : ص ٤٩٣ ، تاريخ الدعوة الاسماعيلية مصطفى غالب : ص ٢٣١ .

(٢) الشيعة في الهند : Hollister : ص ٣٣٣

المناظرات والمجادلات والمحاضرات التي كانوا يرتبونها في تلك المدارس ، وقيل ان الامام اسلام شاه تزوج من ابنة كلزار شمس نامي (خليفة بي بي).

ومن الدعاة المشهورين الذين عملوا بمعيته ، العلامة الكبير بيرصدر الدين ممثل الامام في الهند والبنجاب(١) وبير شمس الدين داعي دعاة كشمير والسند . وبالفعل تمكن هذان الداعيان من نشر الدعوة بشكل ملحوظ .

وتذكر المصادر التاريخية على أن علاقات الامام السياسية مع الملوك والأمراء كانت على ما يرام كونه لم يتدخل في الأمور السياسية بل كان ينفق الأموال الطائلة لانشاء المدارس وبناء المساجد ودور العبادة ، ومراكز الأجتماعات ، والدور الواسعة لايواء الفقراء والعجزة من أبناء جميع الطوائف على السواء .

ولما تعرضت ايران لغزو التتر بقيادة تمرلنك ، حاول الأخير أن يكسب ود الاسماعيلية فذهب لزيارة الامام اسلام شاه وقطع له وعدا بالمحافظة على أتباعه في كافة المناطق التي يقطنونها شريطة أن لا يقوموا بأي نشاط سياسي أو حربي .

وفي سنة ٢٩٥ هجرية اجتاحت جيوش تيمرلنك شيراز وقتل حاكمها (مظفري خاندان) فنصب تيمرلنك (أمير شيخ مرزا) الاسماعيلي حاكما لها مما ساعد على انتشار الاسماعيلية في تلك المنطقة .

وعلى العموم وصلت الاسماعيلية في عهد الامام اسلام شاه الى درجة علمية عظيمة خولتها لاحتلال المكان الفكري الأول في الهند ، والسند ، وكشمير ، وايران . وتوفي الامام اسلام شاه في مدينة (كوهك) سنة ٨٢٧ هجرية .

(١) نور مبين حبل الله المتين : جنارا : ص ٤٩٥ ، الشيعة في الهند : Hollister : ص ٣٣٤ .

الملك المكرم أحمد الصُّليحي

عُرف أبو علي أحمد المكرَّم بن علي بن محمود الصليحي الهمداني ملك اليمن في تاريخ الدعوة الاسماعيلية في اليمن ، شجاعا شهما جوادا ، وفارسا مقداما ، ومن أخلص دعاة الفاطميين ، وعلى يديه بلغت الدعوة الأوج ، وفيه يقول صاحب قلادة النحر[1]: « كان المكرم ضخما شجاعا ، وفارسا مقداما » . وقد منحه الامام المستنصر بالله الخليفة الفاطمي لقب (المكرَّم) في سنة ٤٥٦[2] وأصبح وليا لعهد أبيه بعد وفاة أخيه الأكبر محمد الأعزّ في هذه السنة . ولما عزم والده على الحج سنة ٤٥٩ هجرية أنابه عنه في حكم البلاد ، وكان قبل ذلك قد استعمله على الجند وما جاورها من البلاد ، ولما علم باغتيال أبيه الملك علي الصليحي في المهجم ، وأسر والدته الملكة السيدة الصليحية أسماء بنت شهاب وغيرها من نساء بني الصليحي ، وقتل خيرة رجال دولته ، احتار المكرَّم وكاد يُقضى على الدولة الصليحية قضاء مبرما ، لأن اعداءها لم يقفوا عند هذا الحد ، بل شرع المنافقون ينقضون العهود والمواثيق حتى أوشك أن يخرج أمر الصليحيين من كافة بلاد اليمن ، وبالحقيقة لم يبق لهم الاّ التعسكر ، الذي كان مطوقا من قبل العبيد ، كما حاصروا مالك بن شهاب الصليحي في حصن مسار .

وتآمرت القبائل من كحلان وهرّان وعنس وزُبيد ويَحْصب على الصليحيين ، وبلغت العدوى صنعاء نفسها حيث كان الملك المكرَّم يقيم مع المخلصين من أتباعه الذين لا يتجاوز عددهم على الستمائة من الحجازيين .

(١) ٢/٢ ورقة ٦٢٧

(٢) عيون الاخبار للداعي ادريس عماد الدين ج ٧٦/٧

لذا قرر المكرَّم أن يقاتل كل الذين خرجوا عليه من الأمراء والرؤساء والقبائل ، فأخذ يقوي عزيمة أتباعه ويثبتهم على الدين ويبشرهم بما وعد الله عباده الصابرين . وقد جاء على ذكر هذا الموقف صاحب عيون الأخبار فقال[1] : « .. وكان المكرَّم يثبت أصحابه على الدين ، ويذكرهم بما وعد الله به عباده الصابرين ، وبما ابتلى به مواليه الطاهرين ، ويتلو ما أنزل الله في كتابه المبين : « الم . أَحَسِبَ النَّاسُ أن يُتْرَكوا أن يَقولوا آمَنّا وهُمْ لا يُفْتَنونَ . ولَقد فَتَنّا الذينَ من قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الذينَ صَدَقوا ولَيَعْلَمَنَّ الكاذِبينَ » .

ولقد تمكن المكرم وأتباعه من رفع الحصار عن صنعاء وتتبعوا الاعداء ، فانتصروا في ناحية حَضُور انتصارا تنفسوا بعده نسيم الأمل ، « وحارب الأعداء في كل مكان ، والله يعطيه النصر ويبسط يده عليهم[2] .

ولقد فعل هذا النصر فعلا عجيبا في أتباع المكرَّم فشجعهم على الاستماتة في الدفاع عن دعوتهم ووجودهم كقوة فاعلة تؤمن بالحق والعدالة ، وسجل قائده اسماعيل بن أبي يعفر الصليحي بجهة (كُحلان وهِرّان) أكبر نصر عرفته تلك البلاد ، ومن وقتها بدأت الشدة التي حاقت بالمكرَّم تنقشع تدريجيا بفضل شجاعته وحسن قيادته ، وبسالة جيشه العربي وحكمة قواده الأبطال الغر الميامين ، فالتفت المكرَّم الى اعداد العدة لتحرير البلاد من المنافقين والخونة ؛ ولما علم قواده عامر بن سليمان الزواحي ومدافع بن حسن الجنبي وعمران بن الفضل اليامي والحسن بن عمر السنحاني وهم في طريقهم الى مكة لأداء فريضة الحج مع والده الملك علي بن محمد الصليحي[3] بالأمر قفلوا راجعين الى صنعاء وقد لاقوا في طريقهم صعابا كثيرة من

(١) عيون الاخبار للداعي ادريس عماد الدين ج ٩٣/٧

(٢) ص ٤٩ من مجموع الرسائل لحسين بن علي بن القم .

(٣) عيون الاخبار ج ٩٣/٧

الأعداء « فأوقعوا في طريقهم سبع عشرة واقعة ، في كلها يمنحون النصر على من عاداهم ، والظفر ببركة مولاهم[١] » .

وكان وصولهم الى صنعاء في وقت كان الملك المكرّم بأمس الحاجة الى نجدتهم ، ففرح بهم فرحا عظيما ، وخر ساجدا لله شكرا على وصولهم . « فلما اجتمعوا به تواصوا بينهم بالصبر على قتال الباغين المفسدين ، والمحاماة والجهاد عن الدين ، وتواصوا ألا يطالبون الملك المكرم بدينار ولا درهم حتى يظفر بالعبيد ، وينال منهم ثأره بمدينة زبيد ، وتعاقدوا على ذلك وعاهدوا الله سبحانه[٢] ». وتتيجة لهذه الانتصارات أخذ أنصار المكرّم يلتفون حوله فنظم صفوفهم وهو المعروف بحسن قيادته وتدبيره ، وقوة عزيمته ورأيه الصائب ، وصمم على الأخذ بالثأر معتمدا على الجموع التي بدأت تلتف حوله ، كما عزم على تخليص والدته السيدة أسماء من الأسر . فبادر الى ارسال قائده عامر بن سليمان الزواحي على رأس قوة ضاربة الى بلاد حمير لاصلاح الفساد . فقاتل الثائرين قتالا شديدا ، وتتبعهم في السهل والوعر حتى استجاروا بالملك المكرّم في يوم السبت العاشر من ذي الحجة سنة ٤٥٩ هجرية[٣] .

وكذلك حقق قائده اسماعيل بن أبي يعفر الصليحي انتصارات عظيمة على أهل يحصُب ورُعَيْن بجهة كحلان وهِرّان ودانوا له بالطاعة بعد حرب ضروس[٤] مما ساعد على تقوية الروح المعنوية لجيش المكرّم فدفعهم الى انتصارات أخرى .

وبينما كان المكرّم وقواده مشغولين بمحاربة المناطق التي يسيطر عليها

(١) ٥٠ مجموع الرسائل لحسين بن علي بن القم .
(٢) عيون الاخبار ج ٩٤/٧ ، رسائل القم ٥١ .
(٣) نفس المصدر ج ٩٤/٧ .
(٤) عيون الاخبار ج ٩٤/٧

الأعداء ظهرت في الأفق فتنة داخلية شغلتهم فترة من الوقت ، وهي الحركة التي قام بها الأمير الداعي حمزة بن أبي هاشم بن عبد الرحمن بن يحيى الحسني في سنة ٤٥٩ هجرية بعد أن التف حوله فريق الناس وبايعوه على القيام بدعوته . فقام هذا الداعي مدعيا الامامة ، وسمى نفسه أمير المؤمنين ، فجمع حوله القبائل وزحف الى صنعاء بخمسمائة فارس وخمسة عشر ألف راجل[١] الى أن بلغ الملوى[٢] فأرسل المكرّم يدعو قائده عامر بن سليمان الزواحي فوصل في صبيحة الثلاثاء التاسع عشر من ذي الحجة سنة ٤٥٩ هجرية في خمسمائة من حمير ، وتوجه من صنعاء برفقة القائد أحمد بن المظفر الصليحي فوافوا الداعي الشريف بالملوى ووقع قتال بين الطرفين فانهزم أتباع الشريف وتركوه مع ولده فقتلا مع زعماء القبائل من أتباعهما . ويذكر الداعي ادريس هذه الموقعة فيقول[٣] : « فما انجلت الموقعة الا عن ثمانمائة قتيل من أصحاب الشريف » . وفي هذا النصر وفيما كان من أمر يحصُب ورعين قال الشاعر عمر بن يحيى الهيثمي :

لك الله ، ذا السَّيفين يكلأ ناصر

فمجدك بعد الأوْحد الملْك قاهر

وبعد هذه المعركة الجبارة عمد المكرّم الى استئصال كافة العناصر المعادية وضربهم بقوة فأوفد قواده : أحمد بن المظفر الصليحي واسماعيل ابن أبي يعفر الصليحي وعامر بن سليمان الزواحي الى حراز ، لفك الحصار عن حصن مسار حيث كان به مالك بن شهاب الصليحي ، فتمكنوا من استمالة بعض القبائل في طريقهم وقدموا فروض الطاعة ، وبعد أن تم لهم فك الحصار عن

(١) يقول الداعي ادريس في عيون الاخبار ج ٩٥/٧ انهم ثمانية آلاف راجل وعدد كبير من الخيل .
(٢) الملوي في بلاد أرحب .
(٣) عيون الاخبار ج ٩٥/٧

حصن مسار أقاموا فيه ثمانية أيام أخذوا خلالها العهود والمواثيق على القبائل المجاورة ، ثم توجهوا لمحـاربة بكيل فبلغهـا جيش المكرّم في أول محرم سنة ٤٦٠ هجرية ونشبت معارك ضارية احتلت على أثرها بكيل واستقرت الأمور في تلك الجهات ، فعاد القواد الثلاثة الى صنعاء تكلل هاماتهم أكاليل الظفر والنصر .

وبعد القضاء على الثـائرين والمنتفضين استقرت الأمور وثبتت أقدام الدولة الصليحية فقرر الملك المكرّم أن يتوجه لتخليص والدته من الأسـر بعد أن وصله كتاب منها تطلب فيه الاسراع لانقاذها ، فجمع الناس وخطب فيهم فقال : « من يكن يرغب في الحياة فلا يكن معنا[١] » وما زال يخطب حتى انضم اليه جماعة كثيرة من العـرب فخرجوا قاصدين العبيد في زبيد وكان ذلك يوم الجمعة التـاسع عشر من شهر صفر من نفس السنة ، وترك المكرّم في صنعاء اسماعيل بن أبي يعفر الصليحي نائبا عنه ، ومعه جماعة من أهل الحجاز وأهل حراز .

وفي يوم الاربعاء لست بقين من شهر صفر خرج المكرّم من قرية العَمَد في عشرة آلاف راجل وفارس[٢] فوطىء تهامة حتى شرقي زبيد فعبأ جيشه ونظمه خير تنظيم ثم أقبل على العبيد وكانوا ستة كراديس وعـددهم ثمانية عشر ألفا فقاتلهم قتالا شديدا حتى هزموا شر هزيمة فجالت عليهم الخيل فانطحنوا طحن الرحى وأتى القتل على أكثرهم[٣] وكان سعيد الأحول قد أعد خيلا مضمرة على الباب الغربي المسمى بباب النخل ، فهرب مع من سلم من أعوانه الى البحر ، وقد أعدت له سفن هنـاك فركبها وسار نحو جـزيرة دهْلك[٤] واحتلت جيوش المكرّم زبيد فتوجه المكرّم الى المنزل الذي تقيم

(١) قرة العيون لابن الديبع ورقة ٢٣
(٢) ٥٥ مجموع رسائل ابن القم .
(٣) الكفاية ٥٠ والاعلام للخزرجي .
(٤) با مخرمه : ثغر عدن ٨/١

به والدته ووقف تحت الرأسين المصلوبين[١] قرب طاقة الملكة فقال وقد أبصر والدته من الطاقة : « أدام الله عزك يا مولاتنا ! » فقالت : « مرحبا بأوجه العرب » . ثم سألته وكانت لا تعرفه من أنت ؟ فقال لها : « أنا أحمد بن علي ابن محمد » . فقالت : « ان أحمد بن علي في العرب كثير ، فاحسر لي عن وجهك حتى أعرفك » ففك اللثام عن وجهـه . فقالت : « مرحبـا بمولانا المكرّم ! من كان مجيئه كمجيئك فما أخطأ ولا أبطأ » . ثم دخل رؤساء العرب فسلموا عليها وقد كشفت عن وجهها ، وكانت هذه عادتها أيام زوجها لسمو قدرها عمن يحتجب عنه النساء[٢] وقد نزل المكرّم عن ظهر جواده ، وسجد لله شكرا على ما أحرزه من نصر ، وعفّر خده في التراب ، وأحرقت الدار التي استعصم بها العبيد[٣] ودخل المكرّم زبيد وأمر أتباعه بأن يحافظوا على حريم بني نجاح كما أطلق من وقع بيده من أولاد العبيد . وبهذا قال عمارة[٤] : « ونادى منادي المكرّم يومئذ برفع السيف بعـد الفتح وقال للجيش : « اعلموا أن عرب هذه البادية يستولدون الجواري السود فالجلدة السوداء تعم العبد والحر » .

ولقد اكتفى المكرّم بتخليص والدته وأقاربه من الاسر وعامل النـاس بالحسنى حتى ملك قلوبهم فأحبه الموالي والمعاند ، وآثروا الخضوع اليـه لا خوفا من بطشه ، بل رغبة في شهامته ، وقبل أن يغادر زبيد نقل الرأسين من مكانهما وبنى عليهما مشهدا وفي ذلك قال عمارة :

« أنا أدركت مشهد الرأسين » وأقام أياما مهد فيها قواعد البلاد ، وأقام

(١) رأس علي الصليحي وأخيه عبد الله ، نقلهما من امام دار شحار بزبيد الى مكان الدفن في صنعاء . رسائل القمي ٢٦
(٢) عمارة/كاي ٢٦ ، الكفاية والاعلام للخزرجي ٥٠ .
(٣) عيون الاخبار ج ١٠٠/٧
(٤) عمارة/كاي ٢٦ .

رسم الدعوة الهادية على العادة الجارية[1] وقفل عائدا الى صنعاء في الثاني عشر من ربيع الاول سنة ٤٦٦ هجرية .

ولما وصل المكرّم الى صنعاء وجد الوالي اسماعيل بن أبي يعفر الصليحي قد اشتدت علته ،ولم يمهله المرض سوى عشرة أيام حتى وافاه الأجل ، فحزن المكرّم لفقده ، وعين مكانه ابنه عبد الله ، وأخذ المكرم يعالج أمور المملكة التي تعقدت أثناء غيـابه ، فأصلح ما أفسده الطامعون ، وقضى على الفتن والثورات ، فعم الهدوء أنحاء المملكة ، وفي شهر رمضان سنة ٤٦١ هجرية فكر في القضاء على سعيد الأحول ليستريح من شره فاستنهض العرب لقتاله ، وبالفعل سار الى زبيد وحاصر سعيد الأحول الذي كان يعتصم في الجبال فحمل عليهم وهزم العبيد هزيمة منكرة ، وأدرك رجل من رجاله سعيد الأحول فقتله عند قرية مابة[2] وأتى برأسه الى الملك المكرّم[3] .

وبعد القضاء على الأحول ولى المكرّم على زبيد السلطان أبا حمير سبأ ابن أحمد المظفر الصليحي وكلفه بملاحقة فلول جياش بن نجاح الذي تمكن من الفـرار ، وعاد الى صنعاء حيث وصلته السجلات المستنصرية المتضمنة تشريفات وزيادة في الألقاب لما حققه من نصر للخلافة الفاطمية .

وفي سنة ٤٦٧ هجرية توفيت والدته أسماء بنت شهاب في صنعاء .

والخلاصة أن الدعوة الاسماعيلية بلغت أقصىدرجاتالازدهار والانتشار في عهد هذا البطل المجاهد المنافح ، وقد قدّر له امامه المستنصر بالله هـذه الانتصارات فلقبه بـ (ذي السيفين) و (داعي السيف) . ويذكر التـاريخ أنه كان فارسا مقداما ، وجوادا همـاما ، فصيحا خطيبا مشهورا بالثبات

(١) عمارة/كاي ٢٦

(٢) مابة : قرية في راس جبل بني الحارث ، ومتصلة بجبل الشعر مباشرة .

(٣) عيون الاخبار ج ١١٣/٧ .

والاقدام ، ولم يكن في زمانه من يتعاطى حمل رمحه وسيفه وقوسه وشدة قوته وعظيم خلقته .

وفي أواخر أيامه نقل مقره الى (ذي جبله) بعـد أن عين على صنعاء عمران بن الفضل اليامي وأبا السعود بن أسعد بن شهاب ، واستقر بدار العز التي بناها ، وبعد أن أقام بها مدة اشتد عليه مرض الفالج الذي أصابه في زبيد فأشار عليه الاطباء أن يحتجب عن الناس لذلك السبب[1] فترك ذي جبله وطلع الى حصن (التعكر) بعد أن فوض شؤون ادارة الملك لزوجته السيدة أروى الصليحي . وتوفي في جمادى الأولى سنة ٤٧٧ هجرية .

* * *

(١) عيون الاخبار ج ١٢٢/٧ .

أبو الفوارس
أحمد بن يعقوب

يكتنف تاريخ الدعوة الاسماعيلية في سورية الغموض الشديد ، ولا بد للباحث المنقب حول هذا الموضوع من أن يبذل جهودا كبيرة جدا عله يحصل على بعض المعلومات التي تنير له الطريق لمعرفة نشاط الدعاة السوريين الذين كانوا يعيشون بالستر والتقية ، ويحرصون أشد الحرص على أن تظل مؤلفاتهم بعيدة عن أيدي كل من ليست له علاقة بالدعوة ، مما أدى الى ضياع أكثر مؤلفاتهم ؛ ونستطيع أن نؤكد لكل باحث يرغب في الغوص الى أعماق معظم المخطوطات الاسماعيلية السورية بأنه لن يجد فيهـا الا الاشعار والقصائد والأراجيز التي لا تثمن ولا تغني من جوع . أما فيما يتعلق بترجمة حيـاة بعض الدعاة السوريين فدونه خرط القتاد .

وباعتقادي أن جميع الكتب التي تبحث في تاريخ الدعوة قد فقدت كليا ، أو أحرقت نتيجة للنكبات التي حلت بالاسماعيليين السوريين .

ومهما يكن الأمر فقد عثرنا على ترجمة موجزة عن حيـاة هذا الداعي الكبير ضمن مخطوط اسماعيلي سوري نادر جدا لدى بعض الاسماعيلية في نهر الخوابي ، وقد جاء فيه ما يلي[1] :

« سيدنا الداعي الأجل الشيخ أبو الفوارس أحمد بن يعقوب صاحب كتاب (بيت الدعوة) الاسماعيلية ، المـولود سنة ٣٦٠ هجرية في مدينة طرابلس الشام ، وفد على دار الدعوة في القـدموس ، وكان من المصلين

(١) كتاب الازهار مخطوط اسماعيلي ، مؤلفه مجهول فيه أشكال والوان ورقة ٢١٧

العارفين بأمور الدعوة وطرقها ، فأقام مدة عندنا يعلم القـرآن ، ويدرس الصبيان أصول الدين ، وكان رضي الله عنه ، يلبس الجبة ، والعمامة الخضراء ، وقد ذكر أنه قادم من لدن مولانا الامام الكريم الحاكم بأمر الله ، الغفور الرحيم في مصر حيث درس هناك أصول الدين الاسماعيلي ، وتشرف بحضرة مولانا وامامنا ، حاكم الحكام ، وسيد الأنام لذكره السجود ، فأمره أن ينضم الى المشايخ ، والدعاة في بلاد الشام ، فوصل الى فلسطين ومنها الى طرابلس الشام ، وطرطوس ، واللاذقية ، ثم وصل الى القدموس ، وقال رحمة الله عليه أنه قبل أن يذهب الى السدة السنية ، والمرتبة العلية السرمدية ، في القاهرة المعزية ، درس العلوم الأولية ، في معرة النعمان لمدة ثلاث سنوات ونصف .

وفي القدموس تغلب سيدنا الشيخ على جميع مشايخ النصيرية ، عندما تبارزوا سوية ، وسألوه ستين مسألة عن الامامة الرضية ، ذات الانوار العلية ؛ وبعد هذه المناظرة بسنتين علمنا بغيبة الامام الحاكم ، وبعد مدة سنتين مرض الشيخ ومات ، وقبرناه بعد الصلوات » .

ومن ذلك يتضح لنا أن وفاته كانت سنة ٤١٣ هجرية ، لم يذكـر له الا مؤلفان فقط وهما :

١ — كتاب (بيت الدعوة الاسماعيلية[1]) و (رسالة الامامة[2]) وله قصائد واراجيز في كتب متفرقة .

* * *

(١) هذا الكتاب موجود في مكتبتنا الخاصة ويبحث في التجريد والتنزيه والتوحيـد ....

(٢) ذكرها ايفانوف في كتابه المرشد الى أدب الاسماعيلية ص ٤٧ . والظاهر انها تضم مسائل الشيوخ النصيرية ، ورده عليها .

اخوان الصفاء ، وخلان الوفاء

البحث في جماعة اخوان الصفاء بحث معقد طالما تضاربت الآراء فيه ، وتنوعت الأبحاث حوله ، فملأ الدنيا وشغل العلماء والمؤرخين حقبة طويلة من الزمن ، ولا يزال حتى الآن مثارا للجدل والتخمين والاستنتاج العقلي الذي قلما يكشف الستار عن حقيقة هذه الجماعة التي أحاطت نفسها بسياج متين من الكتمان ، فلم يتركوا في رسائلهم الفلسفية ما يكشف عن أسمائهم ، وفي ذلك يقولون : « اننا لا نكتم أسرارنا عن الناس خوفا من سطوة الملوك ذوي السلطة ، ولا احترازا من شغب جمهور العوام ، ولكن صيانة لمواهب الله عز وجل لنا[1] » . وتشددوا في تداول رسائلهم فيقولون لمن حصل على هذه الرسائل : « وليتحرز في حفظها واسرارها واعلانها واظهارها كل التحرز ، ويحرسها غاية الحراسة ، ويصنها أحسن الصيانة[2] » . وهذا الكتمان الشديد الذي رغبوا فيه زهدا في الشهرة وحرصا على حياتهم المهددة من الحاكمين في ذلك العصر المضطرب ، مما جعل الناس يحتارون في أمر هذه الجماعة وفي الرسائل التي صنفوها ، ومع هذا فقد نالت فلسفتهم قبولا عظيما لدى العرب ، فراجت رسائلهم رواجا منقطع النظير ، لأن الوقت الذي ظهروا فيه كانت الفتنة بين السنة والشيعة على أشدها ، والقلق الاجتماعي كان قد تسرب الى الطبقات الكادحة العاملة ، بعد أن تجمعت الثروات والسلطات في أيدي جماعة من الفاسدين الذين جعلوا هدفهم ارهاق الضعفاء واذلالهم ، فتعددت الانتفاضات الاجتماعية ، ونشطت الجماعات الناقمة والمظلومة فسعت لبلوغ غايتها وتحقيق أهدافها عن طريق اعداد الأذهان لثورة فكرية

(1) رسائل اخوان الصفاء ج ٤ ص ٢١٥
(2) رسائل اخوان الصفاء ج ١ ص ٢٠

لاهبة ، وكانوا الجماعات السرية التي نشطت آنذاك وعمموا أفكارهم وبثوها بين طلاب الحكمة ورواد المعرفة .

ومن أجل هذا الكتمان الشديد حار الناس في أمر هذه الجماعة قديما وحديثا ، فيقول القفطي في تاريخ الحكماء : « ولما كتم مصنفوها ـ أي الرسائل ـ أسماءهم ، اختلف الناس في الذي وضعها ، فكل قوم قالوا قولا ، بطريق الحدس والتخمين ، فقوم قالوا : هي من كلام بعض الأئمة من نسل علي بن أبي طالب ، واختلفوا في اسم الامام الواضع لها اختلافا لا يثبت له حقيقة[1] » . وقال آخرون : هي تصنيف بعض متكلمي المعتزلة في العصر الأول ، ورأى غيرهم أنها من تأليف الحكيم المجريطي . ويقول أحد الكتاب المحدثين ما نصه بالحرف الواحد : « في وسعنا القول ان اخوان الصفا علويون وباطنيون واسماعيليون ومعتزلة وفيثاغوريون ، وأفلوطينيون ومجوس[2] » . كل هذه التخمينات والاستنتاجات دفعتنا لمعالجة الموضوع على ضوء الأدلة الدامغة المستقاة من (رسائل اخوان الصفاء) وغيرها من المؤلفات الاسماعيلية ، وسنبين أن هؤلاء الحكماء ينتسبون الى الاسماعيلية ويعتبرون بحق من المؤسسين للمذهب الاسماعيلي . ولا نهدف من وراء ذلك سوى كشف الستار عن موضوع غامض يشكل أهمية كبرى في الدراسات الفلسفية الاسلامية ، والواجب العلمي يفرض بحث الأمور على ضوء التجرد وايراد الحقائق خالية من الشوائب ؛ وفي مرقى من الشك .

قال الداعي نور الدين أحمد صاحب كتاب فصول وأخبار[3] : أما الامام (عبد الله بن محمد) فقد ظهرت في عهده أحكام الشريعة والحقيقة والدين ،

(1) مقدمة زكي باشا على الرسائل ج ١ ص ٢٢
(2) اخوان الصفاء لجبور عبد النور ص ٢٤ .
(3) « كتاب فصول وأخبار » مخطوط اسماعيلي للداعي السوري نور الدين أحمد المولود (٨١٧ هـ) المتوفي سنة (٨٤٩ هـ) .

وكان قمر دولة بني العباس كل يوم على مزيد ، وقد أرسلوا الى (سلمية) جيوشا جرارة للقبض على الامام والتنكيل بأحفاد محمد وعلي ، لكنهم لم يتمكنوا من ذلك ، أما الامام « عبد الله بن محمد » فقد كان سريع التنقل من (المعرة) الى (حماه) الى (حمص) الى (الشام) الى (مصياف) وغيرها من البلدان الشامية التي كان له فيها دعاة ينادون باسمه ويدعون له ، ولما علم بما آلت اليه الشريعة في عهـد العباسيين من الانحطاط والضعف شرع بتأليف كتاب (رسائل اخوان الصفاء وخلان الوفاء) وهو كتاب وضعه لتأييد الشريعة والحقيقة معا وقد أمر حدوده الأربعة « الحُرم[1] » وكان مقـرهم في (سلمية) وهم أقرب الحدود اليـه أن يكتبوا ما ينصه عليهـم ويصل منه اليهم ، فأخذ كل واحد بكتابة ما يشير به عليه من العلوم أو يرسله اليه اذا كان غائبا في مكان بعيد حتى جاء عدد رسائل الكتاب مطابقا لعدد ركعـات صلوات الفريضة والسنة والنوافل . فالصلوات الخمس احـدى وخمسون ركعة كما جاء في الناموس تضاف اليهم ركعتان جلوس في صلاة العشاء ومقامهما مقام ركعة واحدة يصليهما المصلي وهو جالس على ركبتيه فيصير المجموع اثنتين وخمسين ركعة . وأما حقيقة هذه الصلوات فتنطبق على التعاليم الاسماعيلية الفقهية للصلاة كما وردت مفصلة في كتـاب « دعائم الاسلام » للقاضي الفقيه (النعمان بن حيون المغربي[2]) ودعائم الاسلام هو قانون المذهب الاسماعيلي الفقهي ودستور الاسماعيلية ، قال النعمان :

« وعن جعفر بن محمد (صلعم) انه قال : ما أحب أن أقصر عن تمام احـدى وخمسين ركعة في كل يوم وليـلة . قيل : وكيف ذلك ؟ قال : ستة ركعات قبل صلاة الظهر وهي صلاة الزوال وصلاة الأوابين حين تزول

---

(١) الحرم هم الدعاة الاربعة الذين يرافقون الامام ، وهم المطلعون على كل أسرار الدعوة وعددهم مطابقا لعدد الشهور الحرم .

(٢) دعائم الاسلام جـ ١ ص (١٦ – ١٨٩ – ٢٤٦ – ٢٥٠)

الشمس قبل الفريضة وأربع بعد الفريضة وأربع قبل صلاة العصر ثم صلاة الفريضة ولا صلاة بعد ذلك الى غروب الشمس ويبدأ في المغرب بالفريضة ويصلى بعدها صلاة السنة ستة ركعات وأربع ركعات قبل العشاء الآخرة وصلاة الليل أربع ركعات بعد صلاة العشاء الآخـرة وثلاث ركعات للوتر وركعتان من جلوس بعدهما تعدان بركعة واحدة . لأنّا روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال : صلاة الجالس لغير علة على النصف من صلاة القائم وركعتا الفجر قبل صلاة الفجر فذلك أربع وثلاثون ركعة مثل الفريضة والفريضة سبع عشرة ركعة فصار الجميع احدى وخمسين ركعة في كل يوم وليـلة » .

وهذه النصوص الفقهية التي أوردها القاضي النعمان في قانون المذهب الاسماعيلي تكاد تكون مطابقة لما قصده (اخوان الصفاء) بقولهم : « الصلاة دائرة ناموسية دينية ظاهرة والرسـائل دائرة علمية ناموسية حقيقية ، وفي الدائرة الناموسية الدينية صورة لما في الدائرة العلمية . كما أن في الدائرة العلمية معرفة ما في الدائرة الدينية الناموسية » . وهذا القول مطابق لنظرية المثل والممثول الاسماعيلية .

وقيل ان الامام « عبد الله بن محمد » عندما جعل عـدد رسائل اخوان الصفاء اثنين وخمسين رسالة وضعها لحكمة وطبقها على عدد حروف اسمه بحساب (الجمل) وهـذا النوع من الحساب أول من استعمله في العهود الماضية هم « الاسماعيليون » .

واليك المثـال :

ع ب د ا ل ل ه ب ن م ح م د = عبد الله بن محمد

٧ ٢ ٤ ١ ٣ ٣ ٥ ٢ ٥ ٤ ٨ ٤ ٤ = ٥٢

ويقول الداعي الاسماعيلي أبو المعـالي[1] : « فلما انتقل الامام محمد ابن اسماعيل الى دار البقاء تسلمها ولده المستور أحمد الوفي وهو أول من ستر نفسه عن الأضداد من أهل عصره المخالفين ، لأن زمانه كان زمان فترة ومحنة ، وكان المتغلبون من ولد بني العباس يطلبون من يشار اليهم منهم حسدا وبغضا لأولياء الله تعالى فأوجب ذلك الاستتار المعروف للأئمة وكنيت الدعاة بأسمائهم تقية عليهم مما هم فيه ويليق بهم وتاهت فيهم أولو الضلال حتى قالوا ان الامام من ولد محمد بن اسماعيل هو (عبد الله بن ميمون) المعروف بقداح الحكمة وزيد الهداية ، وزعم البعض أنه لا (عبد الله بن سعيد ابن الحسين) أو (عبـد الله بن مبـارك) أو (عبد الله بن حمـدان) وان هؤلاء الأربعة قد اجتمعوا مع غيرهم وصنفوا رسائل طويلة في شتى العلوم والفنون عددها اثني وخمسون رسالة » .

ويحدثنا الداعي الاسماعيلي ادريس عماد الدين[2] فيقول : « وقام الامام التقي أحمد بن عبد الله بن محمد بن اسماعيل بعد أبيه بأمر الامامة وبث دعاته في الآفاق من سلمية ، واتصل به الدعاة ودعوا اليه وهم مخفون لمقامه كاتمون لاسمه .. وكان المأمون حين احتال على (علي بن موسى الرضي بن جعفر) ظن أن أمر الله قد انقطع وحجته عن الارض قد ارتفعت ... فحين ظن المأمون العباسي ذلك الظن ووهم ذلك الوهم سعى في تبديل شريعة محمد صلى الله عليه وسلم وتغييرها . وان يرد النـاس الى الفلسفة وعلم اليونانيين ... وخشي الامام عليه السلام أن يميل الناس الى ما زخرف المأمون عن شريعة جده فألف رسائل اخوان الصفاء . وهـذه فهرست الرسائل التي ألفهـا « الامام » جمع فيها أنواع العلوم الفلسفية والهندسية وجعل « الجامعة » هي منها الغاية التي يتبين منهـا المراد ويتضح المعنى للمرتاد وقصرها على

(١) رسالة الاصول والاحكام للداعي ابو المعالي حاتم بن عمران بن زهرة .

(٢) كتاب عيون الاخبار للداعي اليمني ادريس عماد الدين ج ٤ ص ٢٢٩

خلصاء شيعته وخيرة خاصته ... وانما ألف الامام أحمـد تلك الرسائل لتقوم الحجة على المأمون وأتباعه حين انحرفوا عن علم النبوة ، ثم ان الامام أمر أن تبث تلك الرسائل في المساجد ... فحين وقع عليها الناس رفعت الى المأمون فعلم انه لم يضع شيئا وان امارته من قطع حبل الامامة لا يكون » .

وقال الداعي الاسماعيلي شرف الدين[1] : « حتى همّ المتسمى بالمأمون أن يرد الأمة الى دين القول بالنجوم وقال ما جاء محمد صلى الله عليه وسلم الا بناموس ملك به الناس وحقيقة وأساس حتى اظهر ولي الله وابن رسول الله (رسائل اخوان الصفاء) وفيها ما تحير فيه جميع العالم من العلوم في كل فن والاستشهاد على شرعة الرسول وهو صلى الله عليه وسلم ، ان ذلك في كهف التقية مستتر ودعاته البـاقون متفرقون لتلك الرسـائل في كل شهر وقطر ... فرجع اللعين عما هم به من ذلك ، وجاء في كتاب قلائد الجواهر[2]:

« ان العلامة الفهامة أحمد بن عبد الله هو مصنف اثنين وخمسين رسالة موسومة باخوان الصفاء وخلان الوفاء » .

ويؤكد المستشرق كازانوفا[3] أن آراء الاسماعيلية الفلسفية توجد كلها في رسائل اخوان الصفاء ، وكلاهما يتفق في القول بالامام المستور والمهدي المنتظر .

ويذكر المستشرق M. C. Defremory[4] أن سنان بن سليمان الملقب براشد الدين ، وهو من أجلّ وأفخم رؤساء الاسماعيلية قد خـدم في (ألموت)

(١) شرف الدين جعفر بن محمد بن حمزة في الرسالة الموقظة .

(٢) قلائد الجواهر باللغة الفارسية ص (٢٧) .

(٣) في مقال اه في المجلة الاسيوية ص (١٥١ — ١٥٩) ١٨٩٨ عنوانه :
Sotice sur un Manuscrit Sela secte ses assosains

(٤) في مقال له في المجلة الاسيوية عدد يناير سنة ١٨٥٥ ميلادية عنوانه : « بحث جديد على الاسماعيلية الباطنية بالشام في علاقاتهم مع ممالك الافرنج » .

المقدمين الذين كانوا قبله ، وزاول علوم الفلسفة ، وأطال نظره في كتب الجدل والخلاف وأكب على مطالعة رسائل اخوان الصفاء .

ويقول ماكدونالد[1] : لقد تلقى الاسماعيلية تعاليم اخوان الصفاء ، وزادوا فيها في حصونهم الجبلية ومقر قواهم ، ويجب أن نكون على ذكر أن الاسماعيليين لم يكونوا عصابات من اللصوص تنشر الرعب بأساليبها الشنيعة ولكن كلا الفريقين الشرقي والغربي قد عكف على العلم وربما وجد في حصونهم الجبلية أصدق مظاهر التفاني في طلب العلم الصحيح ، وحينما استولى المغول على قلعة (ألموت) وجدوها غنية برسائل اخوان الصفاء وبآلات هندسية ورياضية وفلكية من كل نوع .

وقال الدكتور حسين الهمداني[2]: ان الاسماعيلية يرون القرآن الكريم كتاب العامة ، ويرون رسائل اخوان الصفاء كتاب الأئمة .

ويحدثنا عمر الدسوقي[3] فيقول ان الشيعة الاسماعيلية المعاصرين يعتقدون أن مؤلف رسائل اخوان الصفاء أحد الأئمة من آل البيت ، وأن هذا الامام هو أحمد بن عبد الله بن محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق واعتقادهم هذا يدل على ما لرسائل اخوان الصفاء عندهم من منزلة رفيعة ، وانها تحوي تعاليم الطائفة .

وقال الداعي ادريس عماد الدين[4] : فقام الامام أحمد بن عبد الله صلوات عليه بأمر الله ووحيه وهو الثاني من الخلفاء وحجته « عبد الله ابن ميمون » وأحمد بن عبد الله ممثول النطقة في دورهم مقابل لنوح ثاني

(١) Muslim Theology p. 197

(٢) في مقال له في مجلة المعرفة السنة الاولى نوفمبر ١٩٣١ (ص ٧٩٧).

(٣) اخوان الصفاء للدسوقي ص ١٢١ .

(٤) زهر المعاني للداعي ادريس عماد الدين (١٧٠ — ١٨٢) .

النطقاء ولجده الحسين بن علي ثاني الاتماء ، فنشر العلوم ظاهرا وباطنا وصنف الرسائل وجعلها على العلوم الاربعة ثم جعلها ثلاثة وخمسين رسالة شاهدة له ودالة عليه لأن اسمه بحساب الجمل ثلاثة وخمسون .

وقال غلام أحمد القادياني[1] : ولما خشي الامام أحمد بن عبد الله أن يزيغ المسلمون عن الشريعة المحمدية الى علوم الفلاسفة ألف رسائل اخوان الصفاء وخلان الوفاء وجمع فيها من العلوم والحكمة والمعارف الالهية والفلسفية والشرعية .

وقال الاستاذ عارف تامر[2] : قد بينت بأدلة قاطعة مستقاة من رسائل اخوان الصفاء وخلان الوفاء نفسه ومن الرسالة الجامعة انتساب هؤلاء الحكماء المبرزين الى الاسماعيلية وصلتهم الوثيقة بها ، وقدمهم بالانتساب اليها ، وعراقة أصلهم بمعرفة اصولها وتعاليمها ، واعتبارهم من المؤسسين لهذه الرسالة الفلسفية العظيمة ، ومن المركزين لدعائمها القوية التي نهض عليها فيما بعد بناء فلسفي شامخ متين لا يزال حتى اليوم موضع دراسة واهتمام مفكري وعلماء العالم ، وهذه الفلسفة هي بالحقيقة الفلسفة الاسماعيلية التي بذر بذورها اخوان الصفاء .

وبعد أن بين علاقة اخوان الصفاء بالاسماعيلية وانتسابهم بصورة عامة اليها ، وناقش المصادر التاريخية الاسماعيلية الحديثة وقابلها مع ما ورد في الرسائل ذهب الى القول بأن الرسائل هي من تأليف الامام عبد الله بن محمد حيث أمر حدوده الأربعة الحرم[3] الذين هم « عبد الله بن ميمون المعروف

(١) رسالة العسل المصفى في تحقيق اسم مصنف رسائل اخوان الصفاء .

(٢) حقيقة اخوان الصفاء ص ٨ .

(٣) الحرم بالتعريف الاسماعيلي هم الدعاة الاربعة الذين يرافقون الامام ويسمون الابدال ومن بينهم (الباب) وهو أفضلهم ، وعددهم جاء مطابقا لعدد شهور الحرم وشمولهم فصول السنة .

بقداح الحكمة ، وعبد الله بن سعيد بن الحسين ، وعبد الله مبارك ، وعبد الله ابن حمدان » أن يكتبوا ما ينصه عليهم ويصل منه اليهم ، فأخذ كل واحد بكتابة ما يشير به عليه من العلوم أو يرسله اليه اذا كان غائبا في مكان بعيد ، وقبل أن تتم الرسائل أدركت الامام عبد الله بن محمد الوفاة فأتمها من بعده ولده أحمد بن عبد الله[1] .

وأخيرا تدل هذه الأقوال دلالة واضحة على أن رسائل اخوان الصفاء وخلان الوفاء هي من تأليف الامام الاسماعيلي المستور أحمد بن عبد الله الملقب بالوفي أملاها على دعاته الحرم وغيرهم من كبار رجالات الدعوة في ذلك العصر ، ومن المصادر التاريخية الاسماعيلية الحديثة يستنتج أن طائفة من العلماء الاسماعيلية قد اجتمعوا برئاسة رئيس الدعوة الامام أحمد ابن عبد الله في مدينة سلمية نحو سنة ٢٠٩ هجرية وألفوا اثنين وخمسين رسالة فلسفية سموها (رسائل اخوان الصفاء وخلان الوفاء) ولخص الامام بنفسه هذه الرسائل برسالة واحدة سماها (رسالة الجامعة) ، وأتبعها برسالة أخرى جمعت علوم جميع الرسائل وسماها (جامعة الجامعة) ؛ ونحن لا نستبعد أن تكون الأسماء التي أوردها الاستاذ عارف تامر هي الأسماء الحقيقة لاخوان الصفاء وخلان الوفاء ، ولا نوافقه مطلقا على أن واضع الرسائل هو الامام عبد الله بن محمد بن اسماعيل لأن ما ذكره الداعي ادريس عماد الدين المؤرخ الاسماعيلي الكبير يدل دلالة واضحة على أن الرسائل تذكر أغلب المصادر الاسماعيلية التي اعتمد عليها الاستاذ تامر في كتابه أن واضع الرسائل ومؤلفها هو الامام أحمد بن عبد الله بن محمد بن اسماعيل .

* * *

(١) حقيقة اخوان الصفاء ص (١٦) واستند الاستاذ تامر في قوله هذا على ما جاء في رسالة (الاصول والاحكام) للداعي السوري (أبو المعالي) .

أدريس عماد الدين القرشي

يعتبر الداعي سيدنا ادريس عماد الدين بن الحسن بن عبد الله بن علي ابن محمد بن حاتم القرشي ، من أكبر علماء ومؤرخي الدعوة الاسماعيلية في العهد الفاطمي ، وأغلب المؤرخين في العصر الحاضر يعتمدون في دراساتهم الاسماعيلية على ما خلفه هذا الداعي العظيم من كتب تاريخية ، لها أكبر الاثر في اجلاء بعض الحقائق التاريخية التي رافقت الدعوة الاسماعيلية منذ عهد الرسول حتى نهاية العهد الفاطمي ، وكتابه نزهة الافكار يبين بصورة واضحة جلية تاريخ الدعوة الفاطمية في اليمن حتى أيام الداعي أدريس عماد الدين المذكور . ولذلك يعتمد كل باحث منقب على مؤلفات هذا الداعي الكبير ويجعلها أساسا ومصدرا لابحاثه ، باعتبار أن رواياته ومعلوماته بالرغم من تأخره مستقاة من اتصالاته الشخصية بالرواة ، ومن معاصرته لعهد الصليحيين وما سبقه من العهود في تاريخ الدعوة في اليمن ، ولا غرو فأدريس عماد الدين كان وارثا لتقاليد الدعوة من عدة قرون ، محتفظا بكتبها ، لذا فقد ألم الماما كبيرا بتاريخ الدعوة اليمنية ، وكانت له معرفة واسعة بحوادثها وتواريخها . ولعل ذلك يعود الى ظروفه التي مكنته من الاطلاع على كثير من الروايات المنقولة اليه ، والوثائق المحفوظة بجبال حراز المنيعة المحروسة . كما كان له ولاسرته وأسلافه قسط كبير في حفظ كيان الدعوة وصياغة تاريخها . ومن مؤلفاته التاريخية القيمة ، كتاب عيون الاخبار ، ويتألف من سبع أجزاء هي:[1]

الجزء الاول : تحدث فيه عن فضل النبي وسيرته وعن زواج فاطمة وعلي .

الجزء الثاني : ذكر فيه سيرة علي ابن أبي طالب .

(١) الصليحيون والحركة الفاطمية باليمن للهمداني (ص ٤) .

الجزء الثالث : ذكر جهاده للقاسطين والمارقين •

الجزء الرابع : ذكر الائمة من الحسن الى المهدي •

الجزء الخامس : يصف فيه الحوادث التي أدت الى قيام الخلافة الفاطمية في شمال افريقية وينتهي حتى آخر حكم المنصور بالله •

الجزء السادس : ذكر فيه صورة واضحة عن حكم الخلفاء : المعز لدين الله والعزيز بالله ، والحاكم بأمر الله ، والظاهر ، والمستنصر •

الجزء السابع : يصف فيه حكم المنتصر وقيام الدولة الصليحية باليمن ، وحكم الملكة أروى ، وحكم المستعلي وقيام النزارية ، وقيام الدعوة في اليمن تحت رياسة الداعي المطلق الذؤيب بن موسى الوادعي •

وذكر المستشرق ايفانوف للداعي أدريس عماد الدين عدة مؤلفات هي[1] :

١ ــ كتاب عيون الاخبار سبعة أجزاء •

٢ ــ كتاب نزهة الافكار في جزءين ــ ذكر في الجزء الاول تاريخ الدعوة في اليمن من أيام قيام الداعي الذؤيب بن موسى حتى أيام جده عبد الله • وفي الجزء الثاني استمر في ذكر الحوادث التي جاءت في الشطر الاخير من حياة الداعي عبد الله حتى سنة ٨٥٣ هجرية •

٣ ــ كتاب روضة الاخبار وبهجة الاسمار : وهو تكملة لسرد حوادث اليمن التاريخية من سنة ٨٥٤ حتى سنة ٨٧٠ هجرية •

٤ ــ كتاب ذكر المعاني •

٥ ــ كتاب البيان لما وجب من معرفة الصلاة في نصف رجب •

٦ ــ كتاب أسماء نفوس المهتدين وقسيمة ذكر المقتدين •

---

(١) المرشد الى أدب الاسماعيلية (ص ٦٤)

٧ ــ كتاب هداية الطالبين •

٨ ــ رسالة في الرد على علي بن ابراهيم •

٩ ــ رسالة في الرد على الزنديق المسمى بالجمال •

١٠ــ ديــوان •

١١ــ مهديــات البهتــان •

هذه هي المؤلفات التي تركها الداعي أدريس عماد الدين كما يقول ايفانوف وغيره من المؤرخين ، ولا نعلم فيما اذا كان له مؤلفات غيرها •

ومن المؤكد أن نخبة من الاساتذة الجامعيين قد باشروا منذ فترة بدراسة وتحقيق كتابه التاريخي العظيم عيون الاخبار ، وسيظهر الى الوجود قريبا ليكون مرجعا لكل من يرغب في دراسة تاريخ الدعوة الاسماعيلية •

وبالرغم من جهودنا الكثيرة لم نستطع التحقق والتأكد من تاريخ ولادته الا أن ايفانوف أشار اليها في كتابه فقال كانت ولادته سنة ٨٣٢ هجريــة وتوفي سنة ٨٧٢ هجرية • ولم نجد في المصادر الاخرى ما يؤكد تاريــخ الولادة ، أما تاريخ الوفاة فعلى الارجح أنها كانت سنة ٨٧٢ هجرية[1] •

* * *

---

(١) الصليحيون والحركة الفاطمية باليمن للهمداني (ص ٥) •

المظفر أرسلان البساسيري

مما لا شك فيه أن فرائص الخلفاء العباسيين كانت ترتعد من قوة الخليفة الفاطمي في مصر ، لان استيلاء الاسماعيلية على مصر بسط نفوذهم في بلاد الشام وفلسطين والحجاز . وخافوا أن تسهل لهم هذه الانتصارات الاستيلاء على بغداد نفسها قاعدة الدولة العباسية في ذلك الحين .

وبالحقيقة لم يدخر الفاطميون وسعا في سبيل نشر دعوتهم في العراق ، فأقيمت الدعوة لهم في الموصل ، وكذلك استمال الامام المستنصر بالله الخليفة الفاطمي بعض أمراء المقاطعات الذين أعلنوا تأييدهم للدعوة الاسماعيلية ، وأخذوا يقدمون المساعدات للدعاة الذين بذلوا جهودا جبارة حتى استطاعوا ان يستميلوا أغلب أمراء العراق ، وقد استجاب لدعوتهم أمير الحلة وأمير واسط وأمير الكوفة وأمير بلاد الجزيرة وغيرهم . ولما علم المستنصر بأن الوقت قد حان للاستيلاء على بغداد كتب الى أتباعه من الاتراك وأمرهم أن يوحدوا صفوفهم ويسلموا قيادهم للقائد الكبير (البساسيري) . وكتب أيضا للبساسيري يقول : « ولما وجدك أمير المؤمنين من السابقين الى النداء بشعاره في بلاد العراق ، والمبرزين بفضيلة السبق على أوليائه في فضائل الآفاق ، المشمر عن ساعد الجد بما يجعل عرصاتها بفيض عدله مشرقة بأنجم السعود ، ويعيد اعداد منابرها بذكر آل الرسول صلى الله عليه وسلم ناضرة العود ، مغسولة درجاتها من وطء أقدام الانجاس بماء الايمان ، مقصورة غرفها على الثناء منها على أهل العدل والاحسان ، رأى أميرالمؤمنين ـ وبالله توفيقه ـ أن يطوقك طوق ولاية رجالها ، ويقيم على رأسك ، لمزية التقدمة ، راية جمالها ، وينوط بك أمورها كلها اليك عقدها وحلها [1] .

(١) سيرة المؤيد في الدين هبة الله الشيرازي ورقة ١٨٤ .

وأمده بالمال والسلاح والرجال وأرسل له داعي الدعاة المؤيد في الدين على رأس تلك الامدادات الضخمة ، وكذلك أوعز الامام للامير دبيس بن علي ابن مزيد أمير عرب الفرات لينضم الى صفوف البساسيري .

وفي سنة ٤٤٩ هجرية اكتملت الاستعدادات وجهزت الجيوش فسار البساسيري حيث لاقى جيوش الخليفة العباسي في سنجار ، فجرت بينهم معارك قاسية انتصر على أثرها البساسيري واستولى على بغداد في شهر ذي القعدة سنة ٤٥٠ هجرية[1] .

ويحدثنا أبو المحاسن عن دخول البساسيري الى بغداد فيقول : « دخل أبو الحارث البساسيري بغداد في ثامن ذي القعدة بالرايات المستنصرية ، وعليها ألقاب المستنصر صاحب مصر ، فمال الى البساسيري أهل الكرخ ، وفرحوا به لكونهم رافضة ، وانضموا الى البساسيري وكشفوا عن أهل السنة ، .... وأعلنوا بالاذان حيَّ على خير العمل ببغداد ... وخطب يوم الجمعة ببغداد للمستنصر بجامع المنصور وأنشأ بعضهم يقول[2] :

يا بني العباس صُدّوا ملك الارض مَعَدّ
مُلككم كان معاراً والعواري تُستَرَدّ

وظل البساسيري في بغداد مدة سنة انتشر في العراق خلالها المذهب الاسماعيلي انتشارا سريعا ، ولولا أن تحالفت بعض القوى المعادية مع طغرلبك السلجوقي ويعود المؤيد في الدين الى مصر لاكتسحت جيوش الاسماعيلية البلاد الاسلامية في الشرق وأخضعوها لسلطانهم حتى جبال هيملايا .

(١) الاشارة الى من نال الوزارة ص ٤٤ .

(٢) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٥ ـ ٦ ، ١٢

وفي منتصف ذي الحجة سنة ٤٥١ هجرية هوجمت بغداد من قبل طغرلبك، ونشب القتال فأصيب البساسيري بسهم طائح ، فلحق به من عرفه ، واجتهد أن يأخذه حيا ، ويحمله الى طغرلبك فلم يستطع ذلك اذ كان السهم أصاب منه المقتل ، فجز رأسه وحمله الى السلطان[1] وأخذت أموال أهل بغداد وأموال البساسيري مع نسائه وأولاده وهلك من الناس الخلق العظيم ، وأمر السلطان بحمل رأس البساسيري الى دار الخلافة ، فحمل ونظف وغسل وجعل على قناة وطيف به وصلب قبالة باب النوبي •

والبساسيري كان قبل أن يعتنق الاسماعيلية مقدما على الاتراك خصيصا عند القائم بأمر الله العباسي ، لا يقطع أمرا دونه ، ولما اعتنق المذهب خرج على الخليفة العباسي وأعلن الثورة • واسمه كما ورد في المصادر التاريخية :

أبو الحارث أرسلان البساسيري التركي الملقب بالمظفر • كان أميرا على واسط ، فابعد عنها في رمضان سنة ٤٤٧ هجرية[2] •

* * *

(١) ابن الاثير ٩ ــ ٤٤٧ سيرة المؤيد في الدين ص ١٨٣ •

(٢) ابن الاثير : ٩ ــ ٤١٧ •

السيدة الحرة
أروى الصليحي

في الوقت الذي كانت فيه المرأة في اليمن لا قيمة لها في المجتمع الا من حيث خدمة الزوج ، وانتاج النسل والقيام بمهام تدبير المنزل ، وكان يقال عنها في تلك البلاد : (المرأة ناقة وان هدرت) • أقول في ذلك الوقت بالذات ظهرت السيدة الحرة الملكة أروى بنت أحمد الصليحي ، وكانت مثلا أعلى للمرأة المسلمة في عصرها ، لعبت دورا هاما في السياسة اليمنية ، وأثبتت كفاءة وجدارة في ادارة شؤون البلاد ، ويقظة تامة ، واخلاصا منقطع النظير في نشر المذهب الاسماعيلي • وحرصت أشد الحرص على تمتين العلاقة مع امامها المستنصر بالله الخليفة الفاطمي ، فتفانت في اطاعة أوامره ونشر دعوته وتقويتها في كافة المناطق الواقعة تحت نفوذها ، مما جعل الامام يوليها ثقته ، ويفوضها في أمر تعيين الدعاة في المناطق البعيدة عن اليمن •

وتبين الرسائل التي كان يزودها بها الامام المستنصر بالله من وقت لآخر مدى تقديره لاخلاصها الذي لا يتزعزع ، كما وأنها تشيد بايمانها العميق وبمقدرتها السياسية • وكان أهل اليمن يتفانون في الاخلاص لها فيخاطبونها بلقب « سيدتنا الحرة الملكة » حبا فيها واجلالا لها •

ولدت السيدة الحرة أروى بنت أحمد بن محمد بن القاسم الصليحي[1] سنة ٤٤٠ هجرية ، أمها الرداح بنت الفارع بن موسى الصليحي ، أشرفت على تربيتها وتهذيبها وتأديبها السيدة الحرة أسماء بنت شهاب زوجة الملك علي الصليحي ، فترعرعت في بيئة طيبة فاضلة ، ووجه الملك علي الصليحي كل

(١) عيون الاخبار للداعي أدريس عماد الدين ٢١٨/٧ ــ ٢١٩ ــ ٢٢٣ •

اهتمامه لتنشئتها تنشئة علمية أدبية صالحة ، فكان كثيرا ما يقول للملكة أسماء « أكرميها ، فهي والله كافلة زرارينا ، وحافظة هذا الامر على من بقي منا » .

وكانت على جانب كبير من الذكاء والاخلاق الفاضلة ، الى جانب ما وهبها الله من جمال الخلقة ، فكانت بيضاء اللون مشربة بحمرة ، مديدة القامة ، معتدلة البدن ، تميل الى السمنة ، كاملة المحاسن جوهرية الصوت ، قارئة ، كاتبة ، تحفظ الاخبار والاشعار والتواريخ وأيام العرب[1] ولها تعليقات وهوامش على الكتب تدل على غزارة مادتها . ولقبت ببلقيس الصغرى لرجاحة عقلها وحسن تدبيرها[2] ، ويذكر الداعي أدريس فيقول : « كانت الملكة الحرة متبحرة في علم التنزيل والتأويل ، والحديث الثابت عن الائمة والرسول عليهم السلام ... وكان الدعاة يتعلمون منها من وراء الستر ، ويأخذون عنها ويرجعون اليها[3] » . وامتازت السيدة أروى بالصلاح والتقوى والخبرة الواسعة ، والمعرفة الفائقة بأحوال الناس ، مما ساعدها على ادارة شؤون بلادها في ظروف سيئة أحاطت بالبلاد .

قال الداعي أدريس[4]: « وكانت امرأة فاضلة ذات نسك وورع ، وفضل وكمال وعقل وعبادة وعلم ، تفوق الرجال فضلا عن ربات الحجال ، وتستحق مدح الشاعر حيث قال :

« وما التأنيث لاسم الشمس عيب ولا التذكير فخر للهلال »

وقال أيضا[5] : « وقد استحقت التقديم والتفضيل على الفضلاء من الرجال . وكان الامام المستنصر أصدر اليها أجل أبواب دعوته ، فأفادها

---

(١) تاريخ اليمن لعمارة/كاي (ص ٥٩) . الكفاية والاعلام للخزرجي (ص ٥١) .

(٢) الكفاية والاعلام للخزرجي (ص ٥١) .

(٣) عيون الاخبار ٢٠٨/٧ .

(٤) عيون الاخبار ١٢٢/٧ .

(٥) عيون الاخبار ١٣١/٧ .

من علوم الدعوة ورفعت عن حدود الدعاة الى مقامات الحجج[1] » .

ومن المعقول جدا بعد أن نبغت السيدة أروى هذا النبوغ وهي تعيش في كنف السلطان علي الصليحي وزوجته وقد أشرفا بنفسهما على تربيتها واعتنيا بها أشد الاعتناء ، أن يختاراها زوجة لابنهما الامير أحمد المكرم ، فاقترنت به بعد أن تولى ولاية العهد سنة ٤٥٨ هجرية وكان لها من العمر ١٨ سنة . وفي هذا الزواج قال الشاعر الحسين بن علي القمي من قصيدة جاء فيها[2] :

وكريمة الحسبين يكنف قصرها	أسد تخاف الأسد من صولاتها
وتكاد من فرط الحياء تغض عن	تمثالها المرئي من مرآتها
ظفرت يداك بها ، فبخ انما	لك تذخر العلياء مضنوناتها

وكان الصليحي أصدقها عدن حين زوجها ابنه المكرم ، ولم يزل ارتفاع عدن من حين زواجها يرفع اليها وهو مئة ألف يزيد وينقص[3] .

فانجبت عليًّا ومحمدا وفاطمة وأم همدان . فأما علي ومحمد فسنتكلم عنهما فيما بعد ، وأما فاطمة فقد تزوجت من شمس المعالي (علي بن سبأ ابن احمد الصليحي) وتوفيت سنة ٥٣٤ هجرية ، وتزوجت ابنتها الثانية (أم همدان) من ابن خالها (احمد بن سلمان بن عامر بن سليمان ابن عبد الله الزواحي) فرزقت منه بعبد المستعلي ، وتوفيت سنة ٥١٦ هجرية[3] .

وبدأت نشاطها السياسي في عهد زوجها المكرم ، وفي ذلك قال عمارة :

---

(١) الحجة في مصطلح الدعوة الاسماعيلية هي درجة من درجات الحدود تلي درجة داعي الدعاة أو باب الابواب ، ويكون الحجة ممثل الامام في جزيرة من جزر الدعوة .

(٢) عمارة اليمني/كاي (ص ٤٩) .

(٣) عمارة اليمني/كاي ص ٢٩ .

« لما توفيت اسماء بنت شهاب والدة المكرم ، فوض الامر لزوجته الملكة السيدة الحرة ، ولما توفي زوجها سنة ٤٧٧ هجرية تحملت وحدها عبء هذه المسؤولية الجسيمة ، وأصبحت بتفويض من الخليفة تتصرف في أمور الدولة والدعوة في الهند واليمن وعمان ، فوقفت حائلا دون تيارات الفتن والخلافات الداخلية لما عرفت به من حسن التدبير ومعرفة اختيارها للرجال وتقديرها الصحيح لعواقب الامور[1] » .

ومن المؤكد ان افراد اسرة الصليحي وعلى رأسهم السيدة الحرة أروى كانوا دعاة مخلصين يحرصون أشد الحرص على اظهار ولائهم للخليفة الفاطمي كامام روحي لهم .

ومما مدحت به الملكة الحرة الصليحية قول الخطاب بن الحسن الحجوري[2] وهو لا يمدح أحدا الا الحرة الملكة ، وذلك من خالص ولائه وعظيم اجلاله لها :

همم النفوس على النفوس مدارُها   وبها تَبينُ كبارُها وصغارُها

واذا تفرَّسَ في الورى مُتفرِّس   ببصيرة لاحَتْ له أخبارُها

انَّ النفوس فروعُ أجسام وما   تُبديه من همم النفوس ثمارُها

وحياة أفضلها التقي اذ بالتقي   تحوي بها مما ابتغت آثارُها

كوحيدة الزمن التي أضحى التقى   وشعارُها من مَحْضه ودثارُها

رضى الأئمة سَعْيها فتوطَّدَتْ   في الارض دولتُها وقرَّ قرارُها

وتواصلت بركاتها ممدودةً   منها حبائل ما استَرَمَّ مُغارُها

موصولة بحبالها تبقى على   مَرِّ الزمان وصرفه أسرارُها

واذا الملوك أطاعت الرحمن لم   تخذل وطالت في الورَى أعمارُها

وجرت لها بميامن وسعادة   موصولة بدوامها أطيارها

---

(١) عمارة اليمني (٣١) . الكفاية والاعلام (ص ٥٢) .

(٢) عيون الاخبار للداعي أدريس عماد الدين ٧/٢٢١ ــ ٢٢٢ .

أما عُلاكِ فانها مشهورة   لاحت أدلتها وطال مَنارُها

شهدتْ عداكِ بها فان همُ طالبوا   ادراكها فقصارها اقصارُها

أنتم بنو الأصْلوح جوهر يعربٍ   وسواكُم أصدافها وبحارُها

ولأنت يا ابنة أحمد تنميك من   تلك اللآلي الفائقات كبارُها

أنقذت من يمِّ الضلالة أهلَها   كانوا بها طامٍ بهم تيَّارُها

كما مدحها الشاعر الحسين بن علي بن القمِّ[1] في قصيدة أولها :

أعلمت أن من الرماح قُدودا   ومن الصَّفاح محاجرا ونهودا

ومنها :

أعلى الأنام أبا وأكرم طيبة   وأتم أعراقا وأصلب عودا

لو كان يعبد للجلالة في الورى   بشر لكانت ذلك المعبودا

أو كان في أثوابها بلقيس ما   هابت سليمانا ولا داودا

واذا الوفود تأخرت وفدت عطا   ياها ، فكانت للوفود وفودا

هي نعمة الله التي ما ماؤها   ثمدا[2] ولا معروفها مجحودا

هي رحمة الله التي ما زال من   فوق البرية ظلها ممدودا

هذه الصفات التي لم تجتمع قط الا في قليل من نساء العالم ، قد تجمعت في السيدة الملكة الحرة في بلد كان ولا يزال الرجل ينظر الى المرأة نظرة أمة مملوكة لأبيها ان كانت في عصمته ، ولزوجها ان كانت في حصانته[3] .

وعندما توفيت الملكة الوالدة ، أي والدة احمد المكرم زوج السيدة أروى ، كتب الامام المستنصر بالله كتابا يدعو فيه أروى لاقتفاء أثر الفقيدة والسير على منوالها فقال[4] :

---

(١) ديوان أبي عبد الله حسين بن علي القمي ورقة ٥ ــ ٦

(٢) الثمد : الماء القليل لا مادة له .

(٣) قلب اليمن لمحمد حسن ص١٥ والصليحيون والحركة الفاطمية للهمداني (ص ١٤٦) .

(٤) السجلات المستنصرية ، السجل رقم (٢٠) .

« بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين »

« معلوم لك أيتها الحرة المخلصة المكينة ، السديدة ، ذخيرة الدين ، عمدة المؤمنين ، كهف المستجيبين ، ولية أمير المؤمنين ، حفظها الله تعالى وأحسن توفيقها ، اصطناعنا للحرة والدة : الملك الأوحد ، المنصور ، المظفر في الدين ، نظام المؤمنين ، عماد الله وغياث الامة ، شرف الايمان ، ومؤيد الاسلام ، عظيم العرب ، سلطان أمير المؤمنين وعميد جيوشه ، أدام الله تمكينه وعلوه ، وكبت حسدته وعدوه ، رحمها الله ، وأخراجنا اياها من زمرة ربات الجمال ، الى سياسة الدولة وتقديم الرجال ، لما لمع لنا نور ايمانها ، ونيتها وايقانها ، وانها بالزهد معروفة ، وبالتقى موصوفة ، فاستحقت ما خولنا لها ، وقامت بشكر ما أنلناها ، ورعت أحوال المؤمنين رعاية وفت على رعايا الدعاة، وسلكت في تربيتهم مسلكا قارب مسلك الهداة ، وكان المقدم لديها من تحلى بحلية الدين ، وجانب أمور الضالين ، وطهر الدرن أردانه ، وأبعد من الخنا جوارحه ، ومن الرفث لسانه ، فاذا أطلعت على من هذه صفته ، ورأت من هذا حليته ، قدمته الى كفئها وتعاهدته في كل حين ببرها ، ومن كان عن هذه الحالة بائنا ، ولشرائط الايمان خائنا ، لم يكن له عندها مجال ، ولا مجال لديها مثال ، ولم تزل على هذه الحالة الى أن لحقها الأجل المحتوم ، والقضاء الموقت المعلوم ، ونحن لأفعالها شاكرون وعليها مترحمون ، ويجب عليك أيتها الحرة التدرع بمدارعها ، والسلوك في أحسن مسالكها ، والاقتفاء لأثرها ، والعمل بمشور أخبارها ، فأنت من العقل والسداد بحيث كانت تلك• كتب في العشر الاواخر من شوال من سنة ٤٧٢ والسلام عليك ورحمة الله وبركاته • والحمد لله وحده ، وصلى الله على جدنا محمد رسوله خاتم النبيين ، وسيد المرسلين وعلى آله الطاهرين ، الأئمة المهذبين وسلم تسليما ، وحسبنا الله ونعم الوكيل » •

وبلغ من ثقة الامام فيها أن كتب الى السلاطين وكافة المؤمنين بأمرهم

باتباع أوامرها ونواهيها بالطاعة • كما أن الامام فوضها بادارة شؤون الدعوة في الهند وعمان ، رغم خروجهن عن نطاق حكمها ، وهنالك وثائق ورسائل عديدة تبودلت بينها وبين الامام المستنصر لا نرى مجالا لذكرها خشية التطويل • ومن تلك الرسائل رسالة يدعوها فيها لمناصرة الامير عبد الله ابن علي العلوي والي الاحساء ، ليتمكن من اعادة الامن الى بلاد الحجاز ، فسارت على رأس جيش جرار ، وتمكنت من اخماد الفتنة واعادة الامن الى تلك البلاد •

وفي سنة ٤٧٨ هجرية توفي زوجها الملك أحمد المكرم ، فاختلف رأي أمراء اليمن الصليحيين والرواحيين فيمن يتولى الحكم بعده ، فلم تقف السيدة الحرة مكتوفة اليدين عند هذا الاختلاف فأرسلت خطابا الى الامام المستنصر تعلمه فيه بوفاة زوجها واختلاف الامراء على تولي الحكم ، وتتوسل اليه ليوافق على تعيين ابنها الوحيد (عبد المستنصر) الذي كان لا يزال طفلا خلفا لوالده ، فوافق الامام المستنصر وكلف عضد الدين أبا الحسن جوهر المستنصري ان ينقل تعزيته الى السيدة أروى ويثني على اخلاصها ووفائها للدعوة ، وبنفس الوقت كتب الى أمراء اليمن يدعوهم الى الاتحاد والتضامن ونبذ الضغائن والاحقاد ، ويحضهم على طاعة السيدة الحرة وابنها • وما كادت أوامر الامام المستنصر تسلم الى الامراء الصليحيين والرواحيين حتى عقدوا اجتماعا فوق العادة انهوا على أثره كافة الخلافات ، والمنازعات التي نشبت فيما بينهم عقب وفاة زوج السيدة الحرة الملك أحمد المكرم الصليحي، وأعلنوا عن تأييدهم المطلق لعبد المستنصر الذي نصبه الامام المستنصر خلفا لأبيه ، على أن يكون للسيدة الحرة حق الوصاية وادارة دفة الحكم ريثما يبلغ عبد المستنصر أشده •

ويقول أدريس عماد الدين : « ان المكرم عندما توفي كتمت الحرة الملكة الامر الى أن جاءها سجل أمير المؤمنين المستنصر بالله باقامة ولد المكرم الاصغر

عبد المستنصر علي بن المكرم أحمد[١] » .

كما أمر المستنصر بأن ترسل كل المراسلات الى علي بن المكرم ، وكلفه بالقيام بمرافق الدعوة وأمور الدولة بقوله[٢] : « ... وقد رأى أمير المؤمنين أن يصطنعك ويلحقك برتبة أبيك وينصبك منصبه ويرقى بك درجته ... وأمره (أي الامير أبي الحسن جوهر المستنصري) أن يقلدك النظر فيما كان أبوك تقلده من الدعوة الهادية والاحكام في سائر اليمن وسائر الاعمال المضافة اليه برا وبحرا وسهلا ووعرا ونازحا ودانيا وقريبا ونائيا .. حتى خصك من ملابس الامامة بشريف الحباء » .

وهكذا بقيت السيدة الحرة بعد موت زوجها تدير دفة السياسة اليمنية ، فأظهرت كفاءة نادرة في ادارة شؤون البلاد ، ويقظة تامة في أمور الدعوة الاسماعيلية . ولم يعمر عبد المستنصر طويلا ، فقد وافته المنية اثر مرض عضال ، فعاد الخلاف يزر قرنه من جديد بين الداعي سبأ بن احمد المظفر (الذي كان يهدف الى حكم اليمن والتزوج من السيدة الحرة) ، وبين السيدة الحرة التي أظهرت كرهها لهذا الزواج واستعدت للقتال .

وبالفعل اشتعلت نيرات الحرب بينهما أياما ، وكادت أن تعم جميع أنحاء المملكة اليمنية لو لا أن تدخل قسم كبير من الامراء الصليحيين والرواحيين لفض النزاع ، خشية أن تتعرض الدعوة للانهيار ، ولقد أعلنت السيدة الحرة ، بأنها لن تجيب الداعي سبأ الى مراده الا بأمر الامام المستنصر[٣] فأوفد الداعي سبأ بن احمد الى الامام المستنصر رسولين ، هما القاضي أبو عبد الله الحسين بن اسماعيل الاصبهاني وأبو عبد الله الطيب ، ليعرضا الامر على الامام عسى أن يوافق على هذا الزواج حقنا لدماء الاسماعيلية . فلما وصل

(١) عيون الاخبار للداعي أدريس عماد الدين ١٢٦/٧ — ١٣٠ .
(٢) السجلات المستنصرية رقم ١٤ .
(٣) قرة العيون لابن الديبع ورقة ٢٥ .

هذان الرسولان الى القاهرة وعرضا الامر على الامام المستنصر الذي لم يرض عن بقاء هذا النزاع بين أنصاره ، فكتب الى السيدة الحرة يأمرها بقبول أمر الزواج . وأرسل كتابه مع أحد الاستاذين ويعرف بحامل الدواة يمين الدولة[١] فسار بصحبة هذين الرسولين حتى دخلوا على السيدة الملكة ، وهي بدار العز في ذي جبلة . فتكلم الاستاذ الرسول وهو واقف بين وزرائها وكتابها وأهل دولتها قيام لقيامه ، فقال : « أمير المؤمنين يقرأ السلام على الحرة الملكة السيدة الرضية الطاهرة الزكية وحيدة الزمن سيدة ملوك اليمن عمدة الاسلام ذخيرة الدين عصمة المؤمنين كهف المستجيبين ولية أمير المؤمنين كافلة أوليائه الميامين ، ويقول لها : وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أن يَكُونَ لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا . وقد زوجك مولانا أمير المؤمنين من الداعي الاوحد المنصور المظفر عمدة الخلافة أمير الامراء أبي حمير سبأ بن احمد المظفر الصليحي ، على ما حضر من المال وهو مائة الف دينار عينا وخمسون ألفا أصنافا من تحف ولطائف وطيب وكساوى » . فقالت : « أما كتاب مولانا فأقول : اني ألقي اليّ كتاب كريم ، انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم ، ولا أقول في أمر مولانا : أيها الملأ أفتوني في أمر ما كنت قاطعة أمرا حتى تشهدون . وأما أنت يا ابن الاصبهاني ! فو الله ما جئت الى مولانا من سبأ بنبأ يقين ، ولقد حرفتم القول عن موضعه ، وسولت لكم أنفسكم أمرا فصبرا جميلا والله المستعان على ما تصفون » ، وأعلنت عن قبولها بهذا الزواج تحقيقا لرغبة أمير المؤمنين .

وبالرغم من أن السيدة أروى أصبحت زوجة للداعي سبأ فانها لم تمكنه من السيطرة على شؤون البلاد بل استأثرت بالسلطة وظلت موالية للمستنصر

(١) عيون الاخبار ١٤٣/٧ وأنباء الزمن ٤٣ .

حتى وفاته ، والدليل على ذلك الرسائل العديدة التي تبودلت بينها وبين الامام المستنصر ووالدته واخته .

وتوفي ابن الملكة الاصغر وهو الامير محمد بن احمد المكرم في حياة أخيه علي بن احمد .

ولما توفي الامام المستنصر سنة ٤٧٨ هجرية وانقسمت الاسماعيلية على نفسها الى نزارية ومستعلية أيدت السيدة الحرة أبا القاسم المستعلي فساعد هذا التأييد الخليفة المستعلي ووقف حائلا دون تسرب الدعوة النزارية الى بلاد اليمن مدة من الوقت .

ظلت السيدة الحرة تعمل جاهدة في سبيل نشر الدعوة المستعلية في اليمن وتقويتها حتى أعلن الخولانيون انضمامهم للدعوة النزارية سنة ٥٠٤ هجرية فاشتد النزاع بينهما ، فأخذ الخليفة المستعلي يقدم المساعدات والامدادات للسيدة الحرة ، ولما تعقدت الامور ، أرسلت السيدة الحرة الى مقر الخلافة بمصر تطلب منها ارسال من يساعدها في تدبير شؤون دولتها ، فشعرت الخلافة الفاطمية بأن مركز الدولة الصليحية بدأ يتزعزع ، فبادر الوزير الافضل بن بدر الجمالي سنة ٥١٣ هجرية الى ارسال الامير الموفق علي بن ابراهيم بن نجيب الدولة بصحبة عشرين فارسا[1] مختارة منتقاة الى بلاد اليمن ، ليقوم بهذه المساعدة . ولما وصل الى اليمن اشترك مع السيدة الحرة في ادارة شؤون البلاد ، وأخذ يشن الحملات لاعادة الاستقرار والهدوء .

مما أثار حقد الامراء اليمنيين ، فأخذوا يتنهزون الفرص للتخلص منه ، وفي سنة ٥٢٠ هجرية أوفد الخليفة الفاطمي الآمر رسولا من قبله الى اليمن ، فلم يستقبله ابن نجيب ، فاستغل الامراء والدعاة هذا الموقف واستمالوا

---

(١) عيون الاخبار للداعي أدريس ١٨٠/٧ .

الرسول الذي أوعز اليهم بأن يكتبوا الى الخليفة الفاطمي كتابا يتهمون فيه ابن نجيب بأنه يدعوهم للدعوة النزارية . وان ابن نجيب قد ضرب سكة نزارية ووزعها في البلاد ..

ولما علم الخليفة بالامر عهد الى الامير الموفق بن الخياط بالقبض على ابن نجيب وارساله الى مصر ، ولكن السيدة الحرة لم توافق على هذا التدبير فكتبت الى الخليفة كتابا تشفع فيه بابن نجيب وأرسلته مع كاتبها محمد ابن الازدي[1] غير أن رسولها لم يصل الى القاهرة كونه اغرق في البحر عند باب المندب[2] نتيجة مؤامرة دبرها الخصوم .

فعمد أعداء ابن نجيب الى اعتقاله وارساله في قفص من الخشب الى القاهرة حيث أعدم سنة ٥٢١ هجرية فجزعت السيدة الحرة لوفاته ، واختارت السلطان علي بن عبد الله الصليحي للدفاع عن دولتها . وفي سنة ٥٣٢ هجرية توفيت السيدة الحرة وكان موتها سببا في أفول نجم الدعوة الاسماعيلية في اليمن وضياع النفوذ الفاطمي .

* * *

---

(١) عمارة اليمني تاريخ اليمن (٤٧ — ٤٨) .

(٢) عيون الاخبار ١٨٥/٧ .

أبو يعقوب
اسحاق السجستاني

هو أبو يعقوب اسحاق بن احمد السجزي أو السجستاني ويلقب (بدندان) .

قيل انه ولد سنة ٢٧١ هجرية ، نشأ وترعرع في مدارس الدعوة الاسماعيلية في اليمن ومن ثم التحق بالخدمة الفعلية بعد تخرجه ، فأصبح من كبار المفكرين الذين ساهموا في النهوض بفلسفة المذهب الاسماعيلي واستطاع أن يرفع علم الدعوة عاليا ، وأسهم مساهمة فعالة في المساجلات والمناظرات العلمية التي كانت تجري في ذلك العصر ، وقد كتب كتاب النصرة عارض فيه كتاب الاصلاح الذي وضعه أبو حاتم الرازي في الرد على آراء وردت في كتاب المحصول للنسفي فانتصر أبو يعقوب للنسفي على الرازي بكتاب النصرة واتخذ من الفلسفة سلاحا شهره في وجه خصوم المذهب الاسماعيلي ، كما أنه عمل على رقي النهضة العقلية الاسلامية في ذلك الحين .
ولابي يعقوب مؤلفات كثيرة لعبت دورا كبيرا في نهضة الفكر الاسلامي بوجه عام وفي نهضة المذهب الاسماعيلي بوجه خاص ، ومن أهم مؤلفاته كتاب (اثبات النبوة) وينقسم الى سبع مقالات ، وتشبه المقالة الباب ، وتنقسم كل مقالة الى اثني عشر فصلا ، ويتناول في كتابه هذا موضوع اثبات النبوة من جميع النواحي الطبيعية والروحية ويتعرض بالذكر للامور التي يتفق عليها الرسل ، والتي يختلفون فيها . وأهم من هذا كله ما ذكره عن أدوار الرسل ، والادلة على اثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، كذلك تعرض لما أسماه عجائب القرآن والشريعة [1] .

---

(1) Ivanou A Guide Ismaili p. p. 34 - 35.

٢ ـ كتاب الموازين ، وقد قسمه الى تسعة عشر ميزانا ، تكلم في كل ميزان منها عن أمور تمت لأصول المذهب الاسماعيلي بصلات وثيقة ، فتناول في أحد موازينه (معرفة الحقيقة) وفي آخر وجوب معرفة (المبدع) وفي آخر (العقل) ومعرفة أسمائه ، كما قصر أحد الموازين على الفروع الثلاثة المتفرعة عن (الأصلين) [1] العقل والنفس ومن أهم هذه الموازين ما وقفه على النطقاء ، والاسس والأئمة ، والحجج والدعاة ، الى غير ذلك من الموضوعات التي تفيد الباحث في تاريخ التطور العقلي للمذهب الاسماعيلي .

٣ ـ كتاب الينابيع وينقسم الى أربعين ينبوعا ، يتضمن معنى الينبوع وهوية المبدع وبيان عالم العقل والنفس وان العقل قائم بالقوة والفعل ومخاطبة العقل للنفس وكيفية اتصال فوائد العقل بالنفس وأن الايس لايصير ليسا وأن الآيسيات كلها ذوات غايات وان السؤال : لم خلق الله العالم محال ممتنع ، واثبات النفس الكلية وان مافي البشر جوهره من النفس الكلية ، وان الافلاك ونجومها وحركاتها في أفق النفس وبيان كيفية ابتداء الانسان وان القوى الطبيعية لا قدر لها عند القوى الروحانية وان الثواب هو العلم ومعنى الجنة والنار وكيفية التفاضل بين المثابين وبيان الشهادة ومعنى الصليب واتفاق الصليب مع الشهادة ورتبة صاحب القيامة وكيفية اتصال التأييد بالمؤيدين . والفرق بين تأييد الله وتأييد الخلق [2] .

٤ ـ كتاب النصرة ، وقد رد فيه على الاصلاح للرازي وانتصر فيه لأستاذه النسفي في كتابه المحصول وأيد قوله وأشاد بصحة آرائه .

٥ ـ كتاب الافتخار .

٦ ـ كتاب المقاليد ، ٧ ـ كتاب مسيلة الاحزان ، ٨ ـ كتاب سلم النجاة ،

---

(١) الاصلان : هما العقل والنفس ، والفروع الثلاثة : هي الزمان والمكان والهيولى .

(٢) الفهرست ص ٢٧ للشيخ اسماعيل بن عبد الرسول .

٩ ـ كتاب سرائر المعاد والمعاش، ١٠ ـ كتاب كشف المحجوب[٢] ، ١١ـ كتاب الوعظ ، ١٢ ـ كتاب أسس البقاء ، ١٣ ـ كتاب خزانة الادلة ، ١٤ ـ كتاب تآلف الارواح ، ١٥ ـ كتاب تأويل الشريعة ، ١٦ ـ كتاب أساس الدعوة .

والخلاصة : كان السجستاني من اكبر الفلاسفة الدعاة المفكرين الذين عملوا لتوفيق المسائل الفلسفية بالديانة الاسلامية ، ولهذا السبب استشهد هو واستاذه النسفي بعد اضطهاد مؤلم بتركستان وكان قتله سنة ٣٣١هجرية.

* * *

(١) الفهرست (ص ٢٧) للشيخ اسماعيل بن عبد الرسول .

أسعد بن قاسم بن الحسن العجمي

وجّه الحسنُ بن الصباح وهو في مركز القيادة بآلموت اهتماماً خاصاً لنشر الدعوة الاسماعيلية النزارية في بلاد الشام ، وفرض على الدعاة في تلك الجزيرة أن يتصلوا ويتقربوا بالامراء السنيين ، فنجحوا نجاحاً باهراً ، وكونوا قوة فعالة لعبت دراً خطيرا في تاريخ الحروب الصليبية .

وفي سنة ٤٩٠ هجرية وقع اختيار الحسن بن الصباح على داع جريء مقدام ، وعالم كبير ، كان يثق فيه ثقة تامة ، وهو الداعي أسعد بن قاسم ابن الحسن العجمي المعرف (بالطبيب المنجم) الذي اشتهر بمقدرته العلمية الفائقة وذكائه النادر ومقدرته السياسية ، وتدل المصادر التاريخية النزارية ان الطبيب المنجم تلقى علومه في مدارس الدعوة في فارس وانتظم في سلك الدعاة المدرسين حتى أرسل الى حلب ، حيث استطاع أن يجذب اليه الملك رضوان بن تتش بن ألب أرسلان الذي آلت اليه ولاية حلب ، بعد موت أبيه تاج الدولة تتش ، فاصبح هذا الملك طوع بنانه ، وقيل انه اعتنق المذهب الاسماعيلي النزاري ، وقدم المساعدات لجموع المهاجرين من الاسماعيلية فشيد لهم القرى والملاجيء . ولقد أتى المؤرخ كمال الدين على ذكر علاقة رضوان بالاسماعيلية فقال[١] : « واستمال الحكيم رضواناً الى الباطنية جداً ، وظهر مذهبهم في حلب ، وشايعهم رضوان ، وحفظ جانبهم ، وصار لهم بحلب الجاه العظيم . والقدرة الزائدة ، وصارت لهم « دارة دعوة » بحلب في أيامه ، وكاتبه الملوك في أمرهم ، فلم يلتفت ولم يرجع عنهم » .

ويعتبر بنظرنا هذا القول أكبر دليل على أن رضوان قد اعتنق المذهب

(١) تاريخ حلب : ٢/٥٨٠ .

الاسماعيلي النزاري فأخلص له وقدم للاسماعيلية أكبر المساعدات التي كانت من أهم عوامل نجاح الدعوة في ولاية حلب حيث انتشر الاسماعيليون في سرمين ، والجوز ، وجبل السماق ، وبني عليم ، وبزاعة ، والباب ، واعزاز ، وأفامية[1] ، وفي سنة ٤٩٥ هجرية تآمر جناح الدولة صاحب حمص على الاسماعيلية النزارية فأرسل له (الحكيم المنجم) أحد فدائيته فقتله[2] وقيل ان الحكيم المنجم توفي بعد مصرع جناح الدولة بعشرة أيام ، وتسلم الدعوة بعده داعٍ أكثر جرأة واقداماً منه هو أبو طاهر الصائغ العجمي .

ومهما تعددت الروايات والتعليقات حول انتشار الاسماعيلية في حلب والمناطق التابعة لها ، وتأثير الملك رضوان على هذا الانتشار فمما لا جدال فيه ان الدعوة الاسماعيلية النزارية في ولاية حلب يعود لرسوخ مبادىء الاسماعيلية منذ زمن طويل في تلك الولاية .

وعلى العموم لا نستطيع أن ننكر الجهود الجبارة التي بذلها هذا الداعي الحكيم في سبيل استمالة رضوان الى المذهب الاسماعيلي ، فلو لم يكن يتمتع بمقدرة جدلية فائقة ، ونبوغ علمي صحيح لما استطاع بمثل هذه السهولة أن يقنع ملكاً عظيماً كرضوان وبدخله في المذهب الاسماعيلي ، ومما لا شك فيه ان الحسن بن الصباح الذي عرف بحسن اختياره للاشخاص كان يعتمد عليه كثيراً لما كان يعرفه عنه ، من المقدرة العلمية وقوة الشخصية ، التي أهلته ليتسلم مركز القيادة في وقت كانت فيه الامارات والطوائف تتصارع على استلام السلطة ، وقيل دفن الحكيم المنجم في مدينة حلب سنة ٤٩٥ هجرية .

* * *

(١) الدولة النزارية : شرف : ص (١٨٠ — ١٨١)

(٢) ابن الجوزي : مرآة الزمان : ٨ ورقة ٤٢٣ .

اسماعيل آغا حسن شاه
سيد علي بن شاه نزار

يستنتج من المصادر التاريخية ان الامام سيد علي كان واسع الاطلاع على جانب كبير من العلم والمعرفة ، تمكن من أن يلعب دورا فعالا في شؤون ايران الداخلية والخارجية ، وقيل ان الشاه عباس الصفوي كان يعتمد عليه ويثق به أشد الثقة ، وكان يستشيره في كافة الامور المتعلقة بادارة البلاد ، وعلاقة المملكة مع الدول والممالك الاخرى ، ومع مرور الزمن أصبح الجيش الايراني يضم بين صفوفه عدة فرق من الاسماعيليين المشهورين بخبرتهم الواسعة ومقدرتهم العظيمة في فنون الحرب والقتال ، وتسلم قيادة الفيالق الاسماعيلية (عطا شاهي) و (بدوي نوميد) اللذان كانا من خيرة قواد الشاه عباس الصفوي في ذلك الوقت ، وكذلك أصبح أكثر رؤساء المقاطعات والسفراء والوزراء والموظفين من الاسماعيلية ، فعملوا بكل ما أوتوا من قوة ومقدرة على خلق ايران جديدة قوية بانظمتها وقوانينها ومؤسساتها وحياتها الاجتماعية[1] .

وقيل ان الامام كان يساهم بأموال الخمس والزكاة التي كان يدفعها الاسماعيلية في كافة مشاريع الدولة الاصلاحية والعمرانية والعلمية والخيرية[2] .

ولد الامام اسماعيل آغا حسن شاه سيد أبو الحسن (بيك) بن شاه نزار في بلدة (كوهك شاه نزار) سنة ١٠١٥ هجرية وتسلم الامامة بعد وفاة أبيه سنة ١٠٣٨ هجرية . ولقب بـ (شاه سيد علي) ، وقد وجه اهتمامه

(١) نور مبين حبل الله المتين : جنارا : ص (٥٥٠ — ٥٥١) .

(٢) تاريخ الدعوة الاسماعيلية : مصطفى غالب : ص(٢٥٦ — ٢٥٧ — ٢٥٨) .

للنهوض باتباعه في مختلف البلدان التي انتشروا فيها ، وتقرب من الشاه عباس الصفوي فوثق به وجعله مستشاره الخاص وساعده الأيمن ، وكانت الاموال الاسماعيلية تأتيه الى مقره وتسلم اليه باحتفالات عظيمة يساهم فيها الاسماعيليون من جميع أنحاء العالم ، وتستمر تلك الاحتفالات اسبوعا يقدم خلالها للامام المؤلفات الاسماعيلية التي ظهرت خلال العام المنصرم والادباء والشعراء والكتاب والعلماء الذين أظهروا نبوغاً وتفوقاً ، وكان الامام يغدق عليهم المنح والعطايا والالقاب العلمية والدينية ، وتختم تلك المهرجانات بخطاب قيم شامل يستعرض فيه الامام برامج ومخططات وتنظيمات العام القادم ، وكانت ايران تستفيد افادة عظيمة من هذا الموسم[1] .

وباعتبار أن الامام سيد علي كما ذكرنا كان يتمتع بنفوذ سياسي قوي فقد توسط لدى السلطان العثماني طالبا منح الاسماعيليين في بلاد الشام والمناطق الواقعة تحت نفوذه مزيدا من الحرية لمزاولة شعائرهم الدينية ، وبنفس الوقت أنهى الخلافات الداخلية التي كانت مستعصية بين المشائخ في مصياف ، والقدموس ، والخوابي ، في سورية ، فاتفقوا على أن يتولى زعامتهم الشيخ خضر بن يوسف بن أحمد العلامة المعروف .

وفي سنة ١٠٧١ هجرية اصيب الامام بمرض شديد توفي على أثره في مدينة (كرمان شاه) من مقاطعة كرمان ودفن فيها ولا يزال ضريحه هناك ويزار .

* * *

---

(١) نور مبين حبل الله المتين : جنارا : ص ٥٥٢ .

اسماعيل بن جعفر الصادق

كانت ولادة الامام اسماعيل سنة ١١٠ هجرية في المدينة المنورة ، والدته فاطمة ابنة الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، وهو الابن الاكبر للامام جعفر الصادق وصاحب النص الشرعي للامامة واليه ينتسب الاسماعيليون ، حيث تغلب عليهم اسمه ، وبعد وفاة والده الامام جعفر الصادق عام ١٤٨ هجرية حدث انشقاق كبير في شيعته فانقسمت الى فريقين ، فريق نادى بأفضلية اسماعيل لمركز الامامة ، باعتباره صاحب النص الشرعي ، وفريق اعتبر موسى الكاظم ـ الابن الثاني للامام جعفر الصادق ـ اماماً ، منتقلة الى أبنائه من بعده حتى الامام محمد بن الحسن العسكري الذي يطلقون عليه لقب (المهدي المنتظر) ، وهم ينتظرون عودته بعد ان اختفى بسرداب في مدينة سامراء (شمالي بغداد بالعراق) وكان اختفاؤه في هذا السرداب خوفا على نفسه من بطش العباسيين وتنكيلهم بالشيعة عامة وأهل البيت خاصة ، ويقول شيعته : انه لا يزال الى الآن حياً ، وانه سيخرج من سردابه يوم القيامة على أنه (المهدي المنتظر) الذي سيملأ الدنيا عدلا ويرد الحق الى أهله في الايام القلائل التي تسبق يوم القيامة ، وأكثر الشيعة في ايران والعراق وسورية ولبنان الآن يدينون بامامة الأئمة الاثني عشر الذين دخل آخرهم السرداب حوالي سنة ٢٦٠ هجرية وسميت هذه الفرقة بالموسوية نسبة الى موسى الكاظم أو بالامامية الاثني عشرية نسبة الى عدد الأئمة .

أما الفرقة الثانية فقد ساقوا الامامة في اسماعيل الذي نص على امامته في حياة أبيه فاصبحت كلمة باقية في عقبه ، وتعرف هذه الفرقة بالاسماعيلية أو (الباطنية) أو (التعليمية) أو (الهادية) ، وتدور حول هذا الانشقاق قصص واحاديث كثيرة لا بد لنا من الاتيان على ذكر بعضها :

قال المقريزي[1] :

ان اسماعيل هو الابن الاكبر للامام جعفر الصادق ، وهو الذي نص عليه بالامامة في حياة أبيه ، غير أن اسماعيل توفي سنة ١٣٨ هجرية وجعفر الصادق والده لا يزال على قيد الحياة ، وخلف من الاولاد محمدا وعلياً وفاطمة وانتقلت الامامة في عقبه لان النص لا يرجع القهقرى .

ويقو لابن خلدون[2] :

توفي اسماعيل في حياة ابيه بالعريض ، في المدينة المنورة ، ودفن بالبقيع في سنة ١٤٥ هجرية ، وقد سبب موته قبل وفاة أبيه اضطرابا كبيرا عند الشيعة أجمعين ، مما أدى الى تضارب الآراء فيما يتعلق بطبيعة الامامة . وبسبب هذا الخلاف حدث انقسام كبير بين الشيعة ، فنشأت فرق وطوائف متعددة .

وقال الشهرستاني[3] :

ان اسماعيل هو الابن الاكبر للامام جعفر الصادق وهو الذي نص عليه في بدء الامر ولقد حدث الاختلاف على موته : منهم من قال انه مات في حياة أبيه ، وفائدة النص عليه أن انتقلت الامامة في عقبه لان النص لا يرجع القهقرى والقول بالبدء محال اذ لا ينص الامام على واحد من ولده الا بعد السماع من آبائه ، التعين لا يجوز على الابهام والجماعة ، ومنهم من قال ان اسماعيل لم يمت لكن أظهر موته تقية عليه حتى لا يقصد بالقتل من قبل العباسيين ولهذا القول دلالات منها :

أن محمد بن جعفر الصادق أخ اسماعيل وكان صغيرا ، مضى الى السرير

(١) اتعاظ الحنفا .
(٢) العبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٣ ص (٣٦٠) .
(٣) الملك والنحل للشهرستاني ص (١١٠) .

الذي كان اسماعيل مسجى عليه ورفع الملاءة فأبصره وقد فتح عينيه ، فعاد محمد مسرعا فزعا الى أبيه وقال : أخي اسماعيل عاش ، عاش أخي . فقال والده جعفر الصادق : ان أولاد الرسول كذا يكون حالهم في الآخرة يا بني !

وقال الداعي ادريس[1] :

ان موسى الكاظم لم يجعله الصادق اماماً الا سترا على ولي الأمر (محمد ابن اسماعيل) ليكتم أمره على الاضداد ، ولئلا يطلع ما خص به أهل العداوة والعناد ، حتى يستطيع الامام المستقر الحقيقي النهوض باعباء الدعوة سرا . ومؤرخو الاسماعيلية وعلماؤهم يروون في كتبهم قصة انشقاق اتباع جعفر الصادق الى هاتين الفرقتين .

فيقول بعضهم أن جعفر الصادق نص على أن يتولى اسماعيل الامامة من بعده ، ولكن اسماعيل توفي في حياة أبيه فانتقلت بذلك الامامة الى ابنه محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق لان الامامة لا تكون الا في الأعقاب ، ولا تنتقل من أخ الى أخيه ، الا في حالة الحسن والحسين ، فلا بد أن تنتقل من أب الى ابن ، وأوّلوا الآية القرآنية الكريمة (وَجَعَلَهُنَّ كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ) بأن معنى الكلمة هي الامامة ، وانها لا بد أن تكون في الأعقاب دون غيرهم ، وبما أن اسماعيل بن جعفر الصادق كان صاحب الحق الشرعي في الامامة بعد أن نص أبوه على ذلك ، فلا بد اذن أن تتسلسل الامامة في ابنه محمد بن اسماعيل ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى كان محمد بن اسماعيل أكبر سنا من عمه موسى الكاظم ، ولما كان التقليد الشيعي القديم الذي يوجب تسلسل الامامة في أكبر أهل البيت سنا كان محمد بن اسماعيل اذن أحق من عمه موسى الكاظم بالامامة .

(١) زهر المعاني للداعي ادريس ص (٤٧ — ٤٩) .

على أن أكثر مؤرخي الدعوة الاسماعيلية يقولون ان قصة وفاة اسماعيل ابن جعفر في حياة أبيه ، انما كانت قصة أراد بن جعفر الصادق التمويه والتعمية على الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور الذي كان يطارد أئمة الشيعة ، فخاف جعفر الصادق على ابنه وخليفته اسماعيل فادعى موته ، وأتى بشهود كتبوا محضرا بوفاته ، وأرسل ذلك المحضر الى الخليفة العباسي الذي أظهر سرورا وارتياحا بوفاة اسماعيل الذي كان اليه أمر امامة الشيعة . ثم شوهد اسماعيل بعد ذلك في البصرة وفي غيرها من بلاد فارس ، وعلى ذلك فالامامة لم تسقط عن اسماعيل بالموت قبل وفاة أبيه لانه مات بعد أبيه ، على أن مؤرخي الفرقة الشيعية الاثني عشرية وبعض مؤرخي أهل السنة ، يذهبون في اسماعيل هذا مذهبا مختلفا كل الاختلاف عما قاله مؤرخو الاسماعيلية . فقد ذهبوا الى ان اسماعيل بن جعفر الصادق لم يكن بالرجل الذي يصلح للامامة ، اذ كان مدمنا على شرب الخمر ولوعا بالنساء وانه كان من أصدقاء أبي الخطاب الاسدي الفاسق الملحد الذي ادعى ألوهية جعفر الصادق وأنه كان رسوله ، مما جعل جعفر الصادق يتبرأ منه [1] ولا يرضى عن الصلة التي كانت بينه وبين اسماعيل ، وان جعفراً أظهر فرحه لموت ابنه اسماعيل لما كان معروفا عنه من فسق [2] .

ويقول رشيد الدين [3] وجويني [4] بأن جعفر الصادق أمر بعرض جثة اسماعيل للملأ ، وشهدها قوم كثيرون وتحققوا من وفاته . ويؤكد كتاب دستور المنجمين [5] ان اسماعيل هو اول امام مستور ، وكان بدء ستره سنة ١٤٥ هجرية ولم يمت الا بعد سبع سنين . هكذا اضطربت الروايات ،

---

(١) الكشي (١٩١ ــ ١٩٢) .
(٢) عمدة الطالب (٢٢٣) .
(٣) عمدة الطالب ص (٢٢٣) مقتبسة من كتاب ايفانوف (Ismailitica) .
(٤) (١٤٦) .
(٥) بلوشيه ٥٧ ــ ٥٨ دي خويه ٢٠٣ .

واختلفت الاقاويل في أمر اسماعيل بن جعفر الصادق الذي تنتسب اليه الاسماعيلية ، التي قامت بدور هام في تاريخ العالم الاسلامي منذ ظهورها .

ورأينا في هذا الموضوع بعد أن اطلعنا على جميع ما كتب حول امامة اسماعيل هو أن الامام جعفر الصادق قد شعر بالاخطار التي تهدد حياة ابنه اسماعيل بعد أن أصبح وليا للعهد ، فأمره أن يستتر وكان ذلك عام ١٤٥ هجرية خوفا من نقمة الخليفة العباسي وقد تدبر الأمر بأن كتب محضراً بوفاته وشهد عليه عامل الخليفة الذي كان بدوره من أتباع جعفر الصادق ، وفوراً توجه اسماعيل الى السلمية ومنها الى دمشق ، وعلم المنصور بذلك فكتب الى عامله أن يلقي القبض على اسماعيل ، ولكن عامله المذكور كان قد اعتنق الاسماعيلية فعرض الكتاب على اسماعيل الذي غادر دمشق نحو العراق حيث شوهد بالبصرة عام ١٥١ هجرية وقد مر على مقعد فشفاه باذن الله ، ولبث اسماعيل عدة سنوات يتنقل بين أتباعه حتى توفي عام ١٥٨ هجرية وقد رزق ثلاثة أولاد هم : محمد وعلي وفاطمة .

* * *

المنصور اسماعيل بن القائم

تركت الثورات العديدة التي اجتاحت البلاد بحالة يرثى لها ، من الخراب والدمار اذ أثرت تأثيرا فعـالا في موارد الدولة ، ولولا ما أظهره الامام المنصور من نشاط وشجاعة نادرة ، ودراية وخبرة في فنون الحرب والتنظيم لزالت معالم الدولة الفاطمية أثر وفاة الامام القائم ، وما كاد المنصور بنصر الله يتسلم الخلافة حتى وجه جل اهتمامه للقضاء على الثورات الكثيرة التـي أضرم نارها أبو يزيد •

ولد الامام أبو الطاهر اسماعيل المنصور بنصر الله بن القائم ، بالمهدية ، أول ليلة في جمادي الآخرة سنة ٣٠٣ هجرية ، وبويع له في شوال سنة ٣٣٤ هجرية ، وكان سياسيا عظيما ومحاربا قديرا وخطيبا بليغا ، فصيحا ، حاد الذهن ، حاضر الجواب ، بعيد الغور ، جيد الحدس ، يشرع الخطبة لوقته ، وكان ذا شجاعة نادرة ، وعقل راجح •

في عهده تقدمت الدولة الاسماعيلية تقدما كبيرا في مختلف النواحـي بالرغم من الحروب الكثيرة التي عمت البلاد ، وانتشرت دعوته انتشارا قويـا في كل من (صفاقص) و (تونس) و (قابس) و (جزيرة جيربـة) • ووجه جل اهتمامه للاعتناء بشؤون البحرية وتنظيمها فسيَّر جيشه البحري وسفنه القوية المنظمة الى جزيرة (صقلية) فاحتلها بكاملها ووضع عليهـا (حسن بن علي الكلبي) الذي تمكن بدوره من فتح ملحقات تلك الجزيرة فأصبحت مقرا لقيادة الاسطول الاسماعيلي •

وأول عمل حربي قام به بعد تسلمه الخلافة أنه سار على رأس جيش قوي الى مدينة سوسة لمقاتلة أبي يزيد الذي كان يشدد الحصار على تلك المدينة ،

فنادى الناس بالامان ورحل الى القيروان ، وقاتل أبا يزيد بنفسه ومعه ٥٠٠ فارس بينما كان مع أبي يزيد أكثر من ثلاثين ألف مقاتل ، وتصارع المنصور مع أبي يزيد فهزمه وقتل من أصحابه خلقا كثير • وأظهر الامام المنصور فـي تلك المعركة شجاعة نادرة خارقة ، وتوالت المعارك مع أبي يزيد وهو يتنقل من مدينـة الى مدينة يعمل فيها تخريبا وتدميرا وتقتيلا • وما زال الامام المنصور يلاحق أبا يزيد ويقطع عليه الطريق حتى سلك الجبـال الوعرة والأودية العميقة •

وعاد المنصور تكلل هامته أكاليل النصر وكان ذلك في شهر رمضان سنة ٣٣٦ هجرية الى المهدية وقد انتابه مرض شديد ، ولما علم أبو يزيد بذلـك عاد فجمع خلقا كثيرا وأغار على المدن والدساكر يحرقها وينهبها ، وشـاءت عناية الله أن تنقذ الامام المنصور فشفي من مرضه وجهز جيشا لجبـاً قاده بنفسه وسار الى (المسيلة) فاذا أبو يزيد قد سبقه اليها وحاصرها من كـل جانب • ولما علم بوصول الامام المنصور هرب منه يريد السودان ، ولكن جماعة من القبائل المتمردة من بنو كملان وهوارة ، منعوه من ذلك وأصعدوه الى جبال كتامة فتحصن بها ، واجتمع اليه أهلها ، وظل الامام المنصور يطارده من مكان الى مكان حتى التقى به في (ساقه العسكر) فوقعت بينهم معـارك طاحنة انهزم خلالها أبو يزيد ، وأسلم أولاده وأصحابه ، وأدركه فارسان فقتلا فرسه ، وسقط عنها ، ولكن بعض أعوانه قدموا له غيرها فركبهـا محاولا الفرار لو لا أن يدركه الامير (زَيْري) فطعنه وألقاه ، وكثر عليه القتال حتى خلصه أصحابه وفروا به ، وتبعهم المنصور فقتل منهم مـا يزيد على عشرة آلاف [1] •

وسار المنصور في أثره والقتال بينهم مستمر والمعارك ضارية شديدة ، ولما شدد الطوق على أتباع أبي يزيد سلكوا الجبال وأخذوا يلقون الحجـارة

(١) ابن الاثير ١٧٢/٨ اتعاظ الحنفا للمقريزي ١٢٤ .

في طريق تقدم جيوش المنصور واشتد الامر وتماسكوا بالأيدي وكثر القتل حتى ظنوا أنه الفناء .

والتجأ أبو يزيد الى قلعة (كتامة) المنيعة فاحتمى بها ، ولكن أصحابه من هوارة طلبوا الأمان ، واستسلموا ، فزحف الامام المنصور فحاصر القلعة من كل جانب وأضرم فيها النيران ، فانهزم أتباع أبي يزيد وقتلوا قتلا ذريعا ، ولم يبق في القلعة الا أبو يزيد وأولاده مطوقين في القصر ومعه أعيان أصحابه ، فأمر المنصور بأن تضرم النار بالاحراش المحيطة بالقلعة حتى لا يهرب أبو يزيد في جنح الظلام ، وأخيرا قبض على أبي يزيد وحمل الى المنصور وذلك يوم الاحد في الخامس والعشرين من محرم سنة ٣٣٦ هـ . وبه جراحات كثيرة ، فأمر المنصور بادخاله في قفص صنع خصيصا له ، ووضع معه قردان يلعبان عليه ، وأمر بسلخ جلده ، وحشاه تبنا ، وكتب الى سائر البلاد بالبشارة (١) .

عاد الامام المنصور الى عاصمة ملكه منصورا تحف به قواده وجنوده فاستقبل على طول الطريق بالأفراح والتهليل والتكبير ، ولما استتب الأمن وأخمدت جميع الثورات والفتن ، وجه اهتمامه لاصلاح ما أفسدته الحروب والثورات ، فقضى البقية الباقية من خلافته في اعادة تنظيم البلاد ، فعمرها وأعادها الى ما كانت عليه قبل الثورات .

وأسس مدينة المنصورية سنة ٣٣٧ هجرية على مقربة من القيروان ، واتخذها عاصمة لدولته . وقيل انه بناها تيمنا بما حققه من انتصارات رائعة .

وكانت وفاة الامام المنصور يوم الاحد الثالث والعشرين من شوال ، وقيل يوم الجمعة مع الظهر سلخ شوال ٣٤١ هجرية . وسترت وفاته الى يوم الاحد سابع ذي الحجة منها .

(١) ابن الاثير ١٧٣/٨ اتعاظ الحنفا للمقريزي ١٢٥ .

وكان له من العمر احدى وأربعين سنة وخمسة أشهر (١) ومدة خلافته ثماني سنين ، وقيل : سبع سنين وعشرة أيام (٢) وقيل كان عمره تسعاً وثلاثين سنة .

ويذكر التاريخ أن سبب وفاته كان : أنه خرج الى سفاقس ، وتونس ، ثم الى قابس ، وبعث يدعو أهل (جربة) الى الطاعة فأجابوه ، وأخذ منهم رجالا وعاد ، وكانت سفرته شهرا ، وعهد الى ابنه معد وجعله ولي عهده .

فلما كان شهر رمضان سنة ٣٤١ هجرية خرج متنزها الى مدينة (جلولاء) وهو موضع كثير الثمار ، فأقام بها أياما ثم عاد الى المنصورية ، فأصابه في الطريق ريح شديد وبرد ومطر أقام أياما وكثر الثلج ، فمات جماعة ممن معه . واعتلّ المنصور علة شديدة ، ووصل الى المنصورية فأراد أن يستحم ، فنهاه طبيبه عن ذلك فلم يقبل ، ودخل الحمام وبعد خروجه أصيب بمرض السهر ، فأخذه طبيبه يعالجه ، بدون جدوى ، فأمر المنصور باحضار أحد الأطباء فأعطاه أشياء مخدرة فنام الامام المنصور ولما علم طبيبه اسحق بما فعله الطبيب أيقن أن الامام قد مات فدخلوا عليه فاذا هو ميت ، فدفن في قصره . وكان نقش على خاتمه : « بنصر الظاهر ، ينتصر الامام أبو الطاهر » .

وأولاده : أبو تميم المعز لدين الله ، وحيدرة ، وهاشم ، وطاهر ، وأبو عبد الله الحسين ، وخمس بنات : هبة ، وأسما ، وأروى ، وأم سلمة ، وسمورة ، وكان له أمهات أولاد ثلاث (٣) .

والخلاصة كانت حياة هذا الامام البطل الذي ركز دعائم الخلافة بقوة

(١) في ابن الاثير ١٩٦/٨ « وكان عمره تسعا وثلاثين سنة » .

(٢) في : ابن خلكان ، والوفيات ١٣٦/١ : وستة أيام ، وفي ابن الاثير ١٩٦/٨ : وستة عشر يوما .

(٣) اتعاظ الحنفا (ص ١٣٣) ابن أبي دينار (ص ٥٩) .

السيف ، واستأصل شأفة الاجرام واللصوصية ، بالرغم من قصر مدة خلافته ، ولم يقف عند هذا الحد بل وجه اهتمامه الزائد الى اعادة الأمن والاستقرار الى النفوس فشيد المدن والدساكر التي دمرتها الحروب ومد يد المساعدة للفقراء والمنكوبين ، وعمد الى تنظيم الجيش تنظيما عظيما وأوجد السفن والمراكب وشكل القوة البحرية الضاربة التي كانت مضرب الامثال لما قدمته من خدمات عظمى للدولة • ولم يتوان عن ادخال تنظيمات جديدة على مدارس الدعاة التي كانت منتشرة في أكبر المدن ، فتخرج منها دعاة علماء خدموا الدولة والدعوة خدمات عظيمة كانت من أكبر العوامل التي ساعدت على فتح مصر وغيرها من الاقاليم •

* * *

حرف الباء

بهرام بن موسى الاستراباذي الفارسي

من كبار دعاة الاسماعيلية النزارية في بلاد الشام ، لعب دورا هاما في تاريخ سورية السياسي في القرن الخامس الهجري ، استطاع أن يركز أقدام الاسماعيليين في ولاية دمشق بما أوتيه من مقدرة سياسية ، وشجاعة نادرة ، ومقدرة علمية لا تحد •

قيل انه ولد في سمرقند سنة ٤٥٩ هجرية وكان أبوه موسى من كبار التجار الاسماعيلية في تلك البلاد ، أرسل ولده بهرام الى مدرسة نيسابور لتلقي العلم ، وبعد أن أتم دراسته العلمية ، انخرط في سلك الدعاة الاسماعيلية ، وفي سنة ٤٨٥ هجرية توجه الى مصر لحضور مجالس الحكمة التأويلية وللمثول بين يدي الامام المستنصر ، وتذكر المصادر الاسماعيلية النزارية أنه ظل في القاهرة مدة سنة ونصف ثم غادرها الى بلاد الشام حيث استقر في قلعة صهيون ، وبعد أن اعلنت وفاة الامام المستنصر بالله سنة ٤٨٧ هجرية توجه الى (آلموت) ليقف الى جانب الحسن بن الصبّاح وليطلع على مجريات الأمور بعد أن أعلن الصبّاح انفصاله عن الخلافة المستعلية في مصر وتأسيس الدولة النزارية في فارس ، ظل يعمل متجولا في فارس حتى تقرر ارساله الى بلاد الشام موفدا من قبل الامام علي الهادي وحجته الحسن ابن الصباح • فعرج على حلب حيث قام ببعض التنظيمات ومن ثم توجه الى دمشق على رأس فريق من اسماعيلية العراق ، فاستقر فيها يعمل على نشر دعوته سرا فتمكن من استمالة الوزير (طاهر بن سعد المزدقاني) الذي سهل له أمر الاتصال بالأمير طغتكين صاحب دمشق ، فوثق به ومال اليه وقدم له المساعدات ، فاظهر بهرام دعوته علنا ، واضطر فقهاء السنة في دمشق

للسكوت خوفا من بطش الفدائية [١] . ولما استفحل أمر الاسماعيلية في دمشق ونواحيها وكثر عددهم اتفق الداعي بهرام مع صاحب دمشق على أن يتنازل للاسماعيلية عن قلعة بانياس في منطقة الحولة فعظم أمرهم فيها وتوسعوا في تلك المنطقة ، رغبة في تأمين امارة قوية تقف في وجه الغارات الصليبية .

فهاجم بهرام وادي التيم ، وكان سكانه من الدروز، والنصيرية والمجوس. فملك عدة حصون فيه ، ولكن الدروز باغتوا الاسماعيلية سنة ٥٣٢ هجرية للاخذ بالثأر فقتل الداعي بهرام بعد أن عهد للداعي اسماعيل الفارسي ليتولى شؤون الدعوة في بانياس [٢] .

وتذكر المصادر أن الداعي بهرام استطاع أن يجذب اليه كثيرا من أمراء الشام وأتابكتها ، كما أسس فرقة منظمة من الفدائية تمكن بواسطتها من القضاء على الأفضل شاهنشاه سنة ٥١٥ هجرية وأرسل فدائيا آخرا سنة ٥٢٤ الى القاهرة حيث تمكن من قتل الخليفة المستعلي الآمر بأحكام الله . كما أرسل الفدائي (علي البحري) الى طرابلس للانتقام من (صنجيل) الذي فتك بالاسماعيلية وأحرق مكتبتهم في طرابلس الشام .

* * *

(١) خطط الشام : كرد علي : ٣/٢ .

(٢) الطائفة الاسماعيلية : كامل حسين : ص ٩٧ .

(٣) ابن العديم : زبدة حلب : ١٤٧/٢ .

حرف التاء

الامير تميم بن المعز

الأمير تميم بن المعز شاعر اذا عد الشعراء الأمراء كان في طليعتهم ، شاعر أعد ليكون خليفة واماما لأعظم وأوسع دولة اسلامية ، ولكنه الشباب المندفع الوثاب ، والنوازع النفسية الكامنة التي تتحرك بالأعماق فتجرف العقل من قواعد الهدوء والاستقرار الى عالم التهور والاستهتار . هذه النوازع هي التي ابعدت الأمير تميم عن عالم الخلافة والامامة لتقربه الى عرش الشعر واللهو والمجون ولتجلسه على عرش مضمخ بالعطر والحب والجمال .

وكم في شعر الامير تميم من بديع ورقة وفن وموسيقى وخيال ، وكم في حياته من قصص يتجلى بها الصخب والعبث والاستهتار .

ولد الامير تميم بن المعز لدين الله الفاطمي بالمغرب سنة ٣٣٧ هجرية في مدينة المهدية ، وفيها نشأ مع اخوته عبد الله ونزار وعقيل ، وكان تميم أكبرهم سناً ، فلم يشك الناس في أن ولاية العهد ستكون له ، ولكن الامام المعز لدين الله صرفها عنه الى أخيه عبد الله .

وعندما قدم الى مصر كان في الخامسة عشر من عمره ، ويظهر أن حياته في القاهرة تغيرت تغيرا محسوسا عن حياته في المغرب ، فهنا الحياة الصاخبة المندفعة نحو اللهو والشعر والخمرة ، وهناك التحفظ والمركز الذي يلزم بالكمال والاتزان . وفي مصر توفي أخوه عبد الله (ولي العهد) فجعل المعز ولاية عهده الى ابنه الثالث نزار الذي لقب بالعزيز .

وعاش تميم في مصر حياة لهو وترف كونه وجد في البيئة المصرية من الاجواء والمنتزهات والديارات ما وافق هواه ومزاجه ، فكان يخرج مع ندمائه

في العشاري والزوارق المملوءة بالفاكهة والطعام والشراب ، فاذا كانت الليالي مقمرة والا كان معه من الشموع ما يعيد الليل نهارا .... وكان اذا مر على طائفة واستحسن من غنائهم صوتا أمرهم باعادته ، واذا عز عليهم شيئا قضاه لهم وهكذا حتى مطلع الفجر ..

ويحدثنا التاريخ على أنه كان كريما يسرف في الكرم الى حد السفه ، مقبلا على الشراب ، محبا للسماع ، مشاركا أصحاب اللهو والمجون ... لهذه الاسباب أقصى الامام المعز ولده تميم عن ولاية العهد وأعطاها الى ولده نزار وهو الخليفة العزيز بالله الفاطمي فيما بعد ، واننا نرى ونحن نستعرض حياة تميم أنه قبل بهذا الامر عن طيبة خاطر ، فلم نسمع عنه انه عارض خلافة أخيه أو حاول أن يسيء اليه بل على العكس كان يحبه ويؤثره ويطيعه وينظم فيه غرر المدائح . ومنها من قصيدة : (١)

تهون عليّ صغارُ الأمور ... ويصغر عني جميع الورى
أنا ابن المعز سليل العلى ... وصنوا العزيز امام الهدى
وما احتجت قط الى ناصرٍ ... ولا رحت يوما ضعيف القوى
ولم أستشر في ملم يئوب ... مشيراً أرى منه ما لا أرى
ولست بوان اذا ما أمرّ ... زمانٌ ولا فرح ان حلا

وهذه الابيات تظهر قوة فخره واعتزازه بنفسه وبنسبته للأئمة الفاطميين وعدم مبالاته بصروف الدهر . ويعتبر الأمير تميم الشاعر مغموراً في الأدب العربي ، فلم يذكره النقاد الا لماماً . وقد قال عنه ابن الأبار : « بانه شاعر الفاطميين غير منازع ولا مدافع .. غزارة علم ، ومعاناة أدب ، وحسن تشبيه ، وابداع تخيل » .

وفي الواقع انه امير الشعراء الامراء بلا جدال ، والشاعر الرقيق المرهف

(١) ديوان الامير تميم نسخة خطية (ورقة ٤٣) .

الحس الذي يمتاز بقوة التعبير والتشبيه ، وادخال السلاسة والرقة والرنة الموسيقية ، وانتقاء الالفاظ التي توقظ الشعور والاحساس . ومن يقرأ شعر الأمير تميم الذي تتجلى فيه نفسه على حقيقتها ، ذلك لانه كان ينظر نظراً دقيقاً في جوانب نفسه ثم يصور ما يعتلج فيها من عواطف وخلجات كاصدق ما يكون من التصوير القوي باسلوبه ، المرح بطبيعته ، المشرق بروحه .

وينتقل من الفخر والاعتزاز بالنفس الى أخيه العزيز فيقول :

فمن حد سيفك تسطو المنون ... ومن بطن كفك يبغي الندى
ويا ابن المشاعر والمروتين ... ويا ابن الحطيم ويا ابن الصفا
لك الشرف الهاشمي الذي ... يقصر عنه علا من علا
فمن حد سيفك تسطو المنون ... ومن بطن كفك يبغي الندى
ولو فاخرتك جميع الملوك ... لكانوا الظلام وكنت السنا

ومن قصيدة ثانية يمدح فيها امامه العزيز بالله (١) :

جئت الخلافة لما أن دعتك كما ... وافى لميقاته موسى على قدر
كالأرض جاد عليها الغيث منهملا ... فزانها بضروب الروض والزهر
ما أنت دون ملوك العالمين سوى ... روح من القدس في جسم من البشر
نور لطيف تناهى منك جوهره ... تناهيا جاز حد الشمس والقمر
معنى من العلة الأولى التي سبقت ... خلق الهيولى وبسط الأرض والمدر
فأنت بالله دون الخلق متصل ... وأنت لله فيهم خير مؤتمر
وأنت آنيه من نسل مرسله ... وأنت خيرته العزاء من مضر
لو شئت لم ترض بالدنيا وساكنها ... مثوى ، وكنت مليك الأنجم الزهر
ولو تفاطنت الألباب فيك درت ... بأنها عنك في عجز وفي حصر

(١) ديوان الامير تميم ورقة ٥٨ نسخة خطية .

ففي هذه الأبيات نرى الشاعر يمدح امامه ويقول له بأنه ليس كغيره من الملوك ، لأن نفس الامام الشريفة اللطيفة هي روح قدسية حلت في جسم كثيف ترابي ، وأن هذه النفس اللطيفة تناسب العقل الذي سماه بالعلة الأولى ، وبما أن العقل هو أول ما خلق الله فهو سابق لخلق الهيولي ، ولما كان العقل الاول هو أقرب مبدعات الله اليه سبحانه ، فكذلك الامام الذي هو مثل العقل أقرب المخلوقات الى الله على هذه النسبة ، وهو متصل بالله تعالى لان مثوله العقل الاول متصل بالله تعالى ، وأن الامام آية الله تعالى من نسل النبي محمد ، وعلى هذه الصورة أدخل الامير تميم المعتقدات الاسماعيلية المذهبية الفلسفية في مدح شقيقه الامام العزيز بالله .

وله فيه أيضا أبياتا أخرى تفيض بالروعة والرقة :

سلام الله والنعماء تترى … ووافدة السرور على نزار
اذا ما نحن زرناه فانا … نزور ندى يزيد على البحار

وننتقل الى موضوع الرثاء لنسمع الى تميم وهو يرثي أخاه عبد الله بقصيدة اعتبرت من غرر القصائد الفياضة بالعاطفة الزاخرة بالحزن والاسى[1]:

كل حي الى الفناء يصير … والليالي تعلة وغرور
والى الله يرجع الملك والملك … ويقضي الأمير والمأمور
واذا لم يكن من الموت بد … فطويل الحياة نزر حقير
اي خطب أرى وأي ليال … دهم الناس صرفها المحذور
كيف لم تسقط السماء على الارض … ولم تهو شمسها والبدور

(١) ديوان الامير تميم ورقة (٦٤)نسخة خطية .

ومنها :

يا أخي أي عبرة ليس تهمي … وفؤاد عليك ليس يطير
يا أخي ان بكتك عيني فاني … بالبكا والاس عليك جدير
كنت ملء الجفون نورا فأمسيت … ملؤها مدمع عليك غزير
خانني بعدك التجلد والصبر … على انني الجليد الصبور
فالصباح الأغر ليل بهيم … عند فقديك والديار قبور

وفي غزل الامير تميم نشاهد الصور البديعة ، والقصص المثيرة والألوان الزاهية المضمخة بالأطياب والعذوبة الوجدانية الدافقة بالفن والجمال ، فها هو في دير القصير يتحدث الى عجوز شمطاء ، وراقصة هيفاء :

ولي صاحب لا يمرض العقل جهله … ولا تتأذى النفس منه ولا القلب
اذا قلت: «لا» في قصة لم يقل : «بلى» … وان قلت: أصبو ،قال : لابد أن أصبو
وان قلت هاك الكأس ، قال مبادرا … ألا هاتها ، طاب التنادم والشرب
سريع اذا لبى ، صبور اذا دعا … يهون عليه في رضى خله الصعب
غذوت به يوما الى بيت حانة … وللغيم دمع ما يكف له سكب
وقد نفحت ريح الصبا بمنافس … عبيرية الأنساب طاب لها الترب
فأفضى بها الادلاج بعد تعسف … الى زولة شمطاء منزلها رحب
مدثرة ، أما أبوها فقيصر … وحسبك ملك جده قيصر حسب
قصيرية ديرية هرقلية … تقاصر منها الحظ واحدودب الصلب
فلما قرعنا بابها ابتدرت لنا … وفي يدها نجم محيط به قعب
فقالت لنا : أهلا وسهلا ومرحبا … وقل لكم مني البشاشة والرحب
من أنتم ؟ فقلنا عصبة من بني الصبا … دعاهم اليك القصف والعزف واللعب
فقالت : على اسم الله حطوا رحالكم … فعندي الفتاة الرود والأمرد الرطب
وراح نفي اقذاءها طول عمرها … فجاءت كما يذري مدامعه الصب
أرق اذا رقرقتها في زجاجة … وألطف من نفس تداولها الحب

كأن سرا حبا في ترائب دنها … اذا أقبلت من كيله الدن تنصب
فقلنا لها : كيلي لنا وتعجلي … ولا يك فيما قلت خلف ولا كذب
فجاءت تجر الزق نحوي كأنه … على الأرض زنجي بلا هامة يحبو
فلما مزجناها بدا فوق رأسها … حباب كما ينساب من سلكه الحب
وطافت بها هيفاء مهضومة الحشا … ملاطفها سلم وألحاظها حرب
تمايل ردفاها وأدرج خصرها … ليانا ولطفاً مثل ما تدرج الكتب
شكا كشحها الزنار مما يجيعه … وضاق بها الخلخال وامتلأ القلب
أغار على أعطافها كلما انثنت … مع الكأس ، أو قذى ملاحتها الشرب
أحلت لي الصهباء تقبيل وجهها … وما كان قبل السكر في لثمه عتب

ومنها :

سلام على دير القصير ومرحبا … به فله مني التخصص والقرب
فكم لذة فيه قضيت وغلة … شفيت ولا واش علينا ولا شغب[1]

وما أرق الأمير تميم حينما يصف الورد ويتغزل :

ورد الخدود أرق من … ورد الرياض وأنعم
هذا تنشقه الأنوف … وذا يقبله الفم

ويجد القارىء في ديوان الأمير تميم بعض قطع في الزهد والنسك لا تقل روعة وصدق ايمان عن شعر أشد الشعراء تمسكا بالدين وأشدهم خوفا من عذاب الآخرة فهو يقول :

يا عجبا للناس كيف اغتدوا … في غفلة عما وراء الممات
لو حاسبوا أنفسهم لم يكن … لهم على أخذ المعاصي ثبات
من شك في الله فذاك الذي … أصيب في تمييزه بالسبات

(١) ديوان الامير تميم ورقة (٧٢)نسخة خطية .

يجيئهم بعد البلى مثل ما … أخرجهم من عدم للحياة[1]

ويقول في مكان آخر :

أفنيت دهرك تتقي … فيه الحوادث والمصائب
ولو اتقيت معاصي الر … حمن فيما أنت راكب
لأمنت نار الجحيـ … ـم وفي الحياة من المعائب
ان لم تراقب من له … حكم عليك فمن تراقب[2]

وهكذا يتبين لنا أن الأمير تميم شأنه في مجونه وزهده شأن كثير من بني البشر الذين يعصون الله ، ولكنهم بالوقت نفسه يخافون عقابه .

هذا ما تمكنا من ايراده في هذه العجالة ولا نرى اننا قد استطعنا ايفاء هذا الشاعر الكبير حقه من النقد والحديث ، والتحليل ولا بد لمن يرغب في دراسته دراسة أدبية يتناول فيها كل النواحي في شعره المضمخ بالعطر والورد وفي حياته الطافحة بأريج الخمر والشعر والعاطفة من تخصيص صفحات طويلة وباعتبار كتابنا هذا سيضم العدد الكبير من أعلام الاسماعيلية سنكتفي بهذا القدر . وقيل أن الشاعر الأمير قد توفي في القاهرة المعزية سنة ٣٧٤ هجرية ودفن فيها .

* * *

(١) ديوان الامير تميم نسخة خطية ورقة ٨٢ .
(٢) المصدر نفسه ورقة ٧٧ .

حرف الجيم

جعفر بن فـلاح

اعتمد الجيش الاسماعيلي ـ الذي دوخ البلاد وفتح الفتوحات الكثيرة ـ في تكوينه على الكتاميين ، وعلى القبائل المغربية التي كانت تتفانى في طاعة الامام •

ومن قواد ذلك الجيش المشهورين جعفر بن فلاح الكتامي الذي شارك في فتح مصر ، واستطاع أن يخضع جميع بلاد الشام في عدة شهور للخلافة الفاطمية • تاريخ حياة هذا القائد البطل ونشأته الأولى لا نعلم عنها شيئاً ، وكل ما تمكنا من استنتاجه أنه انضم الى فرقة الكتاميين في الجيش الاسماعيلي فأبلى البلاء الحسن لما أظهره من قيادة حكيمة وشجاعة نادرة •

لذا اختاره الامام المعز ليقود الجيش الكتامي الذي سيره الى مصر مع القائد جوهر الصقلي ، ومن المعروف أنه أول من احتل الفسطاط وهزم جند الأخشيدية والكافورية سنة ٣٥٨ هجرية •

وما كادت تستقر الأمور في مصر حتى سيره الامام المعز على رأس الجيش الاسماعيلي لفتح بلاد الشام • فاحتل فلسطين وتوجه الى دمشق لملاقاة الاخشيديين الذين أعدهم الحسن بن عبيد الله بن طغج صاحب الشام ، والتقت الجموع في ثلاثة معارك ضارية انتصر فيها جعفر بن فلاح ، وحاصر دمشق ومن ثم عاد الى طبرية ففتحها وأقام الخطبة فيها للامام المعز سنة ٣٥٩ هجرية ، وعاد ثانية الى دمشق فاحتلها بعد أن هزم كل القوى التي تألبت عليه ، واصبح واليا على الشام من سنة ٣٥٨ هجرية حتى سنة ٣٥٩ هجرية • عمل خلال هذه المدة على استرداد انطاكية التي وقعت في أيدي الروم ، وهدد الحمدانيين في حلب بالاستيلاء على بلادهم اذا لم يقيموا الدعوة الاسماعيلية على منابرها •

كثرت الثورات والدسائس والمؤامرات التي كان يحيكها الأمراء الذين هربوا من الفاطميين وانضموا الى الحسن بن أحمد القرمطي الذي توجه لمقاتلة ابن فلاح في دمشق (١) •

ولما كان ابن فلاح يثق بنفسه ويعتز بقوته فلم يعبأ بالقرامطة فاشتبك معهم في معركة ضارية على نهر يزيد على مقربة من دمشق فحلت بجنوده الهزيمة في شهر ذي الحجة سنة ٣٦٠ هجرية • وظل يقاتل ويناضل حتى قتل في ذلك التاريخ (٢) وقيل : أشعلوا النار في منزله فحرقوه •

* * *

(١) ابن خلدون : العبر ٩٠/٤

(٢) خطط المقريزي : ٣٧٨/١

جعفر الصادق

اذا ما افتخرت المدنية الغربية بالثقافة الانسانية للأوائل ، فليس علينا الا أن نرفع رأسنا عاليا مفتخرين بالنزعة الانسانية التي أوجدها التيار الفكري الاسلامي الذي تغذى بالعلوم الاسماعيلية ، ووضع أسسها الامام جعفر ابن محمد علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب صاحب أول نداء انبعث من الأعماق لايقاظ رسالة الانسان الكاملة ، في معانيها الرقيقة ، وأهدافها السامية ، ولقد جعل الانسان المحور التي تدور عليه القيم ، والمفسر لمعالم الكون من الوجهة الانسانية .

يُعَدُّ الامام جعفر الصادق من أعظم الشخصيات العلمية في الاسلام في عصره ، بالرغم من أن شخصيته العلمية لا تزال غامضة ، تحتاج الى من يكشف كنهها ويسبر غورها ، لأن التاريخ يفرض علينا أن نرفع القناع عن حقيقة أعظم شخصية علمية أوجدت مدارس خاصة في الاسلام ، كان لها تأثير قوي في التيارات الفكرية الاسلامية ، وقد تخرج من تلك المدارس فرق عديدة أهمها : المعتزلة ، الصوفية ، الجعفرية ، الاثنى عشرية ، والحركات الباطنية .

وما دام يكتنف مثل هذه الشخصية الظلام فستظل كثير من الحقائق في طي الخفاء ، لأن التعصب الديني المقيت طمس تلك الحقائق ووضع سداً دون تفهم تلك الأسس العميقة في بناء الحضارة الاسلامية .

ولد أبو عبد الله جعفر بن محمد الباقر المعروف (بالصادق [1]) في

(١) لقب بالصادق لصدقه ، ابن خلكان ١/١٨٥ .

السابع عشر من ربيع الأول سنة ٨٣ هجرية[1] في المدينة المنورة ، والدته فروة بنت القاسم بن محمد [2] كان كثير الاحترام لأمه ، عاش بعيدا عن غمار السياسة ومتاعبها ، ورفض أن يعلن الثورة على العباسيين وأعلن تبرؤه من الغلاة ، وبذلك أزال شكوك العباسيين فيه ، ومهد السبيل لأبنائه من بعده ، وأخذ الشيعة على مختلف فرقهم يتسابقون في التقرب اليه .

وكان الامام جعفر الصادق عالما في الدين والفلسفة والفقه والكيمياء ، ومن تلامذته المشهورين (جابر بن حيان) .

ويحدثنا الشهرستاني ان الامام جعفر كان ذا علم غزير في اصول الدين[3] وأدب كامل في الحكمة ، وزهد بالغ في الدنيا ، وورع تام عن الشهوات ، وقد أقام بالمدينة مدة يفيد شيعته المنتمين اليه ، ويفيض على الموالين له أسرار العلوم ، ثم دخل العراق وأقام فيها مدة ، ما تعرض للخلافة قط ولا نازع أحدا عليها وعلق على قوله : (من غرق في بحر المعرفة لا يطمع في شط ، ومن تعلى الى ذروة الحقيقة لا يخف من حط) . وجعل الامام جعفر الصادق مركزه العلمي في المدينة ومكة ، وقيل انه وضع (جفر) أسماه (جفر جعفر) أو (الجفر الأحمر) ثم أمر أبا موسى جابر بن حيان الصوفي ان يدون ذلك الجفر ويعلمه لمن يشاء من شيعته ، وذكر ايفانوف [4] أن للامام جعفر عدة مؤلفات منها :

١ — الجفر الأحمر .
٢ — مصباح الشريعة ومفتاح الحقيقة .
٣ — بحار الأنوار .

(١) اصول الكافي للكليني ص ١٩٣ .
(٢) مروج الذهب للمسعودي ١٨٢/٤ .
(٣) الملل والنحل للشهرستاني ص ١٢٥ .
(٤) المرشد الى الادب الاسماعيلي (ص ٢٩) .

وأكثر أحاديث الامامة تروى عن الامام جعفر الصادق ، وأهمها ما رواه عن الامام علي بن أبي طالب في كيفية خلق العالم وكيف تم انتقال النور من آدم الى محمد وانتقل ذلك النور الى الأئمة من آل البيت .

ويؤكد أكثر العلماء والمؤرخين أن الامام جعفر الصادق هو الذي وضع الفقه المسمى باسمه (الفقه الجعفري) الذي تسير عليه وبموجبه كافة الفرق الشيعية في العالم .

تزوج الامام جعفر الصادق فاطمة ابنة الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب فكان منها اسماعيل (أعقب) وعبد الله (لا عقب له) وكان من زوجته الثانية أم ولد محمد واسحق وموسى وعلي والعباس . عهد لابنه اسماعيل بالامامة من بعده على مسمع من خواص شيعته حسب شروط الوصاية وأحكامها ، فساق الاسماعيليون الامامة في اسماعيل والامام جعفر حياً .

واتفق المؤرخون بان الامام الصادق انتقل الى جوار ربه في العاشر من شوال سنة ١٤٨ هجرية ، وقيل أن الخليفة المنصور قد قدم له عنباً مسموماً .

ودفن جسده الطاهر في البقيع بالمدينة الى جانب ابيه وجده وعلى قبورهم منذ قرون رخامة كتب عليها :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله مبيد الامم ومحي الامم ، هذا قبر فاطمة بنت رسول الله (ص) سيدة نساء العالمين وقبر الحسن بن علي بن أبي طالب وعلي بن الحسين ابن علي بن أبي طالب ومحمد بن علي وجعفر بن محمد رضي الله عنهم .

* * *

جعفر بن منصور اليمن

فطر جعفر على حب المذهب الاسماعيلي والتفاني في سبيل انتشار الدعوة الاسماعيلية ، ولا غرو في ذلك فهو نجل الداعي الكبير والفيلسوف العظيم منصور اليمن ابن حوشب ، ولما توفي والده ابن حوشب وتآمر أخيه الحسن على قتل الشاوري ، وثار على الخليفة الفاطمي المهدي ، اختلف جعفر مع أخيه الحسن واعتبر أعماله خروجا على المذهب الذي رضع لبانه منذ الصغر ، فقصد بلاد المغرب سنة ٣٢٢ هجرية (١) فوجد الخليفة المهدي قد توفي ، وقام بعده ابنه القائم ، فرحب به وأنزله أحسن منزلة ، ويحدثنا ادريس عماد الدين عن المكانة التي بلغها هذا الداعي لدى الأئمة الاسماعيلية فيقول(٢) : « وانتهى الى أن بلغ مبلغا عظيما عند الأئمة ... وبلغ مراتب الأبواب الفائزين بعلو الدرجات » . وقد ورد في سيرة الاستاذ جوزر (٣) ما نصه : « وكان محل جعفر بن المنصور صاحب اليمن من الدولة وقربه من مولانا عليه السلام المحل القريب ، ومكانه من الاستاذ المكان الأدني الوكيد في الدين » . ومما لا شك فيه أن جعفرا كان يتمتع بمركز رفيع في الدولة الفاطمية ، في المغرب ثم في مصر ، وكان موضع احترام وتقدير القائم والمنصور ، وبلغ الذروة في عهد المعز لدين الله حتى اتخذه « باب أبوابه » في مصر ، وهي أعلى رتبة في الدعوة وصار أهم رجال الدعوة الذين يشار اليهم بالبنان في الفضل والزهد ، حتى تفوق على القاضي أبي حنيفة النعمان التميمي المغربي نفسه ، الذي كان دعامة من أهم دعائم

(١) السلوك للجندي ص ١٥١ .
(٢) عيون الاخبار ٥/٥٠ .
(٣) سيرة الاستاذ جوزر (ص ١٢٦) .

الفاطميين في القضاء والفقة الاسماعيلي . وليس أدل على ما بلغه جعفر من درجة عالية ومكانة سامية عند الامام المعز من قول الداعي ادريس (١) :

« من أن القاضي النعمان اعتلّ بعلة ، فزاره جميع الدعاة وأولياء الدولة وقوادها ... ولما زالت علته أتى الى الامام المعز فسأله عمن زاره ، فقال : كلهم زارني الا جعفر بن منصور ، فأخذ أمير المؤمنين في حديثه ، ثم أمر بكتب فأحضرت اليه . ففتح كتابا منها ، وقال للنعمان : انظر في هذا الكتاب ! فلما تصفحه قال الامام : ما تقول في هذا ؟ قال : ما عسى أن أقول في قولكم . فقال الامام : هذا تأليف مولاك جعفر ، اعلاما له بعالي فضله وبيانا لسامي محله . فلما خرج النعمان ... قصد دار جعفر ... ولما رأى النعمان جعفر لم يتمالك أن وقع على رجليه يقبلهما اعترافا له بالفضل » .

وقد يعتقد القارىء أن مثل هذا لا يحدث للقاضي النعمان من مركز جليل في الدولة والدعوة ، فلا يمكن أن يقبل رجلي جعفر . وبالرغم من شهرة النعمان فيما يتعلق بعلوم الظاهر ، الا أنه لم يكن قد بلغ المرتبة التي وصل اليها جعفر . وقد ترك جعفر كثيرا من الآثار العلمية التي لا تزال عند (البهرة) الى اليوم . ومن مؤلفاته : الفرائض وحدود الدين ، الشواهد والبيان،سرائر النطقاء ،بيان تأويل قصص الانبياء،تأويل الزكاة ، الكشف،الفترات والقرانات ، تأويل سورة النساء ، المراتب والمحيط ، رسالة في معنى الاسم الاعظم .

* * *

(١) عيون الاخبار ٣٩/٦ .

جلال الدين الرومي

شاعر مبدع ، وفيلسوف عبقري ، وعلامة لا يجاري ، اعتبره الأدباء من أكبر شعراء فارس ، تميز بمعانيه المبتكرة ، واسلوبه العميق ، ومما قاله فيه أحد العلماء ، لا يمكن لأي انسان أن يقول مثل شعر جلال الدين الرومي ولن يستطيع أي شاعر في المستقبل أن يبلغ ما بلغه ، اسمه كما ورد في المصادر التاريخية جلال الدين محمد واشتهر وعرف في الاوساط الادبية (بمولانا جلال الدين الرومي) نسبة الى بلاد الروم حيث قضى الشطر الاكبر من حياته الحافلة بالخصب والانتاج .

كانت ولادته في مدينة بلخ في خريف سنة ٦٠٤ هجرية ولم يمر على ولادته وقت طويل حتى اجبر والده العلامة الجليل (محمد بن الحسين الخطيبي البكري) المعروف (بهاء الدين ولد) الى الهجرة نتيجة للاضطهاد الذي لقيه على يد (علاء الدين محمد خورزمشاه) فسار الى نيسابور سنة ٦٠٨ هجرية حيث زار الفيلسوف الاسماعيلي فريد الدين العطار ، الذي أخذ ولده جلال الدين بين ذراعيه وقال لوالده بأن مستقبلا عظيما ينتظر هذا الطفل ، وقيل ان الشيخ العطار زوده ببعض الكتب المذهبية ومنها كتابه المشهور (الهي نامة) ومن ثم توجه الى بغداد ومنها الى مكة ، حيث استقر في مدينة (مليطة) فأقام فيها أربع سنوات (١) وبعدها توجهوا الى مدينة (لانده) التي تعرف الآن (بقرمان) فأقاموا فيها سبع سنوات . وقيل أن جلال الدين تزوج خلال هذه المدة من فتاة اسمها (جوهر خاتون) ابنة (لالا شرف الدين السمرقندي) فانجبت له ولدين (علاء الدين) و (بهاء الدين) الذي عرف

(١) تاريخ الادب في ايران : براون : ص ٦٥٤ .

فيما بعد (ببهاء الدين سلطان ولد) بعد أن نال شهرة عظيمة لانه صاحب أول منظومة من أمثلة الاشعار (التركية الغربية) المبكرة ، وهي مثنويته المعروفة باسم (رباب نامة) وتشتمل على ١٥٦ بيتا •

وأخيرا حطوا رحالهم في مدينة (قونية) التي كانت في ذلك الوقت عاصمة للحاكم السلجوقي (علاء الدين كتعباد) • وفي سنة ٦٢٨ هجرية توفي والده العلامة (بهاء الدين) فحزن عليه حزنا عظيما كونه كان يدرس عليه العلوم والمعارف وأصول المذهب الاسماعيلي فقرر أن يرحل الى حلب للدراسة ونظم الشعر ، وفي شهر رجب سنة ٦٤٢ هجرية بينما كان يجلس في أحد الاركان المنعزلة بقرب غدير ماء ينظم الشعر مر به شيخ كبير تظهر على محياه علائم الاجلال والاحترام فرحب به وأجلسه بجواره • فقال له الشيخ : ماذا تفعل يا بني ؟ قال له : أبحث في عالم الشعر والخيال والوحي ، فقال له الشيخ بعد أن أخذ بعض ما كتبه جلال الدين وألقاه في الماء : أنا من يدلك على ما تبحث عنه ، وأخذ يلقنه التعاليم الروحية الفلسفية ، فاعجب به وامسك بتلابيبه وقال له : لن أدعك تذهب دون أن تكمل ما أنت بصدده وأخيرا تم التعارف فيما بينهما ، ولم يكن ذلك الشيخ الكبير الا حجة الامام الاسماعيلي (ركن الدين) المعروف بشمس تبريز • فلازمه جلال الدين ودرس عليه مدة خمسة عشر شهرا [1] أي الى الوقت الذي اغتيل فيه شمس تبريز أثناء الفتنة الكبرى التي وقعت في قونية في ذي القعدة سنة ٦٤٤ هجرية • وقتل فيها أيضا ابن جلال الدين البكر (علاء الدين) •

هذه الفتنة الذي ذهب ضحيتها مرشده ومعلمه ومثله الأعلى وحبيبه ، وولده علاء الدين فجرت في نفسه الحزينة قصائد لاهبة مليئة بالحزن اللاعج الدفين والغزل الديني العميق وسماها (ديوان شمس تبريز) •

(١) مناقب العارفين للاخلاكي ص ٩٥ •

واعتكف في منزله لا يخرج مطلقا ينظم ويصنف ويبحث وينقب حتى توفي يوم الاحد في ٥ جمادي الآخر سنة ٦٧٢ [1] هجرية •

ومن آثاره الشعرية المشهورة قصائده الغنائية التي تغزل فيها باستاذه شمس تبريز والمعروفة (بديوان شمس تبريز) • وكتاب (المثنوي) الذي قال عنه جلال الدين في المقدمة : « ان المثنوي هو أصل الدين ، في كشف أسرار الوصول واليقين ، وهو فقه الله الأكبر ، وشرع الله الازهر ، وبرهان الله الاظهر ، مثل نوره كمشكاة فيها مصباح ، يشرق اشراقا أنور من الاصباح ، وهو جنان الجنان ، ذو العيون والاغصان ، منها عين تسمى عند أبناء هذا السبيل سلسبيلا ، وعند أصحاب المقامات والكرامات خير مقاما وأحسن مقيلا ، الأبرار فيه يأكلون ويشربون ، والاحرار منه يفرحون ويطربون ، وهو كنيل مصر شراب للصابرين ، وحسرة على آل فرعون والكافرين كما قال : يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا ••• » •

وله رسالة منثورة عنوانها « فيه ما فيه » •

ومما لا شك فيه أن الكثير من الكتاب والأدباء والمؤرخين قد تناولوا حياة ومؤلفات هذا الشاعر الكبير بالدراسة فاظهروا ما كان خافيا للاعين ولكنهم ومع الاسف الشديد لم يتوصلوا الى معرفة العقيدة التي كان يؤمن فيها هذا الشاعر الفحل فاتفقوا على أنه كان من الشعراء المتصوفين ، ونحن نقول بانه شاعر اسماعيلي كما كان أبوه عالما من علماء الدعوة ، وليس أدل على ذلك من أشعاره التي نظمها في امامة •

وفي مرشده (شمس تبريز) أخ الامام (ركن الدين خورشاه بن علاء الدين محمد) ولا بد لنا من أن نورد للقارىء ترجمة لبعض أشعاره الغزلية اخترناها من ديوانه (شمس تبريز) :

(١) نفس المصدر ص ٩٥ •

« أين المسلمون ... ما التدبير ... وأنا نفسي لا أعرف نفسي ...!!
فلا أنا مسيحي ، ولا أنا يهودي ، ولا أنا مجوسي ، ولا أنا مسلم ...!! »
« ولا أنا شرقي ، ولا أنا غربي ، ولا أنا بري ، ولا أنا بحري ،
ولا أنا من عناصر الأرض والطبيعة ، ولا أنا من الأفلاك والسموات..!!»
« ولا أنا من التراب ، ولا أنا من الماء ، ولا أنا من الهواء ، ولا أنا من النار
ولا أنا من العرش ، ولا أنا من الفرش ، ولا أنا من الكون ، ولا أنـا
من المكان ...!! »
« ولا أنا من الهند ، ولا أنا من الصين ، ولا أنا من البلغار ، ولا أنـا
من الكون ..!!
ولا أنا من ملك العراقين ، ولا أنا من بلاد خراسان ...!! »
« ولا أنا من أهل الدنيا ، ولا أنا من أهل العقبى ، ولا أنا من أهـل
الجنة ، ولا أنا من أهل النار ...!!
ولا أنا من نسل آدم ، ولا أنا من نسل حواء ، ولا أنا من أهل الفردوس ،
ولا أنا من أهل جنة الرضوان ...!! »
« وانما مكاني حيث لا مكان ، وبرهاني حيث لا برهان
فلا هو الجسد ... ولا هو الروح ... لأنني أنا في الحقيقة من روح
الروح (الحبيب) ...!! »

ومن قطعة غزلية أخرى :

« أيها العشاق ... هذا هو وقت الرحيل عن هذا العالم
وها هي طبول الرحيل تدق في السماء وتصل الى مسامع روحي ..!! »
« فتنبه ... فقد نهض الجمال ، وهيأ القافلة وشد الرحال
وطلب مناكل ما هو حلال ، فلماذا تظل في غفلة ... أيها المسافر ...؟!»
« وهذه الاصوات التي تحيط بك من خلف ومن قدام انما هي أصوات الرحيل
وفي كل لحظة من اللحظات.. تسري نفس ويسري نفس الى لامكان ..!!»

« ومن هذه الشموع المقلوبة (١) ومن هذه الحجب الزرقاء (٢)
خرجت المخلوقات العجيبة ، حتى تجعل ما في الغيب عيانا ..!! »
« وقد أصابك نوم ثقيل في هذه العجلة الدائرة (٣)
فيا لوعتاه على هذا العمر الخفيف .. ويا حذرا من هذا النوم الثقيل..!!»
« ويا قلبي .. عليك بالحبيب ، ويا أيها الحبيب..سر الى لقاء الحبيب (٤)
ويا أيها الرقيب .. تيقظ .. فلا يجوز لصاحب التوبة أن يغفل ..!! »

* * *

(١) النجوم .
(٢) السمـاء .
(٣) الافـلاك .
(٣) يقصد امامه شمس تبريز .

جمال الدين شيحة

اذا كان الظاهر بيبرس قد استطاع أن يتربع في صدر التاريخ ، وتطوقه أمجاد الانتصارات ، وأكاليل الغار ، في الحروب والمعارك التي خاض غمارها ، فباعتقادي أن الفضل يعود في ذلك الى العباقرة من قواد الفدائية الاسماعيلية الذين اعتمد عليهم في تنفيذ مخططاته ، وادارة دفة معاركه الحربية ، ولعل القائد الفدائي العظيم جمال الدين شيحة في طليعة هؤلاء .

تذكر المصادر الاسماعيلية أن جمال الدين شيحة[1] ولد في احدى القرى من أعمال مصياف سورية سنة ٦٥٧ هجرية ، التحق وهو في الثامنة من عمره في مركز الدعوة الاسماعيلية في مصياف لانه كان يتيم الأب ، فانضم الى تنظيمات الفدائية ، وما كاد يبلغ أشده حتى ظهرت عليه علائم الرجولة والنجابة ، وقد استطاع أن يتقن عدة لغات كانت معروفة في ذلك العصر ، كما اتصف بالمقدرة الفائقة على تحمل المشاق والمصاعب ، ظل يتدرج بخطى سريعة في مراتب الفدائية حتى أصبح مقدما فيها ، وبعد أن وقعت المعاهدة مع السلطان بيبرس أصبح مستشارا عسكريا مختصا بمهمات الفدائية السرية ، واتخذ له مقرا في القاهرة ، قريبا من السلطان ، وكان بيبرس يعتمده في تنفيذ المهمات السرية الخطيرة للثقة التي كان يتحلى بها عنده ، وللشجاعة الخارقة التي اتصف بها ، فما من مهمة سرية الا ولجأ اليه لتنفيذها ، ولا يذكر التاريخ قط أن شيحة فشل يوما في عمل بطولي أسند اليه ، فضرب به المثل ، وأصبح رمزا للتضحية ، وقد أصبح بالنسبة للعامة في ذلك الوقت رمزا يقتدى به في الشهامة والرجولة . فاكتنفت حياته كثير من القصص ، والحكايات ،

---

(١) ولعل اسمه (شيحة) مشتق من كثرة تغربه وتنقله في ارجاء البلاد .

وأحيطت حياته بالروايات الخارقة ، التي لا نشك في انها بلغت بعض الغلو والتضخيم والمبالغة ، نتيجة لشغف الناس به ، واعجابهم بعبقريته .

فيندر أن تسرد قصة بطولية بين الأوساط في عصره الا ويكون لشيحة القدح المعلى فيها . وظل في مصر حتى توفي سنة ٧٢٩ هجرية في مدينة دمياط ودفن فيها .

* * *

جوهر الصقلي

فاتح كبير وقائد عظيم استطاع بما أوتيه من القيادة الحكيمة والاخلاص التام أن يحتل أرفع المناصب في الدولة الاسماعيلية • ويحقق مجدا عسكريا منقطع النظير • تاريخ حياته ونشأته غامض أشد الغموض وكل ما ذكر عنه أنه كان مملوك رومي أصله من جزيرة صقلية جاء به أحد التجار وعرضه للبيع فاشتراه الامام المعز لدين الله الخليفة الفاطمي ورباه في قصره ، فاخلص له وتفانى في خدمته ، فأعلى قدره وجعله وزيرا له وقائدا لجيوشه ففتح البلدان ودوخ الملوك والأمراء ، وكان جوهر كاتبا بارعا ومحسنا كبيرا [١] • كان موضع ثقة الامام المعز فعهد اليه بالاشراف على جميع الدواوين وعلى الموظفين ولقبه (جوهر الكاتب) • وذلك في سنة ٣٤١ هجرية وفي سنة ٣٤٧ اتخذه المعز وزيرا له ، وقائدا أعلى لجيوشه الضخمة التي سيرها الى تاهرت لقتال يعلي بن محمد الزناتي ، فاسره جوهر ثم قتله [٢] وكان قتله من أكبر العوامل التي ساعدت نجاح حملة جوهر • ثم قصد اقليم فاس وحاصر حاضرته لاخضاع ابن ابي بكر بن سهل الجذامي • ولكنه غادرها الى سجلماسة حيث فتحها وأسر أميرها محمد بن أبي الفتح ، ورجع الى فاس فاحتلها وتوجه الى دراسة الريف والبلاد الخاضعة للأمويين • وما زال يفتح المدن والبلدان حتى وصل الى سواحل المحيط الاطلسي وبذلك امتد النفوذ الاسماعيلي على جميع المغرب الاقصى والاوسط ، فرجع جوهر بعد أن دوخ البلاد وخطب للفاطميين على جميع المنابر فوصل المهدية عاصمة الملك ومعه أحمد بن ابي بكر أمير فاس وخمسة عشر من أشياخها ، وأمير سجلماسه محمد بن أبي الفتح ،

(١) خطط المقريزي : ٢/٢٠٢ ، تاريخ الدعوة الاسماعيلية لمصطفى غالب١٣٥

(٢) السلاوي : الاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصى ١/٨٦ .

في أقفاص من خشب على ظهور الجمال ، وجعل على رؤوسهم قلانس من لبد مستطيلة ، منبتة القرون ، وطيف بهم في بلاد أفريقية وأسواق القيروان ، ثم ردوا الى المهدية وحبسوا حتى ماتوا في سجنها [٣] •

وفي ١٤ ربيع الثاني سنة ٣٥٨ هجرية سار جوهر العظيم على رأس جيوش كثيرة منظمة تنظيما دقيقا قبل ان الامام أنفق على اعدادها أربعة وعشرين مليون دينار عدا ما حمله ألف جمل من الذهب الذي رصد للانفاق على هذه الحملة ، وتتجلى ضخامة تلك الجيوش بما وصفها الشاعر الاسماعيلي ابن هانىء الاندلسي من قصيدة أوردنا قسما منها في غير هذا المكان ومطلعها :

رأيت بعيني فوق ما كنت أسمع   وقد راعني يوم من الحشرأروع

لفتح مصر ولم يكن الجيش بريا بل صحبه بعض القطع الحربية ، وكان هدف جوهر الاسكندرية فلم يجد فيها مقاومة تذكر ، وتوجه الى الفسطاط قاعدة مصر في ذلك الحين فاضطرب أهلها وفاوضوا جوهرا بشأن الصلح ، وقابله وفد المصريين في قرية (تروجة) بقرب الاسكندرية في ١٨ رجب سنة ٣٥٨ هجرية ، ولكن الجنود الأخشيدية والكافورية رفضوا المفاوضات ونصبوا قائدا لهم واستعدوا للقتال وعسكروا في جزيرة الروضة وعلى شاطىء النيل الشرقي من ناحية الفسطاط ، ولكن جوهر وصل الى الجيزة ، وعبر الى جهة الفسطاط قائده المقدام جعفر بن فلاح الكتامي فدمر العساكر المصرية فولوا الأدبار وقيل فر منهم الكثير الى الشام ، وفي ١٧ شعبان سنة ٣٥٨ هجرية عبر حول الجسر بين الجيزة والفسطاط ووضع أساس مدينة القاهرة اثر وصوله ؛ ومن ثم وضع أساس قصر الخليفة ومقر حكمه ، وفي سنة ٣٥٩ هجرية باشر ببناء الجامع الازهر كمدرسة لتعليم المذهب الاسماعيلي وتم الفراغ منه سنة ٣٦١ هجرية•وباشر جوهر باجراء الاصلاحات

(١) ابن الاثير : الكامل ٨/١٨٩ : ابن خلدون : العبر ٤/٤٦ – ٤٧ .

الداخلية فوضع نظاماً للحكم ، وأدخل اصلاحات على النظـام المالي ، وأمن جميع الفـرق والطوائف على أموالهم وبلادهم ، ونشر العـدل والسلام والطمأنينة بين النفوس ، واعترف بالحـريات الدينية للجميع ؛ ولم يكتف جوهر بفتح مصر بل عمل على مد نفوذ الفاطميين الى بلاد الشام فسير قائده جعفر بن فلاح فاحتل طبرية وحاصر دمشق • وفي سنة ٣٥٩ اقيمت الخطبة في دمشق للامام المعز الفاطمي ، وخاض جوهر معارك طاحنة مع القرامطة والروم وكان النصر حليفه دائما •

وظل هذا القائد العظيم يحتل مكان الصدارة لدى الخلفاء الفاطميين ، الذين أتوا بعد وفاة الامام المعـز حتى توفي يوم الاثنين لسبع بقـين من ذي القعدة سنة ٣٨١ هجرية • فرثاه أكثر الشعراء[1] •

ومما لا جدال فيه ان هذا القائد الكبير والوزير الخطير قد خدم الدعوة الاسماعيلية والخلافة الفاطمية خدمات جليلة ستظل تذكرها الاجيال القادمة على مر الدهور والعصور •

* * *

(١) خطط المقريزي ١/٣٧٨ ، تاريخ الدعوة الاسماعيلية لمصطفى غالب ١٣٦ •

حرف الحاء

حاتم بن ابراهيم الحامدي

تسلم أمور الدعوة المستعلية في جزيرة اليمن وتوابعهـا بعد وفاة أبيه الداعي المطلق ابراهيم الحامدي ، وكان عالما فقيها كثير الاطلاع وكثير التأليف والانتاج الادبي ، عرف النـاس فضله ، وقوة حجته ، وغزارة معارفه ، في مختلف علوم آل بيت رسول الله والأئمة الطاهرين ، فمال اليه كثير منهم ، والتفت حوله بعض القبائل من حمير وهمدان ، وملكوه حصن كوكبان[1] فجعله مقرا لدعوته ، ومدرسة لنشر علومه ، فأقبل الناس عليه من كل حدب وصوب للتزود من معارفه الغزيرة وعلومه الكثيرة ، مما لفت اليـه أنظار ملك صنعاء السلطان علي بن حاتم اليامي ، فخاف منه وخشي على ملكه ، فأخذ يستميل أتباعه بالمـال مضاعفا لهم العطاء حتى انفض من حوله قسم كبير منهم ، وبنفس الوقت سير اليه العساكر فجرت بينهما معارك ضارية في بني هبره ، ولما كان هذا الداعي من المعروفين بالتقوى والزهد فقد صمم على مغادرة معقله والتوجه الى حراز خشية ازدياد الفتن والحروب والفرقة بسببه •

وبالفعل وصل الى مكان يسمى شعاف وأخذ يدعو أهله ، فتمكن من ادخالهم في مذهبه ومن ثم سار الى الظهرة ، وتسلم حصن الخطيب ، ثم هاجم حصن حمضة حتى ملكه وأخذ ينظم الدعوة ويوزع الدعاة المأذونين في كافة أنحاء البلاد • وعمد الى انشاء مدرسة لتخريج الدعاة ولالقاء المحـاضرات في كهف كبير تحت حصن الحطيب ، هـذا من ناحية ومن ناحية ثانية فكر

(١) نزهة الافكار للداعي أدريس عماد الدين ١/٩٣ •

في انشاء مملكة في حراز ليحي الدعوة نظرا للعقبات الكثيرة التي اعترضت طريقه ، وتلافيا للأخطار التي أخذت تحدق به وتهدد دعوته بالدمار ، خاصة وقد انقسم أتباعه من همدان بين مؤيد له ومعارض ، وخاصة أهالي تهامة ؛ ولكنه لم يتمكن من تنفيذ هذه الفكرة لأن الملك عبد النبي فاجأه واستولى على كافة الحصون والمعاقل التي كانت تدين له • مما أجبره على الانسحاب من ميدان الصراع القبلي تماما ، واكتفى بالانزواء في كهفه لنشر العلوم والتفرغ للتأليف ، واعطاء الدروس للدعاة المأذونين الذين كانوا يفدون اليه من مختلف أنحاء البلاد ومن السند والهند والمناطق المجاورة له • ولقد أصبحت آثاره العلمية ومؤلفاته من أشهر الكتب التي أنتجها دعاة اليمن ، أو بالأحرى أنتجتها الدعوة اليمنية • ومن أشهر مؤلفاته التي يذكرها المؤرخين[1] :

١ — كتاب تنبيه الغافلين في الاخلاق وذم الرذيلتين ، التحاسد والتباغض ، وضمن الكتاب رسالتان من رسائل اخوان الصفاء في آداب الاخوان وحسن المعاشرة ، وفصل من مجلس العزيز بالله الفاطمي •

٢ — رسالة النقد على أهل المخاط فيما ارتكبوا من الفسق والخباط[2] في ذم المنكرات واتباع الشهوات وقد اقتبس فيها المؤلف من الرسالة الموسومة بالواعظ لأبي يعقوب السجستاني ومن أقاويل سيدنا علي ابن أبي طالب وألفاظ المؤيد في الدين الشيرازي داعي الدعاة وقصيدة الخطاب بن حسن الحجوري مطلعها « ان صح ما قالوا وما شعرا » •

٣ — كتاب المجالس[3] ويضم اثنين وخمسين مجلسا من المجلس السابع

---

(١) فهرست الشيخ اسماعيل ص ٥٩ — ٦٠ •

(٢) فهرست الشيخ اسماعيل ص ٦٧ •

(٣) فهرست الشيخ اسماعيل ص ٨٩ •

والسبعين في مناقب سيدنا علي بن أبي طالب وشيئا من قضاياه وغزواته •

٤ — كتاب جامع الحقائق[1] وهو تلخيص للمجالس المؤيدية وهي ثمان مئة مجلس وجعل هذا الكتاب في ثمانية عشر بابا في مجلدين •

٥ — كتاب الخمسة عشر مجلسا عالج فيه مسائل مختلفةمثل المحنة والامتحان وشأن العلماء ومعنى النفس وحقيقتها ووجوب الامامة في كل زمان ، والولادة الدينية وامتثال أمر أولياء الله وبعض الاحاديث وتفسير الآيات •

٦ — رسالة التذكرة[2] وتشتمل على آراء المؤلف وأفكاره عن المبدأ والمعاد والثواب والعقاب والوصول الى ولاية أولياء الله •

٧ — رسالة زهر بذر الحقائق[3] وتشتمل على ثمانية عشر مسألة في علم الحقائق •

٨ — كتاب تحفة القلوب وفرجة المكروب[4] وهو كتاب قيم يبحث في الحقائق •

٩ — كتاب مفاتيح الكنوز : وفي جواب على المسائل التي وردت عليه من بعض الاخوان •

هذه بعض الكتب التي ذكرها الشيخ اسماعيل بن عبد الرسول في فهرسه وله مؤلفات أخرى لم يذكرها الشيخ اسماعيل ومنها :

---

(١) فهرست الشيخ اسماعيل ص ٢٤٦ •

(٢) نفس المصدر ص ٢٧٦ •

(٣) نفس المصدر ص ٣٨٨ •

(٤) فهرست الشيخ اسماعيل ص ٤٠١

١٠ ـ كتاب الشموس الظاهرة[1] ، ويبحث في التـاريخ والفلسفة وهو في مجلدين • ونادر جدا[2] •

ويذكر أيضا المستشرق ايفانوف عدة مؤلفات لم يأتي على ذكرها في الفهرست الاسماعيلي هي[3] :

١١ ـ المفاخر والمآثر •

١٢ ـ تحفة القلوب في ترتيب الهداة والدعاة في الجزيرة اليمنية منـذ عهد المستنصر حتى عصره •

١٣ ـ مفاتيح النعمة وهو كتاب تاريخي فلسفي •

١٤ ـ كتـاب النقد •

١٥ ـ المجلس الازهر في فضل صاحب الكوثر وذكر العيد الأكبر •

١٦ ـ الاحسان في خلق الانسان •

١٧ ـ كتاب المسالك •

هذا ما تمكنا من معرفته من المؤلفات الكثيرة التي خلفهـا هذا العـالم النحرير والتي لا تزال موجودة في خزائن الدعوة المستعلية في الهند تعيش في طي الستر والكتمان •

وظل هذا الداعي العلامة الباحث يعمل على التأليف حتى توفي في يوم السبت ١٦ محرم سنة ٥٩٦ هجرية ودفن في حصن الحطيب •

---

(١) ذكره الشيخ حسن بن نوح البهروجي الهندي في كتابه الازهار ص ٧٨ •

(٢) ذكره ايفانوف في المرشد الى أدب الاسماعيلية ص ٥٤ رقم ٢٠٥ •

(٣) المرشد الى الادب الاسماعيلي Ivanow (ص ٥٥ ـ ٥٦) •

حاتم بن محمود بن زهرة

ولد الداعي الشيخ أبو المعالي حاتم بن محمود بن زهرة في بلدة سرمين سنة ٤٤٩ هجرية ، وتلقى علومه المذهبية في مـدارس الدعوة الاسماعيلية في حلب ، ومن ثم غادرها الى مصر حيث أقام فيها لاكمال تحصيله العلمي في دار الحكمة وحضور المجالس التأويلية ؛ وفي القاهرة تعرف على الداعي الكبير الحسن بن الصباح الحميري فازدادت الالفة بينهما ، ولما عاد الحسن ابن الصباح الى بلاده مارا في بلاد الشام رافقه أبو المعالي خلال الطريق حتى حلب حيث استقر فيها للدعاية والتدريس •

ولما اعلنت وفاة الامام المستنصر في ١٨ ذي الحجة سنة ٤٨٧ هجـرية نادى بامامة ولده نزار وانضم الى رئاسة الدعوة الاسمـاعيلية النزارية في آلمـوت •

وعندما ظهرت تنظيمات الدعوة النزارية الجديدة عين بموجبهـا رئيسا لمدارس الدعوة في مدينة حلب ، فأخذ يلقي المحاضرات في الصباح الباكر ، وفي المساء يعكف على التأليف والتصنيف ، وفي أحد الايام ، وبينما كان عائدا الى داره وجـد مقتولا وكان ذلك سنة ٤٩٨ هجـرية فثارت ثائرة الاسماعيلية فاغتالوا قاضي قضاة حلب وبعض زعماء الأحياء[1] وهنا استعمل

---

(١) قال عارف تامر في مقدمة كتابه (خمس رسائل اسماعيلية) : انه وجد مقتولا سنة ٤٩٧ هجرية بمدينة حلب بأمر صاحبها « رضوان بن تتش » وقد كانت حادثة قتله وهو في ريعان الشباب من الاسباب التي حفزت الداعي المطلق « بهرام بن موسى » على الانتقام من حاكم حلب فأرسل اليه أحد الفدائية فقتله سنة ٤٩٨ هجرية • والمعروف لدى كافة المؤرخين أن رضوان صاحب حلب كان حتى قبل وفاته بمدة بسيطة من أشد أنصار الاسماعيلية تحمسا ، فلا يعقل

رضوان صاحب حلب نفوذه لدى الاسماعيلية وتدخل في الأمر فأجرى التحقيقات الدقيقة الفورية ، واعدم الفاعلين والدافعين لارتكاب هذه الجريمة .

وتذكر المصادر الاسماعيلية ان هذا الداعي ترك مؤلفات عديدة جلها في الفقه والفلسفة وعلم الفلك والنجوم ولكنها فقدت بفعل الحروب التي خاض غمارها الاسماعيلية في جهات حلب خلال القرن الخامس الهجري ، ولم يبق له الآن بعض الحكم والأقوال المأثورة موزعة في أكثر المخطوطات الاسماعيلية السورية ، وله أيضا شعر حسن .

وتنسب اليه رسالة (الأصول والأحكام [1]) وهي عبارة عن رسالة فلسفية تبحث في الفترات والقرانات ، وقد دعم المؤلف أقواله ببعض النظريات الاسماعيلية الفلسفية التي كانت معروفة في عصره .

* * *

أن يأمر باغتيال داع كبير مثل أبي المعالي ، ومن المعروف أيضا ان رضوان لم يمت مقتولا في السنة التي ذكرها الاستاذ تامر بل توفي بالضبط سنة ٥٠٧ هجرية ، ولم نعثر على أية اشارة تاريخية تذكر أن الاسماعيليين هم الذين قتلوه ، كما وان رتبة الداعي المطلق التي اعطيت لبهرام بن موسى لم تكن معروفة ، حتى ولا عرفت في تنظيمات الدعوة الاسماعيلية النزارية ، لأنها من رتب دعاة الاسماعيلية المستعلية .

(١) توجد نسخة خطية من هذه الرسالة في مكتبتنا الخاصة ، ولكن اسم المؤلف غير مذكور فيها مما جعلني أشك بأنها للداعي حاتم بن محمود بن زهرة ، وذلك لكثرة ما جاء فيها من أخطاء عقائدية ، وخاصة ما يتعلق بالفترات والقرانات وذكر أسماء الأئمة المستقرين والمستودعين ، والمعروف أن هذا الداعي كان طويل الباع في الابحاث الفلسفية الشائكة .

حسام الدين بن دملج

تكتنف حياة أغلب دعاة الاسماعيلية النزارية في بلاد الشام الغموض والابهام ، لأن آثارهم التاريخية والعلمية ، تعرضت على ما يظهر أثناء المذابح العديدة القاسية التي ذهبت فيها أرواح عدد كبير من الاسماعيلية الى الدمار والاندثار .

وبالرغم من كل هذا فقد حاولنا معتمدين على اتصالاتنا الخاصة ببعض الاسماعيليين الذين لا يزالون يعيشون بالتقية في تلك الجهات ، علنا نحصل على بعض المعلومات التي تنير لنا السبيل الى معرفة المزيد عن حياة كبار الدعاة والعلماء الاسماعيلية الذين قطنوا نواحي حلب .

وبصراحة نقول : اننا لم نعثر الا على نبذ صغيرة موزعة في بعض الكتب الخطية ، وهي برأينا لا تفي بالغرض المطلوب ، ولكنها على الاقل تعطي فكرة موجزة قد يستعين بها الباحث المنقب حول هذا الموضوع .

يستدل من تلك المصادر أن هذا الداعي المعروف بابن دملج قد عين في جهات حلب بعد أن أكمل دراسته في مدارس الدعوة في فارس ، وعلى الأرجح أنه اختير ليكون مدرسا في دار الدعوة في مدينة حلب ، وبعد أن استقر فترة من الوقت لا تزيد على السنتين أرسل الى مدينة الرقة ليتولى أمور الدعوة فيها ويشرف على سير وتنظيم قوافل المهاجرين الاسماعيليين الوافدين الى بلاد الشام من مختلف الجهات ، فكان يؤمن لهم المأكل والمشرب والاقامة ويسير معهم الى دار الدعوة في مدينة حلب [1] .

(١) الدولة النزارية : شرف : ص ١٩٦

ويستنتج أنه كان على جانب كبير من الشجاعة والعلم والمعرفة ، له آراء عميقة في علم التأويل والفلسفة والفقة الاسماعيلي .

ولقد عثرنا له على بعض الاشعار المبعثرة في بعض المخطوطات وأغلبها في مدح آل البيت ، ووصف حالة المهاجرين ، وبعض النظريات التأويلية والفلسفية .

ولما أخذت جموع الصليبيين تهدد البلاد الاسلامية ، وخاصة قلاع الاسماعيلية في جهات حلب استدعي ليقوم بتدريب الفدائية وليشرف على المراسلات السرية . وقيل انه هو الذي نظم خطة اغتيال بعض الأمراء .

وظل مستقرا في حلب حتى بدأت المذابح المشهورة في عهد ألب أرسلان فتمكن من الفرار متوجها الى الرقة حيث استقر فيها متخفيا الى أن مات سنة ٥٠٧ هجرية[1] واسمه الكامل كما وجدناه في مخطوط اسماعيلي هو : الشيخ أحمد حسام الدين « دملاج » أو دملج [2] أما تاريخ ولادته فلا نعلم عنه شيئا مطلقا .

* * *

(١) الطائفة الاسماعيلية : كامل حسين : ص ٩٥ .

(٢) مخطوط اسماعيلي بدون اسم فيه أشعار ورسائل ، ورقة ٨٠ .

الحسن بن ابراهيم الليثي

(ابن زولاق)

ساهم العصر الفاطمي بنخبة من العلماء والأدباء والمفسرين والشعراء والأطباء والمنجمين والرياضيين والمؤرخين والرحالة ، الذين كان لهم أكبر الأثر في النهضة الفكرية العربية والاسلامية ؛ وشهد الصدر الأول من أيام الفاطميين المؤرخ الكبير الذي أخذ عنه كل من جاء بعده من المؤرخين الذين كتبوا عن مصر ، هو الحسن بن ابراهيم الليثي المصري المعروف بابن زولاق ، قيل انه كان حجة لا يستهان بها في تاريخ أيام الفاطميين ، ولد سنة ٣٠٦ هجرية ، روى الحديث ، فكان محدثا صدوقا فيما يرويه ، فاستطاع أن يحتل مكانة رفيعة في نفوس معاصريه ، وأولع بالتاريخ ، وكان من حبه وشغفه فيه كثيرا ما يردد قول الشاعر :

ما زلت تكتب في التاريخ مجتهداً   حتى رأيتك في التاريخ مكتوبا

وصنف عدة مؤلفات تبحث في السير والتاريخ منها :

كتاب سيرة محمد بن طغج الأخشيد ، المسمى « كتاب العيون الدُعج في حلي دولة بني طغج[1] » وكتاب أخبار سيبويه المصري ، وكتاب فضائل مصر وأخبارها وخواصها ، ذكر فيه تاريخ مصر منذ عصورها الأولى ، وكتاب سيرة كافور ، وكتاب سيرة جوهر ، وكتاب سيرة المعز ، وكتاب سيرة العزيز ، وكتاب التاريخ الكبير على السنين ، وله تزيل على كتاب الولاة للكندي ، وآخر على كتاب القضاة للكندي ، وكتاب خطط مصر ، وهو عبارة عن

(١) كتاب المغرب : ابن سعيد : ص ٤٤ ــ ٤٥ .

وصف « طبوغرافي » لمصر القديمة ، والجدير بالاهتمام أن أكثر كتبه فقدت ولم يبق منها الا شذرات متفرقة في الكتب .

وتوفي ابن زولاق في عهد الحاكم بأمر الله الفاطمي سنة ٣٨٧ هجرية[1] والرواة مختلفون في تاريخ وفاته ، فقيل انه توفي يوم الاربعاء ٢٦ ذي القعدة سنة ٣٨٧ هجرية[2] وقيل ان وفاته وقعت يوم الثلاثاء ٢٥ من الشهر نفسه[3] سنة ٣٨٧ هجرية .

وآراء المؤرخين متضاربة حول مذهب ابن زولاق ، فهناك من يشك بأنه كان على المذهب الفاطمي ويذهب آخرون الى القول بأنه كان سنيا على المذهب الشافعي ، بينما نرى مؤرخي الدعوة الاسماعيلية يعتبرونه من أتباع المذهب الاسماعيلي ، ومهما كان المذهب الذي اعتنقه ، فقد كان من أكبر مؤرخي عصره اعتمد عليه المؤرخون الذين كتبوا عن مصر بعده ، أمثال : ابن خلكان ، والنويري ، وابن حجر العسقلاني ، والسيوطي ، وابن دقماق ، وابو المحاسن ، وياقوت ، والقلقشندي ، والعمري وغيرهم . مما يدل على قيمة كتبه وأخباره .

* * *

---

(١) ابن خلكان : ١٣٤/١ معجم الادباء : ٢٢٥/٧ .

(٢) ارشاد الاديب : ياقوت : ٧/٣ .

(٣) حسن المحاضرة : السيوطي : ٣١٩/١ .

حسن بن أحمد بن علي المعـدل

يعتبر الشيخ حسن بن أحمد بن علي المعدل من كبار دعاة الاسماعيلية النزارية في بلاد الشام ، كانت ولادته كما يستدل من المصادر الاسماعيلية السورية في قرية (تعنيته) التي تبعد ثلاثين كيلو مترا عن القدموس ، في نهاية القرن السادس الهجري ، تأدب وتلقى العلوم الاسماعيلية في مدارس قلاع الدعوة في سـورية التي كانت تمتد على طول السـاحل السوري ، والظاهر انه كان ممن يحسنون قرض الشعر ونظـم الاراجيز الشعرية ؛ وبالرغم من محاولاتنا الكثيرة لم نعثر له على أي أثر تاريخي يؤكد بالضبط تاريخ ولادته ونشأته ، ولكننا نستنتج من بعض المخطوطات الاسمـاعيلية السورية التي وجدنا له فيها بعض الرسائل والاشعار والأراجيز ، أنه عاش خلال السبعين عاما التي أعقبت وفاة شيخ الجبل وحجة الامام (سنان راشد الدين) . فاذا علمنا ان وفاة سنان كانت عام ٥٨٨ هجرية اتضح لنا أن الشيخ حسن المعدل عاش ما بين سنة ٥٨٨ حتى سنة ٦٥٨ هجرية ، وقد عاصر أربع أئمة هم : جلال الدين حسن ، وعلاء الدين محمد ، وركن الدين خيروشاه ، وشمس الدين محمد . ونحن نعلم أيضا ان الشيخ المعدل قد توفي ودفن في قرية تعنيته على رأس رابية ولا يزال ضـريحه موجودا هنـاك ويزار ، ويعرف لدى العامة بمقام (حسن العدة) .

ويستدل أيضا من بعض أشعاره انه تدرج في رتب الدعوة حتى أصبح مقدما لقوله من قصيدة له :

حسن أنا لي رتبـة معـروفة — بين الحدود مقـدم ومـلازم
وأنا المعـدل لا أزال معدلاً — نفسي وأخواني فهنَّ عـزائم

ومن قصائده المشهورة التي يحفظهـا مشائخ الاسماعيلية غيبا (ألفية المعـدل) ، وله غيرها حكم وتعاليم وأراجيز لا بأس بهـا • ومن رسائله الفلسفية (الرسالة الناطقة ذات العلوم الغامقة[1]) ورسالة (المبدأ والمعاد[2]) •

وسنحاول في المستقبل أن نجمع جميع أراجيزه وأشعاره في كتاب واحد سنطلق عليه ديوان حسن المعدل ، بالنظر للمكانة الأدبية والفلسفية السامية التي تحتلها بالنسبة للاسماعيليين السوريين الذين يتبارون بمن يحفظ أكثر من أشعار وأراجيز هذا الشيخ الكبير والعالم النحرير •

* * *

(١) حقق هذه الرسالة ونشرها ضمن كتاب عنوانه (رسالتان اسماعيليتان) مصطفى غالب .

(٢) المصدر نفسه .

جـلال الدين

حسن بن أعلا محمد

ولد الامام حسن بن أعلا محمد الملقب (بجلال الدين) سنة ٥٨٢ هجرية في قلعة (آلموت) وأصبح اماما للاسماعيلية بعد وفاة أبيه سنة ٦٠٧ هجرية ، فشعر بأن الحروب والثورات والفتن والقلاقل التي خاض غمارها الاسماعيليون مع بقية الفرق والممالك الاسلامية ، قد أثرت على الاوضاع الاقتصاديـة في تلك البلاد ، وشوهت سمعة الاسماعيلية كفرقة اسلامية تتمسك بالقرآن وبالتعاليم الاسلامية الحقة التي أتى بها جده محمد عليه الصلاة والسلام •

عمل على توثيق عرى المحبة والأخاء بين الاسماعيلية وبين بقية الفرق الاسلامية الاخرى على أساس الصداقة التعاونية المتبادلة بينهما ، وأحدث بعض التبديلات في أصول المذهب الاسماعيلي ليتوافق مع المخطط الاسلامي العام ، وقرب اليه العلماء والفقهاء المسلمين وأغدق عليهم الهدايا والاموال ، وراسل الخليفة العباسي الناصر لدين الله ، وارسل الى السلطان السلجوقي خوارزم شاه والى كافة الامراء والملوك المسلمين يعلن عن رغبته في التعاون معهم لما فيه خير الاسلام ، وتزوج ابنة حاكم جيلان[1] • وقام بجولة تفقـد فيها شؤون أتباعه في جميع الاقطار استغرقت عاما ونصف ، وكان يقـابل أينما توجه بالتعظيم والاجلال والاحترام من جميع الحكام والولاة ، وكـان بدوره يتصدق ويتبرع بانشاء المساجد ، والتكايا ، والحمامات ، ومراكز الضيافة في المناطق التي زارها على نفقته الخاصة ، وفي سنة ٦٠٩ هجرية أرسل والدته وزوجته لاداء فريضة الحج ، ولقد استقبلوا بالترحاب على طول الطريق الى مكة المكرمة ، ويعتبر الاسماعيليون عهـد هذا الامام من

(١) The shi' a of india : by norman. Hollister p.p. 316

العهود الذهبية التي مرت عليهم ، فازداد عددهم واصبحوا ذا نفوذ قوي في أزربيجان ، وكوردستان وكيـلان ومازنـدان ، وقزوين ، وخوزستان ، ولارستان ، وكرمان ، وطهران ، وشيراز ، وتبريز وبغداد ، ومصر ، وسورية ، والهنـد [1] . وخلعت على الامام الالقاب الكثيرة منها (المسلم الجديد) و (جلال الدين) الخ ...

وتدور حول التقارب الذي أوجده الامام الحسن أحاديث وروايات . رأينا أن ننقلها كما وردت ثم نناقشها على ضوء الواقع والحقيقة .

قال براون : « انه خالف سياسة أئمة الاسماعيلية في آلموت وأعلن الغاء جميع المذاهب ، وأعلن نفسه مسلما سنيا ، وعرف (بنيو مسلمان) أو (المسلم الجديد) وقدم خضوعه للخليفة العباسي (الناصر لدين الله) واخذ يوثق علاقاته بين امراء المسلمين ، وبعث أمه الى مكة لاداء فريضة الحج سنة ٦٠٩ هجرية ، وقيل انه استدعى علماء قزوين السنيين وطلب منهم أن يفحصوا جميع الكتب الموجودة في مكتبته ويعدموا ما يرونه منهـا خارجا عن تعاليم الاسلام ، أو متضمنا [2] الالحاد فوثق به جميع الناس ، وخلع عليه الخليفة وقربه ، فحسده (خوارزمشاه) مما أدى الى توسع شقة الخلاف بين خوارزم وبغداد .

وتحالف الامام جلال الدين مع الأتابك (مظفر الدين أزبك) سنة ٦١٠ هجرية ضد (ناصر الدين منكلي) ، وكان الوحيد من بين « مشايخ الجبل » الذي استطاع أن يقضي ما يقرب من سنة ونصف السنـة خارج معاقـل الاسماعيلية في العراق وايران وأذربيجان ، وقد تحالف في بداية الامر مع « جلال الدين خوارزمشاه » ولكن عندما أخذت طلائع (جنكيز خان)

---

(1) نور مبين حبل الله المتين : جنارا : (ص ٤٢٠ ــ ٤٢١) ، تاريخ الدعوة الدعوة الاسماعيلية : ص ٢١٦ .

(2) تاريخ الادب في ايران من الفردوسي الى السعدي: براون: (ص٥٧٨-٥٧٩).

تتقدم داخل ايران ، وجد من الحكمة أن يتحالف مع هذا الفاتح الوثني ، فكان رسله أول من قدموا خضوعهم له بعد ما عبر بجيوشه نهر جيحون . وربما أثارت فعلته هذه حنق أتباعه وسخطهم عليه فبعد قليل من الزمن نجده يموت مسموما على يد احدى نسائه فيما يقولون ، في الثاني أو الثالث من شهر نوفمبر سنة ١٢٢٠ م = ٦١٧ هجرية [1] » ويذكر كامل حسين فيقول : « على أن الحسن الثالث جلال الدين ــ حفيد الحسن الثاني ــ الذي تولى الامر سنة ٦٠٧ هجرية أمر باعادة القيام بالفرائض الدينية كما كانت قبل ظهور جده ، وأمر ببناء المساجد واقامة الآذان للصلاة وقرب اليه الفقهاء والقراء وأغدق عليهم الهدايا والاموال ، بل خطا خطوات أوسع من ذلك ، اذ راسل الخليفة العباسي الناصر لدين الله ، وأرسل الى السلطان السلجوقي وخوارزم شاه والى غيرهما من الملوك والأمراء يؤكد لهم صدق عودته الى التعـاليم الاسلامية والقيام بشعائر الدين وفرائضه ، ففرحت بذلك البلاد الاسلامية ، وأخذ كل ملك يخلع على الحسن الثالث الألقاب ، ومن هذه الالقـاب (المسلم الجديد) ، ويظهر أن فرح المسلمين بعودته الى التعاليم الاسلامية كان له أثر في نفس الحسن الثالث ، اذ غالى في اظهار رجوعه الى الحق فانتهز فرصة زيارة وفود المسلمين فأحرق أمامهم كتب الحسن بن الصبـاح وكتب الاسماعيلية السرية ، وطعن في الحسن بن الصباح وكل من تولى أمر الاسماعيلية بعده ورماهم بالكفر والالحاد ، ثم بعث أمه وزوجه لأداء فريضة الحج ، وأمر ببناء التكايا على طول الطريق الى مكة المكرمة برسم الفقراء من المسلمين وخاصة للمتصوفين ، وعقد معاهدات الصلح والتحالف مع أعدائه من الملوك ، وبذلك كله اقتنع المسلمون بانه أعاد الاسماعيلية الى الوحـدة الاسلامية الكبرى التي مزقتها الفرق المختلفة [2] » . وقال طه أحمد شرف : « وكان النزارية في ذلك الدور يدعون لامام ظاهر ، ولكن موجة مـن

---

(1) تاريخ الادب في ايران من الفردوسي الى السعدي: براون: (٥٧٨-٥٧٩) .

(2) طائفة الاسماعيلية : كامل حسين : (ص ٨٢ ــ ٨٣) .

الالحاد قد غمرهم ، فأطاحت بتلك السمعة الطيبة التي خلفها شيوخ الجبل الأوائل ، وبخاصة الحسن الصباح ، وكاد هذا يعمل بسقوط دولتهم ، لو لا أن ادعى واحد من هؤلاء الأئمة ، هو الحسن الثالث ، (٦٠٧ — ٦١٨ هـ) الدخول في المذاهب السنية ، واعتناق المذهب الشافعي ، فأرسل أمه لتحج الى مكة المكرمة ، وتبرأ من المذهب النزاري ، ومن آبائه وأجداده ، فكان ما فعله الحسن الثالث من عوامل الابقاء على الدولة ، لذلك سموه (المسلم الجديد [1]) » .

هذه هي بعض الروايات التي وردت في كتب تاريخية متعددة حول التقارب الذي أوجده الامام جلال الدين حسن في عهده ، ونحن لا يسعنا الا أن نرد عليهن فنقول : ان الاسماعيليين منذ وجودهم لم يخرجوا عن نطاق الدين الاسلامي ، ولم يقوموا بتعطيل الشريعة السمحاء ، بل كانت دعاتهم وعلماؤهم وفلاسفتهم ينبرون للدفاع عن الدين وعن فرائضه ، عندما كان اعداؤهم يرمونهم بالخروج عن الدين ، ويثبتون للناس أن الأئمة الاسماعيلية أنما يعملون على تثبيت قواعد الدين التي أتى بها جدهم محمد عليه الصلاة والسلام اسوة بما فعله أبوهم علي بن أبي طالب ، وهذه كتب الاسماعيلية ومؤلفات دعاتها وفلاسفتها تثبت ذلك ، وقد غرب عن بال المؤرخين الاسباب التي جعلت الامام جلال الدين حسن ينهد الى التقرب مع بقية الفرق الاسلامية وهي :

١ — الحروب التي كان يشنها العباسيون والسلجوقيون على القلاع الاسماعيلية وسعت شقة الخلاف ، وباعدت الفريقين ، وجعلت من الاسماعيلية فرقة تنظر الى نفسها بانها خارجة على كل عطف اسلامي .

٢ — ازدادت النقمة الاسلامية على شيوخ الجبل في آلموت لما كانوا يتخذونه من مواقف دفاعية في قلاعهم ، فشنوا عليهم حملات اتهموهم فيها

(١) الدولة النزارية : ص ٢٢٣ .

بالالحاد والكفر والخروج عن الاسلام .

٣ — عندما تسلم الامام جلال الدين الامامة رأى بثاقب نظره أنه لا بد من التكاتف مع المسلمين بعد أن أصبحت بلاده تحت تهديد المغول ، فأعلن عن اصلاحات في صميم فروع المذهب الاسماعيلي تقرب ما بين الاسماعيليين والمسلمين ، وازدادت اتصالاته ومخابراته مع امراء المسلمين .

أما ما قيل بأنه استدعى بعثة من فقهاء وعلماء المسلمين للاطلاع على مكتبة آلموت الى آخر الرواية : فنقول هذا شيء طبيعي لايستحق هذه الضجة والتعليقات ، لان الامام يعلم ان مكتبته لا يوجد فيها الا كل ما يخدم العلم والفلسفة والقضية الاسلامية ، أما قضية طعنه بالحسن بن الصباح وبأجداده وآبائه فلا نكلف أنفسنا بالرد عليها لانها من المصادر التاريخية التافهة التي لا تستحق العناية ولا الرد .

وأخيرا اننا نشك بأنه صانع الخليفة العباسي وقدم له الطاعة ، والظاهر أنه رغب في تحسين العلاقات حرصا على وحدة الصف وجمع كلمة المسلمين ، فعمد الى مهادنة الخصوم ، وساهم مساهمة فعالة في بناء المساجد ، والتكايا على طريق الحج ليظهر للملأ أنه لا يريد للاسلام الا كل خير ، وما قيل حول وفاته مسموما أو مقتولا من قبل المتعصبين من أتباعه فهو شيء طبيعي يجري في كل العصور ولا يشكل شيئا بالنسبة للاسماعيلية .

وعلى العموم كان عهد هذا الامام من أزهي العهود التي سادت فيها كلمة الاسماعيلية في أغلب البلاد الاسلامية ، ولقد عثرنا في كتاب الميثاق على منشور أرسله هذا الامام لاتباعه في جبل السماق بسورية يطلب اليهم فيه الاعتماد على الداعي (شمس الدين بن علي) وتصليح حمام قلعة الكهف الذي تعرض للانهيار ويستدل من هذا المنشور ان الامام جلال الدين حسن كان يترد من وقت لآخر على سورية ويقيم في قلعة الكهف لاصلاح شؤون أتباعه ومريديه ، وتوفي الامام جلال الدين حسن سنة ٦١٨ هجرية ودفن في قلعت آلموت .

حسن علي شاه الحسيني

(آغا خان الأول)

يعتبر الامام حسن علي شاه أول الأئمة الاسماعيلية الذين استوطنوا الهند . ولعله الامام الاول الذي رمى بثقله الديني في المعترك السياسي ، وكانت له اليد الطولى في تسيير دفة السياسة في ايران لفترة من الزمن .

فذاع صيته في جميع أنحاء ايران ، وأصبح له نفوذ واسع ، لما ابتدعته حنكته السياسية من مخططات أثبتت مدى ذكائه ، وتبصره العميق في مجريات الأمور ، علاوة على ما اتصف به من شجاعة نادرة ، وبطولة خارقة ، وقيادة حكيمة[1] . اسمه الكامل كما ورد في أغلب المصادر التاريخية : الامام سيد حسن علي شاه الحسيني بن خليل الله علي النزاري الشهير (بآغا خان الأول[2]) . ولد سنة ١٢١٩ هجرية في بلدة محلات من مقاطعة كرمان في ايران ، وتسلم الامامة بعد وفاة أبيه وهو في الرابعة عشرة من عمره سنة ١٢٣٣ هجرية وباحتفال كبير حضره الشاه فتح علي شاه القاجاري امبراطور ايران ، ووفود عديدة من الاسماعيليين من مختلف أنحاء العالم .

وبهذه المناسبة أعلن الشاه فتح علي عن موافقته على تزويج ابنته الأميرة (سرر جهان خانم) من الامام حسن علي شاه ، ومنحه لقب (آغا خان[3]) كما خصص التعويضات للاسماعيلية عما أصابهم من أضرار أثناء اغتيال

---

(١) طائفة الاسماعيلية : كامل حسين ص ١٧٧ ، نور مبين حبل الله المتين : جنارا ص ٥٨٣ .

(٢) نور مبين حبل الله المتين : جنارا ص ٥٨٣ .

(٣) معناه بالعربية (سيد السادات) .

الامام خليل الله علي ، ومنحهم الاستقلال الذاتي والحرية الدينية التامة .

ومنذ ذلك الوقت أصبح آغا خان مستشاراً سياسيا للشاه ، يتدخل في كل شاردة وواردة ، حتى أن بعض المؤرخين ذهب الى القول : ان آغا خان كان الحاكم الفعلي لايران من وراء الستار[1] . وبذلك اشتدساعد الاسماعيلية وقويت شوكتهم ، فازداد عددهم زيادة ملحوظة .

وفي سنة ١٢٥٠ هجرية أعلنت وفاة فتح علي شاه متأثرا بذات الجنب ، فاختلف الأمراء القاجاريون على تولي السلطة من بعده ، مما أدى الى انقسام البلاد الى قسمين : القسم الأول يتزعمه الأمير محمد بن زكي خان حاكم شيراز ، والقسم الثاني بزعامة الأمير محمد ميرزا حاكم خراسان ، وسارت جيوشهما نحو العاصمة طهران ؛ وهنا وقف (آغا خان) الى جانب الأمير محمد ميرزا وقدم له المساعدات العسكرية ، التي مكنته من الاستيلاء على العاصمة طهران ، مما اضطر خصومه من الأمراء القاجاريين الى عقد راية الصلح ، والموافقة على تنصيبه ملكاً عليهم[2] .

ولما استقرت الأمور أعلن الشاه محمد ميرزا تشكيل الحكومة برئاسة (حاجي ميرزا أبو القاسم آكاشي) مدرسه الخاص ، كما عين (آغا خان) قائدا عاما للجيش الايراني[3] ، فوجه جل اهتمامه لملاحقة العصابات ، وفلول الثائرين ، وأدخل أحدث الأساليب التنظيمية في صفوف الجيش ، وقضى على الفساد والرشوة والتمرد التي كانت منتشرة في صفوف الجنود والضباط ، ولما شعر رئيس الوزراء بازدياد نفوذ الآغا خان وقوته ، حقد عليه وأخذ يسعى لدى الشاه لابعاده عن المسرح السياسي والعسكري ، خشية أن يميل اليه الشعب أكثر فأكثر فيستولي على الملك ، وما زال يتذرع بكافة الحجج ،

---

(١) History of the ismailis by : A. S. Picklay p. 69

(٢) نفس المصدر ص ٧٠ — ٧١ .

(٣) The shi'a of india : by J. N. Hollister p.p. 364

ويحيك المؤامرات حتى أصدر الشاه سنة ١٢٥٤ هجرية أمرا باقصاء آغا خان عن الجيش وابعاده عن التدخل في السياسة المحلية ، وقيل ان السبب الرئيسي لنقمة رئيس الوزراء كان بخصوص مساندة رئيس الوزراء لشخص فارسي من عائلة وضيعة جدا ولكنه تمكن من أن يصبح الرجل المفضل لدى رئيس الوزراء الذي كانت السلطة بيده ، وهذا الشخص تجرأ على أن يخطب لولده احدى كريمات (آغا خان) حفيدة الشاهنشاه ، فاعتبر الآغا خان هذا العمل اهانة كبرى ، فرفض الطلب باباء وشمم عظيمين بالرغم من الحاح رئيس الوزراء[١] .

توجه آغا خان الى (محلات) حيث خصص كل أوقاته لرعاية شؤون أتباعه وتقويتهم ؛ وفي هذه الأثناء كان الخلاف بين الانكليز والروس على أشده بسبب مناطق النفوذ في أفغانستان ؛ فاستغل (آغا خان) الاضطرابات التي حصلت في كرمان وأعلن الثورة على الشاه ، وأخذ يهاجم القرى والقوافل حتى ذاع صيته في جميع أنحاء ايران ، وأخذ الايرانيون يتحدثون بأعمال البطولة الخارقة التي قام بها (آغا خان) وأتباعه وتوافدوا عليه وانضموا لجماعته ؛ وبعد صراع مرير ومعارك ضارية ، فشلت الثورة ، وتمكنت السلطات من اعتقال (آغا خان) ووضعه في السجن ، ولكن الشاه أمر باطلاق سراحه وابعاده عن ايران .

عاد (آغا خان) الى كرمان حيث جمع نخبة ممتازة من رجاله الفرسان الأشاوس وتوجه الى أفغانستان ، حيث استقبل من قبل السلطات البريطانية في (كابول) بالترحاب ، وبعد أن استقر مدة قصيرة عبر الصحاري الى السند وقد لاقى في طريقه المشقات والمصاعب ، فتغلب عليها وسار حتى وصل الى (بلوجستان) فمكث فيها عدة أسابيع للراحة ثم غادرها الى السند فوصل كراتشي يوم الجمعة ٢٦ رمضان سنة ١٢٦٠ هجرية[٢] . وكانت بريطانيا

(١) مذكرات آغا خان الثالث : ص ٤٤

(٢) نور مبين حبل الله المتين : جنارا ص (٥٨٨ ـ ٥٨٧) .

في ذلك الوقت تحكم السند وهي بحالة حرب وتوسع عسكري شمالا وغربا من البنجاب . وفي المراحل الاخيرة من الحرب الافغانية الاولى ، في عامي ١٨٤١ و ١٨٤٢ م أفاد آغا خان وفرسانه الجنرال نوت في كارداهار والجنرال انجلند عندما تقدم من السند للانضمام الى نوت . وكذلك ساعد (آغا خان) في نجاح المفاوضات التي جرت بين بريطانيا وامراء السند في مدينة (كلكتا[١]) .

عرضت الحكومة البريطانية علي آغا خان أن يبقى في السند ولكنه اعتذر عن قبول هذا العرض وتوجه الى بمباي فوصل (كج) و (وكاتياور) حيث مكث فيها مدة شهرين اجتمع بأتباعه ومريديه الذين توافدوا عليه من جميع أنحاء الهند ؛ وأخيرا قرر الاقامة في بمباي فوصلها عام ١٨٥٤ ميلادية فخف لاستقباله حاكم تلك المدينة (Sir G. Clark) ورجال السلك السياسي وممثلوا الدول وعدد كبير من الاسماعيلية حيث قدموا اليه ولاءهم . ولكن آغا خان قضى عامين في (كلكتا) بسبب احتجاج محمد شاه لدى الحكومة البريطانية على وجوده في ميناء قريب جدا لفارس مثل بمباي .

وبعد أن انتهى عهد محمد شاه سنة ١٨٤٨ ميلادية أقام آغا خان في بمباي حيث أنشأ (درخانته) أو مقره العام ، وشرعت الوفود الاسماعيلية تأتي الى بومباي من بلدان قصية مثل : كاشغر وبخارى وجميع أنحاء ايران وسورية واليمن والشاطيء الافريقي والاراضي الداخلية[٢] . وأصبحت قصوره وبيوته تغطي قسما كبيرا من بعض أجزاء المدينة الاكثر كثافة بالسكان، وشملت قسمي المدينة الحالية ، مازاغون ، وبيكولا ، وامتدت من طريق نسبيت الى حسن آباد ، وضمن هذه المنطقة شيدت قصور عظيمة وبيوت

(١) History of the ismailis by : A. S. Picklay : p.p. 76 - 77

(٢) مذكرات آغا خان ص : (٥٨ ـ ٥٧) ، نور مبين حبل الله المتين : جنارا ص (٦١٢ ـ ٦١٣) .

أصغر منها وتوابع لها لا يحصى لهـا عدد ، وكذلك الحدائق والبساتين ، وحديقة للحيوانات ، واسطبلات عديدة لأن (آغا خان) قد اصطحب معه في هجرته أكثر من ألف من أقاربه ومواليه ومعـارفه ومؤيديه الشخصيين والسياسيين ، وكانوا يتراوحون بين أوضع الخدم وبين الامير الـذي كان من سلالة نادرشاه ، الذي انحازوا الى جانب آغا خان واختاروا النفي معه ، وعرف مقر آغا خـان الرسمي (آغا هول) وشيد أيضا عـدة قصور في بونا [1] .

واهتم بتنظيم شؤون أتباعه ، وشرع بعقد الاجتماعات الدينية العـامة في دور العبادة المعروفة باسم (جمعتخانا) وكان يحث فيها أتباعه لتقوية مكانتهم الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، وأدخل بعض التنظيمات الحديثة في مراكز الدعوة ، فعين مجلسا أعلى لادارة شؤون الاتباع ومجالس محلية في جميع المناطق ؛ وصرف القسم الأكبر من أموال الخمس والزكاة والنجوى على تأسيس المستشفيات والمدارس والمؤسسات الاجتماعية والعلمية [2] .

ولما ظهرت نتائج أعمال آغا خان وتنظيماته أقبل الكثيرون من الهندوس على الانخراط في دعوته ، واعتناق مذهبه ، فدبت الغيرة في صدور بعض الفرق الاسلامية فطالبوا الحاكم العام بأن يضع حدا لنشاط آغا خان وأتباعه من (الخوجا) لأنهم فرقة غير معترف عليها رسميا واسلاميا . فاضطر آغا خان الى رفع دعوى لدى رئيس القضاة السير (جوزف ارلوند) مطالبا الاعتراف به كزعيم روحي للاسماعيلية النزارية وبطائفته كفرقة من الفرق الاسـلامية وسميت تلك القضية (قضية الخوجات) . وبعد جلسات عديدة وتنقيبات تاريخية ومذهبية أجراها بعض الخبراء ، اعترفت المحكمة المذكورة بقرارها التاريخي العظيم الذي سردت فيه تاريخ حياة اسرة آغا خان منذ عهـد علي

---

(١) المصدر نفسه ص ٥٨ .

(٢) الشيعة في الهند : Hollister ص ٣٧٠ .

ابن أبي طالب حتى وصول آغا خان الى الهند ، أقول اعترفت بزعامة آغا خان الروحية للاسماعيلية واعتبر اتبـاعه الذين كانوا يسمون (الخوجات) من الاسماعيلية النزارية ، ومنحتهم المحكمة الحرية التـامة في مزاولة نشاطهم الديني كبقية الطوائف والفـرق في بلاد الهند ، وقد أقر مجلس اللوردات البريطاني هذا القرار ومنح آغا خان لقب صاحب السمو الملكي وأرفع وسام في المملكة البريطانية للسـلام [1] وتشير أكثر المصادر التـاريخية على أن (آغا خـان) كان يتدخل في قضايا الهند العـامة ويهتم بشؤون المسلمين الهنود .

ويعتبر آغا خان بحق من أعظم الأئمة الاسماعيلية بعـد زوال العصر الفاطمي . وكان عالما وفيلسوفا وقائدا محنكا ، ومرشدا عظيما ، يتقن أغلب اللغات الحية ، محبا للسلام ، سياسيا بارعا ، قضى أكثر أيامه في السهر على مصلحة اتباعه ، شغوفا في اقتناء الخيول العربية الأصيلة وتربيتها والاعتناء بها ، محبا للصيد بواسطة الكلاب والطيور الجارحة التي كان يستقدمها من البلاد العربية .

توفي بعد أن خلف أربعة أولاد هم : آغا علي شاه ، وآغا أكبر شاه ، وآغا جهان كيرشاه ، وكنجي شاه ، وكانت وفاته سنة ١٨٨١ ميلادية الموافق سنة ١٢٩٩ هجرية ودفن في (مازكان) في مدينة حسن آباد ولا يزال ضريحه قائما تحف به من كل الجهات حديقة غناء عامرة بالاشجار الوارفة الظلال ، والزهور الفواحة الزكية . ويأتيه الزوار الاسماعيليون في كل المناسبات .

* * *

---

(١) الشيعة في الهند : Hollister ص ٣٧١ ، نور مبين حبل الله المتين : جنارا ص (٦١٢ — ٦١٣) الحكم صدر في ١٢ تشرين الثاني ١٨٦٦ م .

حسن علي شاه

ولد الامام حسن علي شاه بن سيد علي سنة ١٠٤٢ هجرية في بلدة (كوهك شاه نزار) وتولى الامامة الاسماعيلية بعد وفاة ابيه سنة ١٠٧١ هجرية .

نهج نهج أبيه في التقرب من الشاه عباس الصفوي (الثاني) الذي أحله محل أبيه ، وقيل انه تمكن من اقناع الشاه بأن يمنح الاسماعيليين في منطقة كرمان الاستقلال الذاتي والاداري ، على أن يشرف على تسيير أمور الامام بالذات ، بشرط أن تكون ميزانيتها من أموال الامام الخاصة . وظلت كذلك حتى توفي الشاه عباس وخلفه الشاه سليمان صفوي(الأول) ففترت العلاقات بينه وبين الامام نتيجة لمسعى رؤساء الفرقة الاثنى عشرية الذين أقنعوا الشاه سليمان ، بأن نفوذ الاسماعيلية السياسي والديني أصبح يشكل خطرا على سلامة المملكة[1] .

ومن جهة ثانية عمد الامام الى رعاية شؤون أتباعه فعين الدعاة الاكفاء أو كما يسمونهم في ذلك الوقت المثلين والوكلاء والمبلغين في مختلف المناطق ، فاختار (علي أصغر بيك) ومنحه لقب (بير) وسيره الى هندوستان، وأوفد (محراب بيك) بعد أن لقبه (بير) الى خراسان ، وعلي (أكبر بيك) كلفه بتولي رئاسة الدعوة في ايران ومنحه لقب (بير) . وكذلك عين (بير شمس الدين) في السند ، ومنح أيضا أكبر شخصية سياسية اسماعيلية في ذلك الوقت الذي كان يعمل (حاجب) في البلاط الصفوي (مرزا شاه باقر) لقب (بير) لعموم كرمان . وبواسطة هذه التعيينات والتنظيمات

(١) نور مبين حبل الله المتين : جنارا : ص (٥٥٤ — ٥٥٥) .

نشطت الحركة الاسماعيلية في أكثر المناطق ، وأخذ الناس يقبلون عليها اقبالا تاما وخاصة في السند ، وهندوستان ، وخراسان[1] .

ومد يد المساعدة للاسماعيلية في سورية فأرسل لهم الأموال والتعاليم والارشادات ، فكانت بمثابة بلسم لجراحهم ، فغادر قسم كبير منهم المدن والتجأوا الى المعاقل والقلاع ، وأظهروا شجاعة فائقة في الدفاع عن معاقلهم ورد غزوات العثمانيين والنصيرية الذين كانوا يهاجمونهم للنهب والسلب .

وتذكر بعض المصادر التاريخية أن الامام حسن علي شاه قام بجولة تفقدية الى السند حيث عقد مؤتمرا ضم كبار رجالات دعوته في عموم أنحاء الهند وافغانستان وتركستان وبامير وملتان ، تدارس فيه مع نوابه وحججه ووكلاءه أمور الاسماعيلية في جميع أنحاء العالم ، فقرر أن يخصص الأموال الطائلة لمساعدة الحركة الزراعية والتجارية والعلمية ، وعين في كل منطقة لجان خاصة لتنفق بمعرفتها تلك الاموال كقروض تقسط لآجال طويلة ، وقيل انه أمر أتباعه بالهجرة الى البلاد البكر لتأسيس الشركات الصناعية والتجارية ؛ وبالفعل توجه قسم كبير من اسماعيلية الهند الى أفريقيا وبورما وسيلان ومدغشكر .

وبعد عودة الامام حسن علي شاه الى مقره في كدمان اصيب بمرض خطير توفي على أثره سنة ١١٠٥ هجرية ودفن في (نجف شاه) ولا يزال ضريحه مشيدا هناك ويزار .

* * *

(١) تاريخ الدعوة الاسماعيلية : مصطفى غالب : ص (٢٥٩ — ٢٦٠) .

الحسن بن الصبّاح الحميري

يطالعنا بعض المؤرخين والكتاب بين حين وآخر بمعلومات جديدة ، واكتشافات حديثة ، عن حياة الحسن بن الصباح صاحب قلعة « آلموت » ومنشيء الدولة النزارية في فارس ، وأكبر شخصية عسكرية سياسية علمية عرفها التاريخ في القرن الخامس الهجري • يظهر في بعضها مجرما يتعشق سفك الدماء ، ويعمل على تقويض دعائم الاسلام ، وينشر الفسق والفجور والزندقة ، وفرض السلطان بالقوة والارهاب والبطش والاغتيال ، بينما يعتبره البعض الآخر بطلا من أبطال التاريخ الذين وهبوا حياتهم لحماية الاسلام وتطهيره من الأدران ولوثات العابثين المبتدعين ، فأحاطوه بهالة من التقديس والتعظيم ؛ ونحن تجاه هذه الآراء المتناقضة المتضاربة لا يسعنا الا أن نقول : بأنها تدل دلالة واضحة على عدم حرص الكتاب والمؤرخين على التأكد من الحقيقة ، وتسرعهم في الحكم على الأمور بغير ثبت ، وأخذ المصادر على علاتها وعواهنها ، بدون أن يكلفوا أنفسهم لدراسة البيئة والعصر الذي كان يعيش فيه الحسن وأتباعه من المؤمنين المخلصين[1] ولما كنا نعتبر الحسن بن الصباح علما من كبار أعلام الاسماعيلية رأينا أن نقدم لمحة مختصرة عن حياته مأخوذة من « كتاب الحسن بن الصباح الحميري[2] » الذي ألفناه منذ سنوات ، عسى أن يأخذ الباحث فكرة صحيحة عن حياة هذا العالم الكبير والقائد الحكيم ، ومن أراد التوسع في البحث فليرجع الى كتابنا المذكور حيث يجد كل ما ينشده ويبتغيه الباحث المدقق المنصف والمؤرخ الصادق •

---

(١) الحسن بن الصباح الحميري لمصطفى غالب المقدمة ص (١ ــ ٢) •

(٢) الحسن بن الصباح الحميري تأليف مصطفى غالب تحت الطبع •

ولد الحسن بن علي بن محمد بن جعفر بن الحسين بن الصباح الحميري[1] في بلدة (قُمْ) من أبوين اسماعيليين ، سنة ٣٤٨ هجرية ، وقيل سنة ٤٤٥ هجرية ، وكان أبوه عالما من علماء المذهب الاسماعيلي فوجه جل اهتمامه الى تربيته وتثقيفه حتى تبحر في جميع العلوم والمعارف ، وقيل انه تأدب وتثقف على الموفق النيسابوري في مدينة نيسابور هو وعمر الخيام ، ونظام الملك ، فتواثقت بينهم عرى الصداقة وتعاهدوا على اقتسام المنافع التي يحصلون عليها في حياتهم العملية ، وبحكم هذا العهد قيل ان الخيام قصد نظام الملك وهو يومئذ وزير في دولة السلاجقة ففاز منه براتب سنوي ضخم طول حياته • كما وان الحسن قصد نظام الملك وذكره بالعهد ، فعرض عليه احدى الولايات الاسلامية ، ولكن الحسن أبى وطلب الدخول في خدمة السلطان ، وكان غرضه على زعمهم الاستئثار بالوزارة دون نظام الملك •

ولما كانت هذه الرواية بعيدة عن المنطق والتاريخ رأينا أن نناقش القائلين فيها باعتبار ان هذه القصة جزء يسير من الحكايات التي لفقوها حول الحسن وشحنوها بالارهاب والاجرام ، والدليل الواضح على خطل هذه الرواية التفاوت الظاهر بين سنيهما ، اذ من المعروف تاريخيا ان ولادة نظام الملك كانت عام ٤٠٨ هجرية بينما تشير المصادر التاريخية الى أن الحسن بن الصباح ولد سنة ٤٤٥ هجرية ، ومعنى هذا ان نظام الملك كان في السابعة والثلاثين من عمره عندما ولد الحسن بن الصباح ، فهل من المعقول بعد هذا التفاوت الكبير بين عمريهما أن يتزاملا في الدراسة • وعلى الغالب أن نظام الملك كان يخوض المعترك السياسي عندما ولد الحسن بن الصباح ، وربما كان متزوجا وخلّف عددا من البنين والبنات •

وليس غريبا على خصوم الحسن أن يختلقوا الأساطير ويصنفوا الروايات

---

(١) نسبة الى ملوك اليمن الحميريين انظر (الحسن بن الصباح لمصطفى غالب ص : ٢٧) •

تشويها لسمعته ، بدأ الحسن حياته العملية على عادة المتعلمين في ذلك العصر فدخل بخدمة سلاطين السلاجقة وترقت درجته عند السلطان ملكشاه ، وأصبح يستشيره في شؤون الدولة ، فلم يعجب ذلك نظام الملك الذي رأى في الحسن منافسا له ، فدبر مؤامرة لطرده من ديوان السلطان ملكشاه . وذلك عندما أوعز السلطان الى الحسن بن الصباح أن ينظم سجلا جامعا للموازنة في الدولة ، في مدة أقصاها أربعون يوما ، فتآمر نظام الملك مع أحد غلمان الحسن فقلبوا السجل بعد انجازه بالمدة المحددة رأسا على عقب ، ولما عرض السجل على السلطان طلب من الحسن حساب احدى الولايات فمد يده الى الموضع الذي وضعه فيه فلم يوفق ، وسحب اخرى فاذا هي كغيرها ، فضاق صدر السلطان ، عندها اغتنم نظام الملك الفرصة ودس على الحسن ، فأمر السلطان بالقبض عليه فتمكن من الفرار وتوجه الى الري وهناك اصطدم بالدعاة الاسماعيلية[1] فحمي وطيس المناظرة بينه وبينهم ، وقد راعته مقدرتهم العلمية فاجتمع بالداعي (ضراب) الامير وبعد مجادلات واجتماعات عقلانية طويلة قرر أن يجتمع بداعي الدعاة في تلك البلاد (ابن عطاش) الذي ضمه الى صفوفه ورحب به خير ترحيب ، وعينه وكيلا له ونصحه أن يذهب الى مصر ليحضر المجالس والمحاضرات .

وبالفعل غادر الري سنة ٤٦٧ هجرية فمر في طريقه على أصفهان وأذربيجان والموصل وسنجار وسورية وكان خلال تجواله يلقي المحاضرات ويجري المقابلات والمناظرات فسبقته أخباره الى مصر ، ولما دنا من القاهرة المعزية خرج لاستقباله الدعاة والشيوخ ورجال البلاط ، ولما دخل على الامام المستنصر أكرمه وأمره أن يدعو الناس الى امامته فقال له الحسن : من سيكون الامام بعدك يا مولاي ؟ فأشار المستنصر الى ابنه نزار .

ظل الحسن في القاهرة ثمانية عشر شهرا يتمتع برعاية مولاه المستنصر

---

(١) الحسن بن الصباح الحميري لمصطفى غالب ص ٤٦ .

وعطفه ويدرس أصول المذهب الاسماعيلي وأساليب الدعوة على أساتذة دار الحكمة التي كانت يومئذ أعظم مركز للعلم والعرفان في الشرق والغرب .

وقيل ان بدر الجمالي تآمر على الحسن بن الصباح أثناء وجوده في مصر فعمل على سجنه ثم طرده من البلاد . وقد أبحر من الاسكندرية سنة ٤٧٣ ونزل بثغر عكا وأخذ يطوف المدن والامصار ويدرس الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية والدينية ويدعو الناس الى اعتناق المذهب الاسماعيلي حتى بلغ أصفهان سنة ٤٧٣ هجرية ، ومن ثم توجه بدعوته الى يزد وكرمان وطبرستان ودامغان وأخيرا وصل الى قزوين واستولى على قلعة آلموت المشهورة سنة ٤٨٣ هجرية . فعمرها وحصنها وأخذ في تنظيم دعاته في فارس وخراسان وبلاد الديلم ، ووجه اهتمامه لاحتلال الحصون والقلاع ليجعلها ملاجيء منيعة تحميه من الاعداء ، فاستولى على قلعتي شاهدوز وخلنجان ، بقرب أصبهان وعلى طبس وطون وقائين وزوزان ، وخورخوسف في قهستان وعلى وشمكوه بقرب ابهر وعلى اسناوند في مازندان وعلى اردهان وكركدكوه وقلعة النادر في خوزستان وعلى قلعة الطنبور بقرب أرنجان وعلى قلعة الخلادقان في فارس . وظل الحسن يدعو لامامة المستنصر بالله حتى توفي الامام المستنصر سنة ٤٨٧ هجرية ، وجرى ما جرى من أمر تعيين المستعلي واغتصاب حق نزار في الخلافة ، لذا فقد انتفض الحسن بن الصباح وأتباعه على خلافة المستعلي ونادوا بامامة نزار صاحب الحق الشرعي ، وأرسل جماعة من فدائيته ليأتوه بنزار أو أحد أولاده ، وبالفعل جاء نزار وابنه علي الهادي الى آلموت بعد أن تمكن من الهرب عن طريق سجلماسة .

وبعد أن استقر الامام نذار وولده علي بن نزار الذي لقب بالهادي بعد وفاة أبيه ، شرع الحسن بن الصباح في اجراء التنظيمات الجديدة فأوجد مدارس للعلم لتخريج الدعاة وجمع أكبر عدد ممكن من الشبان الصغار وأخذ يدربهم على فنون القتال والدعاية ، وعمل على اصلاح حالة أتباعه

الاقتصادية والاجتماعية فوزع عليهم الاعمال حسب مؤهلاتهم ، فخصص لحمل السلاح جماعة ممن اشتهروا بالشجاعة والقوة فجعل منهم نواة طيبة للحامية الاسماعيلية ، وعناصر صالحة لتكوين فرق الفدائية .

وجعل أمور نشر الدعوة والمجادلة بها وقفا على طبقة العلماء الذين يتخرجون من مدرسة الدعوة التي أسسها وأشرف على التدريس فيها بنفسه ، وجعل من الآخرين تجارا وعمالا وفلاحين وأرباب الحرف الصناعية الخ ... وربط المجموع بوشائج المحبة والاخوة والمساواة . حتى أصبح الفرد يشعر بأنه جزء لا يتجزأ من المجموع[1] .

عرف جماعة الحسن بن الصباح أو الاسماعيلية النزارية بالفدائيين نظرا لما كانوا يقومون به من أعمال بطولية خارقة ، مما جعل أغلب الكتاب والمؤرخين يستغربون هذه الشجاعة والاقدام فأطلقوا عليهم أسماء شتى ووصفوهم بصفات أقل ما يقال عنها أنها محض افتراء وكذب ودس وتحامل، وقد سبق أن ناقشنا هذه الناحية أكثر من مرة[2] وبينا مواضع الافتراء والدس والتحامل وقلنا ان أساس هذه الكلمة كما رجحها المستشرق (ايفانوف) وغيره من العلماء الذين اهتموا بالابحاث الاسماعيلية محرفة عمدا وأصلها على أربعة أوجه :

١ ـ (Assassant) (أساسان) معناه القتلة وهذه لفظة كان يطلقها الصليبيون على الفدائية الاسماعيلية الذين كانوا يفتكون بملوكهم وقادة جيوشهم فخانوهم ولقبوهم بـ (الأساسان) .

٢ ـ (Aooasins) نسبة الى رئيس الفدائية (الحسن بن الصباح) أي (حساسان) .

---

(١) الحسن بن الصباح الحميري لمصطفى غالب ص ٦٢ .

(٢) تاريخ الدعوة الاسماعيلية لمصطفى غالب ص ١٩٣ . الحسن بن الصباح الحميري ص ٦٣ .

٣ ـ حساسون ـ ذوي حس وشعور .

٤ ـ عساسون ـ يقفون الليالي في قلاعهم وحصونهم لحراستها والدفاع عنها .

وقد عمد الاعداء الى تحريف هذه الكلمات بقصد النيل من سمعة الحسن بن الصباح وفدائيته ، وليس هذا بجديد على أولئك المؤرخين الذين باعوا أقلامهم ووجدانهم في أسواق مادية محضة لارضاء رغبات ذوي الاغراض والحاجات ، ونترك الحكم للتاريخ وللمؤرخين المنصفين .

وفي سنة ٥٠٠ هجرية فكر فخر الملك بن نظام الملك وزير السلطان سنجر أن يثأر لأبيه فهاجم قلاع الاسماعيلية ، فأوفد اليه الحسن بن الصباح أحد فدائيته فقتله بطعنة خنجر ، وبقيت قلاعه في حصار مستمر من قبل السلجوقيين مدة طويلة .

وفي سنة ٥٠١ حوصرت قلعة (آلموت) من قبل السلطان السلجوقي واشتد الحصار عليها فأرسل السلطان رسولا الى الحسن بن الصباح يطلب منه الاستسلام ويدعوه لطاعته ، فنادى الحسن أحد فدائيته وقال له القي بنفسك عن هذا البرج ففعل ، وقال للثاني اطعن نفسك بهذا الخنجر ففعل ، فقال للرسول اذهب وقل لمولاك انه لدي سبعون ألفا أمثال هؤلاء الذين يبذلون دماءهم في سبيل عقيدتهم .

وعلى العموم كان الحسن بن الصباح رجلا شهما تقيا ورعا ، ويحكى انه أمر باعدام أحد أبنائه عندما علم بأنه لا يسير على الطريق القويم ، وكان موفقا في جميع الحروب التي خاضها ، وليس بغريب أن يخلده التاريخ كأعظم شخصية علمية سياسية في القرن الرابع والخامس الهجري . ولقد أفاد الدعوة الاسماعيلية بما قدمه من خدمات جل أن يحصى عددها طوال خمسة وثلاثين عاما قضاها في خدمة ثلاثة من الأئمة الاسماعيليين هم : المستنصر ونزار وعلي

الهادي وتوفي سنة ٥١٨ هجرية ودفن في قلعة آلموت • جميع مؤلفاته فقدت بعد أن احتلت قلعة آلموت وقيل انها أحرقت حتى لا تتسرب تعاليمها الى العـامة[1] •

* * *

(1) ذكر ايفانوف في مرشده لحسن بن الصباح أربعة كتب : ١ ـ الفصول العربية . ٢ ـ هفت‌باي‌بابا سيدنا . ٣ ـ اشكال‌الكره . ٤ ـ سركوزاهتي سيدنا .

حسن علي ذكره السلام

تاريخ الأئمة الذين قطنوا (آلموت) من ســلالة نزار بن المستنصر بالله الفاطمي ، فيه الكثير من الغموض ، وفيه الكثير من الوضــوح ، ويتجلى كل ذلك فيما كتبه المستشرق ايڤانوف ، ومؤلف كتاب نور مبين حبل الله المتين ، وتكاد الآراء تكون متفقة ، على أن بعض الأئمة في (آلموت) تولوا الشؤون الفكرية والدينية ، وانصرفوا عن السياسة والحروب ، بعد أن ألقوها على عاتق حججهم وكبار دعاتهم •

والامام الذي نكتب عنه هو من هذا الرعيل ، فقد كان عهده عهد علم وأدب وفلسفة وعقد مناظرات مع علماء الفرق الأخرى كما يستدل من كتبه وآثاره •

كانت ولادة الامام حسن علي بن الامام القاهر بن محمد بن علي بن نزار سنة ٥٣٩ هجرية[1] وقيل سنة ٥٠٤ هجرية[2] في قلعة (آلموت) •

تولى الامامة بعد وفاة أبيه سنة ٥٥٧ هجرية ، وقيل سنة ٥٥٢ هجرية[3] واحتفلت الاسماعيلية بهذه المناسبة لمـدة عشرة أيام ، ووزع الامام المنح والعطايا للفقراء والبائسين من أبناء الشعب • وعرف ذلك اليوم (بعيـد القيـامة) نظرا لما تخلله من الاحتفالات الكثيرة والافراح العظيمة ، وأتت رسائل التهنئة والولاء من جميع القلاع والحصون الاسماعيلية •

كان الامام حسن علي عالمـا تقيا ورعا لا نظير له في العـلوم الفلسفية

(1) تاريخ الدعوة الاسماعيلية لمصطفى غالب : ص ٢٠٧
(2) نور مبين حبل الله المتين لجنارا : ص ٣٩٨
(3) نفس المصدر : وايڤانوف : المرشد الى أدب الاسماعيلية ص ١٠٢

والدينية ، وجه جل اهتمامه لتنظيم الدعوة فوزع الدعاة الأكفاء على الاقاليم الخاضعة للنفوذ الاسماعيلي ، وسير حجته في العراق (سنان راشد الدين) الى حلب سنة ٥٥٨ هجرية لتولي شؤون الدعوة في شمالي سورية بعد أن فرق شملهم الخلاف الداخلي والتطاحن على الرئاسة •

وفي السادس من ربيع الاول سنة ٥٦١ هجرية توفي الامام الحسن ودفن في قلعة (آلموت) • ويذكر من مؤلفاته الكثيرة التي حرقت بعد الاستيلاء على قلعة آلموت :

١ ــ كتاب الآثار : وهو في الغزل الصوفي الالهي ، والشعر الغامض العميق •

٢ ــ كتاب الفصول المباركة : وهو في التأملات الفلسفية القصيرة • وذكر ايڤانوف أن أبى اسحق مؤلف كتاب (هفتي بابي) قد اقتبس منه أغلب الافكار •

٣ ــ كتاب بستان المذاهب •

٤ ــ كتاب روضة الصفاء •

ولقد اعتبر ايڤانوف الحسن على ذكره السلام أول خداوند في آلموت (أي امام) وتناسى ان هناك ثلاثة أئمة قبله هم الهادي والمهتدي والقاص ، وباعتقادي ان ذلك حصل سهوا ، لأن المعروف بأن ايڤانوف أكبر باحث مختص في الدراسات الاسماعيلية في العالم •

* * *

الحسن بن علي الكلبي

ظلت جزيرة صقلية مركزا للصراع بن المسلمين والروم فترة طويلة من الوقت حتى استولى عليها الاسماعيليون بعد انتصارهم على الأغالبة ، فأصبحت ولاية من ولاياتهم ، وحرصت الخلافة الاسماعيلية في المغرب على الاحتفاظ بهذه الجزيرة نظرا لمكانتها السياسية والاقتصادية • ولما تم للامام المنصور الفاطمي القضاء على فتنة أبي يزيد الخارجي ولى على جزيرة صقلية أبا الغنائم الحسن بن أبي الحسين بن علي الكلبي[1] سنة ٣٣٦ هجرية •

عمل هذا القائد الكبير على اخضاع جميع الروم فيها الى الفاطميين ، وتفاقم النزاع بينه وبين أهلها ، الذين استنجدوا بالامبراطور قسطنطين الثامن البيزنطي ، فسير جيوشه وأساطيله لغزو جزيرة صقلية ، فاشتبكوا مع جيوش الحسن الصقلية وجيوش المنصور المغاربة ، وبعد قتال عنيف ومعارك ضارية انهزمت الجيوش البيزنطية ، وارغم الحسن الامبراطور على طلب الصلح ، وفتح قلوريه ؛ كما أخرج الروم من (ترميز) ثم عبرت جيوشه خليج مسيني بين صقلية وقلورية فاضطر الامبراطور الى طلب الهدنة سنة ٣٥٠ هجرية •

وكذلك تمكن باسطوله الصغير من الانتصار على أسطول الأمويين الضخم في ميناء المرية الاسبانية ، وبذلك برهن على مقدرة حربية ممتازة ، وقضى على جميع الثورات في تلك الجزيرة • واستولى على قلعة طبرمين المنيعة سنة ٣٥١ هجرية •

ولما توفي الامام المنصور وخلفه المعز لدين الله أقر الحسن على صقلية ،

---

(١) ورد هذا الاسم في الكامل لابن الاثير : ١٧٨/٨ الحسن بن علي ابن الحسين الكلبي •

فعمد الى اعداد الأسطول الصقلي اعدادا تاما ، كما أعد جيوشا برية وزعها على موانيء صقلية الشمانية الشرقية ، وهاجم الروم بعد أن نقضوا الهدنة في موقعة (المجاز)[1] مما اضطرهم الى عقد الهدنة معه وتعهدوا بدفع الجزية للامام الاسماعيلي .

وبنفس الوقت سجلت الجيوش الاسماعيلية في موقعة (بلرمو) حاضرة الجزيرة انتصارات عظيمة ، وبمناسبة هذه الانتصارات أقيمت المهرجانات والاحتفالات . وقيل ان الحسن أجهد نفسه بالحفاوة بالجيوش الفاطمية ، بمصافحتهم ومعانقتهم ، فتوفي من الفرح وذلك سنة ٣٥٤ هجرية[2] بعد أن أسس لأبنائه ملكا قوي الدعائم في صقلية ومد نفوذ الفاطميين في عهد المنصور والمعز في صقلية وفلورية ، وساهم مساهمة فعالة في هزيمة الروم برا وبحرا وهزم اسطول الأمويين في عقر داره ، وأصبح الحكم في تلك الجزيرة مقصورا على اسرته .

* * *

(١) ابن الاثير ٨/٢٠٠ .

(٢) ابن خلدون : العبر ٤/٢٠٩ .

أبو القاسم
الحسن بن فرج بن حوشب

ولد أبو القاسم الحسن بن فرج بن حوشب بن زادان الكوفي سنة ٢٣٠ هجرية ، أبوه فرج بن حوشب بن زادان الكوفي من ولد عقيل بن أبي طالب ، نشأ في أسرة اشتهرت بالعلم وبخاصة الفقه والحديث[1] وكان يدين في مستهل حياته بمذهب الامامية الاثنى عشرية ، ثم تحول الى الاسماعيلية على يد الامام الحسين بن أحمد الملقب بعبد الله الرضي ، وأخذ عنه عقائد هذا المذهب وأصبح من خواصه المقربين اليه ، وما زال كذلك حتى أرسله بصحبة علي بن الفضل الى بلاد اليمن حيث تولى رئاسة الدعوة في تلك البلاد ، وقد كتب ابن حوشب عن كيفية اتصاله برياسة الدعوة الاسماعيلية ، وتحوله من مذهب الاثنى عشرية الى المذهب الاسماعيلي فقال : بينما كنت أفكر ذات مرة تذكرت القول المأثور عن علي بن محمد بن علي بن موسى الكاظم في سنة ٢٥٢ هجرية من أن المهدي سيظهر بعد اثنين واربعين سنة أي سنة ٢٩٦ هجرية فخرجت الى دجلة ثم أخذت في قراءة سورة الكهف فأقبل شيخ يمشي ، ما نظرت الى أحد يملأ عيني هيبة قبله . فجلس ناحية ، وجلس الرجل بين يديه ، وأقبل غلام فقرب مني ، فقلت : من أنت ؟ فقال حسيني ، فاستعبرت وقلت : بأبي الحسين المضرج بالدماء الممنوع من هذا الماء ! فرأيت الشيخ ينظر الي ، وكلم الرجل الذي بين يديه فقال لي الرجل : تقدم الينا ! فقمت وجلست بين يديه .

ثم يذكر ابن حوشب الحديث الذي دار بينه وبين هذا الشيخ ، ويبين مبلغ حديث هذا الرجل من نفسه ، وما لاحظه عليه من رجاحة العقل ،

(١) افتتاح الدعوة للقاضي النعمان ص ٣ .

ويصف ذلك اليـأس الذي تطرق الى نفسه لجهله المكان الذي رحل اليه ، وبينما ابن حوشب مطرق يفكر ، اذ انقشعت غياهب الاسى عن نفسه حين حضر الرجل الذي كان في صحبة الامام وأخبره بمقره[1] ويقول أبو القاسم : « وكان الامام يخصني ويقربني ويرمز بقرب الامر ودنو العصر[2] » وقال لي : « يا أبا القــاسم » ، البيت يماني ، والركن يماني ، والدين يماني ، والكعبة يمانية ، ولن يقوم هذا الدين ويظهر الا من قبل اليمن.. يا أبا القاسم ، هل لك في غربة في الله ؟ قلت : « يا مولاي ! الامر اليك فمــا أمرتني به أمتثله » قال : اصبر ، كأني برجل قد أقبل الينا من اليمن ، وما لليمن الا أنت ، فقلت : أستعين بالله على ما يرضيك . وهكذا يتضح لنـا أن أبا القاسم قد أصبح معدا للأمر الذي أراده الامام ، وأصبح موضع ثقته ، وأمله الذي يرجوه ، ونرى أن الامام كان على علم بوصـول علي بن الفضـل عن طريق رئيس الدعوة الاسماعيلية في اليمن ، وبالفعل وصـل ابن الفضـل الى الكوفة سنة ٢٦٧ هجرية بعد أن أدى فريضة الحج في مكة ، ولقد وجه اليه أنظار دعاة الاسماعيلية فعملوا على استمالته الى دعوتهم ، وقد وجد الامام في ابن الفضل الشخص الذي يستطيع أن يعتمد عليه في نشر الدعوة في بلاد اليمن فعول على ارساله بصحبة ابن حوشب الذي كان قد أعده لهذه المهمة وقال الامام لابن الفضل : « ان هـذا الرجل الذي نبعث به معك بحر علم ، فانظر كيف تصحبه » ، ثم قال : « الله الله بصاحبك ، وقره واعرف له حقه ، ولا تخالفه فيمـا يراه لك ، انه أعرف منـك ، وانك ان خالفته لم ترشد[3] » . ثم توجه الى ابن حوشب فقال : يا أبا القاسم ! هذا الذي كنا ننتظره ، فكيف رأيك في الذي عرضته عليك من أهل اليمن ؟ فامتثل أبو القـاسم لأوامر

(1) Quatremère J. A. Août 1836, p.p. 123 - 131

(2) افتتاح الدعوة ص٩ وعيون الاخبار للداعي ادريس عماد الدين جـ ٥ ص٤٠

(3) افتتاح الدعوة (١٣ ــ ١٤) كشف أسرار الباطنية ص ٢٣ .

الامام التي قال فيها : « الى عدن لاعة فاقصد ، وعليها فاعتمد ، فمنها يظهر أمرنا ، وفيها تعز دولتنا ، ومنها تفترق دعاتنا ، اجمع المال والرجال ، والزم الصوم والصلاة والتقشف ، واعمل الظاهر ، ولا تظهر الباطن ، وقل لكل شيء باطن ، وان ورد عليك ما لا تعلمه فقل لهذا من يعلمه وليس هذا وقت ذكره » ، كما أوصاه بعلي بن الفضل فقال له : « هو شاب قريب عهد بالامر ، فانظــر كيف تسوس أمره » . ثم خاطبهما معا بقوله : « أبعثكما الى اليمن تدعوان الى ولدي هذا ، فسيكون له ولذريته عز وسلطان ، وان الله عز وجل قسم لليمانيين ألا يتم أمر في هذه الشريعة الا بنصرهم[1] » .

خرج الداعيان من الكوفة الى القادسية في نهاية سنة ٢٦٧ هجرية ويقول أبو القاسم : « ولما ودعت الأهل والأحبة متشوقا الى اقطاع الغربة وتوجهت ، فلما خرجت من القادسية أوجست خيفة ، فسمعت حاديا يقول :

يا حادِي العيس مليحَ الزَّجْر   بشّرْ مطاياكَ بضوء الفجـر[2]

فسررت واستحسنت ذلك الفأل لما سمعته ، ووافيت مكة في حين قدوم الحجاج من اليمن[3] . وبعد أن أدى مناسك الحج تابع أبو القاسم مع زميله السير جنوبا حتى وصلا الى غلافِقه في أول سنة ٢٦٨ هجرية وكانت في هذا الوقت بندر المدينة زبيد على ساحل البحر الاحمر . ثم افترق الداعيان بعد أن اتفقا على أن يتصل كل واحد منهما بصاحبه ليتعرف أحواله ، فاتجه أبو القاسم الى مدينة الجنَد ، وكانت غايته عدن لاعة[4] لأنها كما قال الامام

(1) افتتاح الدعوة ص (١٢ ــ ١٠) زهر المعاني للداعي ادريس ص (٦٥) .

(2) افتتاح الدعوة ص (١٤) عيون الاخبار جـ ٥ ص ٣٥ .

(3) افتتاح الدعوة ص (١٤) عيون الاخبار جـ ٥ ص ٣٥ .

(4) ذكر صاحب عيون الاخبار جـ ٥ ص ٣١ ــ ٣٣ : أبو القاسم اخذ يتنقل من مخلاف بني طريف من ناحية صعدة الى الظاهر ، ثم وصل الى نقيل عجيب ثم دخل صنعاء ، وخرج منهـا حتى وصل الى الجند ، وكانت غايته عدن لاعه .

الحسين لأبي القاسم : « أقوى لأمرك وأمضي لناموسك[1] » • وقد وصل الى عدن لاعة عن طريق بعض تجار هذه المدينة من بني موسى ، كان قد تقابل معهم في عدن أبين ، ولما وصل لاعة أخبره من بها من أهل الدعوة أن الداعي أحمد بن عبد الله بن خليع كان قائما بالدعوة ، ولكن الأمير ابن يعفر قبض عليه ، وتوفي منذ عهد قريب وهو في السجن ، فنزل أبو القاسم في دار من دور ابن خليع ، وتزوج ابنته[2] وتقلد مقاليـد الدعوة هنـاك ، أما علي ابن الفضل فقد اتجه الى بلاد يافع الجبلية ، بالقرب من الجند •

نهج الداعيان منهجا واحدا في نشر نفوذهما في بلاد اليمن ، وقد اتخذا الدين وسيلة لنشر هذا النفوذ • فأظهر كل منهما الزهد والتقشف والصلاح ابتغاء الوصول الى غايته[3] وعملا بوصية الامام الحسين بن أحمد[4] اليهما ، كما تظاهر كل منهما بالتفقه في الدين والتضلع في المذاهب السنية ، وكانا يأمران بالمعروف ، وينهيان عن المنكر • فمال اليهمـا كثير من أهل اليمن ، وأقبلوا عليهما من كل فج ، وبخاصة بعد أن أظهرا دعوتهما علنا في سنة ٢٧٠ هجرية بعد أن قام كل منهما بدعوته سرا لمدة سنتين • فأصبح لكل منهمـا جماعة كبيرة ، تخلص له الاخلاص كله • وبعد أن قوي حـزب كل منهما في جهته عمـل على الحصول على الاموال ، لتنفيذ أغراضه ، وللدفاع عن أتباعه • وكانت الزكاة هي السبيل المستقيم الذي يتفق وأمور الدين ، فأمر أبو القاسم من جهة أتبـاعه بجمعها ، واستعمل عليهـا منهم ثقاة وعدولا ، يقبضون أعشارهم (أعشار أموالهم) على ما يوجبه الفقه[5] •

(١) افتتاح الدعوة ص (١٢) كشف المحجوب ص ٢٤ •

(٢) افتتاح الدعوة ص (١٧) عيون الاخبار جـ ٥ ص ٣٨ •

(٣) أنباء الزمن ص (٢٠) •

(٤) افتتاح الدعوة ص (١٣) •

(٥) كشف أسرار الباطنية (٢٥) •

ولما هوجم أبو القاسم ، وقتل بعض أصحابه ، أشار عليه بعض مشايخ الدعوة بالاتحاد ، وتدبير الدفاع عن كيانهم ، كما سيأتي ذكره • ويحدثنا الداعي أدريس[1] فيقول : « ان أبا القاسم طلب من أتبـاعه ألف دينار ، فأعانوه بها خمسة منهم • فاستعد بها ، وصعد عبر محرم ، وسكن به ، وأسكن معه خمسين رجـلا من وجوه أهل دعوته » • وقد ساعد أبا القـاسم على النجاح المستمر الظروف المحيطة ، ففي سنة ٢٧٠ هجرية قتل محمد بن يعفر واختلف أهل بيته فيما بينهم • ولمـا هاجم اسحاق بن طريف بجيش جرار الاسماعيلية وقتل منهم اثنى عشر رجلا ضاق الامر على أبي القاسم فاجتمع بمشايخ الدعوة ، ويقول الداعي أدريس عماد الدين[2] « فضاق الأمر على أصحابه • فاجتمع اليه المشايخ من أهل الدعوة ، وسألوه حسن النظر والتدبير لهـم • فعرفهم أن ذلك لا يكون الا بحصن يلجؤون اليه ويمتنعون فيه ، فعرضوا عليه حصون البلد ، فاختار منها عبر محرم » •

ومن المحتمل أن يكون أبو القـاسم قد اتفق سـرا مع بني العرجي ، سلاطين همدان ، وأصحاب تلك البلاد على استعمال بعض الاماكن والحصون في بلادهم ، وبعد أن احتل أبو القاسم عبر محرم ، جمع أتبـاعه واستولى على جبل الجميعة ، ثم هاجم بيت ريب (وهو رأس مسور) ثلاث مرات ، حتى استولى عليه • فأثار ذلك غضب رؤساء الدويلات ، وأشعلوا نار الحرب في وجه أبي القاسم ، ولكنها كانت حـربا فاشلة مكنت الاسماعيلية من تسجيل الانتصارات المتوالية ، ففي سنة ٢٧٠ هجرية امتـد نفوذه كثيرا ،

(١) عيون الاخبار جـ ٥ ص ٤١ ، قرة العيون لابن الديبع ص ١٢ •

(٢) عيون الاخبـار جـ ٥ ص ٤٠ ونرى أن الداعي ابن الفضل يسلك نفس الطريق فيأمر اتباعه المخلصين ببناء حصن فوق جبلهم ، ويتم له ذلك في جهة سرو يافع ، والغرض من بناء هذه الحصون لحفظ أموال الزكاة من جهة واتخاذها قواعد لانطلاق الدعاة •

فلقبه الامام « المنصور باليمن[1] » واستولى على جبل مسور من أعمال صنعاء اليمن ، ودخل الحصن وبرفقته ثلاثة آلاف مقاتل ، فحصنه من جديد وبنى فيه دارا للهجرة ليلجأ اليها الاسماعيلية . ولقد أصبح هذا الجبل القاعدة الحربية التي كانت تنطلق منها الحملات الى الجهات المجاورة . واستمر يحوز المعاقل ، ويملك مدن اليمن الجلائل ، وأقبل الناس اليه طوعا وكرها ؛ فدخل كثير من بني يعفر وملوك حمير في الدعوة طائعين وكارهين ، وقويت في أرض اليمن دعوته وعلت كلمته[2] وكان هذا النصر سببا في أن استعمل الداعي الطبول والرايات ؛ وكان يقول : « والله ما أخذت هذا الأمر بمالي ولا بكثرة رجالي ؛ وانما أنا داعي المهدي الذي بشر به النبي محمد صلى الله عليه وسلم » . فانتقل اليه الناس بأموالهم وأولادهم ، ودخلوا في بيعته ومذهبه[3] ولم يقف نشاط أبي القاسم الحربي عند هذا الحد ، بل أرسل جيشا قويا لمساعدة علي بن الفضل سنة ٢٩٩ هجرية حين أحيط به في مخاليف البيض في تهامة[4] . وبذلك فك الحصار عن ابن الفضل فعاد سالما الى بلاده .

واستمر أبو القاسم يعمل بجد ونشاط لبناء دولة اسماعيلية حتى أصبح الجزء الاكبر من اليمن خاضعا لنفوذه ، وسر الامام كثيرا عندما وردت اليه الهدايا من اليمن ، وقال لابنه : « هذه أول ثمرة أيامك ، وبركة دولتك » وتمثل بقول الشاعر :

الله أعطاك التي لا فوقها	وكم أرادوا منعها وعوقها
عنك ، ويأبى الله الا سوقها	اليك حتى طوقوك ، طوقها[5]

---

(١) افتتاح الدعوة (٣) قرة العيون ص (١٢) .
(٢) عيون الاخبار ج ٥ ص (٤١ — ٤٢) .
(٣) قرة العيون لابن الديبع ص (١٢) .
(٤) عيون الاخبار ج ٥ ص (٤٢) .
(٥) افتتاح الدعوة ص (١٨) .

ولقد شبهه الامام بفجر الدعوة الذي مهد لشمسها بالظهور ، وقد قال فيه الدعاة : « كان أبو القاسم بمثابة الفجر المتنفس ، وبه كشف الله عز وجل عن الأولياء الغمة ، وأنار حنادس الظلمة[1] وبلغ من ثقة الامام به أن فوضه بارسال الدعاة الى الجهات المختلفة ، فبعث ابن أخيه الهيثم داعيا الى السند حيث استجاب اليه الكثير من أهلها[2] وأرسل أبا محمد عبد الله بن العباس داعيا الى مصر[3] ووزع الدعاة في سائر البلدان باليمن ، والى اليمامة والبحرين[4] والسند والهند ، ومصر والمغرب[5] ولما أرسل الامام داعيه أبا عبد الله الشيعي الصنعاني[6] الى منصور اليمن قال له : « امتثل سيرته ، وانظر الى مخارج أعماله ، ومجاري أفعاله ، فاحتذرها ، وامتثلها ، فاعمل عليها[7] فأقام عنده يشهد مجالسه ، ويخرج معه في غزواته ، لا يفارقه ، حتى بعثه الى أرض المغرب[8] وأرسل معه ابن أبي الملاحف الذي ما لبث أن عاد لمرض والدته ، فسير مكانه ابراهيم بن اسحق الزبيدي[9] وكان أبو القاسم قد أرسل الداعيين الحلواني وأبا سفيان الى بلاد المغرب من قبل .

---

(١) غاية المواليد (٤٨ — ٤٩) .
(٢) افتتاح الدعوة ص ١٨ عيون الاخبار ج ٥ ص ٣٨ .
(٣) عيون الاخبار ج ٥ ص ٣٨ .
(٤) وجه أبو القاسم نظره الى اليمامة ، بسبب قيام دولة بني الأخيضر العلوية (ابن حزم أنساب العرب ص ٤١) ، واعتقد أن أهلها سيرحبون بالدعوة الاسماعيلية ، لذلك بعث اليها الدعاة لنشر المذهب الاسماعيلي (القلقشندي : صبح الاعشى ج ١ ص ١١٩ — ١٢٠) .
(٥) افتتاح الدعوة ص ١٩ .
(٦) واسمه الحسين بن أحمد بن محمد بن زكريا ، وكان ذا علم وعقل ودين وورع وأمانة ونزاهة (افتتاح الدعوة ص ٣٢) .
(٧) المنصوري : زبدة الفكرة ج ٥ ص ١٥٤ .
(٨) غاية المواليد ص ٤٩ عيون الاخبار ج ٥ ص ٤٢ .
(٩) عيون الاخبار ج ٥ ص ٥١ .

وكان هؤلاء الدعاة كما يقول العيني[1] يدعون الى محمد الحبيب والد عبيد الله وكان يسمى الهادي[2] وكان بسلمية ، ولما علم أبو القاسم بوفاتهما (أي الحلواني وأبي سفيان) قال لأبي عبد الله الشيعي : « ان أرض كتامة من المغرب قد حرثها الحلواني وأبو سفيان ، وقد ماتا ، وليس لها غيرك ، فبادر ، فانها موطأة ممهدة لك » .

والخلاصة أن أبا القاسم المنصور كان دعامة قوية من دعائم الدعوة الاسماعيلية التي أسسها في بلاد اليمن على أكتافه ثم جعل من اليمن مدرسة لتخريج الدعاة وتوزيعهم في جميع أنحاء العالم ، وقد بقي الى آخر حياته أمينا في مهمته ، وأنه ظل على اخلاصه بالرغم مما تعرض اليه أثناء صراعه مع ابن الفضل الذي سعى لتكوين دولة يمنية مستقلة عن العباسيين والفاطميين ، وقد حفر ابن الفضل قبره بيده ، بسبب ثورته على رئيسه أبي القاسم وكانت ثورة ابن الفضل على الدعوة من أهم العوامل التي أدت الى ضعف الحركة الاسماعيلية في بلاد اليمن ، لأن أعداء الدعوة اغتنموا هذه الفرصة وحملوا على كل أنصار الدعوة حملة شعواء .

وترك هذا الداعي الكبير مؤلفات علمية وفلسفية أهمها :

١ ــ كتاب تأويل الزكاة .
٢ ــ كتاب البيان لمباحث الاخوان .
٣ ــ كتاب أسرار النطقاء .
٤ ــ كتاب الكشف .
٥ ــ كتاب الانوار الفضية في معرفة الانفس الذكية .
٦ ــ كتاب الايضاح .
٧ ــ رسالة الرشد والهداية .

---

(١) عقد الجمان ج ١٣ ص ١٥٣ .
(٢) المنصوري : زبدة الفكرة جـ ٥ ص ١٥٤ السلوك للجندي كاي ١٤٣ .

هذا عدا عن الترتيبات والتنظيمات الكثيرة التي أجراها بين الدعاة .

وقبل وفاته ضرب مثلا رائعا للولاء والاخلاص ، ذلك أنه لم يعين أحدا من أبنائه لرياسة الدعوة بل ترك الباب مفتوحا للامام المهدي وقال في وصيته : « قد أوصيتكما بمبدأ الأمر فاحفظاه ، ولا تقطعا الدعوة فنحن غرس من غرسها ، ولولا ناموس الأئمة وما دعونا به اليهم ما صار الينا من الملك ما قد نلناه ، فعليكما بمكاتبة القائم منهم وأوصيكم بطاعة المهدي حتى يرد أمره بولاية أحدكما ، ويكون كل واحد منكما عونا لصاحبه » .

وكانت وفاته سنة ٣٠٣ هجرية .

* * *

أبو سفيان
الحسن بن القاسم

قام دعاة الاسماعيلية الأول بدور خطير في الحياة السياسية والاجتماعية ، في بلاد المغرب التي كانت تلاقي التعسف والظلم على أيدي حكامها السابقين ، وكان يسودها الجهل والفقر ، وتسيطر عليها الحياة القبلية والعشائرية •

ولدعاة الاسماعيلية أثر في تاريخ المغرب حافل بالحوادث والتيارات ، ويذكر التاريخ بأن أنظار الأئمة الاسماعيليين اتجهت الى تلك البلاد نظرا لبعدها عن مركز الخلافة العباسية ، ولما كانت تعانيه من اهمال وفوضى في الادارة والحكم • مما حدا بالامام عبد الله بن محمد بن اسماعيل (الوفي أحمد) الى التفكير في ارسال بعثة من كبار الدعاة الافذاذ ليمهدوا الى فكرة انشاء دولة اسماعيلية في المغرب[1] •

وقد وقع اختيار الامام على الداعيين الكبيرين (أبي سفيان والحلواني) فسيرهما الى مركز الدعوة في اليمن بعد أن قال لهما : « انكما ستدخلان أرضا بورا لم تحرث قط فاحرثاها وكرماها وذللاها حتى يأتي صاحب البذر فيضع حبه[2] » •

وتشير المصادر الاسماعيلية السرية الى أن ولادة الداعي الكبير والعلامة النحرير أبي سفيان كانت في الكوفة ، واسمه الحسن بن عبد الله بن القاسم التميمي الكوفي سنة ١٩٥ هجرية ، رحل من الكوفة الى مقر الدعوة الاسماعيلية في سلمية حيث انخرط في سلك الدعاة وشاركهم في أبحاثهم

---

(١) قيل ان الامام الذي فكر في ارسال البعثة هو محمد بن اسماعيل وهذا خطأ . فالاصح ما ورد أعلاه .

(٢) ابن الاثير : الكامل : ١١٠/٨ .

العلمية والفلسفية وقيل انه من واضعي رسائل اخوان الصفاء • ولما انتخب ليكون داعيا في المغرب توجه بصحبة الحلواني الى اليمن ومنها الى المغرب حيث نزل بمدينة كتامة وقيل مدينة (مرماجنة) وأخذ ينشر دعوته بين صفوف الكتاميين فمالت اليه قلوبهم وحملوا اليه الهدايا والتحف والأموال • وظل يعمل بجد ونشاط ، وهو على اتصال مستمر في مركز الدعوة باليمن وفي سلمية عن طريق التقارير التي كان يرسلها بواسطة الحمام الزاجل ، حتى أصابه مرض شديد توفي على أثره في سنة ٢٦٥ هجرية بعد أن نفذ جميع التعليمات والارشادات التي زود بها عندما غادر سلمية •

* * *

حسن بن محمد بن علي بن نزار

يعتبر ثالث الأئمة النزاريين في (آلموت) وكان على جانب كبير من الذكاء والمقدرة العلمية والادارية فقبض على زمام الأمور بيد حديدية ، وأذاع سجلا على مختلف المناطق الاسماعيلية أقر فيه الداعي (محمد بن كيابزرك آميد) حجة له وفوضه بالاشراف على الأمور السياسية والعسكرية .

قال : « ان محمد بن كيابزرك هو حجتنا وداعيتنا وممثلنا ، فعلى جميع من هم على عقيدتنا أن يطيعوه في الأمور الدنيوية ، وأن يأتمروا بأوامره ، ويعتبروا كلماته من وحي الله ، وان لا يخالفوا له أمرا ، بل يتقيدوا بها ويعملوا بموجبها كما لو كانت من لدنا » ولقب (بالقاهر بقوة الله) .

كانت ولادة الامام الحسن بن محمد بن علي بن نزار بن المستنصر الفاطمي الملقب (القاهر بقوة الله) سنة ٥٢٠ هجرية في قلعة آلموت وتسلم الامامة بعد وفاة أبيه سنة ٥٥٢ هجرية باحتفال مهيب حضره الاسماعيلية من جميع القلاع والمناطق ، ووزع الامام الأموال والصدقات على الفقراء والمعوزين .

وبعد أن انتهت الاحتفالات وجه جل اهتمامه لدراسة أحوال أتباعه فأوعز اليهم أن يتعاطوا التجارة وزودهم بالأموال الطائلة ليتمكنوا عن طريق تنقلاتهم بقصد التجارة من نشر دعوتهم سرا[1] .

ولم يخل عهد الامام القاهر من الحروب والغزوات وهجمات الاعداء التي استمرت عدة سنين وكانت الحروب سجالا بين الاسماعيلية والسلاجقة ،

(١) نور مبين حبل الله المتين : لجنارا : ص ٣٩٢ .

وتمكن الاسماعيلية من القضاء على التركمان المجاورين لهم واحتلوا قلاعهم ، وفرضوا على قوافل التجار التي كانت تعبر المناطق الواقعة تحت نفوذهم الضرائب والأموال .

ولما شعر الامام القاهر بأن دعوته في العراق قد انتابها بعض الفتور أوفد ابن عمه وكبير دعاته الموثوق به (أبا الحسن سنان بن سليمان بن محمد) الى البصرة وأمره أن يشرف بنفسه على اعادة تنظيم الدعوة هناك وزوده بتعاليم وارشادات أكبر عونا له لأداء مهمته[1] .

وقيل انه جعل من القلاع الاسماعيلية طوال عهده أسواقا تجارية تعج بآلاف التجار الوافدين اليها من مختلف المناطق ، ذلك ما ساعده على ارسال الدعاة بصفة تجار الى الهند وافغانستان ، وتركيا لنشر الدعوة وبذر بذور المذهب الاسماعيلي .

وفي سنة ٥٥٧ هجرية نص على امامة ولده (الحسن علي) وتوفي في هذا التاريخ ودفن في قلعة (آلموت) .

* * *

(١) تاريخ الدعوة الاسماعيلية : لغالب : ص ٢٠٤

المعلم

الحسين بن أحمد بن محمد بن زكريا الصنعاني

أبو عبد الله الشيعي

هو الحسين[1] بن أحمد بن محمد بن زكريا ولد في (رامَ هُرْمُز[2]) وكان محتسبا بسوق الغزل من البصرة في العراق ، ويعرف بالمعلم لأنه كان يعلم الناس مذهب الامامية الباطنية ، كما كان يطلق عليه أيضا اسم الصوفي ، لأنه كان يلبس الخشن من الثياب ، ومرقعات الصوف • اتصـل بالامام عبد الله الرضي فأنس فيه الكفاية والذكاء • فأوفده الى بلاد اليمن سنة ٢٧٨ هجرية ليدرس اصـول المذهب الاسماعيلي على ابن حوشب داعي دعـاة الاسماعيلية في اليمن ، وأمره الامام أن يطيع ابن حوشب ويقتدي بسيرته ، ثم يذهب بعدها الى المغـرب ويقصد بلدة كتامة ، فلما بلغ الى ابن حوشب لزمه ، وشهد مجالسه ، وتثقف في مدرسته ، وأفاد من علمـه ، فصار من أخلص أصحابه •

وعندما علم ابن حوشب بموت أبي سفيان ، الداعي الاسمـاعيلي في المغرب ، عهد الى أبي عبد الله الشيعي القيام بالدعوة وقال له : (ان أرض كتامة من بلاد المغرب قد حرثها الحلواني وأبو سفيان ، وقد ماتا ، وليس لها غيرك فبادر فانها موطأة ممهدة لك[3]) •

غادر أبو عبد الله اليمن متوجها الى مكة ؛ وقد زوده ابن حوشب بما يحتاجه من المال • فلما وصل الى مكة ، سأل عن حجاج كتامة واجتمع بهم ؛

(١) وقيل الحسن •

(٢) قال ياقوت (مدينة مشهورة بنواحي خوزستان) وقيل أصله من صنعاء باليمن ولذلك لقب (الصنعاني) •

(٣) اتعاظ الحنفا للمقريزي ص (٦٨ — ٦٩) •

فسمعهم يتحدثون بفضائل آل البيت ، فحدثهـم في ذلك وزاد القول في مآثر أهل البيت • ثم نهض فسألوه أن يأذن في زيارته لمـا رأوا من علمه وعقله ؛ فأجابهم الى ذلك • فأخذوا يترددون عليه وسألوه أين يقصد ، فقال انه يريد مصر • فسروا بصحبته ، ورحلوا جميعـا من مكة ، وما لبثوا أن تعلقوا به واجتمعوا على محبته لما رأوا من ورعه وزهده ، وهو في ذلك كله يسألهم عن أحوال بلادهم وعن مبلغ اطاعتهم لأميرهم ، فقالوا : « ليس له علينا طاعة ، وبيننا وبينه عشرة أيام » • وهكذا اتيح له أن يقف على جميع أحوالهم • فلما وصلوا مصر أخذ يودعهم ، فشق عليهم فراقه وسألوه عن حاجته بمصر فقال : انه ليس له بها حاجة الا طلب العلم ؛ فقالوا له : « فأما اذا كنت تقصد هـذا ، فان بلادنا أنفع لك وأطوع لأمرك ، ونحن أعـرف بحقك[1] » وما زالوا به حتى أجابهم الى المسير معهـم ؛ واستأنفوا السير حتى أصبحوا على مقربة من بلادهم كتامة وقد خرج الى لقائهم أصحابهم الذين أينعت وأثمرت فيهم تعاليم الاسماعيلية على يد الحلواني وأبي سفيان من قبل ، وكان وصولهـم الى أرض كتامة في منتصف شهر ربيع الأول سنة ثمان وثمانين ومائتين ، فسأله قوم منهم أن ينزل عندهم حتى يقاتلوا دونه ، فقال لهم : « أين يكون فج الأخيار ؟ » فعجبوا من ذلك ، ولم يكونوا ذكروه له ، فقالوا له : (عند بني سليمان[2]) فقال : اليه نقصد ، ثم نأتي كل قوم منكم في ديارهم ، ونزورهم في بيوتهم ، فأرضى بذلك الجميع ، وسار الى جبل يقال له : « ايكجان » وفيه فج الأخيـار فقال : هـذا فج الأخيار ، وما سمي الا بكم ، ولقد جاء في الآثار : أن للمهدي هجرة تنبو عن الاوطان ، ينصره فيها الأخيار من أهل ذلك الزمان ، قوم اسمهم مشتق من الكتمان ، فانهم كتامة وبخروجكم من هـذا الفج سمي فج الأخيار ،

(١) اتعاظ الحنفا للمقريزي ص (٦٩ — ٧٠) تاريخ الدولة الفاطمية ص ٤٨

(٢) ابن الاثير ج ٨ ص ١٢ •

فتسامعت القبائل ما أذهل عقولهم ، وأتاه البربر من كل مكان ، فعظم أمره الى أن تقاتلت كتامة عليه مع قبائل البربر ، وسلم من القتل مرارا[1] واجتمع أهل العلم على مناظرته وقتله ، فمنعه الكتاميون من المنـاظرة وكان اسمه عندهم : « أبا عبد الله المشرقي » وما لبث أن كشف عن قصده ، فقال لرجال كتامة : « أنا صاحب البذر الذي أخبر به أبو سفيان والحلواني[2] » اللذين أرسلهما الامام الاسماعيلي لبث الدعوة في بلاد كتامة ، فازدادت محبتهم له وعظم أمره فيهم ، وأتته القبائل من كل مكان[3] ويقول ابن الأثير أن البربر وكتامه تفرقت بسببه ، وأراد بعضهم قتله فاختفى ووقع بينهم قتال شديد ، فاتصل الخبر بالحسن بن هارون وكان من أكابر كتامة ، فأخذ أبا عبد الله اليه ودافع عنه ، ومضى به الى مدينة « تامروت » فأتته القبائل من كل مكان وعظم شأنه ، وصارت الرياسة للحسن ابن هارون ، وسلم اليه أبو عبد الله أعنة الخيل ، وظهر من الاستتار ، وشهد الحروب ، فكان الظفر له وغنم الاموال ، وخندق على مدينة تامروت[4] ، وقد زحفت اليه قبائل المغـرب ، واقتتلوا عدة مرات كان له فيها الظفر ، وصارت اليه أموالهم ، فاستقام له أمر البربر وعامة كتامة ، واتخذ أبو عبد الله دار هجرة في فج الأخيـار في ايكجان الواقع في بلاد كتـامة وجعله مقـرا لدعوته ومجمعا لأنصاره من البربر[5] .

ولقد كان مركز أبي عبد الله محوطا بكثير من المصـاعب . فتمكن من القضاء على كافة المؤامرات التي حاكهـا زعماء المغاربة وفقهاؤهم ليحولوا دون نشر الدعوة الاسماعيلية . فتكاثر الداخلون فيها وقوي أمره ، لما أوتيه

(١) ابن الأثير ج ٨ ص ١٢
(٢) ابن خلدون ج ٤ ص ٣١
(٣) البكري : المغرب ص ٦٣ ـ ٦٤ اتعاظ الحنفا للمقريزي ص ١٣
(٤) ابن الاثير ج ٨ ص ١٢ اتعاظ الحنفا ص ٧٨
(٥) Gautier, les siécle obseurs du Maghreb, p. 318

من الفصاحة والعلم والذكاء . وانتشرت جيوش أبي عبد الله في بلاد المغرب، وعم نفوذه أكثر أجزاء تلك البـلاد ، وأصبح الاسماعيلية في ذلك الوقت أصحاب السلطان المطلق في جميع الجهـات الواقعة الى الغـرب من مدينة القيروان ، واتبع أبو عبد الله الشيعي سياسة تنطوي على الحكمة وبعد النظر واقرار العدل بين النـاس .

وبعد أن استقر هذا الداعي الكبير في بلاد المغـرب رأى من الانسب كما هي عادة الدعاة الاسماعيلية (الرجوع للامام في كل مناسبة) أن يعلم امامه في السلمية عما وصلت اليه دعوته من نجاح فسير أخـاه أبا العباس محمد بن أحمد على رأس وفد من اسماعيلية المغرب[1] لينقل للامام المهدي الأخبار والتفاصيل بما فتح الله على يده وانه ينتظر أوامره اذا ما شاء أن ينقل مقر دعوته الى المغـرب لأن السلمية لم تعد مكانا صـالحا لاقامة الأئمـة الاسماعيليين المستورين بعد أن ازداد النشاط الاسماعيلي في المغرب واليمن تقدما وازدهارا بالاضافة الى ان الخليفة العباسي قد شدد في طلب القبض على الامام الذي تروج الدعوة باسمه بعد أن بلغه ما توصلت اليـه الدعوة الاسماعيلية من تقدم وازدهار[2] .

أخذ أبو عبد الله يواصل فتوحه مذ رحل وفده الى السلمية ففي سنة ٢٩٥ هجرية تمكن من بسط نفوذه على معظم أرجاء افريقية . وفي يوم الاحـد مستهل رجب سنة ٢٩٦ هجرية دخل مدينة رقاده (وتقع جنوبي القيروان) واستقر في دار الامارة . وبهذا تكللت أعماله بالنجاح ، ولما كان يوم الجمعة أمر الخطباء في القيروان ورقادة فخطبوا وأبطل ذكر اسم الخليفة العباسي في الخطبة ، وأدخل عبارة (حي على خير العمل) وأضيفت اليهـا أسماء

(١) تاريخ الدعوة الاسماعيلية لمصطفى غالب ص (١٠١) المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ١١ .
(٢) ابن الاثير ج ٨ ص ١٤ .

« علي وفاطمة والحسن والحسين » . وبهذا زالت سلطة العباسيين الاسمية والفعلية عن هذه البلاد . وأمر الداعي بالسكة فضربت من غير أن ينقش عليها بل جعل في أحد وجهيها : « بلغت حجة الله » ، وفي الوجه الآخر « تفرق أعداء الله » ونقش على السلاح : « عدة في سبيل الله » ، ونقش على خاتمه الذي يختم به : (فتوكل على الله ، انك على الحق المبين) ونقش على خاتمه الذي يستخدمه في الطبع على السجلات : (وتمت كلمات ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته) وكان اذا ركب نودي في الجيش : يا خيل الله اركبي ، ووسم الخيل على أفخاذها : « الملك لله » وعلى أعلامه : « سيهزم الجمع ويولون الدبر » وأقام على ما كان عليه من لبس الدرن الخشن والقليل من الطعام الغليظ[1] .

ولما استقرت الأمور لأبي عبد الله في رقادة وسائر البلاد الافريقية أتاه أخوه (أبو العباس محمد بن أحمد) ففرح به ، الا أنه حزن حزنا شديدا لما اعلمه بأن الامام قد وصل الى سجلماسة وألقى عليه القبض واليها العباسي، فبادر لجمع جيوش الاسماعيلية التي بلغ عددها مائتي ألف فارس وراجل ، وخرج في أول شهر رمضان سنة ٢٩٦ هجرية من بلدة (رقادة) فاهتز المغرب لخروجه وخافته قبيلة زناته ، وزالت القبائل عن طريقه ، وجاءته رسلها ودخلوا في طاعته[2] .

كتب ابو عبد الله كتابا الى الامام يبشره بقدومه وقد أرسله مع بعض ثقاته فدخل الى السجن بذي قصاب وسلم الكتاب للامام .

طوقت جيوش أبي عبد الله الداعي سجلماسة عدة أيام فقاتل اليسع ابن مدرار حتى دحرت جيوشه وحاول الفرار فألقي عليه القبض ، وقيل جلد

(١) يحيى بن سعيد (ص ١٠٧) وابن الأثير (ج ٨ ص ١٧) .

(٢) اتعاظ الحنفا ص(٨٤ — ٨٩ — ٩٠) ابن الأثير ج ٨ ص(١٩ — ٣٢ — ٣٤)

حتى مات ، وقيل اعتنق المذهب الاسماعيلي فاطلق سراحه . وقيل أيضا أنه في اليوم الثاني من وصول الجيوش الاسماعيلية هرب اليسع بن مدرار أمير المدينة ليلا ، وقد حمل معه أقاربه وأمتعته ، فدخل أبو عبد الله وأصحابه البلد ، وأتو مكان الامام المهدي فأخرجوه وأخرجوا ابنه أبا القاسم . وكان خروجه من السجن في السابع من ذي الحجة سنة ٢٩٦ هجرية . وهكذا زال ملك بني الاغلب من افريقيا وملك بني مدرار بعد أن استمر ١٠٣ سنوات بسجلماسة . وبويع الامام الاسماعيلي المهدي من عامة مسلمي سجلماسة ، وسرت الجماهير سرورا عظيما كاد يذهب بعقولهم ثم اركب الامام على جواد ومشى بركابه أبو عبد الله الداعي ورؤساء القبائل وكان الداعي العظيم يبكي ويقول مخاطبا الناس (هذا مولاكم) هذا هو الامام المبين ، هذا الذي دعوتكم لامامته فأسرعوا الى لثم ركابه وادخلوا في طاعته تكتب لكم السعادة في الدارين فتقدم اليه خلق كثير[1] .

ومنذ ذلك اليوم المشهود قامت الدولة الفاطمية الاسماعيلية في كل شمال افريقية الذي خرج عن سلطان العباسيين ومن ثم توجه الامام المهدي الى رقادة فخف لاستقباله أهلها وأهل القيروان ، وسار بين يديه أبو عبد الله الشيعي ورؤساء كتامة فسلموا عليه بالخلافة وبايعوه على الطاعة[2] .

نزل الخليفة الفاطمي الجديد بقصر من قصور رقادة ، وفي يوم الجمعة ذكر اسمه في الخطبة على منابر تلك البلاد ، وتلقب بالمهدي أمير المؤمنين ، واستقر تقدمه ، ودانت له أهل البلاد ، واستقامت له الاحوال ، فباشر الأمور بنفسه وسنفرد بحثا خاصا عن الامام المهدي في غير هذا المكان .

واذ نحن نقترب من نهاية بحثنا عن حياة الداعي الكبير أبي عبد الله

(١) تاريخ الدعوة الاسماعيلية لمصطفى غالب ص (١٠٤) .

(٢) اتعاظ الحنفا ص ٩٤ وابن الأثير ج ٨ ص ١٩ .

الشيعي مؤسس الدولة الاسماعيلية في المغرب لا بد لنا من التعرض لمزاعم بعض المؤرخين حول مصير الداعي الكبير ، ومناقشتها على ضـوء الواقع والحقيقة والتجرد .

قيل : ان المهدي عندما تولى الأمور بنفسه كف يد أبي عبد الله ويد أخيه أبي العباس ، فداخل أبا العباس الحسد ، وعظم عليه الفطام عن الأمر والنهي، والأخـذ والعطاء ، فأقبل يزري على المهدي في مجلس أخيه ، ويتكلم فيه وأخوه ينهاه ، فلا يزيده ذلك الا لجاجا ، وقال له : « ملكت أمرا فجئت بمن أزالك عنه ، وكان الواجب عليه الا يسقط حقـك[1] » وما زال به حتى أثر في قلب أبي عبد الله فقال يوما للمهدي : « لو كنت تجلس فيقصرك وتتركني مع كتامة آمرهم وأنهاهم لأني عارف بعاداتهم لكان ذلك أهيب لك في أعين الناس » وأخذ أبو العباس يسر الى المقدمين بما في نفسه ... فأثر قوله في قلوب كثير من الناس ، منهم انسان من كتامة يقال له : « شيخ المشايخ » فواجه المهدي فقتله المهدي .. وخاف أبو عبد الله ، وعلم أن المهـدي قد تغير عليه ، فاتفق وأخوه ومن معهما على الاجتماع عند أبي زاكي ، وعزموا على قتل المهدي ، واجتمع معهم قبائل كتامة الا قليلا ، فعلم المهدي صحة ما قيل عنه ، فلاطفهم وفرقهم في البلاد ، وجعل أبا زاكي واليا على طرابلس ، وكتب الى عاملها أن يقتله عند وصوله ، فلما وصلها قتله عاملها ، وأرسل رأسه الى المهدي ، وأمر المهدي عروبة ورجالا معه أن يرصدوا أبا عبد الله وأخاه أبا العباس ويقتلوهما فلما وصلا الى قرب القصر حمل عروبة على أبي عبد الله ، فقال : « لا تفعل يا بني » فقال : « الذيأمرتنا بطاعته أمرنا بقتلك» فقتل هو وأخوه يوم الاثنين النصف من جمادي الآخرة سنة ثمان وتسعين ومائتين بمدينة رقادة وصلى عليه المهدي وقال : « رحمك الله أبا عبـد الله وجزاك خيرا بجميل سعيك » .

---

(١) اتعاظ الحنفا ص ٩٥ ابن الأثير ج ٨ ص ٢٠

هذه الرواية لا يمكن الاعتماد عليها مطلقا لأنهـا تناقض نفسها بنفسها اذ كيف يعمد هذا الداعي الذي كان له الفضل الأكبر في تأسيس الـدولة الاسماعيلية الى التآمر على أمامه وهو يعلم حسب المفهوم الاسماعيلي بأن مركز الامام أسمى المراكز البشرية ولا يمكن له أن ينهد اليه وهو الذي كان بوسعه لو شاء ذلك أن يفعله قبل قدوم الامام . وعلى العموم هذه القصة محض افتراء قصد منهـا تشويه سمعة الامام الاسماعيلي ، اذ كيف يلمس الامام تآمر داعيه عليه ويأمر بقتله ، ثم يعمد الى الصلاة عليه والثناء على أعمـاله ، والخلاصة كان هذا الداعي أحـد رجالات العـالم القائمين على الدول واقامة الممالك العظيمة من غير مال ولا رجـال وقد توفي في رقادة سنة ٢٩٨ هجرية وصلى عليه الامام المهدي .

* * *

ابن سيناء
حسين بن عبد الله

أدهشت عبقرية ابن سيناء الذي ظهر في عصر كثرت فيه مباحث النظر ، ومذاهب الفلسفة ، ومدارس الحكمة والتصوف ، العلماء والمستشرقين في الشرق والغرب ، فلقبه بعضهم بأرسطو الاسلام وابقراطه • وسيظل التاريخ على مر الدهور يحمل في صفحاته أمجاد ابن سينا الخالدات •

ولد حجة الحق وشرف الملك الشيخ الرئيس أبو علي حسين بن عبد الله ابن حسن بن علي بن سيناء في شهر صفر سنة ٣٧٠ هجرية في بلدة (أفشيناه) من أعمـال (خرمتين) من أبوين اسماعيليين • أبوه عبد الله من كبار دعاة الاسماعيلية ، وأمه ساره من عائلة عريقة باسماعيليتها • وكان والده عبد الله قد جاء من (بلخ) وعمل موظفا في حكومة السامانيين فنقل بحكم وظيفته الى بخارى ، وكانت الدعوة الاسماعيلية وقتئذ في أوجها تجوب أنحاء ايران وخاصة المنطقة المحيطة بالعاصمة ، حيث أشرق مجلس الدعوة وأشبع بدعاة يعدون من أرفع وأعلم رجالات البـلاد ، فمنهم العالم النحرير ، والأديب الكبير ، ورجل الدولة المحنك ، وكانت أغلب اجتماعات هؤلاء ومناظراتهم تعقد في بيت والد ابن سينا عبـد الله ، وكان ابن سينا يستفسر من والده وأعمامه الذين كانوا أيضا من كبار الدعاة عمـا يجول بخاطره من قضـايا فلسفية ومذهبية وعلمية ، وهكذا نرى ابن سينا نشأ وترعرع في بيت عريق في الاسماعيلية ومركزا من مراكز دعوتهـا ومباحثها الفلسفية فتفتح عقله على المناقشات الفلسفية والبحوث الدينية في النفس والعقل وأسرار الربوبية والنبوة ، وتعهده أبوه بالتثقيف والتعليم وأحاطه بجهابذة العلم فخرج من ذلك كله ، متعمقا في الفلسفة والهندسة ، وعلوم ما وراء الطبيعة ، ودفعه

طموحه ورغبته في العلم الى الاستزادة ، فعكف على دراسة الطب ، وان المرء ليقف مدهوشا عندما يرى فتى لم يتجاوز السابعة عشرة من عمـره قد قرأ أكثر علوم عصره بما فيها الفلك والرياضيات والفلسفة والطب حتى أخـذ « فضلاء الطب » يقرؤون عليه هذا العلم • فهو اذن لم يكن طبيبا في هذه السن فحسب بل كان معلمـا في الطب يتعهد المـرضى ويبرع في علاجهم ويقرىء التلاميذ ما اقتبس من مطالعات ، وما استنتج من تجاربه •

وما هي الا سنوات قلائل حتى طار اسمه في الآفاق ، فاستدعوه لمداواة « الأمير نوح بن منصور الساماني » فنجح في معالجته نجاحا أذهل العقول ، فقربه الأمير نوح اليه وأغدق عليه من نعمه ، وسمح له أن يتردد على مكتبته الزاخرة بالمؤلفات ، وقد وصفها ابن سينا فقال[1] : انها مكتبة غنية بالكتب الكثيرة ، وكان بعض هذه الكتب مجهول الاسـم لدى كثير من النـاس ، كما كان بعضها غير معروف له من قبل ، ولم يصادفه في غيرها فيما بعد ، وللأسف ان هذه المكتبة احترقت بعد ذلك بقليل من الوقت ، فأتهمه جماعة من أعدائه بأنه أحرقها عامدا حتى يصبح وحده الواعي لما استفاده من كتبها النادرة ومخطوطاتها الفريدة •

وفي سنة (٣٩١ — ٣٩٢ هـ) غادر عبد الله والد ابن سينا (بخارى) مع ابنه بعد انهيار الدولة السامانية ، متوجهين الى خوارزم ، وقيل ان ابن سينا غادر (بخارى) لوحـده بعد انهيار الدولة السـامانية ووفاة والده فقصد الى (خوارزم) ، التي كان يحكمها (علي بن مأمون) وخليفتـه (مأمون ابن مأمون) وكانت الوزارة بيـد أبي الحسن أحمـد بن محمد السهلي ، فاستقبل ابن سينا من قبل الملك والحكومة والعلماء في بلدة (كوركانج) التي كانت في ذلك الوقت مركزا للعلم والثقافة وأعلن انضمامه الى الجمعية العلمية في تلك البلدة مع زمرة منتخبة من رجال العلم والادب مثل الفيلسوف

---

(1) تاريخ الأدب في ايران : براون : ص (١٢١ — ١٢٢ — ١٢٣) .

« أبي سهل المسيحي » والطبيب « أبي الخير الحسن بن الخمار » والرياضي « أبي نصر ابن العراق[1] » .

في ذلك الوقت بالذات سطع نجم السلطان محمود الغزنوي في (خوزنا) وانتشرت طلائع انتصاراته فرغب أن يكون بلاطه من أفخم بلاطات ذلك العصر ، فراح يجذب اليه العلمـاء والفلاسفة والشعراء بشتى الوسائل ، وحينما سمع بجمعية (كوركانج) أرسل الى (مأمون) خطابا أنفذه على يد واحد من أتباعه يدعى « حسين بن علي بن ميكائيل » يقول فيه : لقد سمعت أن جماعة من رجال العلم يقومون على خدمة أمير خوارزم مثل فلان وفلان وكل واحد منهم قد أصبح نسيج وحده وبرز في علمه ، ومن الواجب عليك أن ترسلهم جميعا الى قصري حتى يتشرفوا بلقـائي ، فنحن نرجو أن ننتفع بعلمهم وفنهم ، ونرجو أن يحقق لنـا أمير خوارزم هـذه الرغبة التي أبديناها[2] .. فاستدعى « مأمون » الرجال الذين وردت أسماؤهم في كتاب الملك ، فلما حضروا قال لهم : « ان السلطان محمودا رجل قوي وقد جمع الجيوش الجرارة من خراسـان والهند ، وهو يحرص على الاستيلاء على (خوارزم) ولست أملك أن أخـالف أمرا أو أعصي له طلبا فمـا عساكم تقولون في ذلك ...؟! » فأبدى ثلاثة من العلمـاء وهم « البـيروني » و « الخمار » و « العراق » رغبتهم في الذهاب اليه ، مدفوعين في ذلك بما سمعوه عنه في نخوة وكرم . ولكن « ابن سينا » و « المسيحي » آثر الرفض واستطاعا بمعونة « مأمون » أن يعملا على الهرب والفـرار . فأما « المسيحي » فقد هلك في عاصفة رملية اجتـاحته في الصحراء ؛ وأما « ابن سينا » فقد استطاع بعد أن تعرض لأخطار كثيرة من أن يبلغ (أبيورد) ثم ارتحل منها الى « طوس » و« نيسابور » وفي النهاية وصل الى« جرجان »

(1) كتاب جهار مقاله : ص ٣٥ — ١١٨ — ١٢٣ في الترجمة الانكليزية .

(2) تاريخ الأدب في ايران : براون : ص ١١٢ .

التي كان يتولاها في ذلك الوقت رجل العلم والادب « شمس المعالي قابوس ابن وشمكير » فأحسن استقباله ، وكان ذلك حول سنة ٤٠٢ هجرية . فأقام ابن سينا في بيت (أبو حمد الشيرازي) الفيلسوف الاسماعيلي المعروف فتوثقت بينهما الصـداقة حتى اشترى الشيرازي لابن سينا دارا بجواره ، وفيها ألف أكثر مؤلفاته القيمة .

وبعد أن قتل الامير شمس المعالي قابوس غادر ابن سينا جرجان الى « الري » و « قزوين » و « همـدان » وكان وصوله في أواخر سنة ٤٠٥ هجرية فمكث فيها مدة تسع سنوات التحق خلالهـا بخدمة الامير البويهي شمس الدولة ، ولقد تعرض خلال وزارته الى هجوم من قبل الجنود فنهبوا بيته ، وطالبوا باستقالته من الحـكم ، ولم يكن شمس الدولة يرغب في تنحيته ، ولكنه وافق لغاية ادارية على اقالة ابن سينا من منصبه ، فاختبـأ في بيت لابن سعيد دحدوك مدة أربعين يوما ، ولكن الزحار هاجم شمس الدولة فاستنجد بابن سينا الذي عالجه حتى شفي من دائه ، فأعاد ابن سينا الى الوزارة وظل فيها حتى أقاله الامير تاروم ، فتوارى عن الانظار مختفيا في بيت أبي غالب النـار ، وأخـذ يكاتب علاء الدولة في أصفهان ، ولكن سرعان ما اكتشفت تلك المراسلات فاعتقل ابن سيناء مـدة أربعة أشهر بقلعة (فارودجان) حتى افتتح علاء الدولة همدان فأطلق سراحه ، فشد الرحال الى أصفهان مصطحبا معه عبيد الجاوزجاني وأخاه وخادمين ، وحينما وصل الى قرية (تايدان) التي لا تبعد كثيرا عن اصفهان خرج لاستقباله الاصدقاء وحاشية الامير علاء الدولة . فرحبوا بمقدمه وسـاروا بركابه حتى أبواب المدينة ، حيث كان ينتظره ركب آخـر من حاشية الملك خـرجوا خصيصا لاستقباله ، وظل ابن سينا في أصفهان متفرغا للدراسة والتطبيب والتأليف حتى اعتلت صحته من توالي الرحلات والغارات والسهر الطويل والعمـل المستمر فوقع ضحية مرض (الزحار) ، المرض الذي اشتهر في مداواته وكان أول من برع في علاجه ، وكانت اصابته الاولى في هـذا المرض الخبيث

عام ٤٢٥ هجرية أثناء حرب علاء الدولة و تاش فاراش في الكرج ، وعالج ابن سيناء نفسه ولكن القروح التي تسببت من شدة الداء ، أقعدته عن العمل وظل يعالج نفسه بدون أن يتقيد بالحمية عن الطعام ، فانتكس بعد أن عاد من رحلة الى همدان مع علاء الدولة فلازم الفراش ، ولما شعر باقتراب أجله استحم ونزر التوبة واعتق عبيده وخوله وتصدق بأمواله وراح يقرأ القرآن ويجوده داعيا الى الله لخلاص نفسه ، ففارق الحياة في سنة ٤٢٨ هجرية وكان قد أكمل الخمسين من عمره تقريبا ، فدفن في همدان ، وأخيرا شيدت الحكومة الايرانية وجمعية البناء المتحدة ضريحا مهيبا ومكتبة فخمة سميت باسمه •

وبالحقيقة يعتبر ابن سينا الطبيب العالم الفيلسوف عبقرية فذة جديرة بالدهشة والاعجاب ، له مكانة رفيعة في سجل العباقرة الذين تدين لهم الانسانية بالشيء الكثير في تطورها الفكري ، ولن يجود بمثلها الدهر خلال القرون والاحقاب ، وتتميز كتاباته بأمانة العالم البارع المبدع الخلاق ، كسب قصب السبق في كثير من الآراء التي نسبها الغرب الى نفسه ظلما بعد ابن سينا بعدة قرون • ولا يمكن للانسان مهما أوتي من البلاغة وقوة التعبير أن يقدر عظمة المجهود العلمي الذي اضطلع به ابن سينا ووفق فيه أحسن توفيق ، أسلوبه الادبي بليغ ، سديد المنطق ، قوي الحجة ، مؤلفاته تبلغ المائة ، عالج فيها شتى الموضوعات ما بين فلسفة ونجوم وطب وعلوم مختلفة أخرى ، وله شعر فلسفي عميق ، وأشهر كتبه :

١ ــ كتاب الشفاء ويبحث بعلوم الطبيعة وما وراء الطبيعة والرياضيات •
٢ ــ كتاب القانون في الطب •
٣ ــ كتاب علم الاخلاق •
٤ ــ كتاب المجسطي •
٥ ــ كتاب الموسيقا •

٦ ــ كتاب علم النبات •
٧ ــ كتاب الانصاف •

وفي قصص ابن سيناء الرمزية ، كرسالة الطير ، أو قصة حي بن يقظان ، تتجلى الفلسفة الروحية السرمدية ، وعلى العموم كان ابن سيناء كثير الحركة غزير الحيوية لا يستقر على حال ، يقضي الليالي بطولها في الكتابة والقراءة ، تعرض خلال حياته للوشايات والمكايد ، ومرات للقتل والسجن ، وانغمس في السياسة ، وتمتاز مؤلفاته بالدقة والتعمق والترتيب ، ويعتبر بحق منظم العلم والفلسفة في الاسلام •

وأجمل قصائد ابن سيناء وأدعاها الى الاعجاب هي قصيدته العربية المشهورة عن الروح رأينا أن نوردها كما جاءت في كتاب ابن خلكان[1] :

هبطت اليك من المحل الأرفع ... ورقاء ذات تعزز وتمنع
محجوبة عن كل مقلة عارف ... وهي التي سفرت ولم تتبرقع
وصلت على كره اليك وربما ... كرهت فراقك وهي ذات تفجع
أنفت وما أنست فلما واصلت ... ألفت مجاورة الخراب البلقع
وأظنها نسيت عهودا بالحمى ... ومنازلا بفراقها لم تقنع
حتى اذا اتصلت بهاء هبوطها ... في ميم مركزها بذات الاجرع
علقت بها ثاء الثقيل فأصبحت ... بين المعالم والطلول الخضع
تبكي اذا ذكرت ديارا بالحمى ... بمدامع تهمي ولما تقلع
وتظل ساجعة على الدمن التي ... درست بتكرار الرياح الأربع
اذ عاقها الشرك الكثيف وصدها ... قفص عن الأوج الفسيح الأرفع
حتى اذا قرب المسير الى الحمى ... ودنا الرحيل الى الفضاء الأوسع
سجعت وقد كشف الغطاء فأبصرت ... ما ليس يدرك بالعيون الهجع

(١) ابن خلكان : طبع وستنفلد ٨٩/١ : وفي كتاب خرابات ضيا بك ٢٨٣/١

وغدت تغـرد فوق ذروة شـاهق — والعـلم يرفع كـل من لم يـرفع
فلأي شـيء أهبطـت من شـاهق — سـام الى قصر الحضيض الأوضع
ان كان أهبطهـا الاله لحـكمة — طويت عن الفطن اللبيـب الأروع
فهبـوطهـا ان كان ضـربة لازب — لتكون سـامعة بمـا لم تسمـع
وهي التـي قطع الـزمان طريقهـا — حتـى لقـد غربت بغـير المطلع
فكأنهـا بـرق تألق بالحمـى — ثم انطـوى فـكأنه لم يلمـع

وتنسب اليه بعض الرباعيات بالفارسية ومنها هذه الرباعية المشهورة[1] :

ما بين حضيض الأرض وأوج زحـل
استطعت حل مشكلات الفلك بغير ثقل
ونجوت بنفسي من أحابيل المكر والحيل
وحللت كل العقد ، ما عدا عقدة الأجل ...!!

وقبل أن ننهي بحثنا عن هذا الفيلسوف العظيم والعلامة الشهير لا بد لنا من التعرض لأقوال بعض المؤرخين والكتاب الذين طلعوا علينـا بمعلومات جديدة يؤكدون فيها بأن ابن سيناء لم يكن على مذهب الاسماعيلية بل كان شـافعي المذهب ، أو على المـذهب الحنفي ، وانه اشتغل بالفقه الخ ...

ويضيفون الى هذا فيقولون انه لم يمل الى العقيدة الاسماعيلية المصرية التي اعتقدها أبوه وأخوه وصَرَّح وباح بنفوره منهـا . ويتساءلون كيف يصح أن ينسب الى مذهب الاسماعيلية ؟ فان كان السبب وجود ذكر النفس والعقل في كتبه فكل الفلسفة تتناول النفس والعقل ، وان هذا لايعطي الدليل على انه مستقى من الاصل الاسماعيلي ، لأن ابن سيناء كان من أتباع المذهب الحنفي وان مذهب عائلته الباطني لم يمنعه من أن يكون كشبان أهل بخارى المتفقهين فاشتغل بالفقه الحنفي الى آخر ما هنالك من أقوال رغب هؤلاء فيها

(١) تاريخ الأدب في ايران : براون : ص ١٢٥ .

أن يبعـدوا عن الشيخ الرئيس اسماعيليته ، وأني أعجب لهؤلاء الـكتاب والمؤرخين وخاصة المصريين منهم كيف يطبعون الاسماعيلية بالطابع المصري وكأن هؤلاء يريدون أن لا يتركوا أي شيء سواء كان عقائديا أو اجتماعيا أو مذهبيا أو فلسفيا الا ودمغوه بالطابع المصري[1] .

نحن لا نرد على هؤلاء ولا نناقشهم بل نضع أمام أنظارهم جميع الكتب التي أتت على ذكر ابن سيناء ، واننا نؤكد أنها جميعها اتفقت على القول بأن ابن سيناء ولد من أبوين اسماعيليين ، وانه درس على أبيه رئيس الدعوة في فارس أصول المذهب الاسماعيلي والفلسفة الاسماعيلية وعلم التـأويل ، وان ابن سيناء عنـدما وصل الى المراحل التي أوصلته الى أعلى مستوى في الفلسفة ، بدء يؤلف عمـا حفظه في مدرسة الدعوة ، ويلاحظ انه فلسف الآراء وطورها وأدخل على فروعها نظريات تتلائم مع الاصل حتى جـاءت فلسفته أوسع شمولا من فلسفة الفـلاسفة الاسماعيليين الـذين سبقوه ، ولكنها بجوهرها وأصلها لا تختلف عما جاء به ابن سينا ، وها هو يتفق مع فلاسفة الاسماعيلية في السياسة المدنية ، التي يجعلها ابن سينا الهية مستمدة من الله عن طريق النبي ، ثم الامام الـذي يخلف النبي وتكون له الخواص النبوية ، وهو حاكم مطلق عليه أن يسن الشرائع ويقيم العدل . وفي قصصه الرمزية ، يرى ما يراه الاسماعيلية ، وهو أن النفس لا تنال السعادة الحقيقية الا باعراضها عن الشهوات وتركها الملذات والخضوع الى العقل وتطلعها الى الملأ الاعلى . وهو يرى مثلهم أيضا أن في التفكير والتـأمل لذة وعبادة . أقول هذا القول وأترك لهؤلاء أن يطالعوا مزيدا من كتب الفلسفة الاسماعيلية ويقابلوها مع كتب ابن سينا فحتما يجدون أن الهدف واحد .

أما الاكتشاف العلمي الذي لم يسبقهم اليه أحد بأن ابن سينا اشتغل

(١) أذكر من هؤلاء الاساتذة : ابراهيم مدكور ، مصطفى جواد ، أحمد فؤاد الاهواني ، وغيرهم مع حفظ الالقاب .

بالفقه الحنفي ، فهذا قول فيه كل الغـرابة ، فابن سيناء فلسف ووصل الى أعلى درجات الفلسفة ، ولم يكتب بالفقه حرفا واحدا ، ولا تطرق الى البحث في المذاهب والفروض والسنن •• الخ ولا أدري من أين ساق هؤلاء الكتاب القول بأن ابن سيناء اشتغل بالفقه الحنفي أو عدا الفقه الحنفي ••• الخ •

* * *

الحسين بن عبد الله
الملقب (بعبد الله الرضي)

موضوع الحديث عن أئمة دور الستر شـاق عسير على كل باحث في تاريخ الدعوة الاسماعيلية ، لأن هـذه الفترة غامضة أشد الغموض ، فمن الطبيعي أن لا نجد مؤرخا من مؤرخي العرب اهتم بهم في هـذه الفترة ، وكتاب الاسماعيلية تحدثوا عنهم رمزا دون تصريح مما جعل البحث في هذا الدور صعبا شائكا لا يخرج منه بالحقيقة التاريخية المنشودة ، وذلك بسبب الستر الشديد الذي فرضه الأئمة والدعاة حول أنفسهم عملا بمبدأ « التقية » وخوفا من بطش أعدائهم ، وكل ما كتب حول هـذا الموضوع في عصرنا الحاضر لايعتمد عليه ولا يوثق به وثوقا علميا صحيحا ، وسيظل هذا الموضوع الى أن تكتشف نصوص جديدة يوثق بها تاريخيا • وليس أدل على تخبط بعض الكتاب والمؤرخين في أحاديثهم عن الأئمة المستورين مما طلع به علينا مؤخرا الدكتور « الهمداني » بنصه الـذي قال أنه عثر عليه في كتـاب (الفرائض وحـدود الدين) لجعفر بن منصور بن حوشب وملخص هـذا النص أن جعفر الصـادق كان له أربعة أبناء هم اسماعيل وموسى ومحمد وعبد الله ، وان الامامة كانت لعبد الله الذي اتخذ لنفسه اسم اسماعيل تقية ، وسلسل الامامة في عبد الله بن جعفر (الذي تسمى باسماعيل) ثم بعـده محمد بن عبد الله ، ثم عبد الله بن محمد ، ثم أحمد بن عبد الله ، ثم محمد ابن أحمد ، ثم أوصى محمد بن أحمد الى ابن أخيه فتسمى سعيد بن الحسين (أو سعيد الخير) • وهكذا نرى هذه الخلافات الشديدة التي لا نستطيع أن نؤكدها ، لأن المصادر التاريخية الاسماعيلية السورية كمـا قلنا سابقا هي بنظرنا أوثق النصوص التي اعتمدنا عليها وسنظل نعتمد عليها في أقوالنا

حتى تظهر نصوص غيرها أوثق منها[1] .

ولد الامام الحسين بن عبد الله المعروف (بعبد الله الرضي) أو (رضي الدين عبد الله) في سلمية سنة ٢١٢ هجرية وأصبح اماما للاسماعيلية بعد وفاة أبيه وذلك سنة ٢٢٩ هجرية واتخذ الحسين بن عبد الله بن ميمون القداح حجة له وحجابا عليه وفوضه باجراء الترتيبات اللازمة لتعديل نظم الدعوة السرية ، والاستعاضة عنها بتنظيمات جديدة تتناسب مع العصر الذي يعيشون فيه وذلك بنقلها من طور التأسيس والتكوين وايجاد النظريات ، الى طور العمل والظهور من أجل تأسيس دولة اسماعيلية قوية ، وبالفعل عمد الامام الى ارسال الداعي الكبير أبي عبد الله الشيعي الى مدرسة الدعاة في اليمن ليدرس آخر مراحل علمية فيها ومن ثم يتوجه الى المغرب نظرا للحاجة الماسة ولتقدم الدعوة وازدهارها في تلك الاصقاع[2] .

ومن جهة ثانية أخذ الامام يتجول سرا بين أتباعه فقصد العراق ، وفارس واستنبول فوزع الدعاة وجمع أموال النجوى والزكاة وعاد الى سلمية بأموال كثيرة ، وفي سلمية أخذ يعد العدة لتنصيب ولده محمد المهدي وليا للعهد فجمع الدعاة باحتفال مهيب ونص على امامة ولده محمد المهدي من بعده وقال له : (انك ستهاجر بعدي هجرة وتلقى محنا شديدة) .

وبالرغم من أن جهود هذا الامام ودعاته وحدوده كانت كلها موجهة الى اجراء الاستعدادات المتعلقة بالهجرة والانتقال الى المغرب ، فقد كرس جهودا ملموسة الى تطور الناحية العلمية والفلسفية والى ادخال نظام جديد للاتصال بواسطته مع الدعاة الذين كانوا موزعين في جميع البلدان الاسلامية وذلك

---

(١) في نسب الخلفاء الفاطميين : اسماء الأئمة المستورين كما وردت في كتاب أرسله المهدي عبد الله الى ناحية اليمن نشره الهمداني حسين بن فيض الله .

(٢) تاريخ الدعوة الاسماعيلية لمصطفى غالب ص ٩٩ .

بواسطة الحمام الزاجل ، ويذكر التاريخ بأن الاسماعيلية هم أول من استخدموه للغايات السياسية والحربية ، وبرع الدعاة في استخدامه . وكذلك نبغ دعاة علماء كانت لهم جولات موفقة في عالم الادب والتأليف والفلسفة ، فانتشرت دعوتهم وتفانوا في الدفاع عنها بالقلم واللسان .

ويعتبر الاسماعيليون عهد هذا الامام (عهد ظهور) لأنهم أظهروا أنفسهم بعد أن كانوا مستترين وجاهروا بدعوتهم وبآرائهم المذهبية بعد أن كانوا يدعون بها في الخفاء ، وذلك عندما اشتد ساعدهم وقوي نفوذهم في سلمية ، وشعروا بالوهن والضعف الذي بدأ يدب في جسم الخلافة العباسية ؛ ولكن المصادر التاريخية تخالف هذا الرأي وتعتبر عهد الظهور منذ غادر المهدي سلمية .

ظل الامام (رضي الدين عبد الله) في سلمية يعمل بجد ونشاط حتى وافته المنية سنة ٢٨٩ هجرية ودفن في سلمية في قلب (الجامع) ولا يزال ضريحه حتى الآن موجودا ويعرف لدى العامة بضريح (الامام اسماعيل[1]) .

* * *

---

(١) تاريخ الدعوة الاسماعيلية لمصطفى غالب ص ١٠٠

الحسين بن علي بن أبي طالب

قصة البذل والعطاء والتضحية والفناء ، ونكران الذات من أجل قول كلمة حق ، أو في سبيل ابداء رأي ، أو بقصد الوقوف في وجه ظالم مستبد ، أو بغية نشر عقيدة مثلى وتعميم رسالة انسانية مقدسة ، رافقت الكون منذ وجود الانسان الاول واستمر بريقها يضفي على الوجود هالة من التقديس والتعظيم والخلود •

واذا عُـد الشهداء اعتبر الحسين بن علي بن أبي طالب امامهم ورائدهم ؛ أحدث مصرعه أكبر تصدع في صدر الاسلام ، فزرفت عليه العيون دما بدل الدموع •

ان مأساة سيد شباب أهل الجنة ستظل الى الابد وصمة عـار في جبين الانسانية لن يزول أثرها على مر الايام والعصور ، وستبقى مشعلا ينير الطريق لذوي الايمان العميق ، ولأصحاب الآراء الحرة والرسائل المقدسة •

وستظل أيضا نبراسا لمن يعشق البطولات وينهد الى بذل الدماء رخيصة لاعلاء كلمة الحق مجلجلة عالية تهـز أركان البغي ، ونارا تحرق الظـالمين المستبدين •

ولا أخال هذه القصة تعود لتمثل على مسرح هذا الوجود الا اذا عاد الى الوجود يزيد وابن زياد ومن لف لفهما من العتـاة المستبدين الـذين لا يقيمون وزنا للقيم الخلقية والمبادىء الانسانية •

ولد الحسين بن علي سبط رسول الله وريحانته ، ويكنى بأبي عبد الله بالمدينة المنورة في الخامس من شهر شعبان سنة ٤ هجرية[١] وقيل في الثالث

(١) تهذيب بن عساكر ج ٤ ص ٣١١ ابن الأثير ج ٤ ص ١ ، أبو الفداء ج ١ ص ١١٣٤ اصول الكافي للكليني ص ٢٣٨ في سنة ٣ هجرية .

من شعبان سنة ٤ هجرية في المدينة المنورة ، قال جعفر بن محمد : لم يكن بين الحمل بالحسين بعد ولادة الحسن الا شهر واحـد ، وقال الواقدي : علقت فاطمة بالحسين بعد مولد الحسن بخمسين ليلة وكانت مدة حمله ستة أشهر ، ولم يولد لستة أشهر وعاش الا عيسى ابن مريم والحسين بن علي[١] ولما ولد الحسين سماه ابوه (حربا) فجاء جده رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لعـلي وفاطمة أروني ابني ما سميتموه ؟ قال علي : (حـربا) • فقال الرسول : بل هو حسين ، وهو اسم لم يكن لأحد قبله[٢] وقال شرف علي[٣] ذكر الشيخ العمي في الأمالي عن داؤود الرقي : انه لما حملت فاطمة الزهراء بالحسين قال لها النبي : يا فاطمة انك ستلدين غلاما هنأني به جبرائيل فلا ترضعيه حتى أجيء اليك ولو أقمت شهرا ، قالت أفعل ذلك ، وخرج الرسول صلى الله عليه وسلم في بعض وجوهه ، فولدت فاطمة الحسين فما أرضعته حتى جاء النبي صلى الله عليه وسلم فقال ماذا صنعت ؟ قالت : ما أرضعته ، فأخذه فجعل لسانه في فمه ، فجعل الحسين يمص لسانه حتى قال الرسول (ايها ••• ايها) يا حسين ؟

ويذكر التاريخ بأن والدة الحسين مرضت أثناء الوضع وجف لبنها فطلب الرسول للحسين مرضعة فلم يجد فكان يأتيه النبي فيلقمه ابهـامه فيمصه ويجعل الله في ابهام الرسول رزقا يغذيه ، وقيل فعل ذلك أربعين يوما وليلة فانبت لحمه من لحم رسول الله ودمه[٤] •

(١) اصول الكافي ص ٢٣٨ ــ ٢٣٩ كتاب نيل الجنان في مشتهر الجنان ص ٢٥٤ .

(٢) مسند ابن حنبل في مسند علي ابن ابي طالب ابن الأثير ج ٢ ص ١٥

(٣) رياض الجنان ص ٢٥٢

(٤) اصول الكافي الكليني ص ٢٣٩ .

وفي ذلك قال الطباطبائي من قصيدة له :

ذادوا عن الماء ظمآنا مراضعه ... من جده المصطفى الساقي أصابعه

يعطيه ابهامه آنا وآونة ... لسانه فاستوت منه طبائعه

لله مرتضع لم يرتضع أبدا ... من ثدي انثى ومن طه مراضعه

غرس سقاه رسول الله من يده ... وطاب من بعد طيب الأصل فارعه

وقال جعفر بن محمد : لما ولد الحسين حنكه الرسول صلى الله عليه وسلم بريقه وأذن في اذنه ، وتفل في فمه وسماه حسينا • ولقب الحسين بألقاب أشهرها[1] : الذكي ، والطيب ، والرشيد ، والوفي ، والسيد ، والمبارك ، وأعلاها ما لقبه به رسول الله في قوله عنه وعن أخيه الحسن ، انهما سيدا شباب أهل الجنة ، وقال النبي : حسين مني وأنا من حسين ، أحب الله من أحب حسينا ، حسين سبط الاسباط من سره أن ينظر الى رجل من أهل الجنة فلينظر الى حسين •

أقام الحسين مع جده في طفولته ست سنين وسبعة أشهر وسبعة أيام (لأن الرسول قد توفي يوم الاثنين ١٢ ربيع الاول سنة ١١ هجرية[2]) وذهب الى الحسين كل ما في فؤاد النبي من محبة وعطف ، فكان لا يطيق أن يستمع الى بكائه ، وقيل ان الرسول خرج يوما من بيته فمر ببيت فاطمة فسمع حسينا يبكي ، فقال لفاطمة : ألم تعلمي ان بكاءه يؤذيني ؟ وروى أبو عمر بن عبد البر القرطبي عن أبي هريرة انه قال : أبصرت عيناي هاتان وسمعت أذناي رسول الله وهو آخذ بكفي الحسين وقدماه على قدم

(1) الفصول المهمة للمفيد ص ١٧٦ نور الابصار للشلبنجي ص ١٥٢ الارشاد ص ٢٠٣ •

(2) منهاج السنة النبوية ١١/٣

رسول الله وهو يقول : (ترقّ ، ترقّ عين بقه[1]) قال : فرقي الغلام حتى وضع قدميه على صدر الرسول ثم قال له الرسول افتح فاك ، ثم قبله وقال : اللهم أحبه فاني أحبه • وبعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم أقام الحسين مع والده فشهد معه جميع وقائعه من الجمل الى صفين •

وفي صباه تعلم فنون العلم والادب والفروسية ، وقد أوتي ملكة الخطابة من طلاقة لسان وحسن بيان ، واشتهر بالوفاء والشجاعة ، ومما قاله العقاد في شجاعته[2] : « شجاعة الحسين صفة لا تستغرب ، لأنها الشيء من معدنه وهي فضيلة ورثها الآباء وأورثها الابناء » وقال محمد الصيان : كان الحسين مقداما منذ كان طفلا[3] •

وكان الحسين كثير الشبه بجده رسول الله ، ليس بالطويل ، وليس بالقصير ، واسع الجبين ، كث اللحية ، واسع الصدر عظيم المنكبين ، ضخم العظام ، متماسك البدن ، رحب الكفين ، عبل العضدين والذراعين ، أبيض اللون مشرب الحمرة[4] وقيل كان الحسين غاية في الجمال ، وقال سعيد السكر بسنده : ما رأيت أحدا قط أحسن ولا أملأ للعين من الحسين[5] •

نساؤه :

١ — الرباب ابنة امرىء القيس الكلبية ، ولدت عبد الله وسكينة •

٢ — ليلى بنت أبي مره بن عروة بن مسعود الثقفي ولدت علي الاكبر الذي قتل مع أبيه بالطف •

(1) البقة البعوضة : ترق عين بقة أي اصعد يا خفيف الجثة : الاستيعاب ١٤٨/١ •

(2) أبي الشهداء للعقاد ص ٥٠

(3) اسعاف الراغبين ص ١٣٤

(4) فتح الباري للعسقلاني ٧٥/٧ •

(5) البغدادي ج ٢ كتاب الشفا للقاضي عياض : ص ١١٢ •

٣ ـ ام اسحاق بنت طلحة بن عبد الله ولدت فاطمة ٠

٤ ـ عائشة بنت خليفة ٠

٥ ـ ام جعفر بن الحسين القضاعية ٠

٦ ـ شهريانو بنت كسرى يزدجرد واسمها (جهان شاه) ولدت زين العابدين ٠

٧ ـ حفصة بنت عبد الرحمن ٠

وكان له من جميع نسائه ستة أولاد وثلاث بنات هم :

١ ـ علي الاكبر قاتل بين يدي ابيه حتى استشهد ٠

٢ ـ علي الاوسط زين العابدين كان مع أبيه بكربلاء فأسر ثم رجع الى مكة ومنه العقب ٠

٣ ـ على الاصغر جاءه سهم في القتال وهو طفل فاستشهد ٠

٤ ـ محمد استشهد بكربلاء ٠

٥ ـ عبد الله استشهد بكربلاء ٠

٦ ـ جعفر مات في حياة أبيه ٠

وله من البنات : زينب ، وسكينة ، وفاطمة ٠

نشأ الحسين وترعرع وعرف فضله حتى أصبح أكثر الشيعة والصحابة والمسلمين أجمع يرغبون له الخلافة بالاضافة الى السلطة الروحية التي كان يتمتع بها كامام ٠

ولما تولى الخلافة يزيد بعد أبيه معاوية بن أبي سفيان ، أقر عبد الله بن زياد على البصرة ، والنعمان بن بشير على الكوفة ، والوليد بن أبي سفيان على المدينة ، وعمر بن سعيد بن العاص على مكة وطلب منهم أن يدعوا الناس الى بيعته ٠

ولقد رفض مبايعته خلق كثير كما امتنع الامام الحسين وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن الزبير ، فكتب يزيد الى عامله على المدينة الوليد بن عقبه يقول :

أما بعد فخذ حسينا وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير ، بالبيعة أخذا شديدا ليس فيه رخصة حتى يبايعوا والسلام ٠

ذهبت جميع الجهود التي بذلها الوليد لاقناع الامام الحسين الذي رفض أن يبايع المغتصب يزيد لتأكده بأنه أحق منه بالخلافة وحائزا على ثقة أهل الحجاز والعراق لما عرف عنه من الاستقامة ٠

عول الحسين على مغادرة المدينة الى مكة بعد أن أصر عليه الوليد بالبيعة عنوة وقهرا ليزيد ، فخرج من المدينة ليلة الاحد في الثامن والعشرين من شهر رجب سنة ٦٠ هجرية ومعه أهل بيته واخوته وبني أخيه قاصدا مكة ودخلها ليلة الجمعة في الثالث من شهر شعبان حيث نزل على (شعب علي) فأقبل أهل مكة ومن كان بها من المعتمرين يختلفون اليه ويجتمعون عنده ٠

ولما علم أهل الكوفة بوفاة معاوية وامتناع الحسين عن مبايعة ابنه يزيد ونزوله مكة ، اجتمعت الشيعة في منزل سليمان بن صرد الخزاعي بالكوفة وخطب فيهم صاحب المنزل فقال :

ان حسينا خرج الى مكة وأنتم شيعته وشيعة أبيه فان كنتم تعلمون أنكم ناصروه ومجاهدوا عدوه فاكتبوا اليه ، وان خفتم الفشل والوهن فلا تغروه ؟ قالوا لا ! بل نقاتل عدوه ونقتل أنفسنا دونه : فكتبوا اليه يستقدمونه ليبايعوه ، وأرسلوا الكتاب مع عبد الله بن مسمع الهمداني وعبد الله بن وال فخرجا مسرعين حتى قدما على الحسين بمكة في العاشر من شهر رمضان ، ثم كتبوا اليه ثانية بعد ليلتين نحوا من ١٥٠ صحيفة ثم ثالثا ٠ وروى الطبري : أن أهل الكوفة كتبوا الى الحسين يقولون : ان معك مائة ألف ينصرونك ٠ وتلاقت الرسل كلها عند الحسين ، فقرأ الكتب وسأل الرسل عن الناس وقال لهم : سأبعث معكم ابن عمي ليأخذ لي بيعتي ، فاذا وفق الى ذلك ذهبت اليكم ٠

ودعى مسلم بن عقيل بن أبي طالب وقال له : اذهب الى الكوفة فان رأيت

منهم اجماعا على ما كتبوا ، فاكتب لي برأيك ، ثم كتب رسالة سلمها الى هانيء بن هانيء وسعيد بن عبد الله وكانا آخر الرسل •

خرج مسلم بن عقيل في الثامن من ذي الحجة حيث نزل الكوفة واجتمع على بيعته اثنى عشر ألفا وقيل ثمانية عشر ألفا ، وثلاثين ألفا في تقدير ابن قتيبة ، فحار والي الكوفة الأموي النعمان بن بشير فيما يصنع بمسلم وأتباعه وهم يزدادون يوما بعد يوم ، وكانت قد وصلت الاخبار الى يزيد تعلمه بأن النعمان رجل ضعيف يجب عزله ، وارســال آخر قوي ان كان له بالكوفة حاجـة •

وعلى الفور أمر يزيد بعزل والي الكوفة وكلف والي البصرة عبـد الله ابن زياد ليحل محله ! •

ويحدثنا عمـر بن سعد عن أبي مخنف قال : حدثني المصعب بن زهير عن أبي عثمان قال[1] :

أقبل ابن زياد من البصرة ومعه مسلم بن عمر الباهلي والمنذر بن الجارود وشريك بن الأعور وحشمه وأهله[2] حتى دخـلوا الكوفة ، وعلى ابن زياد عمامة سوداء وهو ملثم ، والناس كانوا ينتظرون قدوم الحسين عليهم ، فأخذ لا يمر بجماعة من الناس الا سلموا عليه وقالوا مرحبا بك يابن رسول الله قدمت خير مقدم ، ورأى من الناس من تباشرهم بالحسين ما ساءه ، فأقبل حتى دخل القصر • فنادى بالناس الصلاة جامعة ، فاجتمع الناس فخطب فيهم ناصحا ومرشدا ووعدهم بالمنح والعطايا •

ولمّا سمع مسلم بن عقيل بقدوم عبيد الله بن زياد أتى دار هانيء بن عروة المرادي فصارت تختلف اليه الشيعة وهو في الدار المـذكورة ، وتواصوا

---

(١) مقاتل الطالبين ص ٩٦

(٢) مقاتل الطالبين ص ٢٤ ابن الأثير ٤/١٠ •

بالكتمان ، وقد بايعه ثمانية عشر ألفا ، فكتب كتابا الى الحسين أرسله مع عباس بن أبي شبيب الشاكري يخبره بالبيعة له واجتماع الناس عليه وانتظارهم اياه • شعر عبيد الله بانقطاع هانيء عن زيارته فجأة ، فاقتنع بأنه يخفي مسلم ابن عقيل في منزله ، فسأله عنه وكلف من يأتي به ، فلمـا دخل هانيء على عبيد الله بن زياد ، فاتحه بشأن ايوائه مسلم بن عقيل وأمـره أن يأتي به • فرفض هانيء وأنكر أن تكون له أي صلة بمسلم بن عقيل ، فهدده عبيد الله بالقتل ، وأخذ قضيبا فضرب به أنف هانيء وجبينه وخده حتى كسر أنفه ، وسالت الدماء على ثيابه ونثر لحم خديه وجبينه على لحيته ، ولم يزل يضربه حتى كسر القضيب ، فأمر أن يلقى في بيت ويغلق عليه •

ترامى الى عشيرة مذحج أن هانيء قد قتله ابن زياد ، فأقبلت وأحاطت بقصر الامارة من كل جانب ، فاستعان ابن زياد بالقاضي وطلب منه أن يبلغهم ان هانيء لا يزال على قيد الحيـاة ، وقد حبسه ليسأله عن أخبـار مسلم ابن عقيل ؛ فقال عمر بن الحجاج الذي كان على رأس مذحج ، اذا لم يقتل هانيء فالحمد لله وانصرفوا •

علم مسلم بن عقيل بما قد جرى لهانيء فنادى بشعاره المتفق عليـه وهو (يا منصور أمت) فاجتمع اليه ثمانية عشر ألفا من أهل الكوفة فسار بهم نحو قصر الامارة ، ولمّا شعر عبيد الله بأن الجموع أحاطت بالقصر ، أغلق الابواب وحاصر حتى المساء وليس معه في القصر الا ثلاثون رجلا من شرطته وعشرون من أشراف الكوفة وأهل بيته ومواليه ، فدعا ابن زياد الاشراف وأمرهم أن يخرجوا ويرفعوا راية الامان ، ويخذلوا النـاس عن ابن عقيل ويخوفونهم من نتيجة الحرب وعقوبة السلطان ، ووزع عليهم الاموال الكثيرة ، فخرج كثير بن الحارس ، ومحمد بن الاشعث ، وقعقاع بن شور الذهلي ، وشبث بن ربعي التميمي ، وحجار بن أبجر العجلي ، وشمر بن ذي الجوشن الضبائي ورفعوا راية الأمان وخطبوا النـاس حتى أقنعوهم ، فتفرقوا عن

ابن عقيل ، ولم يبق معه الا ثلاثون فارسا توجهوا معه نحو أبواب كنده ، وما بلغ الابواب الا ومعه منهم عشرة فقط ، وخرج في المساء وليس[1] معه أحد فمضى لا يدري أين يذهب حتى طرق باب امرأة يقال لها (طوعه أم ولد) فالتجأ عندها •

أما عبيد الله بن زياد فقد أمر رئيس شرطته الحصين بن نمير أن يمسك أبواب السكة ، ويبحث في الدور حتى يعثر على مسلم بن عقيل فيأتي به •

وما زالوا يبحثون عن ابن عقيل حتى عثروا عليه في تلك الدار التي اختفى فيها ، فقاتلهم قتال الابطال حتى أمّنه محمد بن الاشعث بعد أن عجز عن القتال لكثرة ما أصابه من جراح •

فأخذوه الى ابن زياد الذي أمر أن يصعد به الى فوق القصر ويضرب عنقه ، فقال مسلم مخاطبا ابن الاشعث : (والله لولا أمانك ما استسلمت ، قم بسيفك دوني قد اخفرت ذمتك) ، فسكت ابن الاشعث ، فصعدوا بابن عقيل الى أعلى القصر حتى أشرفوا على موضع (الحذائين) فضرب عنقه بكير ابن حمدان الأحمري ثم صلبت جثته ، وعرض على الناس في شوارع الكوفة[2] وكان ذلك يوم الاربعاء التاسع من ذي الحجة سنة ٦٠ هجرية ، وفي ذلك يقول الفرزدق :

وان كنت لا تدرين بالموت فانظري ... الى هانيء في السوق وابن عقيل
الى بطل من هشم السيف وجهه ... وآخر يهوي من طمار قتيل

هذا ما حدث لابن عقيل بعد أن أرسل كتبه الى الحسين يطلب منه فيها القدوم الى الكوفة ، وانه بانتظاره ، ولما وصلت الكتب المذكورة الى الحسين خرج ميمما شطر الكوفة وكان ذلك يوم الثلاثاء الثامن من ذي الحجة

(١) الطبراني ١٩٤/٦ تاريخ الدعوة الاسماعيلية ص ٥٩
(٢) الطبري ٢١٣/٦ مقاتل الطالبين ص ١٠٧

مع نخبة من شيعته في الحجاز ونفر من أهل بيته ومواليه وجماعة من البصرة •

فوصلت أخبار خروجه الى ابن زياد الذي أرسل رئيس شرطته (الحصين ابن نمير التميمي) وأمره أن ينزل القادسية ويقطع على الحسين جميع المسالك والمنافذ فلا يدع أحدا يخرج أو يدخل •

توجه الحسين نحو العراق فوصل (ذات عرق) فكتب الى أهل الكوفة رسالة يخبرهم فيها بقدومه بعثها مع قيس بن سهر الصيداوي ، ولكن الرسول قبض عليه في القادسية وارسل مخفورا الى ابن زياد فقتله بعد أن رفض الصعود الى القصر ومخاطبة الناس مؤيدا يزيد ، فقذف من أعلى القصر ودق عنقه ومثل بجثته أفظع تمثيل •

تابع الحسين سيره حتى أشرف على ماء من مياه العرب فوجد عليه عبد الله بن مطيع وكان قادما من العراق ، فلما شاهد الحسين قام اليه وسلم عليه ، فأخبره الحسين أنه سائر الى الكوفة واطلعه على كتب أهلها ، فقال له : أنشدك الله أن ترجع من حيث أتيت لان (قلوب الناس معك وسيوفهم عليك) فأبى الحسين الا أن يمضي في طريقه فسار حتى وصل الى (زراد) حيث بلغه مقتل مسلم بن عقيل وهانيء بن عروة ، فقدم له جماعة من مرافقيه النصح وناشدوه الله أن يعود ، فوثب بنو عقيل وقالوا والله لا نرجع حتى ندرك ثأرنا ، أو نذوق ما ذاق مسلم ، فقال الحسين : لا خير في العيش بعد هؤلاء •

ثم ارتحلوا حتى وصلوا (زبالة) فبلغه ما كان من أمر رسوله قيس فاعلم بذلك صحبه وقال : قد خذلتنا شيعتنا بالكوفة فمن أراد منكم أن ينصرف ، فلينصرف ليس عليه منا ذمام ، فتفرقوا يمينا وشمالا الا أهل بيته وقليلا ممن تبعوه من مواليه الذين جاءوا معه من المدينة ، وواصل المسير حتى (بطن العقبة) فأخبروه أن خيل ابن زياد معسكرة في القادسية تسد

عليه الطريق ، وما زال سائرا حتى بلغ (شراف) فباتوا بها وساروا حتى التقوا بقائد ابن زياد حين الذي أبلغ الحسين أن ابن زياد أمره أن ينطلق بالحسين اليه ، أو يجعجع به فلا يتركه يزول من مكانه ، فتحرك الحسين يريد العزيب ، فبلغها وجماعة ابن زياد يصرون على اقتياده الى أميرهم ، فأخذ الحسين يعظهم ويرشدهم ، فتقدم اليه الحر وحذره من العاقبة قائلا : « لئن قاتلت لتقتلن ! » فصاح به الحسين : أبالموت تخوفني ... وأنشد :

سأمضي وما بالموت عار على الفتى   اذا ما نوى خيرا وجاهد مسلما
فان عشت لم اندم وان مت لم ألم   كفى بك ذلا أن تعيش وترغما

ثم سار الركبان وكلما أراد الحسين البادية أسرع الحر يميله نحو الكوفة وبعد جهد جهيد نزل الحسين في مكان سأل عن اسمه فسمى له « كربلاء[1] » وكان وصوله يوم الاربعاء أول محرم من سنة ٦١ هجرية ، وقيل الخميس الثاني من محرم سنة ٦١ هجرية [2] وفي اليوم الثاني من نزولهم وصل جيش يزيد بقيادة عمر بن سعد وعدته أربعة آلاف فارس [3] فانضم اليهم الحر بن يزيد فيمن معه ، واتصل هذا القائد بالحسين مستفسرا عن سبب مجيئه ، فأجابه الحسين بأن أهل الكوفة كتبوا له أن يقدم عليهم ، فاذا كرهوه فانه سيعود عنهم الى مكة ! فاقتنع ابن سعد بما قاله الحسين وكتب الى ابن زياد يعلمه ذلك ويطلب منه الكف عن الحسين ليرجع من حيث أتى ، لكن ابن زياد كتب الى قائده يطلب منه أن يعرض على الحسين بيعة يزيد فاذا رفض البيعة يمنعه من الماء وقومه ، ولما عرض الكتاب على الحسين رفض فحواه ، فأرسل قائد ابن زياد عمر بن الحجاج في ٥٠٠ فارس وأمرهم أن يحولوا بين الحسين والماء ولو قطرة واحدة .

(١) كانت تعرف قديما (بكور بابل) ثم حرفت وصحفت الى كربلاء .
(٢) الدينوري ص ٢٥١ ابن الاثير ٢٣/٤ الطبري ٢٣٢/٦ .
(٣) وفي رواية عشرة آلاف .

وفي اليوم الثاني اشتد العطش بالحسين وصحبه فناداهم أحد قواد ابن زياد عبد الله بن أبي الحصين الازدي قائلا : يا حسين أما تنظر الى الماء والله لا تذوقون منه قطرة واحدة حتى تموتوا عطشا . فأرسل الحسين أخاه العباس في عشرين راجلا وثلاثين فارسا يحملون القرب ، فقاتلوا على الماء حتى ملأوا القرب وعادوا .

وفي اليوم الثالث وصلت رسالة ابن زياد مع شمر بن ذي الجوشن وكان قد أرسلها الى قائده عبيد الله بن سعد يقول فيها :

أما بعد : فان نزل الحسين وأصحابه على الحكم واستسلموا فابعث بهم اليّ ، وان رفضوا فازحف اليهم حتى تقتلهم عن بكرة أبيهم ، ومثل فيهم فانهم لذلك مستحقون ، فان قتل الحسين فاوطيء الخيل صدره وظهره ، فان انت مضيت لامرنا جزيناك ، وان انت ابيت ، اعتزل جندنا وخل بين شمر بن ذي الجوشن وبين العسكر والسلام .

اطلع عمر على الكتاب فقال لشمر والله لا يستسلم الحسين أبدا (ان نفساً أبية بين جنبيه) ، وأرسل الكتاب الى الحسين فطلب أن يمهلوه حتى صباح الغد .

وما كاد يبزغ فجر يوم الجمعة العاشر من محرم سنة ٦١ هجرية حتى عبأ الحسين أصحابه وكان عددهم اثنين وثلاثين فارسا وأربعين راجلا ، كما عبأ عمر بن سعد أصحابه الكثيرين وخرج نحو الحسين ، فلما دنوا من بيوته أشعلوا النار فيها ونشب القتال بينهما فتنافس رجال الحسين في الاستشهاد بين يديه وانضم الى الحسين من جيوش ابن زياد (الحر بن يزيد التميمي) وقاتل معه قتال الشجعان حتى استشهد بين يديه .

واستمر القتال واصحاب الحسين وأهله يسقطون الواحد تلو الآخر حتى استشهدوا جميعهم ، فاشتد العطش بالحسين فدنا من الفرات يبغي شربة ماء فرماه (حسين بن نمير) بسهم وقع في فمه فانتزعه وتلقى الدم بيديه ،

فامتلأت راحتاه من الدم فرفعهما الى السماء وقال : ان تكن حبست عنا النصر من السماء فاجعل ذلك لما هو خير منه وانتقم لنا من القوم الظالمين •

ثم رجع الى مكانه فاشتد به العطش واحاط به شمر بن ذي الجيوشن برجاله والحسين يحمل عليهم فيفرقهم عنه وبالنهاية أحاطوا به من كل صوب وأسرع اليه رجل من كنده يقال له مالك بن النسر فضربه على رأسه بالسيف ومع هذا ظل الامام الحسين يجاهد ويناضل وأهله يستشهدون بين يديه الواحد تلو الآخر حتى بقى معه ثلاثة فقط فهجم على الصفوف المتراصة يدفعها عنه والثلاثة الباقون يحمونه حتى استشهدوا ، فأقبل عليه شمر ابن ذي الجوشن في مائة من رجاله فوجدوا الحسين وحيدا وقد أثخن بالجراح في رأسه وبدنه ، فهجموا عليه يريدون الفتك به ولكنه حمل عليهم حملة الاسد فولوا الادبار وقاتل قتالا شديدا ، فابتعدوا عنه ورشقوه بالسهام فنادى شمر بن ذي الجوشن بالفرسان ويحكم ماذا تنتظرون اقتلوه فحملوا عليه من كل جانب وضربه (زرعة بن شريك التميمي) على كفه اليسرى فقطعها ، وضربه آخر على عاتقه فكبا منها على وجهه ومازال يقوم ويكبو وهم يطعنونه بالرماح ويضربونه بالسيوف حتى سكن حراكه ، فنزل اليه شمر بن ذي الجوشن واجتز رأسه وسلب ما كان عليه من اللباس ونهبوا ابله واثقاله ومتاعه ثم ندبوا عشرين فارسا ليطؤوا جثته بخيولهم ، فوطؤها مقبلين ومدبرين حتى رضوا صدره وظهره ، ثم تركوا جميع الجثث على الارض بعد أن احتزوا رؤوسها ومثلوا بها أفظع تمثيل ، ووضعوا الرؤوس على أسنة الرماح وأرسلوها الى ابن زياد ، وكان عددهم ٧٢ رأسا وحملوا النساء ومن كان معهم من الصبيان حفاة عراة يولولون باكيات ، ولم يسلم من تلك الموقعة الا علي زين العابدين الذي نص على امامته وهو مريض ، فحمل مع من حمل من النساء •

وقد وجد في جسم الحسين ٣٣ طعنة و ٣٤ ضربة سهم وفي ثيابه ١٢٠

اصابة نبال وبقيت الجثث في العراء حتى خرج اليها جماعة من بني أسد في الليل وتحت ضوء القمر فحفروا القبور ودفنوا الجثث[1] • ولقد اختلفت روايات المؤرخين حول المكان الذي دفن فيه رأس الحسين فقيل أنه أعيد الى كربلاء ، وقيل دفن في البقيع عند قبر أمه فاطمة الزهراء ، وقيل وجد في خزانة يزيد بعد موته فدفن في دمشق ، وذكر أنه دفن في عسقلان حتى استولى الفاطميون على مصر فنقلوه الى القاهرة حيث دفن في المشهد الحسيني قربا من خان الخليلي •

والحقيقة التي نرجحها أن الرأس جاء به الى دمشق ابن زياد ومنها نقل الى عسقلان وظل فيها حتى استولى الاسماعيليون على مصر فنقلوه الى القاهرة حيث دفن في (المشهد المشهور) هذه هي مأساة سيد شباب أهل الجنة الحسين بن علي بن أبي طالب أوردناها كما جاء على ذكرها المؤرخون دون أن نجيز لانفسنا حق التعليق عليها خشية اثارة النفوس •

والخلاصة لقد كان الحسين بطلا من أبطال التاريخ كتب بدمه المسفوك أسمى معاني التضحية والتفاني في سبيل الحرية والحق والعدالة ، وسيبقى اسمه مخلدا في سجلات التاريخ وفي قلوب المؤمنين المخلصين من أتباعه الذين لا يزالون على استعداد لبذل كل غال ورخيص في سبيل الرسالة الخالدة التي ضحى في سبيلها سيد شباب أهل الجنة •

* * *

(1) الطبري ٢٦١/٦ ابن الاثير ٣٥/٤ مروج الذهب ٦٦/٢ مقاتل الطالبيين ص ١١٨ — ١١٩ — ١٢٠ .

حرف الخاء

السلطان الخطاب بن الحسن الحجوري

هذا داعي آخر من دعاة اليمن المخضرمين الذين عاشوا في دور الظهور ودور الستر فقدموا للدعوة الاسماعيلية في اليمن أجل الخدمات العلمية والادبية ، ويعتبر الداعي السلطان الخطاب بن الحسين الساعد الايمن للداعي الذؤيب ، ومركزه في الدعوة (مأذونا) ويلي الداعي المطلق الذؤيب ، ويعتبر أكبر وأرفع دعاة تلك البلاد وذكره أدريس عماد الدين فقال : [1] « وهما في العلم مناره وعلمه الذي لا تخبو ناره » وقال أيضا في مكان آخر :[2] « وكان الخطاب بن حسن أخا الملكة في الرضاع • ذا منزلة جليلة ، وهو أرفع الدعاة بعد الداعي الذؤيب بن موسى ، وعاضده في اقامة الدعوة الآمرية والطيبية في أوان الحزة الملكة السيدة الصليحية وبعد وفاتها ، وكانت له عندها مزية جليلة ومرتبة وفضيلة • وهو من دعاة أيام الظهور والستر » •

وكان الخطاب معروفا بالفضل والعلم والشعر والحكمة ، وبالبأس عند الشدائد والاقحام في الحروب ، وبالورع والزهد ، وبالملك والسؤدد ، ويعتبر من شعراء اليمن المجيدين له ديوان شعر ، معظم قصائده في مدح آل البيت والأئمة ، وفي الحكم والحقائق ، وفي الرد على المعترضين على الدعوة ، والمفاخرة •

نورد بعض الابيات التي تبين مقدرته الشعرية ومدى تعلقه في النظام الفكري الاسماعيلي ، واخلاصه وحماسته للدفاع عن الدولة الصليحية قال :

(1) عيون الاخبار : ٢٢٢/٧ •

(2) نفس المصدر ٢٢٦/٧ •

ملت بدار الحس طول ثوائي ... وسجني وتعذيبي بها وبلائي
وجمع لطيفي بالكثيف ولزه ... اليه لاشقائي وطول عنائي
ومالي سوى فوز المعاد ارادة ... وخلعي من الاجسام كل غشاء
لعلي بدار القدس أرجع كالذي ... وجدت به من عزة وعلاء

* * *

أرى الموت جسرا والأحبة خلفه ... وعابرة من أسعد السعداء
وهل يكره الموت امرؤ متعلق ... بعروة اخلاص وحبل ولاء
غدا راضيا في كل أمر مسلّما ... لمولاه دينا ليس فيه برائي
محضت لاخواني صريح نصيحة ... تعرفهم أني من النصحاء
وأودعتها روحا من القدس ساريا ... الى كل داء منهم بشفاء
وذلك أني بلوت فلم أجد ... مذاهب هذا الخلق غير هباء
سراب كما قال الاله بقيعة ... تراءى لقوم مصحرين ظماء
ولا شيء الا ما علقتم بحبله ... وعروته للعترة النجباء
ألا واغسلوا من كل حقد قلوبكم ... عليكم فداء الحقد أخبث داء
ولا تجعلوها للحقود أوانيا ... فان اناء الحقد شر اناء
واياكم والكبر والحسد انه ... ين هدّا من الايمان كل بناء
دعوه وسوء الخلق والعجب أنها ... خلائق أعداء لكم لعناء
فلا تستهينوا بالحدود وعظموا ... مقامات تلك الصفوة العظماء
تلقوا بحسن السمع والطوع أمرهم ... بما جاءكم لو جاءكم بفناء
ولا تسألوا لم ذاك وارضوا وسلموا ... بغير اعتراض منكم ومراء
فتلك صفات المؤمنين وسمتهم ... وسيرتهم نقلا عن العلماء
بذلت لكم نصح الأمين وسمتهم ... على كل خلصان من النصحاء
فمن شاء فليأخذ ومن شاء فليدع ... نصائح لم تبذل لأخذ كفاء

وكان الخطاب يقيم مع اخوته في مدينة (الجريب) وبعد وفاة أبيه حدث

نزاع بينه وبين أخيه الاكبر سليمان الشاعر ، وأدى الى قيام حرب بينهما دامت مدة طويلة من سنة ٥٠٠ هجرية الى سنة ٥١٤ هجرية فغلب الخطاب على الأمر وجعل الجريب مسكنه ومقر مملكته • وأخيرا تمكن الخطاب من أخيه سليمان فقتله غيلة ، وقيل أن أسباب هذا الخلاف يعود لاختلاف مذهب الشاعر سليمان الذي كان من السنة ، بينما الخطاب اسماعيلي المذهب والعقيدة • وبعد أن انتصر الخطاب على اخوته وسفك دماءهم جميعا ، ضم اليه أولاد أخيه سليمان وآواهم ورباهم ، فلما كبروا أطغاهم بعض الناس وذكروهم مقتل أبيهم وادراك الثأر • ففتكوا بالخطاب على غرة وقتلوه بفراشه • واسمه الكامل كما أورده ايفانوف : « هو سيدنا الخطاب بن الحسن بن عبد الحفاظ الحجوري الهمداني » ويذكر التاريخ أن الخطاب ظل على اخلاصه للسيدة الحرة الملكة أروى حتى وفاتها ، وبعد أن توفيت السيدة الحرة وجد نفسه وحيدا فعظم عليه الأمر وحزن حزناً عميقا ولكنه ما سرعان ما لحق بها نتيجة مؤامرة دبرها أولاد أخيه سليمان [١] •

خلف هذا الداعي مؤلفات عديدة تبحث في مختلف العلوم الاسماعيلية وديوان شعر ضم أشعاره وقصائده • ومن مؤلفاته : كتاب النفس ويتألف من ثلاثة أبواب : الباب الاول معرفة النفس الباب الثاني ظهور النفس بالمودة، الباب الثالث وجود النفس في الكمال • الثاني : كتاب منيرة البصائر : ومؤلف من عشرة أبواب : رسالة النعيم ، قصيدة الميمية في مدح سيدنا علي ، وينسب له كتاب غاية المواليد [٢] وذكر ايفانوف أن وفاته كانت سنة ٥٣٣ هجرية وتاريخ ولادته لم تتمكن من العثور عليه في كافة المصادر الاسماعيلية •

---

(١) نزهة الافكار للداعي أدريس ١/٨٧ عيون الاخبار ٧/٢٢٦ •

(٢) المرشد الى أدب الاسماعيلية ص ٥١ •

خلف بن أحمد القاشاني

حياة الداعي الكبير خلف بن أحمد القاشاني ونشأته الاولى يكتنفها الغموض والابهام • وكل ما تمكنا من استنتاجه من مصادر تاريخية عديدة في مختلف اللغات ، أنه من مواليد مدينة قم في فارس درس في مدارس الدعوة الاسماعيلية التي كانت منتشرة بكثرة في تلك البلاد ، امتهن حياكة الملابس وحلج الأقطان ،وانخرط في صفوف الدعاة الاسماعيلية فأظهر غيرة نادرة ونشاطاً كبيرا في حقل الجدل والمناظرة وجلب المستجيبين • وقد تمكن من أن يجمع حوله طائفة من رجال العلم المعروفين أمثال الداعي غياث ، وقيل أنه ذهب الى مركز الدعوة الرئيسي ، وبعد أن اكمل تحصيله عين رئيسا للدعوة في فارس وجعل مجاله الحيوي بلاد الري وقم وقاشان وطبرستان ، وبلاد الديلم ، وتمكن أن يجذب اليه خلقا كثيرا وقد عرف الاسماعيلية الذين التفوا حوله (بالخلفية) نسبة اليه[١] واستطاع بما أوتيه من مقدرة جدلية أن يقنع بعض الحكام والوزراء والامراء فمالوا اليه ومدوا له يد المساعدة •

ويذكر أنه صنف عدة مؤلفات في الفقه والفلسفة وعلم التأويل ولكننا لم نعلم شيئا عنها لأنها فقدت بكاملها • وتدل المصادر الاسماعيلية على أن حجة الامام عبد الله بن ميمون القداح هو الذي اختار الداعي خلفا ليكون مقدما على دعاة بلاد الري وذلك بعد أن لمس فيه النبوغ والحماسة للمذهب ، أثناء وجود الداعي خلف في سلمية فعرض أمر تعيينه على الامام فاقره عليه ، وهناك بعض المصادر تذكر ان خلف ربما اشترك أثناء

---

(١) الفهرست : ابن النديم : ص ٢٦٦ •

وجوده في سلمية بتأليف رسائل اخوان الصفاء المشهورة . لا نعلم شيئا عن مكان وتاريخ وفاته . ولكننا نعلم أن ابنه أحمد بن خلف تسلم رئاسة الدعوة من بعده وجعل نائبه الداعي الشهير غياث الدين الاستربادي الذي عمل على جذب كبار الامراء في بلاد فارس . ومن هؤلاء الحسين بن علي المروروذي ، الذي كان يتمتع بنفوذ كبير في الطالقان وهراة والغور ، كما استطاع استمالة كثير من العلماء ، حتى انه جعل أبا حاتم معروف النيسابوري الشاعر (٣٢٢ هجرية) نائبا عنه في نشر الدعوة الاسماعيلية في خراسان[1] .

* * *

(1) Nizam El-Mulk: Siasset Naimeh, Vol. 11. pp. 271-272.

خليل الله علي

ولد الامام خليل الله علي بن نور الدين سنة ٩٣٢ هجرية في بلدة (انجودان) وتسلم الامامة بعد وفاة أبيه سنة ٩٥٧ هجرية ، باحتفال مهيب حضرته وفود كثيرة من الاسماعيليين من جميع أنحاء الهند ، فقدموا التحف والهدايا والأموال بين يدي الامام الذي أعلن لهم عن رغبته في احداث بعض التنظيمات في أمور الدعوة لتتناسب مع وضع الاسماعيلية الاجتماعي في البلاد التي يعيشون فيها ، وفرض على الموظفين الدينيين ارتداء الجبة الخضراء والعمامة الحمراء ، ورتب لهم المعاشات بشرط ان لا يزاولوا أية مهنة أخرى[1] .

وعين العلامة الاسماعيلي (داهود الحسني) وكيلا عنه في بلاد السند وملحقاتها ، يساعده في هذه المهمة المرشد الديني (الياوا هاشم) فأظهرا نشاطا غريبا في تلك البلاد مما لفت انظار أمير المقاطعة (محمد سمرة) فدبر مؤامرة للايقاع بهما ، ولكنهما تواريا عن الانظار ، فوزع الامير محمد سمرة المناشير على المواطنين يحظرهم من حضور كافة الاجتماعات السرية والعلنية التي يعقدها الاسماعيليون ، وشدد في البحث عن الداعيين الحسني وهاشم ، فاضطرا لمغادرة البلاد والعودة الى مركز الامامة في (انجودان)[2] .

ووزع على أتباعه نصائح وتعليمات سميت (كلامي بير[3]) ، وسير عددا آخرا من المبشرين الى المناطق النائية من الهند والخالية من العمران وزودهم

---

(١) تاريخ الدعوة الاسماعيلية : مصطفى غالب ص ٢٥١ .

(٢) نور مبين حبل الله المتين : جنارا ص (٥٤٢ — ٥٤٣) .

(٣) الشيعة في الهند : Hollister: ص ٣٣٧ .

بالأموال والتعليمات ، فتوغلوا في تلك المناطق الخالية وأخذوا يبنون القرى والمزارع ويقدمون الاغذية والكساء للمواطنين مما ساعد على انضواء الآلاف تحت لوائهم •

أما النشاط الاسماعيلي في البلاد العربية وخاصة بلاد الشام ، فقد كان معدوما لان الفرقة والتناحر على تولي المشيخة أي الزعامة الدينية سببت لهم التأخر والاضمحلال • ويمكنني أن أقول الانقطاع الكلي عن مركز الدعوة في فارس •

وعلى العموم يعتبر الاسماعيليون في الهند عهد هذا الامام من أعظم العهود التي ازدهرت فيها الدعوة في بلادهم ، ويذكر التاريخ ان الامام شاه خليل الله كان يتمتع بشخصية علمية تنظيمية نادرة ، وقيل انه استطاع أن يتوسط لحل النزاع بين طهماسب الصفوي والسلطان سليمان التركي ، فعقد هدنة موقتة بينهما ، وبذلك تمكن طهماسب من القضاء على الثورات الداخلية في بلاده التي كان يقودها امراء آل ميرزا : حيدر ميرزا ، وعلي ميرزا ، ومحمد ميرزا •

توفي الامام خليل الله علي في ١٥ شعبان سنة ٩٩٣ هجرية ودفن في (انجودان) في مقبرة الأئمة ولا يزال ضريحه باقيا حتى الآن ويزار •

* * *

خليل الله علي شاه الثاني

يعتبر الامام خليل الله علي آخر الأئمة الاسماعيلية الذين قطنوا ايران كانت ولادته سنة ١١٥٣ هجرية في بلدة (كرمان شاه) وأعلنت امامته سنة ١١٩٤ بعد وفاة أبيه ، كان محبا للعلم كريما تقيا ورعا قضى حياته بعيدا عن غمار السياسة مخصصا أوقاته للسهر على مصالح أتباعه ، اشتهر بكثرة التجوال والتنقل بين البلدان التي يقطنها الاسماعيليون ، وخاصة في مناطق الهند ، وافغانستان ، تزوج من ابنة عمه الاميرة (بي بي سركار ماتاسلامات) ابنة الامير بير ميرزا محمد الباقر خان ، وكان يكبرها بعامين ، وبعد وفاتها تزوج ثانية من الاميرة (يمن) فرزق منها أربعة ذكور وبنتين هما : شاه حسن علي ، ومحمد تقي خان ، ومحمد ابو الحسن ، ومحمد باقر خان ، والاميرة (شاه بي بي) والاميرة (كوهارتاج بيكم) •

في عهده عمت البلاد الفتن والقلاقل والثورات الداخلية ، وأخذ حكام الولايات والمقاطعات يتآمرون بعضهم على بعض ، وكثرت الاغتيالات السياسية والدينية ، والظاهر ان بعض العلماء الاثنا عشرية الذين دأبوا على الكيد للاسماعيلية تآمروا مع حاكم مقاطعة (يزوين) فأوعزوا لأحد المتعصبين ويدعى الملا حسين يزوين نامي بأن يهاجم مقر الامام الاسماعيلي خليل الله علي شاه (الثاني) •

وبالفعل قاد الملا المذكور جماعة من أتباعه وهاجم قصر الامام الذي كان في قاعة المجالس والمحاضرات يلقي محاضرة مذهبية في جماعة من العلماء العزل من السلاح فجرت معركة حامية قتل خلالها الامام مع نخبة من أتباعه وكان ذلك في شهر شعبان سنة ١٢٣٣ هجرية ، ودفن في النجف الاشرف •

ولما علم الاسماعيليون بالامر أضرموا الثورة في البلاد وهاجموا مقاطعة (يزدين) للثأر من حاكمها ولكن الشاه فتح علي القاجاري توسط لدى ولي عهد الامامة شاه حسن علي عارضا التعويضات وانه سيتولى بنفسه الانتقام من المتآمرين ، فأوعز شاه حسن علي للاسماعيليين بأن يعودوا الى مقاطعتهم ويخلدوا الى السكينة حرصا على سلامة البلاد [1] .

وبالرغم من أن معلوماتنا قليلة عن حياة هذا الامام وتنقلاته وأعماله غير انه يمكننا الاستنتاج من أقوال بعض المؤرخين الذين أتوا على ذكره في أماكن عدة من كتبهم انه كان رجل علم ومعرفة لم يتدخل مطلقا في السياسة ، بل كان يقضي جل أوقاته في المطالعة والقاء الدروس الدينية والمحاضرات ، وارسال الارشادات والتعليمات التوجيهية لاتباعه في جميع أنحاء العالم ، ولم نر أي مصدر يشير الى انه كان على اتصال مع الاسماعيليين في سورية ، وباعتقادنا ان الصلات كانت شبه معدومة أو بالاحرى مقطوعة تماما .

* * *

---

(١) نورمبين حبل الله المتين : جنارا : ص ٧٥١ .

حرف الراء

ركن الدين خورشاه بن علاء الدين

ولد ركن الدين خورشاه بن علاء الدين محمد سنة ٦٢٩ هجرية [1] وقيل سنة ٦٢٨ هجرية [2] في قلعة (آلموت) وأصبح اماما للاسماعيلية بعد وفاة أبيه سنة ٦٥٣ هجرية .

ويذكر التاريخ ان أول عمل قام به بعد تسلمه الامامة أن أمر باعدام قاتل أبيه (الحسن المازندراني) واحراق جثته ، ومن ثم أخذ يعد العدة وينظم الجيوش لاستقبال المغول الذين وقعوا معاهدة سرية مع أهالي قزوين لقتال الاسماعيلية . ولقد علم الامام بهذه المعاهدة عن طريق نصير الدين الطوسي الذي كان وزيرا (لهولاكو خان) ، وبعد أن أجرى التحصينات اللازمة سير عائلته ونساءه بصحبة ولي عهده شمس الدين محمد الى أزربيجان .

تحولت جيوش هولاكو خان من مدينة (كيش) سنة ٦٥٤ هجرية الى معقلين من معاقل الاسماعيلية في ولاية قهستان بقيادة (بوكيان التتري) فاحتلهما بعد قتال شديد وأمر باعدام كل من يزيد عمره على عشر سنوات ولم يستثن أحدا من سكان هاتين القلعتين « تون » و « خواف » .

وأرسل جيشا آخرا لحصار بقية القلاع الاسماعيلية ، فاستمر الحصار مدة ستة أشهر كان خلالها هولاكو خان يرسل الوفود للمفاوضة مع الامام

---

(١) نور مبين حبل الله المتين : لجنارا : ص ٤٤٤ ، تاريخ الدعوة الاسماعيلية : ٢٢١ .

(٢) تاريخ الادب في ايران : براون : ص ٥٨٠ ، الشيعة في الهند : ص ٣١٩ .

ركن الدين وينشر الوعود الكاذبة التي درج عليها المغول ، مما جعل الامام ركن الدين يصدق وعودهم فسلم الى قوادهم بعض المعاقل والحصون ، وأرسل أخاه (شاهنشاه) الى هولاكو خان مع ثلاثمائة رجل ليستبقيهم لديه كرهائن • ولكن « هولاكو » سرعان ما التمس بعض الاعذار فأمر بقتل « شاهنشاه » في بلدة (جمال آباد) بالقرب من قزوين ثم قتل جميع الاسماعيلية الذين سلموا القلاع اليه مع الاطفال في مهادهم •••• واستبسلت بقية القلاع الاسماعيلية في القتال ومقارعة المغول ، ولكن هولاكو عمد ثانية الى المراوغة والخديعة ، ففاوض الامام ركن الدين خيرو شاه وأصدر عفوا كتابيا (يرليغ) عن الاسماعيلية ، ولكن أبطال القلاع رفضوا الاستسلام واستمروا في القتال وقد استطاعوا أن يقتلوا عددا كبيرا من المغول •

وأخيرا على ما يظهر صدق الامام ركن الدين خيروشاه وعود هولاكو خان فسلم نفسه الى المغول في ١٩ جمادى الثانية سنة ٦٥٤ هجرية • ولكن الاسماعيلية استمروا في القتال بالرغم من المحاولات الكثيرة التي بذلها الامام لاقناعهم بالتسليم ، واخيرا فتحوا أبواب قلاعهم بعد أن نفذت المؤن واشتبكوا مع التتر في معارك طاحنة قتل فيها اثني عشر الف اسماعيلي وثلاثون ألف تتري واستولى المغول على قلعتي « آلموت » و « ميمون دژ » فأشعلوا فيهما النار ودمروهما عن بكرة أبيهما ، وقيل أن « عطا ملك الجويني » وزير هولاكو استطاع أن ينهب بعض المؤلفات الاسماعيلية القيمة من مكتبة (آلموت) الشهيرة ، وان يأخذ بعض الادوات الهندسية والفلكية [١] •

واستولى المغول بعد ذلك على بقية معاقل الاسماعيلية في ايران ، فأخذوا « لمسر » سنة ٦٥٥ هجرية ولم يتمكنوا من الاستيلاء على قلعة « كردكوه » حتى سنة ٦٥٨ هجرية وكان يقيم فيها العالم الكبير الداعي « منهاج السراج »

(١) تاريخ الادب في ايران : براون : ص ٥٨٢ ، الشيعة في الهند : ص ٣١٩ •

يعمل على تدوين كتابه المشهور « طبقات ناصري » •

ويذكر براون [١] : « ان المغول أخذوا الامام ركن الدين خورشاه الى همدان وأحسنوا معاملته وسمحوا له بأن يتزوج فتاة مغولية ، ••• وفي ١٩ شوال سنة ٦٥٥ هجرية أرسله المغول الى « قراقورم » ليقدم نفسه الى الامبراطور المغولي « منكو خان » وفي أثناء الطريق اضطروه الى أن يأمر ضباطه في « قهستان » بتسليم قلعتهم الى المغول ، ففعلوا ذلك بعد ما أمّنهم المغول على حياتهم ، ولكنهم ما لبثوا أن قتلوا من السكان الآمنين اثنى عشر ألفا بمجرد تحرك ركاب « ركن الدين » في طريقه الى «قراقورم» • فلما وصل ركابه الى بخارى أساء حراسه معاملته ، ولم يكد يصل الى قراقورم حتى أمر « منكوخان » بقتله ••••!! وأمر بعد ذلك بقتل جميع أتباعه حيثما كانوا • ولا شك أن العدد الذي هلك منهم كان كبيرا جدا ••!!»

وتذكر بعض المصادر ان أسباب قتل الامام (ركن الدين خيروشاه) تعود الى أنه رفض أن يلبي رغبة (منكوخان) الذي طلب منه أن يكتب لاتباعه في بلاد الشام ليقدموا المساعدات للمغول ويتنازلوا لهم عن معاقلهم وقلاعهم [٢] •

وهناك روايات أخرى تقول بأن الامام ركن الدين خيروشاه ظل في قلعة آلموت يدافع ويقاتل مع اتباعه طوال مدة الحصار ، ولما جرت المفاوضات بينه وبين هولاكوخان عن طريق ارسال الوفود والمندوبين وثق بعهود هولاكو خان ومواثيقه ففتح أبواب قلعة آلموت للجيوش المغولية الذين بادروا للقبض على الامام ركن الدين مع ولده مظفر الدين وابن أخيه سيف الدين وبعض دعاته فأرسلوا الى بغداد ومنها سيروهم الى (قراقورم)

(١) تاريخ الادب في ايران من الفردوسي الى السعدي: براون: ص٥٨٢-٥٨٣

(٢) نور مبين حبل الله المتين : جنارا : ص ٤٥٣ ، الشيعة في الهند : ص ٣١٩ •

للاجتماع بالامبراطور المغولي « منكوخان » بغية عقد معاهدة دائمة بينه وبين الاسماعيلية ، ولكن « منكوخان » رفض استقبال الامام وصحبه وأمر أن يربطوا بأذناب الخيول ، وبعد أن تم ربطهم أطلقت الخيول وهم معلقين بأذنابها ، وظلت تجري حتى تمزقوا اربا اربا وكان ذلك سنة ٦٥٤ هجرية .

ومهما كانت الظروف التي أحاطت بهذا الامام فقد تمكن المغول من خدعه باللين تارة وبالتهديد أخرى حتى صدقهم فسلم اليهم أكثر القلاع ، وبذلك عرض أتباعه لاخطار جسيمة أدت الى أوخم العواقب ، والظاهر أن الاسماعيلية في بلاد الشام لم تنطل عليهم أحابيل المغول فرفضوا جميع الرسائل التي بعثها اليهم الامام التي يطلب منهم فيها تسليم الحصون والقلاع للتتر ، لعلمهم أن الامام مغلوب على أمره ، وظلوا في معاقلهم أقوياء أشداء ، وباعتقادي أن هذا الرفض من الاسباب الرئيسية لنقمة منكوخان على الامام اذ اعتبره غير مسموع الكلمة لدى أتباعه .

وعلى العموم أعلنت وفاة الامام ركن الدين خيروشاه رسميا سنة ٦٥٤ هجرية أو في مطلع سنة ٦٥٥ هجرية والتاريخ الاول أصح .

* * *

حرف الذال

الذؤيب بن موسى الهمداني

كان للمدرسة المذهبية الاسماعيلية التي أسسها الملك المكرم في اليمن برئاسة الداعي الكبير لمك بن مالك أثر كبير في خلق جيل جديد من الدعاة العلماء الذين كان لهم شأن كبير في عالم الدعوة ، ولا غرو فان طلاب تلك المدرسة كانوا نخبة من التلامذة الافذاذ البعيدين عن أمور الملك والسياسة ، وقد لقنهم الداعي لمك كل ما أخذه من علوم الدعوة أبّان امامته بمصر . ويذكر التاريخ أن الملكة أروى الصليحي قد اختارت الداعي الشيخ الذؤيب ابن موسى الوادعي الهمداني ليرأس مدرسة الدعاة بعد وفاة مؤسس تلك المدرسة الداعي لمك بن مالك ، وسمته داعيا مطلقا للامام المستور ، وهذا اللقب أطلق عليه كغيره من الألقاب الكثيرة بعد انقسام الدعوة الاسماعيلية الى نزارية ومستعلية ، وانضمت اليمن الى الخلافة المستعلية بمصر ، ومن ثم عملت الملكة أروى الصليحي على فصل الدعوة بكاملها عن القاهرة وجعلتها مستقلة عنها ، أثر اختفاء الامام الطيب بن الآمر ، وبذلك اعتبر الداعي الذؤيب أول الدعاة المطلقين في دور الستر ، علما بأنه أدرك عهد الظهور وكان من أعلام اليمن العلماء ، وسمي (فراص الكتب) لاستخراجه دفائنها وفكه رموزها ، كما قال عنه صاحب النزهة [١] . وله رسالة تسمى برسالة النفس ، وتتضمن قضايا فلسفية تتفق مع مسائل الدعوة الحقيقية ومع الاساس الذي يقول بأنه لا يمكن الوصول الى معرفة النفس الا بعد معرفة الجسم ، ورسالة معرفة الموجودات ، أوردها الشيخ محمد بن طاهر في كتاب مجموع التربية [٢] .

---

(١) نزهة الافكار لادريس عماد الدين ١/٨٦ .

(٢) فهرست اسماعيل : (١٨١ — ١٨٧) .

وسانده وعاضده في اقامة الدعوة الاسماعيلية تلميذه السلطان الخطاب ابن الحسن بن أبي الحفاظ الحجوري الهمداني • بعد وفاة السلطان الخطاب آزره السلطان ابراهيم بن الحسين الحامدي • وقـال عنهما أدريس [1] : « وهما في العلم مناره وعلمه الذي لا تنجو ناره » • ويقول أدريس أيضا [2] : « هؤلاء الدعاة العلمـاء الذين تفرغوا لدراسة العـلم فقط فقدموا للدعوة خدمات عظيمة لا تقدر بكنوز الدنيا وجواهرها » • وتدل المصادر الاسماعيلية على أنه تولى رئاسة الدعوة في اليمن سنة ٥٢٠ هجرية واستمر فيها مـدة ستة عشر عاما حتى سنة ٥٣٦ هجرية وقيل أنه ظل حتى سنة ٥٤٦ هجرية [3] هذا ما قاله ايفانوف ، والارجح أن وفاته كانت سنة ٥٣٦ هجرية كما ذكرها الهمداني في كتابه : الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن [4] •

* * *

(١) عيون الاخبار : ٢٢٢/٧ •

(٢) نزهة الافكار : ٨٧/١ •

(٣) المرشد الى أدب الاسماعيلية (ص ٥٢) •

(٤) الصليحيون والحركة الفاطمية للهمداني الباب العاشر (ص ٢٦٨) •

حرف السين

سنان راشد الدين

كانت سورية من المراكـز الهامة في تاريخ الدعوة الاسماعيلية ترتبط ارتباطا وثيقا بمقر الامام الاسماعيلي في (آلموت) وتتلقى الدعاة والتعاليم والارشادات ، وكان الائمة في فارس يرسلون ممثلا لهم ونائبا عنهم وحجة لهم ليتولى الاشراف على شئون الاسماعيلية في تلك البـلاد ، ولما انتزع الاسماعيليون مصياف من بني منقذ سنة ٥٣٥ هجرية جعلوها مقرا لممثـل الامام ومركزا لنشر الدعوة ، وتدريب الفدائية ، ووضـع الخطط الحربية للدفاع والهجوم ، وكانت مصياف تتلقى موجات متواصلة من الاسماعيليين المضطهدين الوافدين من الشرق والغرب ، هربا من السلاجقة والصليبيين ، ومن المذابح المحلية ، لذا قرر مجلس القيادة في آلموت أن يوفد ، الى سورية قائدا حكيما يتمكن من السيطرة على الاتباع ووضـع حد للخلافات التي أخذت تذر قرنهـا بين الاسماعيليين لتنافسهم على تولي الرئاسة والزعامة ، لأن ممثل الامام في ذلك الوقت الداعي أبو محمد قد بلغ من الكبر عتيا ، وبعد أن درست اضبارات جميع الحجج والدعاة وكبار القادة والعلمـاء وقع الاختيار على قائد فذ وشجاع مقدام على جانب عظيم من المعرفة والذكاء ، ونفس عامرة بالاخلاص ، وعقل واسع العلم يفيض بالحـكمة ، وهو ممثل الامام في العراق « سنان راشد الدين » •

كانت ولادة سنان بن سليمـان بن محمد ويـكنى بـ (أبي الحسن) في آلموت سنـة ٥٢٨ هجرية وقيـل في البصـرة في مـكان يقـال له (Aqro's - Sadan) [1] نشأ وتثقف في مدارس آلموت الاسماعيلية فاظهر

(١) قال عنه ياقوت في معجم البلدان « مكان ولادة شخص قام بأشياء لم يستطع أحد من قبله القيام بها ولا من بعده » •
Grand maitre des assassins p.p. 34

نبوغا عجيبا ويذكر التاريخ أن الامام القاهر بقوة الله كان يرعاه ويعطف عليه كأولاده[1] ولما أكمل دراسته أوفده الامام الى العراق سنة ٥٥٥ هجرية فاستقر بالبصرة حتى سنة ٥٥٨ هجرية حيث اختير لتمثيل الامام على ذكره السلام في سورية ، فتوجه الى حلب حيث تمكن من اعادة النظام الى صفوف الاسماعيلية ، وشرع الناس يتوافدون اليه لسماع أحاديثه الشيقة ، وحججه القوية ، فأدهش العلماء والفقهاء بما أظهره من مقدرة علمية فائقة ، جعلته يحتل مكانا ساميا في القلوب ، وارتفعت منزلته ، وقوي نفوذه •

ثم نقل مقره الى منطقة مصياف • فوصل متخفيا بزي الصوفية الدراويش وأقام في قرية (بسطريون) لا يعرفه أحد يعلم الصبيان القراءة والكتابة ، وقيل أنه كان يجلس على حجر خارج القرية يلقي دروسه لعدة ساعات بدون أن يتحرك وهو في مجلسه[2] وكان يعالج المرضى ويوزع الادوية ، واشتهر بين سكان تلك المنطقة بالشيخ العراقي الطبيب ، وكان يلبس بردة يمنية ، يغسلها بيده ويحتذي خفا من صنعه ، ولما شاعت أخباره ذهب من نقل الى كبير دعاة الاسماعيلية (أبي محمد) الذي كان يقيم في الكهف ، أوصافه ومزاياه ، فقرر أن يذهب لمشاهدته بنفسه ، وبالفعل اجتمع به وعرض عليه الاقامة عنده في قلعة الكهف فوافق سنان وظل يعمل على مساعدة الشيخ (أبي محمد) مدة سبعة أعوام دون أن يطلعه على المهمة التي أوكلت اليه خشية أن تحدث فتنة أو انشقاق بين الاتباع ، أو ربما كان يقصد من وراء كتمان اسمه التفرغ لدراسة احوال الاسماعيلية ليتمكن من معالجة الاوضاع في المستقبل على أسس واضحة •

ويذكر صاحب المناقب هذه الحادثة فيقول : « ثم توجه الى بسطريون وهي قرية الى الكهف فأقام بها يعلم الصبيان الخط مدة فكان اذا مرض أحد

(1) Grand maitre des assassins : Guyard, p.p. 35

(2) نفس المصدر ص ٣٢ •

يأمرهم بشيء يداويه فيتعافى من مرضه فسموه طبيبا وصار الناس يقصدونه بسبب المرض ويتباركون به ويثنون عليه فقال الشيخ ابو محمد رحمة الله عليه لما بلغه عنه ذلك ينبغي ان يكون هذا الرجل مقيما عندنا في القلعة ثم طلبه ورتب له طعاما وخبزاً بكرة وعشية فقبل ـ منه السلام ـ بعض المرتب وهو يستر نفسه فأقام ـ منه السلام ـ سبع سنين وظهر من صلاحه وزهده ما استعظمه الناس فسموه الشيخ العراقي وكان عليه برد يمني وهو في كل عام اذا نزلت الشمس برجها يفتق البردة ويغسل بطانتها ويصلح قضها ثم يخيطها بيده ـ منه السلام ـ ويلبسها ويضع لنفسه سرموجة لا خياط فيها سوى خيط النعل لا غير ولها زر عجمي يمشي بها ـ عليه السلام ـ فلما انقضت المدة مرض الشيخ ابو محمد رحمة الله عليه وبقي اياما فدخل المولى في بعض الايام وقال له يا شيخ ابا محمد قد انقضت مدتك وحان أجلك ونهار غد تفارق هذا العالم فقف على تقليدي قبل موتك فلما ان قرأ تقليده على الشيخ ابي محمد بكى فقال له المولى ـ منه السلام ـ لماذا تبكي فقال ياسبحان الله كيف لا أبكي أسفا على مافات من امتثال الامر المطاع من مدة سبع سنين حتى ان مولانا قد جانبنا عوض المملوك ولم اعلم مايجب عليّ من تسليم اليك والدخول في طاعتك ولم أقض حقا من حقوقك فقال المولى ـ منه السلام ـ يا هذا رأينا الامور جارية على يديك فاحسن بناءها وحق جابر السموات والارض لقد كان لك من السعادة والتسديد والتوفيق والتأييد ما لو شئت ان تأخذ قلعة الجبل بمصر وهمرت بها لاخذتها فعند ذلك فارق الشيخ ابو محمد في اليوم الثاني الظهر وهو الوقت الذي أشار اليه المولى منه السلام[1] •

ومن ذلك نستنتج ان الشيخ أبا محمد قد أصابه مرض شديد بعد أن تجاوز الثمانين أو التسعين من عمره فأراد سنان أن يطلعه على حقيقته ويعرض

(1) فصل من اللفظ الشريف مناقب المولى راشد الدين : ورقة (٤) نسخة خطية في مكتبتي الخاصة •

عليه أمر تعيينه مكانه قبل وفاته ، فدخل عليه واعلن له بقرب وفاته وقـدم له كتاب الامام في (آلموت) الذي يطلب فيه من الشيخ ، أبي محمد الطاعة لمثل الامام الجديد الشيخ سنان بن محمد الملقب براشد الدين ، والظاهر أن أبا محمد تأثر جدا فبكى على مافات ، ولكن سنان أفهمه بانه لم يفعل ذلك الا حرصاً على وحدة الصف وجمع الشمل ، وتقديرا لخدماته فابتسم ومات مرتاح الضمير بعد أن أعلن لاتباعه ولمجلس دعاته ان الامام في آلموت قد عين سنان راشد الدين خلفا له ، فاحتفل بهذه المناسبة في جميع الحصون والقلاع وتسلم سنان راشد الدين القيادة ونقل مقره الى مدينة مصياف حيث وجه اهتمامه الى ايجاد المدارس التعليمية ، لتخريج الدعاة ، وشرع بتدريب الشباب على أعمال الفدائية والامور العسكرية[1] وعكف على بناء حياة الاسماعيليين على أسس منظمة من العمل المستمر في جميـع الميـادين ، وعمم المدارس وزودها بالدعاة الاكفاء والمدرسين العلماء ، لينشىء جيلا مؤمنا مزودا بالعـلم والمعرفة ، ورمم القلاع ، وحث اتباعه على فلاحة الارض وزراعتها ، ودرب الفدائية في المدارس التي أوجدها ، ونشط التجارة ، فاستقرت الامور وبلغت الاسماعيلية الذروة من الازدهار والسؤدد والمجد ، وكان سنان يقضي أيام الاسبوع متنقلا بين القلاع والحصون وقد خصص يومين للاقامة بجبل مشهد ، حيث ينقطع للتأليف ، ورصد النجوم ، والتأويل ، وكان يكثر من التخفي لزيارة بعض المدن السورية لتفقد شؤون الاسماعيلية فيها ، وكان في كـل يوم جمعة يجلس على صخرة عالية يخطب ويحاضر داعيا الى التمسك باصول المذهب والعمل لما فيه مرضاة الامام صاحب العصر والزمان[2] .

كل هذه الاعمال حببتة للاسماعيلية فتعلقوا به وانقادوا لقيادته الروحية السامية ، كيف لا وقد كانت تتجسد فيه صورة الاسماعيلي النموذجي الذي

(1) Grand maitre des assassins : Guyard, p.p. 35

(٢) مناقب المولى سنان راشد الدين ورقة (٦) نسخة خطية في مكتبتي.

بسعة الافق العلمي ، والدهاء السياسي ، والمقدرة النادرة على التـدريب والتنظيم ، مما أثار اعجاب ودهشة الكتاب والمؤرخين ، فقال ابن جبير الذي زاره في معقله[1]: « ان الاسماعيليين يبذلون الانفس دون زعيمهم سنان ، وحصلوا من طاعته ، وامتثال أمره ، بحيث يأمر أحدهم بالتردي من شاهق جبل فيتردى » ولم يقف نشاطه عند هذا الحد بل درب الفدائية على استعمال مختلف أنواع الاسلحة ، وعلمهم لغات أهـل البلاد المجاورة ، وعـاداتهم وتقاليدهم ومذاهبهم ، وبالتدريج تمكن من بسط نفوذه على القلاع المجاورة وهي : المرقب ، القدموس ، الخوابي ، الكهف ، صهيون ، العليقة ، المينقة ، أبو قبيس ، المهالبة ، الرصانة ، واعـدها لاستقبال الاسماعيلين المضطهدين الوافدين من فارس والمدن السورية هربا من الارهاب والمذابح[2] .

ويذكر التاريـخ ان سنان راشد الـدين لعب دورا رئيسيا في السياسة السورية والمصرية وكان حجر الثقل في العالم الاسلامي ، ووقف سدا منيعا في وجه الصليبيين الذين تسللوا الى داخل البلاد السورية ، وملكوا شواطيء البحر المتوسط ، وكانت قوة فدائيته تهـدد جميع الملوك والحكام ؛ وتمكن بواسطتهم من ارغام الصليبيين والمسلمين ، على مهادنته وكسب وده ، وكان أول نزاع نشب بين سنان ونور الدين زنكي الذي استولى على شيزر وهاجم بقية القلاع الاسماعيلية بدون جدوى ، فعمد سنان الى ارسال أحد فدائيته فتمكن من وضع خنجر مسموم ورسالة تهديد عند رأس نور الدين تنذره بالموت اذا لم يقلع عن مهاجمة القلاع الاسماعيلية فانصرفت جيوشه في اليوم الثاني للانذار[3] .

وبعد وفاة نور الدين زنكي تزعم الجبهة الاسلامية صلاح الدين الأيوبي

(١) رحلة ابن جبير صفحة ١٧٤ .

(٢) نورمبين حبل الله المتين : جنارا : ٤١٣ ، خطط الشام : كردعلي : ٢/٨١

(٣) Grand maitre des assassins : Guyard, p.p. 101

الذي أذاق الاسماعيليين في مصر العذاب وفتك بعائلة الخليفة (العاضد) وكانوا احد عشر ولدا وأربع بنات واربع زوجات وأقارب آخرون يربو عددهم على ١٧٠ شخصا ، واحرق المكتبة الاسماعيلية الموجودة في دار الحكمة بعد أن بعثر محتوياتها . تألم سنان من تلك الاعمال فأوفد الفدائي المخلص (حسن الأكرمي) وامره بتهديد صلاح الدين في القاهرة ، فتمكن هذا الفدائي من دخول القصر الملكي والوصول الى حجرة رقاد صلاح الدين فوجده غارقا في أحلامه يغط في سبات عميق ، فترك له خنجراً مسلولا ، منطعا بالدم ، بقرب الوسادة كما ترك بطاقة كتب عليها : « اعلم أيها السلطان المغتصب العاتي .. انك وان اقفلت الابواب ، ووضعت الحراس ، لا تستطيع أن تنجوا من القصاص ومن انتقام الاسماعيلية . أراك قد بالغت في القحة واستبديت وقتلت ، وظلمت وسلبت ، دون أن تحسب حسابا لشيخ الجبل الاسماعيلي الذي يقف لك بالمرصاد ، لو أردنا قتلك الليلة لفعلنا ، ولكن عفونا عنك لعلك تقدر هذا ، وانتا ننذرك لتصلح من سيرك وتعيد الحق المغتصب الى ذويه ، ولا تحاول أن تعرف من أنا فذلك صعب عليك ، وبعيد عنك ، بعد السماء عن الارض ، اذ قد أكون أخاك أو خادمك ، أو حارسك ، أو زوجك وانت لا تدري والسلام[1] .

ولما وصلت جحافل صلاح الدين الى سورية أغار سنة ٥٧١ هجرية على بعض القرى الاسماعيلية في جهات حلب فخرب بزاعة واعزاز ، فوثب عليه فدائي وطعنه بسكين في رأسه ، فجرحه جرحا بليغا وتمكن جنود صلاح الدين من القبض عليه وتقطيعه اربا ، فهجم عليه فدائي آخر وضربه بخنجره عدة ضربات ، فألقي القبض عليه واعدم فورا . وعاد السلطان صلاح الدين مذعورا ، والتجأ الى خيمته خشية الاغتيال . وصمم على الثأر من مقدم الاسماعيليين في مصياف .

---

(١) تاريخ الدعوة الاسماعيلية : لمصطفى غالب : ص ٢١٢ .

فقصد معقل سنان راشد الدين في مدينة مصياف سنة ٥٧٢ هجرية في جيش عظيم ونصب عليها المنجنيقات وعسكر بضواحيها ، بينما أخذ سنان راشد الدين يتجول في القرى يتفقد أمرها ، ويعدها لليوم الفاصل والمعركة الحاسمة ، وصعد الى قمة جبل مشهد ليرقب الجيش ، وليستقبل الوفد الذي سيره اليه صلاح الدين لمفاوضته على التسليم برئاسة محمد الكردي الذي سلم كتاب صلاح الدين الى سنان ، فرد عليه سنان برسالة مع الوفد المفاوض قال فيها « وقفنا على تفصيله وجمله ، فياللعجب من ذبابة تطن في أذن فيل ، ولقد قالها قبلك قوم آخرون فدمرناهم . وما كان لهم ناصرون ، وما صدر من قولك في ضرب العنق ، فالليل وما وسق ، لتركبن طبقا عن طبق كالباحث عن حتفه بظلفه » . وتوالت بعد ذلك المفاوضات والتهديدات والوعيد ، فرد عليه سنان فقال[1] :

يا ذا الذي بقراع السيف هددنا ... لا قام مصرع جنبي حين تصرعه
قام الحمام الى البازي يروعه ... واستيقظت لأسود البر أضبعه
أضحى يسد فم الأفعى باصبعه ... يكفيه ما قد تلاقي منه اصبعه
لو أن عمرك حبلا أنت ماسكه ... فسوف تعلم يوماً كيف نقطعه

ثم كتب له ثانية :

بنا نلت هذا الملك حتى تأثلت ... بيوتك فيها واشمخر عمودها
فأصبحت ترمينا بنبل بنا استوى ... مغارسها منا وفينا حديدها[2]

ولما شعر سنان راشد ان الرسائل لا تجدي نفعا . عمد الى ارسال أحد الفدائية ليلا فدخل خيمة صلاح الدين ، برغم حيطته في فرض الحراسة

---

(١) هذه الابيات وجدناها في مخطوط اسماعيلي اسمه البستان ورقة (٢١٣) في مكتبتي الخاصة .

(٢) من مخطوط اسماعيلي اسمه من اللفظ الشريف ورقة (٢٣) .

المشددة ، فبدل موضع المصابيح التي كانت تنير الخيمة ، ووضع خنجرا مسموما غرسه في رغيف حار قرب رأس صلاح الدين وبجانبه قطعة من الورق كتب عليها عدة أبيات من شعر سنان :

انا منحناك ثوبا للحياة فان ... كنت الشكور والا سوف نخلعه
قد قام قف الى قاف يزعزعه ... كضفدع تحت صخر رام يقلعه
ما يستحي ثعلب صغر همته ... يرسل الى أسد الغابات يفزعه

وجاء في المناقب هذان البيتان :(١)

أما وجلال الملك ما تملكونها ... مراغمة ما دام ذا النصر قائم
نخبركم أنا قدرنا عليكم ... نؤخركم حتى تتم الغرائم

نهض صلاح الدين مبكرا حسب عادته ، ورأى الخنجر والكتاب ، فاعتقد أن سنانا من أشرف وأنبل الرجال ، اذ لو أراد قتله لما تأخر عنه بعد أن أصبحت حياته بيد ذلك الفدائي •

وعلى الفور استدعى خاله أمير حماه شهاب الدين الحارمي ، صديق سنان ، فتوسط بينهما بالصلح شريطة أن تشترك فدائية الاسماعيلية في الحروب الصليبية ، وبالفعل ساهموا بآلاف الجند والفدائية في معركة حطين ، واغتيال ملوك الفرنجة في صور وغيرها •

ومن جهة ثانية سعى الصليبيون للتفاوض مع سنان ، والتحالف معه ضد صلاح الدين ، ولكنه رفض ذلك مما أدى الى حصول منازعات مستمرة بين سنان والافرنج بعد ذلك • حيث يعتدي سنة ٥٨٨ هجرية كونراد مونتفرات أمير صور على سفينة اسماعيلية في عرض البحر ، فأرسل اليه سنان فدائيين

(١) مناقب سنان راشد الدين نسخة خطية في مكتبتي الخاصة ورقة (٩)
Maitre des assassins : Stanislas guyard, p.p. 130

فقتلاه وقدما رأسه لصلاح الدين • فكافأهما وأحسن اليهما ومنحهما دقيقا ، وأعطى سنانا عشر قرى ألحقها بمصياف(١) •

وهكذا نرى سنانا حافظ على نصوص المعاهدة وعلى وعوده التي قطعها للسلطان صلاح الدين فتوثقت بينهما عرى الصداقة في عهد خلفاء سنان ، وخلفاء صلاح الدين •

وفي سنة ٥٨٨ هجرية توفي سنان راشد الدين ودفن في احتفال مهيب في سفح جبل مشهد بعد أن خدم الاسماعيلية في سورية اكثر من ثلاثين عاما •

وعرف سنان بأنه أديب كبير ، وعالم نحرير ، وفيلسوف عبقري ، وكان له شعر حسن وكلام منثور جيد ، عالم في النجوم والرياضيات ، اشتهر بالمقدرة الفائقة على القيادة والسيطرة التامة على الاتباع ، قوي الارادة ، طموحا مؤمنا تقي ورع عفيف النفس •

ولقد تضاربت الأقوال حول مركز سنان الديني بالنسبة للدعوة الاسماعيلية، فذهب البعض الى القول بانه كان الامام الاسماعيلي نفسه يعمل متسترا باسم سنان راشد ، وقال البعض الآخر بان سنان كان اماما بالفعل ، ولم تكن له أية صلة بالأئمة الاسماعيلية في (آلموت) الخ ••

ونحن نرد على هؤلاء ونقول ان سنان لم يكن سوى ممثلا للامام وحجة له وكان على اتصال دائم بأئمة الاسماعيلية في فارس ذلك ما تؤكده جميع المصادر التاريخية أما أقوال العامة فلا يؤخذ بها ولا يعتمد عليها •

* * *

(١) مناقب سنان راشد الدين نسخة خطية في مكتبتي الخاصة ورقة (١٤)

سيد سهرب والي

من كبار دعاة الاسماعيلية في وسط آسيا ، وقيل انه كان تلميذا للشاعر والفيلسوف الاسماعيلي الكبير ناصر خسرو ، ترك مؤلفات كثيرة ، فقد بعضها والباقي أتى على ذكرها المستشرق ايفانوف في كتابه المرشد الى أدب الاسماعيلية [1] وهي :

١ ــ كتاب صحيفة الناظرين وهو عبارة عن ٣٦ صحيفة تتضمن شرح لبعض أشعار ناصر خسرو •
٢ ــ روضة المعلمين •
٣ ــ بياني هفت عقائد اركان الشريعة •
٤ ــ من كلام أمير المؤمنين •
٥ ــ بياني هفت حدود الدين •
٦ ــ نصيحة أمير المؤمنين •
٧ ــ الدنيا والآخرة •
٨ ــ قصة حياة النبي •
٩ ــ معنى الاسم المبارك لحضرة الرسول •
١٠ ــ مطلوب السائلين •
١١ ــ نصيحة المؤمنين •
١٢ ــ نور ناما •
١٣ ــ رسائل في الدين والمذهب •
١٤ ــ رسائل الامام جعفر الصادق •

(١) المرشد الى أدب الاسماعيلية : ايفانوف : ص ٩٦ •

١٥ ــ رسالة دار بابي اصول الدين •
١٦ ــ شرح المراتب والحدود •
١٧ ــ علم التأويل •
١٨ ــ تأويل هفت أركان الشريعة •
١٩ ــ تأويلاتي لكساني راز
٢٠ ــ ام الكتاب •
٢١ ــ وصيات نامي حضرت رسول
٢٢ ــ زبدة الحقائق •

ذهبت جميع محاولاتنا وتنقيباتنا ادراج الرياح فلم نعثر على اية ترجمة لحياة هذا العالم الكبير وباعتقادي أنه من دعاة الهند الذين أوفدهم الحسن ابن الصبّاح الحميري ليتولى أمور الدعوة فيها وأكثر كتبه باللغة الفارسية •

* * *

حرف الشين

شمس الدين بن أحمد الطيبي

من كبار شعراء وعلماء وفلاسفة الدعوة الاسماعيلية النزارية في بلاد الشام •

ولد شمس الدين بن أحمد الطيبي في قرية (براعة) من أعمال حلب سنة ٥٩٢ هجرية ، كان أبوه الشيخ أحمد الطيبي من كبار دعاة المذهب الاسماعيلي في جهات حلب ، وكان جل اهتمامه أن ينشىء ويربي ولده الوحيد شمس الدين تربية دينية صالحة ، فأخذ يلقنه كافة العلوم الاسماعيلية فاستوعبها كلها وهو في سن مبكرة ، وأخذ ينظم الشعر الفلسفي المعروف لدى الاسماعيلية ، وما كاد يبلغ أشده حتى وصلت أخباره الى مركز الدعوة الاسماعيلية النزارية في (آلموت) فاستدعاه الامام علاء الدين محمد حيث جعله شاعره الخاص ، وأخذ هو بدوره يتلقى علومه العالية على أيدي كبار دعاة وعلماء (آلموت) وتتلمذ فترة من الزمن على الفيلسوف الكبير نصير الدين الطوسي •

وأخيرا قرر مجلس الدعاة ارساله ليتولى أمور الدعوة في بلاد الشام ، على أن يكون داعيا متجولا في كافة البلاد ، يلقي المجالس والمحاضرات وينشر المذهب الاسماعيلي • وظل يتنقل بين القلاع حتى أصيب بمرض خطير توفي على أثره في بلدة مصياف سنة ٦٥٢ هجرية ودفن فيها •

يستدل من المصادر الاسماعيلية السورية بأن شمس الدين الطيبي ترك عدة كتب تبحث في الفلسفة الاسماعيلية وأصول المذهب ، فقدت كما فقد غيرها من مؤلفات الدعاة الاسماعيلية ، ولم يبق الا كتاب واحد فقط هو (دستور المولى علاء الدين[1]) وأشعار وقصائد كثيرة موزعة في أغلب

(١) وقد جاء بآخر هذا الكتاب بأنه من تأليف سيدنا الداعي الاجل « شمس الدين بن أحمد الطيبي » وقد سمعه من « نصير الدين الطوسي » .

المخطوطات الاسماعيلية السورية ويستنتج منها ، أنه كان غزير المادة ، وشاعرا مبدعا ، تمكن من فلسفة المذهب الاسماعيلي وعبر عنها بأشعاره • ومن قصيدة له في مدح آل البيت يقول فيها[1] :

ولديه يكون عدل وظلم … وعليه يدور عرف ونكر
كانت الكائنات كالليل حتى … لاح من نوره فأشرق فجر
فاذا ما ارتقى يقصر وهم … عن مدى فهمه ويعجز فكر

ومنها في الحكميات :

انما النفس للخليقة لبّ … وكذا الجسم في الحقيقة قشر
فاطلب اللب واترك القشر يشر … ح لك صدر ثم يوضع وزر
واتبع الحق لا تمل عن هداه … باعتقادٍ يراه زيد وعمرُ
أكثر الخلق في عمى وضلال … ليس ينهيهمُ عن الجهل زجر
من دعاهم لباطلٍ تبعوه … واذا ما دعوا الى الحق فروا
فهم الجاحدون لما أتاهم … ببيان الهدى من الله ذكر

ومنها[2] :

سقط اليوم حيث خس فأضحى … فوق أيدي الملوك باز" وصقر
نحن أطفال غادة وعلينا … لولي الأمور نهي وزجر
والفتى في يد الطبيعة عبد … فاذا حلّ قيده فهو حر
نحن كالماء يدفع البعض بعض … ليتم المسير والدهر نهر

(١) وجدت هذه القصيدة بكاملها ضمن مخطوط اسماعيلي سوري باسم (الازهار) ورقة ١٢١ .

(٢) كتاب الازهار (نسخة خطية) في مكتبتي الخاصة ورقة ١٢٢

ومنها في الاخلاق[1] :

لا تكن كالصبي يلهيك عما ... فيه نيل الكمال بيض وصفر
لا تكن واثقاً بخلٍ جهولٍ ... ليس بالجاهلية يشتد أزر
لا تكن حاسداً فرب حسودٍ ... مات غيظاً وفي الحشا منه جمر
واذا ضاق موضع بك فارحل ... فالفضا واسع وما ضاق بر
واذا ما عشقت فاخضع بذلٍ ... ذلة العاشقين في الحب مهر
أتظن الوصال يدرك سهلاً ... دون درك الوصال بيض وسمر

ومنها في مدح السادة الأطهار :

طاب شعر الطيبي ، لم لا وفيه ... من ثناء الأئمة الطهر عطر
أولياء الهدى أئمة صدقٍ ... سادة قادة الميامين غر
قرشيون هاشميون عرب ... شأنهم حكمة تقوى وبر
دوحة أصلها النبوة والعلم ... من الفرع والامامة زهر
شمل الكون ظلها وجباها ... مثل طوبى وما خلا منها قطر

ومنها[2] :

هم هداة الأنام ان ضل قصد ... وسقاة الغمام ان عزّ قطر
وهم القصد في الصلاة ولولا ... ذكرهم لم يكن عشاء وظهر
قبلة العالمين في كل دورٍ ... ولهم في الورى ظهور وستر
وبهم شرفت حجاز ونجد ... وبهم شرفت عراق ومصر
وعليهم نزول انّا فتحنا ... وبهم بشرت اذا جاء نصر
وكفى المدح أن يقال نبي ... ووحي له وسبط وصهر

(١) المصدر نفسه ورقة ١٢٣ .
(٢) المصدر نفسه ورقة ١٢٥ .

شمس الدين التبريزي

كان لعلماء الدعوة الاسماعيلية وفلاسفتها المغمورون وخاصة في أدوار الستر، وابان المصائب والمحن التي تعرضوا لها في مختلف البلدان التي كانوا يقطنونها أكبر تأثير على حرمان الاوساط العلمية والفكرية من اتناجهم الخصب الذي تبعثر في شتى أقطار الارض ، ومن الثابت أن أغلب تصانيف أولئك العباقرة قد اندثر وفقد ولم يبق الا الجزء اليسير • وبالرغم من كل هذا فقد تمكنا من معرفة بعض الشيء عن هذا الفيلسوف العبقري الذي كان أستاذا ومرشدا ومعلما لأكبر شاعر ايراني (جلال الدين الرومي)[1] •

يذكر تاريخ الدعوة الاسماعيلية النزارية في فارس أن الشيخ شمس الدين التبريزي المعروف (بشمس تبريز) هو ابن الامام الاسماعيلي علاء الدين محمد ، ولد في قلعة آلموت ونشأ وتأدب في مدرسة الدعوة فيها وأعد ليكون حجة لشقيقه الامام (ركن الدين خورشاه) الذي كان وليا لعهد أبيه علاء الدين محمد • وما كاد يبلغ العشرين من عمره حتى تفوق على جميع أقرانه ونبغ نبوغا عجيبا في العلوم الروحية الفلسفية ، فقرر مجلس الدعاة أن يعهد اليه بالمهمة التي أعد لها ، فأصبح حجة وبابا من أبواب الدعوة ، وأخذ يتنقل بين البلدان ليشرف وينظم أمور دعوته ، ولقد وضعه النقاد لكثرة تجواله فقالوا أنه كان مثل الكوكب يضوي في البلد التي يحط الرحال فيها لحظة قصيرة ثم يختفي فجأة وفي سرعة فائقة ، لذا لقب (پرنده) أي (الطائر) وقد وصفه المؤرخ (ردهاوس Redhouse) في مقدمة ديوان (شمس تبريز) لجلال الدين الرومي فقال : كان يتمتع بمقدرة علمية عجيبة يستطيع في لحظة

(١) نور مبين حبل الله المتين : لعلي محمد جنارا باللغة الاوردية ص ٤٦٣

أن يسيطر على كل من دخل مجلسه وسمع محاضراته ، وقد شبهه بسقراط الفيلسوف اليوناني الكبير ، وفد الى (قونية) سنة ٦٤٢ هجرية حيث أقام بين أتباعه يعقد المجالس العلمية فصحبه طوال مدة اقامته الشاعر الفيلسوف جلال الدين الرومي ودرس عليه[1] .

ولما قامت الفتنة الكبرى في قونية في شهر ذي القعدة سنة ٦٤٤ هجرية تمكن جماعة من الغوغاء من قتل هذا الداعي الكبير والفيلسوف العظيم ، فجن جنون جلال الدين الرومي وأخذ يرثيه بغرر الاشعار التي أصبحت على مر الزمان من الاناشيد الغنائيـة التي يرددها المؤمنون الصالحون في كل المناسبات وجمعت تلك الاشعار في ديوان سمي (شمس تبريز)[2] .

* * *

(١) غزليات مختارة من ديوان شمس تبريز : R. A. (ص١٨) من المقدمة.

(٢) من المثنوي Sprenger المقدمة ص ١٠ .

شمس الدين محمد بن ركن الدين خورشاه

تذكر المصادر التاريخية ان الامام شمس الدين محمد كان بعيـدا عن (آلموت) والقلاع الاسماعيلية في فارس عندما حلت بهم الكارثة على أيدي المغول سنة ٦٥٤ هجرية ، لان والده الامام ركن الدين خورشاه عندما شعر بخطر المغول الذي يهدد القلاع والحصون ، أرسل شمس الدين محمد بعد أن نص على امامته مع عمه الى أزربيجان وكان عمره في ذلك الوقت سبع سنوات[1] ، فأقام في منزل الشاعر الفارسي (نزاري كستان) الذي كان داعيا للدعاة في تلك البلاد .

أما الاسماعيليون الذين نجوا من سيوف المغول فقد توجه قسم منهم الى بلاد الشام ، وقسم آخر سار الى الهند ، وأفغانستان ، والسند ، وهملايا ، وأزربيجان ، فعاشوا بالتقية فترة من الوقت .

والمصادر التاريخية تختلف في تحديد تاريخ ولادة الامام شمس الدين محمد ، فالبعض يقول أن ولادته كانت سنة ٦٣٣ هجرية[2] ، أي كان عمره ٢١ عاما عندما توجه الى أزربيجان ، بينما يذكر البعض الآخر أنه كان في السابعة من عمره عندما سيره والده ركن الدين خورشاه الى أزربيجان[3] ، ولنفرض أنه أرسله سنة ٦٥٣ هجرية فتكون ولادته سنة ٦٤٦ هجرية ، وهذا بنظرنا بعيد الاحتمال ، والارجح أنه كان قد تجاوز العشرين عندما نص على

(١) نور مبين حبل الله المتين : جنارا : ص ٤٦٠ ، الشيعة في الهنـد : Hollister ص ٣٣١ .

(٢) نفس المصدر ص : ٤٦٠ ، تاريخ الدعوة الاسماعيلية : ٢٢٣

(٣) الشيعة في الهند : Hollister ص ٣٣١

امامته • ولما أعلنت وفاة والده ركن الدين خيروشاه اعتبر اماماً للاسماعيلية وذلك سنة ٦٥٤ هجرية • فبادر الى نقل مقره الى مدينة (زردوز) في أزربيجان ولقب بـ (آغا شمس) وعرف في تلك البلاد (بمحمد زاردوزي) نسبة الى مدينة زردوز[١] فعمل على اعادة تأسيس مركز قيادة الدعوة ووضع نظمها الجديدة بمساعدة بعض الدعاة العلماء الذين نجوا من تلك الكارثة ، فاخذت جموع الاسماعيلية تتوجه من كل حدب وصوب الى أزربيجان لتلقي التعليمات والارشادات ، وسير الامام شمس الدين محمد الدعاة الى السند ، والهند ، وأفغانستان ، وبامير وجميع المناطق المجاورة ، مصطنعين التقية متنكرين على هيئة التجار وأصحاب الاراضي ، وقيل « أنه نقل مقره فيما بعد الى قرية كبيرة اسمها « انجودا » وتقع على الطريق القديم الذي يصل بين اصفهان وهمدان ، وهنـاك قضى شمس الدين محمد بقية حياته[٢] • وقيل انه كان كثير التنقل لتفقد شؤون أتباعه ، وكان دائم الاتصال مع أتباعه في بلاد الشام يشرف على شؤونهم ويعين دعاتهم ، وكان يشرف على مدارسه فلاسفة وعلماء أمثال شمس تبريز ، وجلال الدين الرومي ، وحسام الدين حلبي وغيرهم ، وتوفي في (زردوز) سنة ٧١٠ هجرية ودفن فيها ولا يزال ضريحه مزارا مشيدا ومعتنى به • وأعقب من الاولاد ثلاثة هم : قاسم شاه ، ومؤمن شاه ، وكياشاه ، وقد نص على امامة ولده قاسم شاه قبل وفاته ، وعين مؤمن شاه نائبا ، وكياشاه كبيرا لدعاته •

* * *

---

(١) الشيعة في الهند .

(٢) طائفة الاسماعيلية : كامل حسين : ص ٨٦ .

أبو فراس
شهاب الـدين الميقني

من كبار شيوخ الدعوة الاسماعيلية النزارية في سورية ، ومن جهابذة علمائها وفلاسفتها الذين كان لهم القدح المعلى في نشر الدعوة للامام النزاري غريب ميرزا •

ولد الشيخ شهـاب الدين بن ابراهيـم الميقني من أبوين اسمـاعيليين في قلعة (الميقنة) سنة ٨٧٢ هجرية ، وتلقى علومه الأولية على أبيه الداعي الشيخ ابراهيم ، وما كاد يبلغ أشده حتى أظهر من النجابة والذكاء الخارق ، ما أدهش والده وكبار دعاة عصره ، فرشحوه للقيام بمهمة داعي قلعة (العليقة) وقد استطاع شهاب الدين بما بذله من جهود علمية أثناء القاء المحاضرات في مدارس الدعوة الاسماعيلية النزارية التي كانت منتشرة على طول الساحل السوري ، أن يكتسب ثقة الأئمة الذين كانوا في عصره وهم على التوالي :

الامام غريب ميرزا من سنة ٨٩٩ الى ٩٠٢ هجرية
الامام أبو الذر علي من سنة ٩٠٢ الى ٩١٥ هجرية
الامام مراد ميرزا من سنة ٩١٥ الى ٩٢٠ هجرية
الامام ذو الفقار علي من سنة ٩٢٠ الى سنة ٩٢٢ هجرية
الامام نور الدين علي من سنة ٩٢٢ الى ٩٥٧ هجرية

وأصبح في عهد الامام مراد ميرزا كبيرا لدعاة سورية ولقبه (بأبي فراس) نظرا لفراسته في الامور الدينية ، وتعمقه في بحر القصائد الروحانية •

تعددت الميادين الفكرية التي صال وجال فيها ، فكانت له جولات رائعة في ايجاد القواعد الحسابية الفلكية ، وكذلك كان شاعرا رقيقا له أشـعار

كثيرة ، وقصائد مبعثرة في أغلب المخطوطات الاسماعيلية السورية ، ومن قصيدة النسب المشهورة نقتطف هذه الابيات :

زوج البتول أخو الرسول ومن له — بحر المعارف والفقار الباتر
نور الامامة بعده من نسله — بضيائه مجد الحقائق عامر
ذرية هم والكتاب كلاهما — حبلان للمستمسكين ذخائر
فعلي ومولانا الحسين وولده — الولي علي والامام الباقر
ثم الامام الصادق الوعد الذي — جمعت لديه بواطن وظواهر (1)

ومنها :

والسابع المولى معد المجتبى — وهو المعز لكل كسر جابر
ثم العزيز نزار يأتي بعده — والحاكم المنصور وهو الظافر

وهذه أبيات له أيضا :

قل لقوم دفنوني ومضوا — وبنوا في الترب فوقي ما بنوا
ليت شعري مذ رأوني ميتاً — ونعوني أي جزءٍ قد نعوا
أعلى الحاضر مني فيهم — أم على الغائب مما لا يروا
ان للصانع فينا حكمة — عجز العالم عنها وعموا

ويستدل من المصادر الاسماعيلية السورية أنه كان لشهاب الدين أبي فراس ولد يسمى « ابراهيم » مات في حياة أبيه فأرسل له أحد الدعاة قصيدة يعزيه فيها بفقده ، ومنها يتضح فضل الشيخ شهاب الدين ومكانته العظيمة لدى الاسماعيلية عامة :

هياكلنا نحو المقام تسير — وعاقلنا نحو المرام يطير
ونحن أناس عندنا الموت هين — يسير ، وعند الجاهلين عسير
ولكن فراق الألف صعب وطعمه — كريه على قلب المحب مرير

---

(1) من كتاب الازهار نسخة خطية في مكتبتي الخاصة من قصيدة النسب ص ٣١٥ .

مفارقة الجسم الكثيف استراحة — لأرواحنا والجسم فهو حقير
توالت أفانين السرور وأقبلت — الى النفس من بعد السرور شرور
ألا يا شهاب الدين مهلاً فبالذي — أصابك منه انني لجدير
سقى الله ابراهيم من غيث رحمة — له اللؤلؤ المنثور منه عبير

ومنها :

فان شهاب الدين بدر دراية — منير برؤياه القلوب تنير
كريم حليم مستقيم مسدد — عليم فهيم سيد وحضور
أديب لبيب كامل الفضل عارف — مجيب حبيب للقلوب وقور
سني علي المعي مهذب — به انشرحت للمؤمنين صدور
ومن كان في الأوج الالهي صاعداً — فليس له نحو الجسوم حدور
وليس لنا فيما قضى الله حيلة — فللقدر الجاري بذاك حدير
لسان القضا لما تكلم فوقنا — تأدب منا عاقل وبصير

ومن هنا يتبين أن هذا الشيخ الجليل والعلامة النحرير كان عالما فاضلا يتمتع بسكانة عظيمة في نفوس كبار الدعاة الاسماعيلية النزارية في عصره ، ترك عدة مؤلفات عرفنا منها :

١ــ سلم الصعود الى دار الخلود ٢ ــ سلم الارتقاء الى دار البقاء . وقد نسب اليه الاستاذ عارف تامر رسالة (مطالع الشمس في معرفة النفوس) وبعد الاطلاع على النسخة الخطية لهذه الرسالة واجراء المقارنة تبين لنا أن اسم الرسالة الاصلي هو (كتاب البيان لمباحث الاخوان[1]) لأبي منصور اليماني الملقب بالشادلي ، ولم نعثر على أي ذكر لرسالة باسم (مطالع الشموس في معرفة النفوس) ، ولعل في الامر التباس . وتوفي هذا الداعي سنة ٩٣٧ هجرية ولا يزال ضريحه قائما يزار[2] .

---

(1) حققه وقدم له مصطفى غالب ونشره سنة ١٩٥٦ ميلادية في دمشق .
(2) يوجد ضريحه في قلعة المينقة بقرب جبلة من محافظة اللاذقية .

شهاب الدين بن حبش السهروردي

الصراع الفكري المذهبي الذي اجتاح البلاد الاسلامية في القرن الخامس الهجري بين الطوائف والفرق ، أوجد نخبة ممتازة من العلماء والفلاسفة الذين أوجدوا مختلف النظريات العلمية ليحاولوا عن طريقها الاثبات على أن من يتبع مذهبهم أو يأخذ بأصوله وتعاليمه يجد الخير والسعادة في الدارين ، ومن يخالف ما أتوا به اعتبروه مارقا زنديقا لا يمت الى الاسلام بصلة ، مما أدى الى المذابح الكثيرة ، والى الطعن في اصول المذاهب الاخرى ، مع ان التاريخ يذكر بالفخر أن اولئك المطعون في معتقداتهم كانوا من حملة المشعل الفلسفي الذي ينير الطريق الى المثل العليا ، والى الاشراقات الروحية السرمدية • ومن اولئك الضحايا والشهداء هذا العالم العبقري والفيلسوف الكبير العلامة الشهيد شهاب الدين يحيى بن حبش السهروردي المعروف (بالقتيل) تميزا لمن كانوا يحملون نفس هذا الاسم •[1]

تدل أغلب المصادر التاريخية على أنه ولد في نيسابور سنة ٥٤٥ هجرية وقيل سنة ٥٥٠ هجرية[2] أرسله أبوه لطلب العلم في المدرسة الاسماعيلية في مدينة (المراغة) وهو لا يزال صغيرا ، وهناك درّس كافة العلوم الفلسفية الروحية مع زميله فخر الدين الرازي ، ومن ثم وصل الى (اصفهان) ليطلع على آخر مرحلة من مراحل العلوم المذهبية ، وبعد أن تم له ما أراد عين داعيا متجولا في مختلف البلدان الاسلامية ، وكان يفضل الاقامة بديار بكر ليشرف على المدرسة التي أسسها له الامام الاسماعيلي • وكان بطبيعته يحب التنقل

---

(١) وهو غير شهاب الدين أبو حفص عمر بن محمد البكري السهروردي الذي سنأتي على ذكره في غير هذا المكان •

(٢) ابن أبي أصيبعة : ص ١٦٧ — ١٧١ ؛ ابن خلكان : وفيات الاعيان ٤/١٣٥

والاسفار ويفضل الخلوات الروحية العميقة • والجدير بالملاحظة أنه أشار في نهاية كتابه (المطارحات) الى هذه الرحلات والغاية منها فقال : « وهو ذا قد بلغ سني الى قريب من ثلاثين سنة ، وأكثر عمري في الاسفار والاستخبار والتفحص عن مُشارك مطلع على العلوم ولم أجد من عنده خبر عن العلوم الشريفة ولا من يؤمن بها » • وهذه العبارة أكبر دليل على أنه كان يبحث عن رجل عنده القوة أو المقدرة على ادراك المعاني الفلسفية الروحية ، التي جسدها في الهامه ووحيه وامامه ، واخيرا حط رحاله في مدينة حلب حيث ناظر بعض الفلاسفة والعلماء والفقهاء في عهد الملك الظاهر ابن صلاح الدين ، فافحمهم بالنظر لمقدرته العلمية الخارقة فحقدوها عليه واتهموه بالكفر والذندقة والالحاد والطعن في الدين الاسلامي وطلبوا من أمير حلب اعدامه • فأخذ يماطلهم ولكنهم كتبوا لصلاح الدين فارسل الى ابنه يهدده بالخلع اذ لم يقتل هذا الفيلسوف ولا تزال الروايات متفاوته فمنهم من قال : انه مات مخنوقا والبعض الآخر يقول انه مات قتلا بحد السيف ، وقسم آخر يؤكد أن شهاب الدين امتنع بنفسه عن الطعام حتى دعاه الله الى جواره سنة ٥٨٧ هجرية وكان عمره ٣٦ سنة أو ٣٨ سنة ولقب (بالشهيد)[1] •

هكذا يجب أن يموت العلماء وأصحاب المبادىء الحرة ، في عصر تبخرت فيه كل القيم الانسانية والاخلاقية ، وسيطر التعصب المذهبي الزميم على تلك المجتمعات الفاسدة •

وعالمنا الشهيد يعتبر بحق من عباقرة عصره لسلامة طبعه ومقدرته الابداعية ، وبراهينه الدامغة وحججه القوية ، كيف لا وقد عرف العالم على المضمون الروحي للعقيدة الاسماعيلية وأوجد النزعة الانسانية الحقيقة المستمدة من أصولها ، ومأساة الحلاج التي اهتزت لها بغداد عدة سنين لأكبر دليل

---

(١) نزهة الارواح : لرافع الشهروزي ص ٩٧ — ١٠٠

على عنف وقسوة اولئك الذين يسمون أنفسهم فقهاء وعلماء ، بينما يعشعش في نفوسهم النتنة الحسد والغيرة والتحامل .

وباعتقادي أن صلاح الدين الذي أمر بقتل هذا الفيلسوف تلبية لرغبة رجال الدين في حلب الذين نقلوا له أن هذا العالم قد استطاع أن يؤثر في عقل ولده ولربما اعتنق مذهبه ، قد خاف أن ينضم ولده الذي كان لا يفارق هذا الفيلسوف الا نادرا الى صفوف الاسماعيلية فيشكل أكبر صدع في دولته وهو الذي لم يعرف حتى قضى على الدولة الفاطمية . ومهما يكن الامر فقد مات عالمنا شهيدا كغيره من الشهداء الاعلام في سبيل أفكاره الحرة وعقيدته المثلى .

ومن أهم مؤلفات هذا المفكر العظيم :

١ — الألواح العمادية .
٢ — المطارحات .
٣ — اصوات اجنحة جبرائيل .
٤ — نزهة الارواح .
٥ — حكمة الاشراف .

وتضم أكثر مؤلفاته مقالات ميتافيزيقية وتشبيهات وعروض مذهبية وابحاث روحية سرمدية لها مكانة عظيمة في عالم الفكر الخلاق المبدع .

وما ابدع ماقيل عنه : [١]

لقد بدأ السهروردي حياته الروحية بنقمة من شعر الحلاج في التوحيد :

لانوار نور النور في الخلق أنوار   وللسر في سر المسرين أسرار

وقضى عمره يوقع عليها متنوع الألحان .

---

(١) عبد الرحمن البدوي في كتابه شخصيات قلقة في الاسلام ص ١٣٢

شهربار بن حسن

وفد على دار العلم بالقاهرة المعزية كغيره من دعاة المذهب الاسماعيلي للتزود من العلوم المذهبية ، ولسماع المحاضرات التي كانت تلقى في دار الحكمة ، ويعتبر من علماء فارس وكرمان المشهورين ، وما كاد ينهي دراسته في القاهرة حتى أرسل داعيا لبلاد اليمن في عهد الملك المكرم الصليحي ، ليشرف على مدرسة الدعاة التي تأسست في اليمن ، فكان من كبار مدرسيها ومن أقدر فلاسفتها وعلمائها ، ومن ثم أعيد الى القاهرة في بعثة علمية ليدرس على المؤيد في الدين الشيرازي داعي الدعاة ؛ وبعد أن أنهى دراسته العليا مثل بين يدي الامام فاعجب به وبغزارة علمه ، خاصة وانه يتقن عدة لغات ويجيد النقاش والبحث والمجادلة فيها ، فأمره الامام بالعودة الى اليمن وأمره بأن يجعل مجاله الحيوي عدن ، والبحرين واليمن .

وفي اليمن قام بعض العلماء والفقهاء فصنفوا رسائل أنكروا فيها وجود العالم الروحاني ، فهب الشيخ شهريار للدفاع عن نظرية وجود العالم الروحاني فصنف رسالة في الرد على من ينكر العالم الروحاني ، وهذه الرسالة موجودة ضمن مجموعة رسائل الكرماني الثلاثة عشر ، ومجموع التربية للشيخ محمد بن طاهر الحارثي ، ولشهربار بن حسن أيضا رسالة أخرى في معنى قول الله « انا فتحنا لك فتحا مبينا » ، صنفها جوابا على مسألة السلطان عامر بن سليمان الزواحي[١] . وقصيدة أوردها الداعي سليمان بن حسن[٢] في كتاب النخب .

---

(١) المرشد الى أدب الاسماعيلية ايفانوف : ص ٤٩ .

(٢) الصليحيون والحركة الفاطمية باليمن للهمداني : ص ٢٦٦ .

هذا كل ما تمكنا من العثور عليه في المصادر الاسماعيلية عن حياة هذا الداعي الكبير الذي كان له شأن عظيم في بلاد اليمن وعدن والبحرين • أما تاريخ حياته فمجهول تماما ولم نستطع بالرغم من الجهود التي بذلناها في هذا الخصوص ، وكل ما توصلنا الى معرفته أنه جـاء الى اليمن من كرمان وفارس وتردد على مركز الامامة في القاهرة ودرس على المؤيد في الـدين الشيرازي وذلك في عهد الامام المستنصر بالله الفاطمي ، فعسى أن تكشف الايام مزيدا من المعلومات عن هؤلاء الدعاة العلماء المغمورين •

* * *

طاهر شاه الدكني الجنيدي

ينحدر طاهر شاه الجنيدي الدكني من اسرة مؤمن شاه بن شمس الدين محمد التي انشقت عن الاسماعيلية النزارية سنة ٧١٠ هجرية ، وهذه الاسرة لا نعلم شيئا عن تاريخ حياة أئمتها ، كما أننا لا نعرف أي شيء عن نشاطها في ايران والهند ، سوى ما ورد في مقال للمستشرق ايفانوف نشره في المجلة الملكية الأسيوية بعنوان (العرق المنسي من الاسماعيلية) ويبدو أن ايفانوف قد استقى أكثر المعلومات التي أوردها في مقاله عن (فيرستا) ومع ذلك لم يكن فيه كل ما يروي غليل الباحث عن هذه الاسرة التي لعبت دورا هاما في تاريخ الهند ، مما دفعنا الى الاتصال ببعض أتباع هذه الاسرة في مصياف والقدموس ، حيث وجدنا لديهم بعض المعلومات الجزئية وردت في بعض المخطوطات السرية تلقي ضوءا على أسماء أئمة هذا الفرع ، مما لا نجده كافيا للايفاء بالغرض المطلوب ، وسنأتي في غير هـذا المكان بنسخة عن شجرة نسب هذه الاسرة على أنه لا بد لنا ونحن في معرض الحديث عن اسرة مؤمن شاه من الاتيان على ذكر أحد أئمتها وهو طاهر شاه الجنيدي الدكني[١] ففي تاريخه ما يفيد أنه كان من الشخصيات البـارزة التي لعبت دورا أوليا في مملكة (برهان نظام شاه[٢]) في دكن • قيل انه ولد في مازندران الفارسية سنة ٨٦٠ هجرية وتلقى علومه في أحمد نكر ، ولكنه اضطر الى مغادرة فارس بناء على رغبة الملوك الصفويين ، فتوجه الى الهند حيث استقر في (دكن) في بلاط ملكها أحمد نظام الذي قربه اليه واتخذه مستشارا له ، ولما توفي

---

(١) نسبة الى بلدة الدكن التي قطن فيها : الطائفة الاسماعيلية : كامل حسين ص ٨٧ .

(٢) Ferishta, op. cit., IXIV, III, p. 134; الشيعة في الهنـد ، Hollister ص ١١٧ .

أحمد نظام وخلفه ابنه برهان نظام شاه وكان في السابعة من عمره أصبح طاهر شاه وزيرا له فعمل على جعل دين الدولة المذهب (الشيعي) وقيل المذهب الاسماعيلي ، وقدم لهذه الدولة خدمات كثيرة ؛ وبعد وفاة برهان نظام شاه استلم ولده اسماعيل شؤون الدولة فساءت العلاقات بينه وبين طاهر شاه لاسباب أهمها الدس الذي تعرض اليه من قبل الوزراء وفي مقدمتهم (مرزاحسين) الاصفهاني فكان سببا لاعتزاله السياسة والتوجه الى أطراف المملكة وأخذ يعمل بالتدريس في احدى المدارس الدينية المشهورة ، فحسده المعلمون والفقهاء واتهموه (بالهيرطوقية) وباجراء الاتصالات المشبوهة مع الملوك الاجانب وطالبوا الملك باعدامه ، ففر الى فارس واستقر فيها مدة عام واحد حيث أجبر على مغادرة البلاد ، فعاد الى الهند وقطن في (جابور) عاصمة عادل شاه • ولكن عادل شاه لم يهتم به فقرر أن يتوجه الى البلاد العربية ، ولكنه التقى صدفة وهو في طريقه الى الميناء بالخواجه (جوهان الوزير) الذي تمكن من اقناعه والعودة به الى أحمد نكر وكان ذلك سنة ٩٢٨ هجرية وظل فيها مدة عشر سنوات يعمل في السلك الدبلوماسي والتدريس حتى توفي سنة ٩٣٨ هجرية • ونقل جثمانه الى كربلاء في العراق بناء على وصيته • ترك مؤلفات كثيرة وكتب عديدة فقدت على مر الايام • وذكر له ديوان شعر ومجموعة نماذج للكتابة ، وأبحاث في الفقه الجعفري ، وشروح وحاشيات على الماجستي والشفاء لابن سيناء والمطول ، وله في الفارسية كتاب (قدشداني راز) و(تحفةشاهي) وقصيدة اسمها (بلاكي [1]) •

* * *

(١) Ferishta, op. cit., III, p.p. 223 - 224 ، الشيعة في الهند ، Hollister ص ١١٩ •

حرف العين

عامر البصري

من كبار شعراء الدعوة الاسماعيلية الذين عاشوا في دور الستر الاول ، ويستدل من أشعاره الكثيرة الموزعة في أكثر المخطوطات الاسماعيلية السورية ، أنه كان داعيا سيارا للامام الاسماعيلي المستور الذي تنشر الدعوة باسمه ، فتجول في سيواس وبلاد الروم وايران وتركيا • وفي أواخر حياته استقر في مركز الدعوة الرئيسي في سلمية ، حيث عكف على التأليف والقاء المحاضرات الدينية ، ويستنتج من تائيته المسماة باسمه ، أنه كان صوفيا بين الصوفيين ، وفقيرا بين الفقراء ، وأميرا بين الأمراء ، وعالما لا يشق لـه غبار بين العلماء ، وشاعرا فحلا بين فحول الشعراء ، أي أنه كان يلبس لكل حالة لبوسها •

لم يبق من مؤلفاته الكثيرة التي وضعها في سلمية وفقدت مع مرور الزمن الا تائيته العصماء ، وفيها النفحات الفلسفية الاسماعيلية ، ومبادىء الدعوة الباطنية ، وبعد أن أجرينا دراسة عميقة الجذور على تائيته ، تبين لنا أنه ينتمي الى آل البيت ويمت بصلة النسب والقربى الى الامام الاسماعيلي لقـوله :

واني من قوم هم زبدة الورى ... وهم بقياس كالمخيض لزبدة
لنا الشرف الأعلى الذي طود عزه ... تذل له أعناق كل قبيلة
ونحن لأهل الشرق والغرب قبلةٌ ... تصلي الينا سجداً كل ملة
وقد انزل الرحمن مائدةً لنا ... حوت كلَّ شيء من طعام ولذة
سيعرف من لم يعرف اليوم من أنا ... مقامي غداً ان كان من أهل شيعة[1]

(١) تائية عامر البصري نسخة خطية في مكتبتي الخاصة ورقة ٣١ .

ونستطيع أن نؤكد أنه كان داعيا وحجة للامام الاسماعيلي التاسع رضي الدين عبد الله الذي تسلم الامامة سنة ٢٢٥ هجرية وتوفي في سلمية سنة ٢٦١ هجرية ولا يزال ضريحه فيها • وفيه يقول عامر من تائيته :

هلموا اليه فهو منتظر الورى … وسر وجود الكل في كل آية
هو التاسع الفرد الجليل وعزه … سما وعلا في كل فكر برفعة
تظاهر منه الوحي بالنطق جارياً … على ألسن الأمجاد في كل دعوة
دعاة الهدى بالحق قام وجودهم … وأسرارهم تسري بعزم وقوة
من التاسع الفرد العلي تظاهرت … مواد العلى حتى بدت بالظهيرة
فياعارفاً للحق في كل وجهة … حظيت بنيل الفوز ثم السعادة
على الحاضر الموجود ألف تحية … من الجود في كل الوجود تجلت[٢]

وبعد دراسات طويلة ، وتنقيبات كثيرة قمنا بها استطعنا أن نستخلص من المصادر التاريخية الاسماعيلية السرية لمحة موجزة عن حياة هذا الشاعر الفحل والعالم الفيلسوف الكبير نوردها كما يلي :

هو عامر بن عبد الله بن حسين بن علي الهاشمي البصري ، ولد في مدينة البصرة حوالي سنة ٢١٧ هجرية ، تلقى علومه في مدارس الدعوة الاسماعيلية في البصرة ، ثم أخذ يتجول داعيا للامام الاسماعيلي المستور ، وظل ينتقل من قطر الى قطر حتى استقر به المقام في مدينة سلمية في سورية وتوفي هناك سنة ٢٧٨ هجرية •

وحتى تكون الفائدة أكبر وأعم رأينا أن نقدم بعض المختارات من تائيته والتي سنعمل في وقت قريب على شرحها والتعليق عليها في كتاب خاص[١]:

(١) المصدر نفسه ورقة ١٨ .

(٢) تم طبعها مؤخرا في معهد الدراسات الفرنسية بدمشق •

قال في التوحيد :

تجلى لي المحبوب من كل وجهة … فشاهدته في كل معنى وصورة
وخاطبني لطفاً بكشف حقائق … تعالت عن الاغيار حقاً وجلت
فقال أتدري من أنا فأجبته … بأنك يا محبوب أنت حقيقتي
فقال لذاك الامر لكنما اذا … تعينت الاشياء لي كنت نسختي
وأوصلت ذاتي باتحاد بذاته … بغير حلول بل بتخفيض نسبة
وصرت فناء في بقاء مؤيد … لذاتي بديمومة سرمدية
فيأخذ مني فأصبح سائلاً … لنفسي عن نفسي بنفسي لغيبة
وأنظر في مرآة ذاتي مشاهداً … لذاتي بذاتي وهو غاية غايتي
وأغدو وأمري بين حالين واقفاً … علومي تمحوني ووهمي مثبتي
عذابي عذاب في هواه وذلتي … لديه اذا ما دامها عين عزة
وتحقير قدري أن أراه تعظماً … وكتمان سري فيه حمل المشقة[١]

* * *

يزور بلا وعد ويخلف وعده … ويبخل أن ينوي ويسخو بجفوة
وينعم لي بالوصل حيناً وتارة … يحن على طرف المعنى بنظرة
ففي مقلتي من هجره فيض دجلة … وفي كبدي من صده لدغ حرقة
وأحلى وصال الحل ان ذقت طعمه … تجده اذا ما كان بعد قطيعة[٢]

* * *

هو الواحد الفرد الكبير بنفسه … وليس سواه ان نظرت بدقة
به كل حي وهو حي بذاته … فان شئت أن تحيا به فله مت
له كل عين في الوجود ير ى بها … له كل اذن في البرايا وعيت

(١) تائية عامر البصري نسخة خطية ورقة ١ .

(٢) المصدر نفسه ورقة ٢ .

له كل كف بالورى باطش به … له كل علم من علوم الحقيقة
كذلك ما قال الاله لآدم … على صورة كانت لخلقك خلقة
تناهى كمالاً فهو في كل حالة … بغير ازدياد لا ولا بنقيصة
هو الشاسع الداني الينا بنفسه … هو الغائب المشهور في كل بقعة
هو العاشق المعشوق في كل صورة … هو الناظر المنظور في كل لمحة
تجول عقول الخلق محدقة به … فلا يدركوا من برقه غير لمعة
تكاثرت الاشياء والكل واحد … صفات وذات ضمنت في هوية
تحجب عنا واختفى بظهوره … فضل فيه كل قوم بحجة(١)

* * *

فيا واحدا في كل شيء مشاهداً … اعاينه في خلوة بعد خلوة
اليك رحيلي ان رحلت وان أقم … فعندك لا عندي تكون اقامتي
أراك بعين العقل والحس دائماً … خفياً جلياً في رقادي ويقظتي(٢)

وها هو يقول في مكان آخر من القصيدة متحدثا عن الروح والسموات المتعلقة بالمواد وعن كيفية اظهار المبدعات من الوحدة الأحدية :

عجبت لروحانية ملكية … مخلدة ما ان تشيب بشيبة
وجوهرة من أمر ربي تعلقت … بجرم مزاج من لطائف مادة
مؤيدة دوماً بالهام خالق … مثال لها في ظلمة حندسية
مزاج لها قد خص من دون غيرها … وليس يغيب الدهر عنها بحالة
مقادير كيفياتها وموادها … معينة بالقسمة الأزلية
فعمرها فيه اجتماع ونسبة … قديمة عهد واتصال مودة
وبينهما عشق عظيم وصحبة … مؤكدة لا تنقضي بقضية

(١) تائية عامر البصري ورقة ٤ .
(٢) المصدر نفسه ورقة ٥ .

تهيم به من حسنه وكماله … هيام جميل من جمال بثينة
وتعشقه عشقاً عظيما مبرحاً … وتحرسه من كل سوء برأفة
فليس لها عنه انفكاك بحادث … وليس له عنها زوال بحيلة
ولست تراها منه في كل حالة … وان خلعت ما ألبسته بعرية(١)

وتحدث في أبيات أخرى عن معرفة اختراع النفس من الاسبق على رأي الانبياء والمحقين :

واعلم بأن النفس عين لجملة … وليست بذات مفرد ذي بساطة
فمن جعل المجموع من كل مفرد … بسيط نهى عن حق كل حقيقة
فعقلك سلطان واجناده القوى … لأعضائه والنفس شبه مدينة
عليها مدار الدائرة وفيضها … جلياً بدا من دوحة علوية
حجاب رقيب للنفوس بسره … به برز التالي الى الملكية
تحجب في ذي منظر خير الورى … وأشرق منه السر في كل صورة
فريد البقا فيه البقا وهو في البقا … محل البقا والنفس فيه كريمة
ومجمع هذا السر في الخلد شجرة … تسمت بزيتونة اقدسية (٢)

وفي ذكر المبدأ والمعاد ووجود الفلك المحيط وتركيب الافلاك وسريان الكواكب ودور الامام التاسع بالنسبة يقول :

ولي صورة محصورة العد طبعها … رجوعي اليها بعد حين بردة
فأبدوا بها في حالة بعد حالة … وآخرها يتلوه أول نشأة
قيامتي الصغرى بخلعي وانما … قيامتي الكبرى بتتميم دورة
فأخفي زماني عن ملاحظة الورى … وأبدو كما قد كنت في حال بدأة
وليس الذي حققته بتناسخ … فتختلف الأعيان في كل عودة

(١) المصدر نفسه ورقة ١٠ .
(٢) تائية عامر البصري ورقة ١٢ .

واني لأبدو كالبـدور كوامل / وأخفي كما تخفي صغار الأهلة
ليظهر مني باطناً بعد ما اختفى / ويبطن مني ظاهراً بعد مكثة
وأرجع من بعد استتاري بارزاً / اليه كما قد كنت في بدء فطرة
فأنهض حياً مثلما كنت قائماً / وأعجب شيئاً سر هذي السريرة
وما عدمت تلك النفوس وانما / تغيب وتبدو تارة بعد تارة
فهل فيكم يا معشر الاهل ناشر / مقالات أسرار حوتها صحيفتي
فيفهم ما معنى الوجود بذاته / بأطلاقه من كل قيد وعقلة
ويعلم ما معنى المعاد وما الذي / يراد به من اوبة بعد شقوة
وقد دار هذا الفلك دورة قدرة / وحاط بأحوال الزمان بحكمة
ولما تبدى في بدائع قوة / من الجهة العليا بأجسام ستة
ترتبت الأفلاك في دور سبعة / بأكنافها في دورة بعد دورة
وما دارت الأفلاك الا بأنجم / تلوح بها من فيض نور الهداية
ورتب اجرام النجوم بجوه / وأشرق منه الفيض في كل طرفة (1)

* * *

كذلك بالافلاك لاحت بدورها / كترتيب أشكال الحدود المقيمة
وفي كل جرم حل عزم وجوهر / بمعنى لطيف شكله بالاشارة
كواكبها لاحت بجوهر مطلق / لها من بديع العصر أعظم سطوة
هي السر والأجرام شكل وجودها / ومظهر أشباح الجواهر سبعة (2)

وها هو يظهر شوقه العظيم لمشاهدة طلعة امامه المستور الذي كان على ما يظهر بعيدا عنه :

امام الهدى حتى متى أنت غائب / فمن علينا يا ابانا بأوبة

(1) المصدر نفسه ورقة ١٥ .

(2) تائية عامر البصري ورقة ٢٠ .

تراءت لنا آيات جيشك قادما / ففاحت لنا فيه روائح مسكة
وبشرت الدنيا بذلك فاغتدت / مباسمها مفترة عن مسرة
مللنا فطال الانتظار فجد لنا / برؤياك يا قطب الوجود بنظرة
سندعوك ان امر" عنانا لاضرنا / ومثلك من يدعى لكل ملمة
برزت لنا في صورة العلم أولا / وعلمتنا أوضاع كل شريعة (1)

وهنا ينهج نهجا جديدا فينثر الحكم والمواعظ بدلا من الفلسفة وعلوم الكواكب والنجوم :

فمن يأت خيراً فهو مدخر له / يجده وفعل الخير خير ذخيرة
تخلّق بأخلاق الاله مقدساً / لنفسك عن أوساخ كل رذيلة
وقم بحدود الدين واحفظ حدوده / وارعى له ترعى به حق حرمة
وحدّث بحق ان نطقت تفز به / والا فلا تنطق بجهل وانصت
ولا تك منقاداً لطبعك طيعاً / فيلقيك يا مسكين في كل بلدة
واياك أن تمشي أسيراً لقرية / واياك أن تغدو صريعاً لقهوة
ولا تك ممن يشرب الخمر دائماً / فيصرع منك العقل أية صرعة
ولا تكثرن الهزل في كل مجلس / ولا القول الا في امور مفيدة
ولا تكثرن الجمع للمال مائلاً / اليه بحرص مفرط وخساسة
ولا تك متلافاً ولا ممسكا له / فتصبح ممقوتاً به شر مقتة
وكن حاملاً أثقال قومك دافعاً / بسعيك عنهم كل شر وضرة
وكن راعياً عن الخليل وان جفا / أخوك بجهل أو بحقوق الاخوة
وكن شاكراً لله في كل حالة / ولا تظهر الشكوى اذا النفس زلت (2)

ويتحدث عن نفسه والمكانة العلمية السامية التي كان يتمتع بها في

(1) المصدر نفسه ورقة ٢٦ .

(2) المصدر نفسه ورقة ٣٠ .

الاوساط العلمية ، ويذكر بعاده وهو يتجول في سيواس وبلاد الروم الى لقاء امامه بعد أن زحف الشيب الى مفرقيه :

وما مانعي منها ونفسي أبية ... وعزمي ماض والليالي ممدتي
وقد شملتني من الهي عناية ... وايدني منها الزمان بستة
سخاء وعلم راسخ وشجاعة ... وحزم واقدام وارهاق عزمة
وعزمي وحزمي في صاحبي ومركبي ... جناني وتفويضي الى الله جنتي
ولا عمل لي غير علمي وفكرتي ... ولا شافع لي غير اخلاص نيتي
وما شبت من طول السنين وانما ... خطوب صروف الدهر شيب لمتي
تجرعت أحداث الزمان وذقتها ... بطعمي جناها حلوة بعد مرة
فلم أر في الدنيا أشد نكاية ... بقلب محب من فراق الأحبة[1]

* * *

أقمتم بأكناف العراق وحبكم ... بسيواس ملقى في ديار بعيدة
يجوب جبال الروم سعياً وانه ... يدوم مراماً دونه كل غاية
بعيداً عن الاوطان فرداً مشتتا ... طريداً عن الخلان في كل بلدة
فطوراً تراني فوق صهوة سابح ... وطوراً اوارى فوق كور وشملة
ولست ابالي ان أكلت لقيمة ... وبت ورأسي مسنداً فوق لبنة
وطوراً تراني راجلاً بين رجلة ... وطوراً تراني فارساً وسط قفرة
وطوراً ترى الديباج ثوبي وتارة ... تراني ملفوفاً بأقدم شملة
ولا فرق عندي بين يابس كسرة ... إذا نلتها يوماً وبين لقيمة
ولا بين نومي فوق خز مسردق ... وبين مبيتي فوق صخر وتربة
لساني قومي والتفكر جعبتي ... ولفظي سهامي والمعاني حقيقتي
وعقلي سلطاني ونطقي حاجب ... وجسمي عرشي والملوك رعيتي

(١) تائية عامر البصري ورقة ٣٢ .

وصدقي صديقي والعفاف ملازمي ... وسري سميري والمعاني جنتي
وصبري معيني واحتمالي مساعدي ... وحلمي أنصاري وعلمي وسيلتي
وفقري غناء وانشغالي فراغتي ... ومالي تجريدي وكنزي قناعتي
فان سلمت روحي فلله درها ... والا فهذا كان مقدار طاقتي[1]

هذه أبيات مختارة من تائية الشاعر الكبير عامر البصري فعسى أن يكون القارىء فكرة صحيحة عن هذا الشاعر المغمور ، وما أكثر المغمورين في تاريخ الدعوة الاسماعيلية .

* * *

(١) المصدر نفسه ورقة ٣٣ .

غريب ميرزا بن عبد السلام شاه

(العباس بن عبد السلام)

هو العباس بن عبد السلام شاه ، ولد سنة ٨١٥ هجرية في مدينة (بابك) اشتهر وعرف (بغريب ميرزا) جلس على عرش الامامة الاسماعيلية بعد وفاة أبيه سنة ٨٩٩ هجرية • فاحتفل اتباعه بهذه المناسبة في كافة الاقطار التي يعيشون فيها لمدة اسبوعين ، وبانتهاء الاحتفالات نقل مركز امامته الى بلدة (انجودان كادرخانة) من مقاطعة كاشان • بعد ان ساءت العلاقات بينه وبين الصفويين (١) وحصلت حروب كثيرة وثورات داخلية هامة أضرمتها القبائل التي كانت تقطن في غربي ايران وشرقيها ، وشنت قبائل التركمان غاراتها على البلاد واشعلت الثورات في كافة المناطق ، وتجمع كافة الاسماعيليين الموجودين في ايران في محلات ، وكاشان ، وأعلنوا انهم لن يتدخلوا في الامور السياسية ، وفي مشاكل ايران الداخلية ، وفضلوا ان يوجهوا اهتمامهم للزراعة والعبادة والانقطاع (الدروشة) • بينما عمد الامام غريب ميرزا الى بناء المساكن للوافدين من الاسماعيلية الى تلك المنطقة ، فخصص المبالغ الطائلة من ميزانية الاسماعيلية ووضعها تحت تصرف أخيه الاصغر الامير (نور الدين) فشيد الملاجىء والمساكن للمتعبدين المنقطعين عن عالم السياسة ومشاكلها وأطلق على تلك الاماكن (نور أباد) تيمناً به •

وتذكر المصادر التاريخية ان الامام غريب ميرزا أناب عنه أخاه نور الدين في مركز الدعوة بايران وتوجه بجولة تفقدية متخفياً بلباس (الدراويش) حيث

(١) نور مبين حبل الله المتين : جنارا : ص ٥٢٢ ، الشيعة في الهند Hollister : ص ٣٣٤ •

زار اتباعه في أفغانستان وبلوجستان وبامير ، ومن ثم توجه الى الهند حيث استقر مدة عام تقريبا في السند والبنجاب يجري المباحثات والترتيبات اللازمة لنقل مركز امامته الى الهند ، لانه رأى بثاقب نظره ان الاقامة في ايران أصبحت صعبة جداً نتيجة للمشاكل الداخلية التي عمت البلاد من أقصاها الى أقصاها وبعد أن أعد العدة عاد الى فارس فأصابته عوارض مرضية شديدة توفي على أثرها سنة ٩٠٢ هجرية ودفن في مدينة (انجودان) ولا يزال ضريحه حتى الآن مزارا يأتيه الاسماعيلية من الهند والباكستان وأزربيجان للزيارة ، كما أن أغلب سكان تلك المقاطعة لا يزالون من الاسماعيلية يعيشون كمواطنين عاديين ويبلغ تعدادهم ثلاثين أو أربعين ألف اسماعيلي يمتهنون الزراعة وصناعة السجاد •

وقيل ان الاسماعيليين في بلاد الشام بدأوا يشعرون بالاستقرار بفضل الخدمات التي قدمها لهم الداعي القاضي ابو النصر الديلمي الذي كان ممثلا للامام في تلك البلاد (١) •

وعلى العموم لم تستمر امامة غريب ميرزا سوى ثلاثة أعوام قضاها في التجوال لاجراء الترتيبات بشأن نقل مركز الامامة الى مكان أمين حيث يستطيع الأئمة من بعده أن يعيشوا بسلام •

* * *

(١) نفس المصدر : ص ٥٢٤ ، تاريخ الدعوة الاسماعيلية : مصطفى غالب : ص ٢٤٠ •

عبد السلام شاه

هو محمود بن المستنصر بالله الثاني ولد في مدينة (بابك) سنة ٨١٤ هجرية وأصبح اماماً للاسماعلية بعد وفاة أبيه سنة ٨٨٠ هجرية فلقب بـ (عبد السلام شاه) كونه كان محباً للسلام ، وفي نفس السنة أقام الاسماعيليون في مدينة (بابك) احتفالا كبيراً حضرته وفود من جميع البلاد التي يقطنهـا الاسماعيلية بمناسبة تسلم عبد السلام شاه الامامة ، وبعد أن القيت كلمات الوفود في هذه المناسبة وقف الشاعر الاسماعيلي الكبير خاكي الخراساني والقى قصيدة عصماء باللغة الفارسية مطلعها [١] :

ياصاحب الزمان نظري كن بحـال   در لطف خودنكر مسنكر در فعال

وختمها بقوله [٢] :

خاكي رضاي حضرة مولاي خودطلب   اذبحر وصل نيست جزاين اتصال

وفي هذا المهرجان أعلن الامام عبد السلام شاه عن احداث تنظيمات جديدة في نظم الدعوة وخاصة في الوظائف الدينية : فأصبح اسم داعي الدعاة أو الحجة أو البير يحمل لقب (مثل الامام) أو (وكيل) وأبدل كلمة مرشد ، بلقب (مكي) وعين ناظراً للمالية في كل مدينة او مقاطعة اطلق عليه اسم (كماديا) الخ ..

وأعلن عن رغبته بأن تصرف وتنفق كافة الاموال التي تجمع على المشاريع العمرانية والثقافية والصحية ورتب للموظفين الدينيين المعاشات الشهرية .

---

(١) نور مبين حبل الله المتين : جنارا : ص ٥١٨ .

(٢) ديوان خاكي الخراساني : تحقيق آصف فيض : ص ٣ .

وكان الاسماعيليون يحتفلون بمناسبة عيد جلوس الامام في كل عام فيقدمون للامام التحف والهدايا والاموال . وقيل أن أحوال الخمس والزكاة التي اعتاد الاسماعيلية تقديمهـا للامام منذ أقدم العصور كـانت تجبى بواسطة لجان خاصة وتقدم للامام في يوم عيد جلوسه على مسند الامامة من كل عـام .

ومنذ ذلك الوقت اطلق على الاسماعيليين الهنود لقب (الخوجة) لان أغلبهم كانوا يعملون في التجارة والصناعة ، وقليل منهم من كان يهتم بالامور السياسية .

وعلى العموم انتشرت في عهد الامام عبد السلام شاه الاسماعيلية في مناطق وبلاد جديدة كبورما ومدغشكر وسيلان ، وازداد عددهم في مقاطعتي (ديز أباد ، وقاسم أباد) وتحسنت علاقاتهم مع الجوار . وكان الملوك الصفويون ينظرون الى الامام الاسماعيلي نظرة خاصة وقيل انهم كانوا يطلبون ارشاداته في جميع مشاكلهم السياسية والاجتماعية ، لما كان يتمتع به من مكانة علمية وأدبية مرموقة ، ولقد اتحف المكتبة الاسماعيلية بمؤلفات لا تزال تحتل مكان الصدارة في خزائن كتب الاتبـاع ومنها : كتاب مدائن الاسرار . ويبحث في أسرار العقائد الاسلامية والامور الروحية الالهية ،وكتاب (العقائد الاسماعيلية) وديوان شعر يتألف من قصيدة واحدة واسمه (القصيدة) ويتألف من ٢٠٠ صفحة . وازدادت صلة الاسماعيليين السوريين في مركز الامامة ولكنهم ظلوا يعيشون بالستر والتقية دون ان يجرؤا علـى اظهار عقـائدهم خشية بطش الاعداء من بقية الطوائف وفي سنة ٨٩٩ هجرية توفي الامـام عبد السلام ودفن في بابك [١] .

* * *

---

(١) تاريخ الدعوة الاسماعيلية : مصطفى غالب : ص ٢٣٨ .

أبو عبد الله بن أحمد النسفي البردغي

هو أبو عبد الله بن أحمد النسفي أو النخسبي البردغي تتلمذ على الداعي الكبير الامير الحسين بن علي المروروزي ، داعي خراسان ، وكان من ألمع وأعظم تلامذته علماً ودراية ، وقد نهج النسفي نهج استاذه المروروزي في التقرب الى أمراء وكبار القواد في عصره الذين كانوا في حكومة نصر بن أحمد الساماني فاستطاع ان يؤدي مهمته على أكمل وجه ويجذب الى الاسماعيلية كثير من أهالي خراسان ، وعبر نهر جيحون متوجهاً الى بخارى حيث نجح نجاحاً عظيماً بفضل مساعدة أكثر الامراء الذين دخلوا في مذهبه ، ولقد اثمرت جهوده التي بذلها لاستمالة نصر بن أحمد الساماني الذي رحب بمبادئه وطلب مقابلته ، مع أن نصراً هذا ، كان من اكبر مناهضي المذهب الاسماعيلي ، وهو الذي قبض على المروروزي استاذ النسفي وسجنه حتى مات ، وما كادت تتم المقابلة حتى طلب النسفي دية استاذه ومقدارها ١١٩ ألف درهم ليرسلها الى الامام الاسماعيلي فكانت موافقة الامير الساماني على دفع هذه الدية دليلا على تفانيه واخلاصه للمذهب الاسماعيلي وللامام الفاطمي [1] .

وفي الحقيقة تعتبر علاقة النسفي بالبيت الساماني فصلا ممتعا في تاريخ الاسماعيلية في تلك البلاد أيام عهد الامام عبيد الله المهدي ، لان النسفي أصبح صاحب الامر والنهي في دولة نصر بن أحمد الساماني فضاعف جهوده في جذب الناس الى المذهب الاسماعيلي ، مما أثار عليه نقمة كبار رجال الدولة السامانية من السنيين وخصوصا العلماء ورجال الدين الذين اخذوا يكيدون له ولانصار الاسماعيلية .

(١) تاريخ الاسماعيلية السياسي لطه أحمد شرف ج ١ ورقة (٢٤٦ — ٢٤٨) .

ويحدثنا ابن النديم [1] فيقول : ان نصر بن أحمد الساماني ندم في أخريات حياته على اندفاعه وراء النسفي . ولما مات جمع ابنه نوح الفقهاء لمناظرة النسفي فلما أفحموه قتله وقتل معه كثيرين من رؤساء الدعاة ووجوههم من قواد نصر الذين دخلوا في المذهب الاسماعيلي .

ويرى نظام الملك [2] أن قواد نصر من السنيين هم الذين دبروا المؤامرة على العرش الساماني ، لان نصر الساماني انضم الى المذهب الاسماعيلي وقرب اليه دعاة الاسماعيلية فصمموا على عزل نصر وتنصيب كبير قواده على العرش، وعولوا على اقامة مهرجان كبير يعلنون فيه بدء ثورتهم .

الا ان أحد المجتمعين أفشى هذه المؤامرة لنصر بن أحمد وابنه نوح ، فتحايلا على كبير القواد وقتلاه ، ثم تنازل نصر عن الامارة ، وتولى بعده ابنه نوح الذي عمل على مطاردة الاسماعيلية بعد أن قتل النسفي . وان ما حل بالاسماعيلية يعد نكبة كبرى ، حتى انهم أطلقوا عليها اسم « المحنة العظمى » ولقد كان لهذه المحنة أثرها في وقف انتشار الدعوة الاسماعيلية في بلاد ما وراء النهر الى أن رفع ناصر خسرو منارها بعد قرن ونصف قرن تقريبا [3] .

والخلاصة ان النسفي قام بدور سياسي خطير في تلك البلاد فألف جبهة قوية موالية للعقيدة الاسماعيلية واستطاع ان ينشر المذهب الاسماعيلي بقوة في خراسان وما وراء النهر ، ولقد فاق النسفي كثيرا من الدعاة العلماء ، فذاعت شهرته في عالم الادب وفي فلسفة المذهب الاسماعيلي ، واعتبر من كبار أحرار الرأي في خراسان . ومن مؤلفاته [3] :

(١) الفهرست ص (٢٢٦) .

(٢) سياسة نامة ج ٢ ص (٢٨١ — ٢٧٨) .

(٣) تاريخ الدولة الفاطمية حسن ابراهيم حسن ص (٤٧٠ — ٤٧١) .

(٤) A Guide to ismaili Literature : by Ivanow

١ ـ كتاب المحصول ويتألف من ٤٠٠ صفحة جله في الفلسفة وهو أول كتاب عقائدي وضع للتداول والمناقشة في الوسط الاسماعيلي وبعضهم ينسب هذا الكتاب للكرماني والرأي الاول هو الارجح وهـذا الكتاب مفقود ولا وجود له ٠

٢ ـ كتاب عنوان الدين ٠

٣ ـ كتاب الدعوة الناجية ويتألف من ٧٠٠ صفحة في جزأين (١) ٠

٤ ـ كتاب أصول الشرع ويبحث في الفقة الاسماعيلي وفلسفة ما وراء الطبيعة ٠

٥ ـ كتاب كون العالم وهو خاص بالفلك ووصف العوالم وهو مؤسس على المبادىء الدينية ٠

ولقد ذكره الكرماني في كتاب الرياض فقا لان النسفي كان يرمي من وراء تأليف كتابه المحصول الى التوفيق بين أبي حاتم الرازي وزميله او بالاحرى تلميذه أبي يعقوب السجستاني ٠

وكما ذكرنا آنفاً ، فقد قتل هذا الفيلسوف الكبير سنة ٣٣١ هجرية ٠

* * *

(١) أسماء صاحب الفهرست ص ٢٨٢ ط المكتبة التجارية : (كتاب الدعوة المنجية) ٠

عبد الله بن عباس الشاوري

بالرغم من تنقيباتنا الكثيرة لم نعثر على تاريخ حياة هذا الداعي الذي تسلم رئاسة الاسماعيلية عقب وفاة الداعي ابن حوشب الملقب بمنصور اليمن، وكل ما تمكنا من معرفته ما جاء في كتاب الداعي ادريس (١) حيث قال : « كان من أجل الدعاة مع منصور اليمن ؛ فقد أرسله ابن حوشب الى مصر ، فاستقر فيها مدة هناك معلماً للصبيان وداعياً ، فاستجاب لدعوته خلق كثير ، ثم عاد الى اليمن » ٠ وزاد الجَندي فقال (٢) : « وكان من أصحاب المنصور وخصيصاً به ، وكان قد أرسله الى المهدي برسالة وهدية ، وصار عند المهدي منه صورة ومعرفة » ٠

وقيل أن منصور اليمن قبل وفاته قد سلم أمر رئاسة الدعوة للشاوري وأوصى أولاده باطاعة أوامره ومؤازرته في مهمته الجديدة ٠ ولما توفي ابن حوشب كتب الشاوري الى الامام المهدي يعلمه بالامر ، وأخبره بأنه يقوم بأمر الدعوة ريثما تأتي أوامر الامام ؛ وفي الوقت نفسه كان الحسن ابن منصور اليمن يرى أن من حقه أن يخلف أباه في تولي رئاسة الدعوة لذلك رحل الى بلاد المغرب ، وقابل الامام المهدي وطلب منه أن يوليه رئاسة الدعوة بعد أبيه ، ولكن الامام أعلمه بأنه قد أقر تعيين الشاوري قبل قدومه ، وبعث له بسبع رايات ٠ فعاد الحسن الى اليمن دون ان تتحقق رغبته (٣) ٠

وعلى هذه الصورة تسلم الشاوري رئاسة الدعوة في اليمن ، وكان من

(١) عيون الاخبار ٣٨/٥ ـ ٣٩ ٠

(٢) السلوك للجندي (ص ١٥٠) ٠

(٣) كشف أسرار الباطنية (٤٠) ٠

أكبر دعاة تلك البلاد ، عالماً فيلسوفاً أديباً قدم للدعوة اليمنية خدمات عظيمة .

ولكن الحسن بن منصور اليمن لم يرض عن هذا التعيين واعتبر ان الشاوري قد أغتصب رئاسة الدعوة منه فحقدها عليه ، وصار هو واخوته يواصلون مداراته ، وهو يكرمهم ولا يحجب أحداً منهم بل يدخلون عليه متى شاءوا ، ومع ذلك فان الحسن فكر في التخلص منه وعرض الامر على أخيه الحبر التقي الورع العالم الجليل جعفر بن منصور اليمن فنصحه وقال له : « ان أمرنا اذن يتلاشى ، ويزول ملكنا ، وتفترق هذه الدعوة ، ويذهب الناموس الذي نمسناه على الناس ، فلا تحدث نفسك بهلاكه ، فتهلك » [١] فلم يلتفت الحسن الى قول أخيه وكتم السر في نفسه ، حتى دخل على ابن عباس في بعض الغفلات فقتله غدراً واستولى على ما بقي من دولة أبيه .

ولم يكتف الحسن بما فعل ، بل نهج سياسة جرت عليه وعلى بيته ومذهبه النكبات ، حين أعلن خروجه على الدعوة واعتناقه المذهب السني .

* * *

(١) كشف أسرار الباطنية (٤٠) .

عبد الله بن علي بن أحمد الحلواني

يعتبر (الحلواني) من الدعاة الافذاذ الذين خلدوا أسماءهم في عالم الدعوة الاسماعيلية . قيل انه ولد في العراق وانضم الى مدرسة الدعوة في سلمية ، فأظهر نبوغاً عجيباً ، في علم الفلسفة والتأويل ومن الارجح أنه اشترك في تصنيف رسائل اخوان الصفا . وبعد ان وقع عليه الاختيار ليرافق أباسفيان الى المغرب ، نزل بموقع يسمى [١] (سوق حماد) ، وأخذ ينشر دعوته بين القبائل ، فاستجاب اليه خلق كثير باعتبار أن أهالي تلك البلاد كانوا تواقين الى من ينقذهم من الحالة التي يتردون فيها . وكان يبشرهم بقرب الفرج ، ويقول لهم بأن الشمس ستشرق ، وستقام بين ظهرانيهم دولة العدل والرخاء المنشودة ، وسيظهر من يملأ البلاد عدلا كما ملئت جوراً وعسفاً .

التفت قبائل المغاربة حوله بعد ان ملئت قلوبهم بالأمل ودب في نفوسهم الحماس وعلى هذه الصورة حرث الارض واعدها لصاحب البذر .

وتدل المصادر الاسماعيلية على أن هذا الداعي الكبير كان متبحراً بالعلم ، قوي الحجة ، دأب على التنقل لنشر دعوته في مختلف المناطق .

وتذكر له بعض المصادر الاسماعيلية السورية عدة مؤلفات جلها في الفلسفة وعلم التأويل ، كما وردت له في بعض المخطوطات الاسماعيلية السورية عدة ارجوزات واشعار قالها في مدح العترة الطاهرة وفي مناقب آل البيت .

ولكن أكثر مؤلفاته فقدت كما فقد غيرها من المؤلفات الاسماعيلية . وظل يعمل باخلاص ووفاء حتى توفي في سنة ٢٦٤ هجرية .

(١) الكامل لابن الاثير ٨/١١٠ .

عبد الله بن محمد بن اسماعيل
(الوفي أحمد)

يعتبر الامام (أحمد الوفي) عبد الله بن محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق من ألمع أئمة دور الستر الاول ، وأكثرهم علماً ، ساهم في النشاط الفكري مساهمة فعالة فألف كتابه المعروف باسم (رسائل اخوان الصفاء) رغبة منه في المحافظة على الدين الصحيح ، وحتى لا تطغى البدع الفلسفية التي راجت في عهد الخليفة المأمون العباسي على التفكير الاسلامي .

ان أقوال المؤرخين متضاربة ومختلفة أشد الاختلاف حول تاريخ ومكان ولادة هذا الامام ، يقول بعضهم انه ولد في بلدة (محمود آباد) سنة ١٧٩ هجرية ، ويقول آخرون : انه ولد في (عسكر مكرم[1]) سنة ١٦٩ هجرية ، وقيل أيضا أنه ولد في البصرة بين (١٦٠ — ١٦٥) هجرية . وبعد مراجعة كافة النصوص التاريخية الاسماعيلية الموجودة لدينا نستطيع ان نرجح أن ولادته كانت في عسكر مكرم سنة ١٧٩ هجرية وفيها نص على امامته بعد وفاة أبيه عبد الله ولقب (بالوفي) واتخذ حجة له عبد الله بن ميمون القداح ، وازداد في التستر والخفاء ، ثم خرج سراً من عسكر مكرم الى (زامهر) ومنها الى الديلم ، وهناك تزوج بامرأة من الاسرة العلوية والدها الامير علي الهمذاني ، فرزق منها ولداً لقبه (محمد التقي) .

ولقد انتشرت دعوته انتشاراً واسعاً في بلاد العرب وفارس واستجاب

(١) عسكر مكرم بلد في نواحي خوزستان ، منسوبة الى مكرم بن معزاء الحارث صاحب الحجاج بن يوسف وقد نسب اليها قوم من أهل العلم ، منهم العسكريان : انظر معجم البلدان لياقوت .

الدعاة ، وقد حفر سرداباً في الصحراء حتى داخل بيت الامام في سلمية لدعوته خلق كثير . ولما تسربت أخباره الى الخليفة العباسي المأمون ، وعرف نشاطه وجهوده واستجابة الناس الى دعوته ، تقرب الى العلويين ، وجعل هذا التقرب وسيلة للايقاع بالامام المستور احمد الوفي عبد الله ؛ ويحدثنا التاريخ ان الكثيرين من الدعاة قتلوا في هذه الفترة لاعتقاد المأمون انهم من الأئمة ؛ وعندئذٍ اضطر الامام الى مغادرة الديلم قاصداً معرة النعمان في سورية ، فأقام فيها مدة ثم غادرها بعد ذلك الى سلمية ، حيث جمع حوله نخبة من كبار الدعاة والعلماء ، فخطط لهم الأنظمة الخاصة بالدعوة وترتيباتها، ثم قام بوضع احدى وخمسين رسالة فلسفية دعاها (رسائل اخوان الصفاء وخلان الوفاء) وتقول المصادر الاسماعيلية أن السبب في تأليف هذه الرسائل هو : أن المأمون العباسي أراد أن يظهر علم الهيئة ويجعل معرفتها الدين ، وان الهيئة المبدأ والمعاد ، وعلى معرفتها الحساب والثواب والعقاب ، ليرى الخلق أن الذي جاء به محمد (ص) لا أصل له ، وان الصحابة لما لم يتقينوا ذلك عملوا بعلي عليه السلام ما عملوا ، وانهم في ذلك مصيبون ، وان لا ذنب عليهم ولا عيب ينسب اليهم في قتل ذرية النبوة قضاء بباطل من دعاء قريش ، فلما علم ولي الحق ذلك صنف الرسائل[1] ويذكر التاريخ ان الذين قاموا بتأليف هذه الرسائل كانوا من العلماء ، فامامهم عالم كبير ومؤلف ذائع الصيت، وحجته عبد الله بن ميمون القداح من أبرز علماء عصره ودعاته ممن نبغوا في العلم في عصرهم ، ولقد لخص الامام هذه الرسائل برسالة واحدة سماها (الرسالة الجامعة[2]) وألف رسالة أخرى جمعت علوم جميع الرسائل وسماها (جامعة الجامعة[3]) .

(١) زهر المعاني لادريس عماد الدين ص (٦٠ — ٦١) .

(٢) حققها الدكتور جميل صليبا ونشرها المجمع العلمي العربي بدمشق في جزأين .

(٣) حققها الاستاذ عارف تامر ونشرها دار العلم للملايين ، بيروت لبنان .

وعندما عثر المأمون على تلك الرسائل أمر بالبحث عن مؤلفيها المجهولين فذهبت محاولاته أدراج الرياح ٠

وهكذا أصبحت سلمية قاعدة رئيسية للدعوة الاسماعيلية ودار هجرة الأئمة المستورين يرسلون الدعاة منها الى مختلف البلدان والاقاليم لبث الدعوة باسم الامام أحمد بن عبد الله ويذكر التاريخ ان اموال الزكاة كانت تصل الى سلمية باستمرار من جميع المناطق التي يسكنها الاسماعيلية بواسطة الدعاة ، وقد حفر سرداباً في الصحراء حتى داخل بيت الامام في سلمية طوله خمسة عشر ميلا ، وكانت الاموال والذخائر تحمل على الجمال فيفتح لها باب السرداب في الليل وتنزل فيه باحمالها عليها حتى تحط في داخل الدار ويخرج في الليل ثم يهال على باب السرداب بالتراب فلا يدري به أحد [1] ٠

وفي سلمية نص على امامة ولده (محمد التقي) [2] على مشهد من رجال دعوته وانتقل الى مصياف ومات فيها ودفن بأعلى قمة جبلها بسكان سمي المشهد ، وكان ذلك سنة ٢١٢ هجرية ٠

* * *

(١) سيرة جعفر الحاجب (١٧) ٠

(٢) أحمد بن عبد الله بن محمد بن اسماعيل ٠

عبد الله بن ميمون القداح

يعتبر عبد الله بن ميمون القداح في طليعة حجج الأئمة الاسماعيلية المستورين ، ومن أعظم منظمي أصول المذهب الاسماعيلي ٠ كان واسع الاطلاع غزير العلم في معرفة جميع المذاهب والاديان ، ومن أهم الشخصيات العلمية الفلسفية في عصره ، لعب دوراً هاماً في تكوين عقائد الاسماعيلية وتنظيماتها السرية ، وقد وصفه المقريزي [1] بقوله : كان عالماً بجميع الشرائع والسنن والمذاهب ، وكان يتعاطى الطب وعلاج العين ، ويقدح الماء النازل فيها ٠

اعتمد في تنظيماته المذهبية على الفلسفة ، وأعد نخبة من الدعاة الذين دربوا على فنون الالقاء والتأثير في النفوس ، ووضع شروطا يجب أن تتوفر بالداعي أهمها : أن يكون على جانب كبير من الذكاء والفصاحة والجاذبية في الحديث ، كما أوجد هيئات علمية منظمة خصص جماعة منها لتدريب الدعاة وتلقينهم فنون الجدل ، ولقد استعان على اتصالاته بالدعاة في مختلف بلدان العالم بالحمام الزاجل ، كما نادى بنظرية الامام المستور فقال ، انه مصدر العلم والعرفان وان الوصول اليه لا يكون الا عن طريق الحجة ، وبذلك تمكن من جذب كثير من الشيعة الاثنى عشرية الى اعتناق المذهب الاسماعيلي ، وبالفعل نجح في نشر الدعوة الاسماعيلية في كثير من البلاد الاسلامية ٠

تاريخ حياة عبد الله بن ميمون احيط بهالة من الغموض والمبالغات حتى ان أغلب المؤرخين ذهبوا الى القول بأن هذه الشخصية الفذة لا وجود لها الا في مخيلة الاتباع والمريدين وفي روايات بعض المؤرخين ٠ وقيل أيضا : أنه لما مات أبوه ميمون ادعى الانتساب الى علي بن أبي طالب عن طريق اسماعيل

(١) خطط المقريزي ج ٢ ص ٣٤٨ ٠

ابن جعفر الصادق ، وانه لم يشتغل بالقداحة لوجه الله بل بغية جذب الاشياع[1]
وذكر أنه كان من غلاة الشيعة ديصاني المذهب ، شعوبياً كأبيه ، وانه اتخذ
علم الفلك (النجامة) وسيلة للتغرير بالناس [2] ويذكر مؤرخو الشيعة
الاثنا عشرية أنه قام بدور هام في تاريخ الاسماعيلية منذ مطلع القرن الثالث
وانه كان محدثا ، وبينوا الاشخاص الذين رووا عنه ، وجعله الكاشي في كتابه
معرفة الرجال راوية للأئمة ، ومؤلفاً له من الكتب كتاب (مبعث النبوة)
وكتاب (صفات الجنة والنار) [3] وتجمع المصادر الشيعية على أنه كان
معاصرا لمحمد الباقر وابنه جعفر الصادق ، وذكروا انه كان محدثا اثنا عشريا
ظل على وفائه للامام موسى الكاظم .

وفي بعض الاحيان تتفق المصادر الشيعية مع السنية فتقول : انعبدالله ابن
ميمون القداح اغتصب الامامة من ابناء محمد بن اسماعيل ثم دعا لابنه
ولنفسه ، ومع ذلك لم يرموه كما رماه مؤرخوا السنة بالزندقة والالحاد
والشعوبية .

أما المصادر الاسماعيلية فتضفي عليه هالة من الاجلال والاحترام ، فيقول
الداعي ادريس عماد الدين في كتابه زهر المعاني : ان عبد الله كان حجة للامامين
عبد الله بن محمد بن اسماعيل وأحمد بن عبد الله ،ويرى الاسماعيلية فوق
هذا ان عبد الله من سلالة سلمان الفارسي ، كما يعتبره من دعاة الرّزية
(أساس) الأئمة الاسماعيلية المستورين .

ومن استعراض هذه الآراء والاقوال المتضاربة المتناقضة نستخلص الى
القول ان عبد الله كان كأبيه ميمون شخصاً محترماً خلف أباه في رئاسة الدعوة
الاسماعيلية وأصبح الساعد الأيمن للامام المستور ، وانه كان شخصية فذة

(١) نهاية الارب للنويري ج ٢٦ ورقة ٢٢ ، ٣٣ .
(٢) ابن النديم الفهرست ص. (٢٦٧) .
(٣) فهرست كتب الشيعة ص ص (٩٧) .

لها مكانتها في نفوس الاسماعيلية حتى انهم سلموا اليه قيادهم ؛ وأما ما ذهب
اليه المؤرخون من سنة وشيعة ليس له أية حقيقة ، ولم تؤيده المصادر
والوقائع والاحداث ، فهل من المعقول أنه كان كما يدعون ثنويا ديصانيا وقد
تعشق الأئمة الاسماعيلية وتفانى في خدمتهم ، واستمات لنشر دعوتهم ؟ أما
ما ذكر أنه عاصر الباقر والصادق في أوائل القرن الثاني الهجري فلا يعتمد
عليه لان أغلب المصادر الموثوقة تشير الى انه عاش في القرن الثالث حتى قابل
دندان بعد سنة ٢٦٥ هجرية .

أما ما أورده المؤرخون عن نشأته ومولده فقد جاءت معلوماتهم وأقوالهم
متضاربة متفاوتة لذا نستطيع ان نستخلص منها بأن ولادته كانت في أواخر
حياة أبيه ميمون أي في نهاية القرن الثاني لا في أوائله ، وان الحياة امتدت
به وأصبح من المعمرين حيث مات سنة ٢٧٠ هجرية في سلمية ودفن فيها .

والجدير بالاهتمام أن عبد الله اشترك في جميع الثورات التي قامت في
وجه المأمون العباسي . وبعد أن تم له نشر المذهب الاسماعيلي في الأهواز
انتقل الى عسكر مكرم ومنها توجه الى البصرة حيث نزل على آل عقيل ابن
أبي طالب ومنها رحل الى سلمية حيث استقر بها مع امامه المستور فاشتغل
في التأليف والتصنيف ونقل الدعوة من دور التأسيس والتكوين وخلق
المبادىء النظرية الى دور العمل ، وليس أدل على سمو مركزه لدى الأئمة
الاسماعيلية من قول الامام المعز لدين الله فيه (كان قادح زناد الفكر) .

* * *

عبيد الله المهـدي

ولد الامام عبيد الله المهدي ابن الامام رضي الدين عبـد الله سنة ٢٥٩ هجرية في مدينة سلمية[١] وتسلم الامامة بعد وفاة أبيه عام ٢٨٩ هجـرية حسب النص الامامي المعترف به لدى الاسماعيلية •

اختلف العلماء والمؤرخون في نسب عبيد الله اختلافا كبيرا ، فأيد جماعة صحة نسبه الى اسماعيل بن جعفر الصادق ، وأنكر جماعة صحة هذا النسب وقالوا أن عبيد الله من سلالة ميمون القداح ، وذهب آخرون الى القول أنه من سـلالة موسى الكاظم • وانقسم الذين يؤيدون صحـة نسبه الى علي ابن أبي طالب الى ثلاث طوائف : طائفة قالت انه من الأئمة الاثنى عشرية أو الموسوية ، وطائفة تنسبه الى اسماعيل بن جعفر الصادق وهم الاسماعيلية ، وأيدهم في ذلك جماعة من السنيين ، وأيد قلة من الاسماعيلية نسب عبيد الله الى ميمون القداح ، والغالبية العظمى من العلماء السنيين •

واذاء هذه الآراء المتناقضة ، والأقوال المتفاوتة لا يسعنا الا أن نستعرض ملخصا موجزا عنهـا ونناقشها مناقشة بعيدة عن التحيز والالتباس خـدمة للعلم والحقيقة ، علما بأن طائفة كبيرة من العلماء السنيين يثبتون صحة نسب هذا الامام الى علي وفاطمة • ومنهم ابن الأثير وابن خلدون والمقـريزي وغيرهم • فيذهب المقريزي الى القول : ان الله لا يملك الدعي ولا ينصره ، والكاذب لا يملك البلاد ، ولا يمكن له في الارض[٢] ويستدل على ذلك

---

(١) قال ابن خلكان (وفيات الاعيان ٢٧٢/١) : وكانت ولادته في سنة ٢٥٩ هجرية وقيل سنة ٢٦٠ هجرية بمدينة سلمية ، وقيل بالكوفة .

(٢) المقريزي : اتعاظ الحنفا ص ٣٠ .

بحديث لموسى الكاظم عن ظهور المهدي بالمغرب ، وانتشار الدعوة الاسماعيلية شرقا وغربا فيقول : « نقل عن أئمة آل البيت عليهم السلام الاشارة الى أمر عبيد الله المهدي ؛ فمن ذلك أن موسى الكاظم بن جعفر الصـادق سئل عن ظهور القائم متى يكون ، فقال : ان ظهور القائم مثله كمثل عمـود من نور سقط من السماء الى الارض ، رأسه بالمغرب وأسفله بالمشرق ، وكذلك كانت بداية أمر المهدي عبيد الله • فانه ابتدأ من المغرب وانتهى أمره على يد بنيه الى المشرق • فانه ظهر بسجلماسة سنة ٢٩٦ هجريـة ، وهي أقصى مسكون المغرب • ودعى المستنصر ببغداد في سنة احـدى وخمسين وأربعمائة • » ويستدل المقريزي على صحة نسب عبيد الله من اتجاه ميول الامراء المسلمين نحوه ، لعلمهم بصحة نسب عبيد الله الى علي وفاطمة ، ويستند أيضـا الى قصيدة الشريف الرضي الذي يثبت فيها صحة نسب الخلفاء الفاطميين ، ويعلق ابن الاثير أهمية كبيرة على هذه القصيدة في اثبات صحة النسب ؛ ومما جاء فيها قوله :

ما مُقامي على الهوان وعندي   مقول صـارم وأنف حَمـيُّ
واباء" محلـق بـي عـن   الضيم كما راغ طائر وحشيُّ
أي عـذر له الى المجد أن ذَ   لَّ غـلام في غمده المشرفيُّ
أحمل الضيم في بلاد الأعادي   وبمصـر الخليفة العـلويُّ
من أبوه أبي ومـولاه مولا   ي اذا ضافني البعيد القَصِـيُّ
لفَّ عرقي بعرقه سيـدا النا   س جميعـا محمـد وعلـيُّ
ان جوعي بذلـك الربع شبع   وأوامـي بذلك الظـل ريُّ
مثل من يركب الظـلام وقـد أ   سرى ومن خلفه هلال مضيُّ[١]

وأما ابن خلدون فقد دحض أقوال المؤرخين والكتاب الـذين يشكون بصحة نسب عبيد الله حيث يقول :

---

(١) ابن الاثير ٩/٨ .

« ومن الاخبار الواهية ما يذهب اليه الكثيرون من المؤرخين والاثبات في العبيديين خلفاء الشيعة بالقيروان والقاهرة ، من نفيهم عن أهـل البيت صلوات الله عليهـم ، والطعن في نسبهم الى اسماعيل بن جعفر الصادق ، يعتمدون في ذلك على أحاديث لفقت للمستضعفين من خلفاء بني العباس ، تزلفا اليهم بالقدح فيمن ناصبهم ، وتفننا في الشماتة بعدوهم ••• ويغفلون عن التفطن لشواهد الواقعات ، وأدلة الاحوال التي اقتضت خلاف ذلك ، من تكذيب دعواهم والرد عليهم ، فانهم متفقون في حديثهم عن مبدأ دولة الشيعة أن أبا عبد الله المحتسب ، لما دعا بكتامة للرضا من آل محمد ، واشتهر خبره ، وعلم تحويمه على عبيد الله المهدي وابنه أبي القاسم ، خشيا على أنفسهما ، فهربا من المشرق محل الخلافة ، واجتازا مصر ، وأنهما خرجا من الاسكندرية في زي التجار[٢] » ويأتي ابن خلدون بأكثر من سلسلة واحـدة للنسب ، يؤكد فيها جميعها أن عبيد الله من سلالة اسماعيل ، ويقول : انه ابن محمد الحبيب بن جعفر المصدق بن محمد المكتوم ، بينما يقول المقـريزي : ان عبيد الله بن الحسين بن محمد بن اسماعيل بن جعفر الصـادق ، والمؤرخ ابن النديم يتفق مع ما يذكره الاسماعيلية أنفسهم ، من أن عبيد الله بن الحسين ابن أحمد بن عبد الله بن محمد بن اسماعيل بن جعفر •

ومما لا جدال فيه أن الاسماعيلية يؤيدون نسب عبيد الله الى علي وفاطمة : الا أن هناك جماعة منهم يقولون ان عبيد الله من الابنـاء الروحيين للأئمة المستورين ، انه كان اماما مستودعا ، اذن امـامته انما قامت لأنه استودع لينقلها الى سـواه ، فلم يكن والحالة هذه من الابنـاء الحقيقيين للأئمة المستورين ، وانما انتقلت الامامة عن طريقه من امام مستقر الى امام مستقر آخر ، وفي الحقيقة لا يوجد عالم أو مؤلف واحد من الاسماعيلية ينكر على عبيد الله نسبه الى محمد بن اسماعيل ؛ واعتبر المؤرخون الذين درسوا كافة

(١) ابن خلدون : المقدمة ص ٢١ •

الاقوال التي وردت حول نسب الأئمة الاسماعيليين فصولا شائكة في تاريخ الدعوة الاسماعيلية خاصة وفي تاريخ المسلمين عامة ، لمـا احيطت به من غموض ، ونحن يمكننا أن نوضح هذا الغموض بجلاء لأن صاحب البيت أدرى بالذي هو فيه ، معتمدين في ذلك على ما رواه أحد دعاة الاسماعيليين الذين عاشوا مع الامام المهدي في سلمية ، وهو الداعي جعفر الـذي كان حاجبا للامام المهدي رافقه وعاش في قصره ، وقد استعرض جعفر المذكور في سيرته تاريخ حياة عبيد الله المهدي المعروف لدى الاسماعيلية (بمحمد المهدي) في سلمية وذكر أن المهدي قد تزوج ام القائم في سلمية ووصف ليلة الزفاف بقوله[١] :

« ثم زوج الامام قبل وفاته المهدي ع م بابنة عمه ام القائم ع م ، قال جعفر فاذكر أن المهدي ع م تقدم اليَّ بـأن لا أبرح في ليلة زفافها بـاب المجلس ، قال : فلزمت النساء حولي الى أن فتح المهدي ع م الباب ورمى الي بالسبنية ، قال فنشرتها على رأسي ورقصت بها والنساء حولي يلعبن ويكبرن، قال وكثيرا ما كان يذكر ذلك معي المهدي بالله والقائم بأمر الله والمنصور بالله والمعز لدين الله صلى الله عليهم » •

فيا أيها المؤرخون والكتاب والعلماء ماذا تقولون بهذا النص ؟ هل لديكم نظريات جديدة حول هذا الموضوع ؟ وهل تدعون كما ادعى قبلكم أولئك الذين استأجروا من قبـل العباسيين لتشويه التاريخ الاسـلامي والنسب

ان نظرية انتساب الأئمة الفاطميين الى آل القـداح مهزلة في جبـين تاريخ العرب ، هذا فضلا عن قصص الاستيداع ، وروايات الاستقرار ، وغيرهما من الآراء المتناقضة المتضاربـة • ولا أدري كيف تجيز الامانـة العلمية ، وتحري الحقيقة القول : ان آل القداح اغتصبوا الامامة من آل

(١) سيرة جعفر الحاجب نشرها ايفانوف في مجلة الآداب المجلد ٤ الجزء الثاني ص (١٠٨ — ١٠٩)

البيت وادعوها لانفسهم ؟ وليس أجمل من رواية تآمر هذه الاسرة على أئمتها وهم الذين بذلوا حياتهم في سبيلها •

ونعود لنناقش قضية التبني الروحي ، فنقول بصراحة ان العقائد الاسماعيلية لا تقر هذه النظرية ولا تعتبرها نظرية ثانية ، وكل ما هنالك ان للأئمة اعتبارا لدى الاسماعيليين يجيز الأبوة الروحية ، فهم أصحاب الروح الكلية التي انبثقت منها أرواح جميع المريدين ، وان الروح الجزئية تعود الى أصلها وهي الروح الكلية بعد مفارقة البدن ، لذا نرى الأئمة في كل عصر وزمان يخاطبون أتباعهم بقولهم :(أبنائي الروحيين) وهذا لا يشكل نظرية الأبوة الروحية كما يفهمها البعض •

والحقيقة التي لا غبار عليها أن عبيد الله امام مستقر ابن امام مستقر نص عليه أمام كبار رجالات دعوته في سلمية وتزوج أم القائم ابنة عمه وهي عذراء لم يدخل بها قبله فولدت القائم بالسلمية ومنها ارتحل عبيد الله مع القائم وأمه وبعض رجال حاشيته ، ذلك ما تؤيده كل المصادر والوثائق الاسماعيلية في سورية ، وباعتقادي أن ما جاء على ذكره بعض المؤرخين الاسماعيليين أمثال أدريس عماد الدين وصاحب غاية المواليد يؤكد أيضا صحة هذه الرواية ، ولما كانت حياة الأئمة المستورين وتنقلاتهم تحاط بهالة من الستر والكتمان الشديد خشية الاضداد فمن المؤكد أن الحجج وكبار رجالات الدعوة الموثوق فيهم كانوا يسمون في أكثر الأحيان باسماء الأئمة تقية عليهم ، فهذه الاقوال شيء وقصة التآمر على الامامة واغتصابها شيء آخر ، فالعقل والوجدان والتاريخ يأبى أن تصم اسرة ميمون القداح التي تفانت في خدمة الدعوة الاسماعيلية بالخيانة وادعاء الامامة • ومهما اختلف العلماء في نسب عبيد الله فهو من سلالة علي ابن أبي طالب لحما ودما •

في بداية عهد هذا الامام انضمت أكثر قبائل المغرب للداعي (أبي عبد الله الشيعي) مؤسس الدولة الفاطمية في المغرب ، واحرزت جيوشه

الانتصارات في جميع المعارك التي خاضتها ، فانتشر المذهب الاسماعيلي انتشار النار بالهشيم وتفرقت الدعاة في كافة الانحاء يدعون الناس للانضواء تحت راية الامام الاسماعيلي والجهاد في سبيل نصر قضيته •

وبعد أن استقرت الامور رأى الداعي أبو عبد الله الشيعي من الانسب (الرجوع الى الامام في كل مناسبة) أن يعلم امامه عما حققته الدعوة من نجاح ، فسير أخاه ابا العباس محمد بن احمد على رأس وفد من اسماعيلية المغرب [1] لينقلوا للامام المهدي الاخبار والتفاصيل بما فتح الله على يده ، وانه ينتظر أوامره ، اذا ما أراد أن ينقل مقر الامامة الى المغرب ، لان السلمية لم تعد مكانا صالحا لاقامة الأئمة الاسماعيلية المستورين بعد ان ازداد النشاط الاسماعيلي في المغرب واليمن بالاضافة الى ان الخليفة العباسي قد شدد في طلب القبض على الامام الذي تروج الدعوة باسمه بعد أن علم المقتدر ما توصلت اليه الدعوة في المغرب من تقدم وسعة انتشار • فأوعز لوالي سلمية أن يبحث عن الامام عبيد الله ويقضي عليه •

وصل الوفد الذي أرسله الداعي ابو عبد الله من المغرب وسلم رسالة الداعي أبي عبد الله الى الامام عبيد الله ، وبعد أن اطلع على فحواها قرر مغادرة سلمية فأمر رجاله بأن يكونوا على أهبة الاستعداد للسفر معه[1] • ويحدثنا جعفر الحاجب فيقول [2] : أمرنا الامام محمد المهدي بالأخذ في أهبة السفر والخروج معه واظهر لنا أنه يريد اليمن •

وبعد أن تهيأت جميع الوسائل والاسباب لهجرة الامام المهدي الى المغرب ، خرج ومعه خاصته ومواليه وكان خروجه من سلمية وقت العصر

---

(١) ابن خلدون ٣٣/٤ المقدمة — تاريخ الدعوة الاسماعيلية ص ١٠٢

(٢) سيرة جعفر الحاجب ص (٦٦) •

وكانت وجهته مدينة حمص ومنها قصد طرابلس الشام [1] وقيل أنه قصد الرملة بعد أن مكث في طرابلس يوما واحدا ، أما مدة اقامته في الرملة فهي في شهر رجب سنة ٢٨٩ هجرية حتى منتصف سنة ٢٩١ هجرية ثم غادرها متوجها الى مصر فدخلها مستترا بزي التجار [2] فأتت كتب الخليفة العباسي الى عيسى النوشري أمير مصر تأمره بالقبض على الامام المهدي .

وعندما قرئت هذه الكتب كان في المجلس أحد الاسماعيلية فنقل الخبر الى الامام المهدي ، فغادر مصر مع أصحابه ومعه أموال كثيرة .

فرق النوشري الاعوان في طلب المهدي وخرج بنفسه ملاحقا الامام المهدي وقيل قبض عليه ولكنه أطلق سراحه بعد أن اعتنق مذهبه ، وقيل انه أراد أن يرسل معه من يوصله الى رفقته . وقيل أيضا أنه أعطاه مالا حتى أطلقه [3] .

تابع الامام المهدي المسير حتى داهمه في الطريق بعض اللصوص بموقع يقال له (الطاحونة) فنهبوا متاعه وكان منها كتب وملاحم كانت لأبائه فعظم أمرها عليه .

ويحدثنا جعفر الحاجب فيقول : جرى على الامام في طريقه مع القافلة عند خروجه من مصر وعند وصوله الى الطاحونة من البربر من أخذ بعض رحله وكتب للمهدي فيها علوم كثيرة فكان أسفه عليها أشد من أسفه على غيرها مما ضاع له الى أن جمعها الله عز وجل وقت خروج القائم الى مصر في السفرة الاولى . تابع الامام المسير حتى وصل قسطنطينية ومنها

---

(١) يقول ايفانوف بكتابه Ries of the Fatimits بانه خرج من سلمية فيها ببيت الداعي (أبي محمد) الذي هيأ له الخيول العربية من قرية « شيزر » الاسماعيلية .

(٢) اتعاظ الحنفا ص (٨١ — ٨٢) .

(٣) ابن الأثير ٨/٤٤ .

سجلماسة ، حيث قبض عليه واليها العباسي اليسع بن مدرار ووضعه في السجن [1] .

علم أبو عبد الله الشيعي بما جرى للامام في سجلماسة ، فبادر وحشد جيوش الاسماعيلية التي بلغ عددها مائتي ألف فارس وراجل ، وخرج في أول شهر رمضان سنة ٢٩٦ هجرية من بلدة (رقادة) فاهتز المغرب لخروجه وخافته قبيلة زناته ، وزالت القبائل عن طريقه ، وجاءته رسلها ودخلوا في طاعته . كتب أبو عبد الله كتابا أرسله الى الامام المهدي في سجنه يبشره فيه بقدومه ، فأدخل رجل قصاب من الاسماعيلية الكتاب الى السجن وسلمه للامام .

وبعد فترة وجيزة وصلت جيوش أبي عبد الله الى سجلماسة فطوقتها عدة أيام ، فقاتل خلالها اليسع بن مدرار حتى دحرت جيوشه وولى الادبار فألقى عليه القبض وقيل جلد حتى قتل ، وقيل اعتنق المذهب فأطلق سراحه .

وهكذا زال ملك بني الأغلب من أفريقيا ، وملك بني مدرار بعد أن استمر ١٠٣ سنوات بسجلماسة .

وفي السابع من ذي الحجة سنة ٢٩٦ هجرية اخرج الامام المهدي من السجن فبويع من عامة مسلمي سجلماسة . وسرت الجماهير به سرورا عظيما كاد يذهب بعقولهم ، ثم اركب الامام المهدي على جواد ومشى بركابه أبو عبد الله الداعي ورؤساء القبائل وكان هذا الداعي الكبير يبكي ويقول مخاطبا الناس : هذا مولاكم ، هذا هو الامام المبين ، هذا الذي دعوتكم لامامته ، فأسرعوا الى لثم ركابه وادخلوا في طاعته تكتب لكم السعادة في الدارين ، فتقدم اليه خلق كثير .

ارتحل الامام عن سجلماسة بعد أن لبث فيها أربعين يوما متوجها الى

---

(١) اتعاظ الحنفا (٨٤ — ٨٩ — ٩٠) . ابن الاثير ١٩/٨ — ٣٢ — ٣٤ .

أفريقيا فوصل مقر ملكه (رقادة) بعد أن زال ملك بني رستم من (تاهرت) وأمر أن يخطب له يو مالجمعة وسير الدعاة الى مختلف المناطق يدعو الناس للدخول في مذهبه •

وأعلن الامام في مؤتمر عقده لرجال دعوته عن انتهاء دور الستر والتخفي الذي بدأ بالامام محمد بن اسماعيل ، وبدأت حياة جديدة حيث تولى الامام السلطتين الزمنية والروحية •

قضى الامام المهدي ست سنوات في تنظيم أموره الداخلية ، واعداد جيش لجب ليفتح به مصر ، بعد أن انتشرت فيها الدعوة انتشارا عظيما على يد الداعي (أبي علي) كما عمل على تنظيم دعاته وحججه في الخارج ، ولا سيما في اليمن والبحرين ، وأحرز النصر على القرامطة وتمكن من قتل زعيمهم أبي سعيد وعين أخاه أبا طاهر مكانه ، وأرسل سنة ٣٠١ هجرية جيشا بقيادة ولي عهده القائم لفتح مصر فاحتل برقه واستولى على الاسكندرية والفيوم وصار في يده أكثر البلاد •

وسير جيشا آخر عن طريق البحر بقيادة (حباسة) فاستولى على بعض المناطق المصرية •

وخرج المهدي لتفقد أحوال البلاد ولاختيار مكان صالح لبناء عاصمة لملكه ، فزار تونس ، وقرطاجنة ووصل البحر وقد شاهد جزيرة متصلة بالبر كهيئة كف متصلة بزند ، فتأملها فوجد فيها راهبا في مغارة فقال له : بم يعرف هذا الموضع فقال : هذا يسمى جزيرة الخلفاء ! فاعجبه هذا الاسم فبناها وجعلها دار مملكته ، وشرع بالبناء يوم السبت الخامس من ذي القعدة سنة ٣٠٣ هجرية ، وشيدت فيها دار لصناعة السفن الحربية الكبيرة ، وجعل لها سورا محكما وأبوابا عظيمة زنة كل مصراع ألف قنطار ، وطوله ثلاثون شبرا ، ووزن كل مسمار من المسامير التي استعملت في تركيبه ستة أرطال ، ولم تلبث أن أصبحت مرفأ هاما وفرغ من بناء المهدية سنة ٣٠٥ هجرية

وانتقل اليها في شوال سنة ٣٠٨ هجرية • وأمر المهدي ببناء مدينة أخرى بجوار المهدية ، وجعل بين المدينتين ميدانا فسيحا وأحاطها بسور وأبواب وحراس وسماها (زويلة) نسبة الى احدى قبائل البربر !

وأسس المهدي في المهدية وغيرها من المدن مدارس للدعوة ولتخريج الدعاة الذين استطاعوا أن ينشروا الدعوة في كثير من أرجاء العالم الاسلامي، وخاصة في بلاد الاندلس ، ولقد ضاعفت هذه المدارس الجهود المبذولة لتجديد النشاط المذهبي في البلاد التي كان ينتشر فيها المذهب الاسماعيلي من قبل ، كمصر ، والشام ، واليمن والبحرين والعراق وفارس • وعمم المهدي الفقه الاسماعيلي المستمد من تعاليم الامام جعفر الصادق وأمر بأن يقضى بموجبه •

ودلت تنظيمات وسياسة المهدي ودعاته على عبقرية نادرة المثال ، فنجحوا نجاحا منقطع النظير واستطاعوا أن يدخلوا في المذاهب الاسماعيلية عددا كبيرا من الامراء والقواد فاتصلوا بالمهدي وبايعوه • وبعد فترة وجيزة أصبحت جميع البلاد في قبضة الاسماعيلية الذين أزالوا دولة الادارسة وأخضعوا القبائل الكثيرة في المغرب ، ومن المهدية وجه الامام حملاته لقتال الروم في ايطاليا وصقلية وسواهما ، وهدد في آخريات أيامه جنوة نفسها ، كما انتصر على اسطول الروم في سردينية •

وقد قال شعراء افريقية في المهدية وانتقال المهدي اليها :

حططت الرحل في بلد كريم ... رعته له الملائكة الكرام
لقد عظمت بأرض الغرب دار ... بها الصلوات تقبل والصيام
هي المهدية الحرم الموقّى ... كما بتهامة البلد الحرام
كأن مقامَ ابراهيم فيه ... ترى قدميك ان عدم المقام
وان لثم الحجيج الركن أضحى ... لنا بعراص قصركم التثام
لئن شاب الزمان وشاب ملك ... دعائمه اذا عجمت حطام

لتملّكك أيها المهدي مُلك ... غلام والزمان به غلام
لك الدنيا ونسلك حيث كنتم ... فكلكم لها أبدا امام

والخلاصة يعتبر الامام عبيد الله المهدي من الرجال الذين لا يجود بهم الدهر الا نادرا • قوي الشخصية ، امتاز بالصبر والجود ، وكان مهيبا يفرض احترامه وتقديره على من يراه ، وسيما جميل المنظر ، قوي الساعد ، شديد البأس ، وكان حين تولى الامامة يمتلىء قوة ونشاطا ، استطاع أن يوطد دعائم المذهب الاسماعيلي في كثير من أرجاء العالم ، توفي بمدينة المهدية بعد أن حكم المغرب أكثر من أربع وعشرين سنة وتوفي وله من العمر نحو ثلاث وستين سنة ، وامتد نفوذ الدولة التي أسسها فيما بعد من المحيط الاطلسي غربا الى بلاد العراق شرقا ، ومن جبال طوروس شمالا الى بلاد السودان جنوبا ، وكانت هذه الدولة مضرب المثل في ازدهار الحضارة الاسلامية وفي السياسة والدين والثقافة ، وكانت وفاة المهدي سنة ٣٢٢ هجرية ودفن بالمهدية •

* * *

علي بن أبي طالب

حياة الامام علي بن أبي طالب ذلك الطود الانساني العظيم الذي انطلق من أرض المعجزات امثولة رائعة للتفاني الفردي في سبيل الواجب الجماعي المقدس ، ونضال مرير في سبيل تركيز أسس ومعالم العقيدة الاسلامية المثالية ، وتحصينها بأصول عقلية علمية ، حتى لا تترك بين جنباتها منافذ يلج منها الكفر والوهن والانحلال •

فهو أول فتى من قريش اصطرعت في اعماقه نوازع التطلع الى المجد والرفعة والسؤدد ، وحب الجهاد في سبيل خير الانسانية جمعاء ، وتفاعلت في نفسه الطاهرة المتوثبة ، أسمى القيم الروحية ، فشارك الرسول (ص) في ثورته على الرجعية والكفر والظلم وعبادة الاوثان • ووقف ينافح ويدافع عن عقيدته بكل ما أوتي من قوة وبأس ، عاملا على نشر الدعوة الاسلامية الحقة في ربوع الجزيرة العربية وفي كافة انحاء المعمورة ، لتكون نورا وهاجا يضيء ظلمات النفوس ، فتصل الى شاطىء الامان والسلام ، فمثل الأئمة والرسل كمثل الينابيع التي تنفجر خيرا وبركة لتحول الصحراء القاحلة الجرداء الى رياض غناء فينانة ، يغرسون المحبة والفضيلة في النفوس الشريرة ، ويدخلون السكينة والامن الى الصدور القلقة المضطربة ، فهم المهذبون لابناء البشر والمترسخون للقواعد الالهية والاجتماعية الخيِّرة ، وهم الحكماء الهادون الى معرفة القوى السرمدية الفاعلة في الوجود •

في يوم مولد علي ذلك القطب الاسلامي العظيم تفجرت ينابيع الارض بالخير والعطاء ، وازدهت واحات الصحاري بالخضرة النضرة •

ولد الامام علي مع رطوبة الليل ، وانداء الصباح ، وانفاس الصبا

المشبوب بالنزعة الالهية الصوفية المحضة التي لا تعرف التردد ولا الوسطية ، لانها استمرار أبدي لمعنى التطلع الازلي لما هو أفضل وأسمى وأنبل ، ذلك التطلع العجيب الذي يهدف الى اكتشاف كنه الغيب ، واطلاع الناس على مكنونات الوجود وما سيحدث في العصور والايام •

من لهيب الصحراء ، ومن انبساط الرمال ، ومن جنائن يثرب ، وخمائل الطائف ، ومن ذلك البيت الهاشمي العتيق المحيط بالكعبة المشرفة ، انبثق النور الذي شع على الوجود فأضاء سرائر النفوس ، وركز قواعد العدالة والمحبة في العالم •

ذلك النور السرمدي هو علي بن أبي طالب بطل الاسلام وحامي حمى المسلمين ، والسيف البتار الذي أدخل الرعب الى قلوب الكفار والمنافقين والمرتدين •

كانت ولادته في سنة ٦٠٤ ميلادية الموافق ليوم الجمعة الثالث عشر من رجب سنة ٣٠ من عام الفيل ، في قلب الكعبة الشريفة حيث لم يسبق لغيره أن ولد في ذاك المكان الطاهر ، فكان تكريما لفرعي هاشم الذي انحدر منه الطفل عن فاطمة وعن أبي طالب حفيدي الامل الثابت الكريم • وقد رغبت أمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف أن تسميه حيدرة تيمنا باسم أبيها أسد [1] ولكن والده أبو طالب لم يشاركها الرأي فأصر على تسميته (عليا) لعلو شرفه ، كونه ولد في الكعبة ، وكان أصغر أبناء أبيه وقد توفي والده وله من العمر ست سنوات ، فترعرع في بيت ابن عمه محمد (ص) حيث اندمج قلباهما ونفساهما في وحدة حياتية سرمدية لا انفصام لها ، وما كاد يبلغ العاشرة من عمره حتى ظهرت عليه امارات الذكاء الحاد الخارق ، والشجاعة النادرة ، هب لمساعدة الرسول (ص) يوم هاجمه الفرسان

(١) الحيدرة هو الاسد .

القريشيون ، فقال حكمته البليغة التي خلدها الزمان فجاءت مثالا يقتدى به في التضحية والفداء : « والله لن يصلوا اليك حتى أوسد في التراب دفينا » وليس في وسع أي انسان مهما أوتي من قوة التعبير وسعة القلم والمعرفة وكثرة الاطلاع أن يحصي مناقب علي بن أبي طالب وفضائله ، فقد جمع بين الحكمة والبلاغة والشجاعة والايمان المطلق ونصرة المظلوم ، ومساعدة الفقراء البائسين ، ومحاربة النزعة الطبقية والتمييز بين مختلف الناس ، فكان بمثابة العالم المدقق عن كل علم وكل نتيجة للراغب في الاكتشاف والتبين ، وتركيز ذاته الفاعلة على قواعد ونواميس عميقة واسعة الادراك ، تسبر أغوار الحياة والوجود ، فتصل الى النتائج المنطقية ، وتحدد قيمة المجتمع ، وقيمة الافراد التي يتشكل منها ذلك المجتمع •

وكان عقله الجبار النافذ معجزة من معجزات التاريخ سبق تفكير بيئته وأهله وعصره في ادراك حقيقة المجتمع وتفسيره •

لقد بدد الامام علي المفاهيم الوهمية عند الناس وأوضح حقيقة واقعية لم يسبقه الى ايضاحها عالم من علماء الكون منذ فجر التاريخ حتى هذا العصر ، لقد أعلن في حكمته البليغة اليتيمة ، (ما جاع فقير الا بما متع به غني) ثم أردف قائلا لتقرير هذه الحقيقة بحكمة أخرى (ما رأيت نعمة موفورة الا وبجانبها حق مضيع) •

كان الامام علي طفلا مبكر النماء سابقا لانداده في الفهم والقدرة ونشأ رجلا مكين البنيان في الشباب والكهولة حافظا لتكوينه القوي حتى ناهز الستين •

تزوج السيدة فاطمة بنت النبي (ص) سنة ٦٢٣ ميلادية فأنجب منها الحسن والحسين ومحسنا وبنتين هما زينب الكبرى وأم كلثوم الكبرى ولم يتزوج في حياتها أما بعد موتها فقد تزوج أكثر من اثني عشر امرأة •

وكان مجموع أبنائه أربعة عشر ذكرا وسبع عشر أنثى نذكر منهم :

محمد الأكبر المعروف بابن الحنفية أمه خولة بنت قيس بن جعفر الحنفي ، والعباس الاكبر ، وعبد الله ، وعثمان الاكبر ، وجعفر الاكبر أمهم أم البنين بنت المحل بن الديات بن حرام الكلابي . وقتل هؤلاء الاربعة مع الحسين بالطّف[1] وعمر الاصغر أمه الصهباء أم حبيبة ، وعبد الرحمن وعبيد الله أمهما ليلى بنت مسعود بن خالد التميمي ، ويحيى ومحمد وعون أمهما أسماء بنت عميس الخثعمية [2] ، فهؤلاء الذكور منهم من مات في صباه ومنهم من قتل ولا عقب له ولم يعقب سوى خمسة منهم : الحسين والحسن ومحمد ابن الحنفية والعباس وعمر وسائرهم لم يعقب [3] .

كان الامام علي فارسا لا يشق له غبار ، يرفع الفارس ويجلد به الارض . ولم يبارز أحدا الا وقتله ، ولم يصارع أحدا الا وصرعه ، كان يصيح الصيحة فتنخلع لهولها القلوب . قضى حياة مليئة بالمهمات العظام ، وأدى رسالة ترزح بثقلها الجبال ، ولكنه تغلب على كل العقبات التي اعترضت طريقه بفضل صبره وثباته وما فطر عليه من مناعة ونفاذ فكري . فاستطاع أن يصل الى الأوج ويجلس على كرسي أمانيه محاطا بهالة من الخلود لايمكن أن تتغير مع الزمن [4] .

لازم (الرسول) في غزواته . وكان نصيره الذي أبلى بلاء حسنا في جميع حروبه وفتوحاته ، فاشتد ساعد الاسلام بقوة ساعد علي وهو الذي رقد في فراش الرسول (ص) ليلة الهجرة بالرغم من علمه الأكيد بأنّ أهالي مكة سيقتلون الراقد في الفراش .

---

(١) ابن الاثير ج ٣ ص ٢١٠ ـ الطف أرض بضاحية الكوفة في طريق البرية (معجم البلدان لياقوت) .

(٢) نفس المصدر ج ٤ ص ٤٧ .

(٣) اتعاظ الحنفا ص ٦ ـ ٧ ابن الاثير ج ٢ ص ٢٠١ .

(٤) تاريخ الدعوة الاسماعيلية لمصطفى غالب ص ٣٤ .

ويقول العقاد [1] : أحاديث النبي في فضل علي ومحبته متواترة في كتب الحديث مشهورة ، منها ما انفرد به وهو حديث الخيمة الذي رواه (الصديق) حيث قال :

رأيت الرسول خيم خيمة وهو متكيء على قوس عربية ، وفي الخيمة علي وفاطمة والحسن والحسين ، فقال : معشر المسلمين ، أنا سلم لمن سالم أهل الخيمة ، حرب لمن حاربهم ، ولي لمن والاهم ، لا يحبهم الا سعيد الجد طيب المولد ، ولا يبغضهم الا شقي الجد رديء الولادة . وعلق العقاد على هذا الحدث قائلا : هذا نموذج من الاحاديث النبوية في فضل علي ومحبته ومنزلته عند الله ونبيه وهي تعد بالعشرات . وأورد هذه القصة :

« بعث رسول الله علياً الى اليمن ، فسأله جماعة من أتباعه أن يركبهم ابل الصدقة ليريحوا ابلهم فأبى . فشكوه الى رسول الله (ص) بعدرجعتهم، وتولى شكايته سعد بن مالك بن الشهيد . فقال : يا رسول الله لقينا من علي الغلظة وسوء الصحبة والتضييق ... ومضى يعدد مالقيه ، حتى اذا كان وسط كلامه ضرب رسول الله على فخذه وهتف به : يا سعد بن مالك ابن الشهيد ، بعض قولك لأخيك علي ؟ فوالله لقد علمت انه جيش في سبيل الله . ثم قال العقاد : يلوح لنا أن النبي عليه السلام كان يحب علياً ويحببه الى الناس ويمهد له سبيل الخلافة في وقت من الاوقات » .

ومما لا جدال فيه أن رسول الله أحب علياً حبا شديدا وأولاه اهتمامه لان العوامل التي تدعوه الى مثل هذا الحب كثيرة فهو صاحبه والمنافح عن دعوته وبديله في فراشه وصهره وابن عمه وزوج ابنته العزيزة فاطمة وابن امامه (أبي طالب) وحاميه من أذى قريش الخ ...[2]

---

(١) كتاب عبقرية الامام ص ١٦٠ .

(٢) تاريخ الدعوة الاسماعيلية لمصطفى غالب ص ٣٦ .

وبعد أن أدى النبي حجة الوداع ونزل (وهو في طريق العودة) عند غدير خم في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة في السنة العاشرة للهجرة ، أنزل عليه قوله تعالى : (يا أيُّها الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ (١)) فبادر النبي (ص) وأمر باقامة الصلاة حتى انتهى منها فأخذ بيد علي بن أبي طالب وعقد كفه بكفه وقال (٢) :

« ألستم تعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم قالوا : بلى . ألستم تعلمو اني أولى بالمؤمنين من أنفسهم ! قالوا بلى . ألستم تعلمون اني أولى بكل مؤمن من نفسه ! قالوا بلى . قال من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره وأخذل من خذله وأدر الحق معه حيث دار . هذا وصيي وخليفتي وقاضي ديني من بعدي ومنجز وعدي ، فعلي مني وأنا منه من خالفه يلعنه الله والملائكة والناس أجمعين اشهدوا فقد بلغت وأنذرت مأامرني ربي فمن قال قولي فاز ونجا من جملة المؤمنين ومن خالف قولي ضل وغوى وكان من النادمين فقد أنذرتكم وحذرتكم وفوضت أمري الى الله ان الله سميع بصير فليبلغ حاضركم غائبكم » .

واعتبر الشيعة هذا القول تبليغا لأمر الله تعالى ونصا صريحا بوجوب اتباع علي ومن بعده ذريته المنصوص عليهم ، وقالوا أن هذه البيعة جاءت بعد المبايعات الثلاث (بيعة الدار ــ بيعة الخيزرانة ــ بيعة ام سلمى) .

ولقد حصل أول تنازع بشأن الخلافة وأحقيتها أثناء مرض الرسول بعد

(١) سورة ٥/٦٨ .

(٢) مسند ابن حنبل ص ٨٤ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٩٥٢ ج ٤ ص ٢٨١ ، ٣٦٨ ، ٣٧٠ ، ج ٥ ص ٣٤٧ ، ٣٥٠ ، ٣٦١ .

عودته من حجة الوداع فيما رواه محمد بن اسماعيل النجار باسناده عن عبدالله ابن عباس قال (١) :

لما اشتد بالنبي مرضه الذي مات فيه قال أتوني بدواة وقرطاس اكتب لكم كتابا لا تضلوا بعدي . فقال عمر : ان رسول الله قد غلبه الوجع حسبنا كتاب الله ، وكثر اللغط : فقال النبي قوموا عني لا ينبغي عندي التنازع فقال ابن عباس : (الرزية كل الرزية ما حال بيننا وبين كتاب رسول الله) واختلف المهاجرون والانصار . فقالت الانصار منا أمير ومنكم أمير ، واتفقوا على رئيسهم سعد بن عبادة الانصاري فاستدركه أبو بكر وعمر في الحال بان حضرا سقيفة بني ساعدة فاتفقوا على مبايعة أبي بكر وذهبوا الى المسجد حيث خطب عمر فقال : لقد كانت بيعة أبي بكر فلتة وقى الله شرها فمن عاد الى مثلها فاقتلوه فايما رجل بايع رجلا من غير مشورة من المسلمين فاقتلوه . وتخلف الكثير عن المبايعة منهم الامام علي حيث كان مشغولا بتجهيز النبي وملازمة قبره .

ولما توفي أبو بكر أوصى بالخلافة لعمر فقال الناس (قد وليت علينا فظا غليظا) وبعد موت عمر انتقلت الخلافة الى يد عثمان فانشق المسلمون عليه لعدة أسباب منها :

١ ــ رده الحكم بن أمية الى المدينة بعد أن طرده رسول الله (ص) وكان يسمى (طريد رسول الله) .

٢ ــ نفيه أبا ذر الغفاري الى الربذة كونه وجه له بعض الانتقادات .

٣ ــ تزويجه مروان بن الحكم ابنته وتسليمه خمس غنائم افريقيا .

٤ ــ ايواؤه لعبد الله بن سعد بن أبي سرح بعد ان اهدر دمه النبي وتوليته مصر .

(١) الملل والنحل لابي الفتح محمد عبد الكريم الشهرستاني المتوفي سنة ٥٤٨ هجرية ص ٦ ــ ٧ .

٥ ـ أطلق يد أبناء اسرته في الولاية والعمالة ٠

٦ ـ اتهم واليه الوليد بن عقبة أنه أم الصلاة وهو سكران ٠

٧ ـ توسعه في بناء القصور وحرمانه بعض الصحابة وضربهم على مشهد من الملأ ٠

هذا ما جعل المسلمين ينقمون عليه ويخذلونه ويرفضون بيعته حتى قتل في داره ٠

فتسلم علي ابن أبي طالب السلطة بعد ان تمت البيعة الشرعية وذلك في سنة ٣٦ هجرية الموافق سنة ٦٥٦ ميلادية ونقل مقره الى الكوفة وباشر بعزل ولاة عثمان الفاسدين ومنهم كبار بني أمية ، فاتهمه الأمويون بالتهاون في البحث عن قتلة عثمان واعتصم معاوية بدمشق وأبى أن يبايع عليا وأشعل الفتنة بين المسلمين ، فقرر الامام علي اخماد هذه الفتنة قبل أن تأكل الاخضر واليابس فسير جيوشه الى العراق والشام ولما وصل البصرة التقى بجماعة عائشة وطلحة والزبير (بوقعة الجمل) نحو العاشر من جمادى الاولى سنة ٣٦ هجرية الموافق ٤ كانون الاول سنة ٦٥٦ ميلادية وانتهت المعركة بانتصار جيوش الامام علي ، فتابع المسير باتجاه جيوش معاوية وبعد مضي شهر من المسير دخلت جيوش الامام علي المدائن وقطعت الفرات الى الرقة وهناك التقت بجيوش معاوية في سهول (صفين) الواقعة على ضفة الفرات اليمنى وجرت مناوشات عديدة بينهما وتكاثرت الرسائل بين الامام ومعاوية فكان معاوية يطالب بثأر عثمان ، والامام يدعوه للطاعة فلا يجيب ، وفي النهاية انقطعت المراسلة بينهما وتجددت المناوشات وقلما اشتبك فيها الجيشان في وقعة جامعة حتى كانت وقعة (الهرير) في ١٠ صفر سنة ٣٧ هجرية الموافق ٢٨ تموز سنة ٦٥٧ ميلادية وحاقت الهزيمة بجيوش معاوية وهمَّ بالفرار ، بينما سارت جيوش الامام بخطى سريعة نحو النصر يقودها الاشتر النخعي ٠

وهنا عمد معاوية الى الحيلة وأمر جيوشه بدفع المصاحف على أسنة الحراب ، فشعر الامام علي بالمكيدة فقال لقومه (قاتلوا الفئة الباغية حتى تفيء لأمر الله ، وهذا كتاب الله الصامت ، وأنا كتابه الناطق) فطلب أهل العراق من الامام الموافقة والرضى بحكم القرآن ، وفي النهاية جرى التحكيم وظهرت الخديعة فأحدثت انشقاقا بين الصفوف فنجت جيوش معاوية من الاندحار المؤكد ، بينما انقسمت جيوش الامام على نفسها وخرجت جماعة منها لقبوا بالخوارج ٠

بعد تلك المأساة المؤلمة عاد الامام علي الى الكوفة معتزما قتال الخوارج ، بعد أن بذل جهودا جبارة لاعادتهم الى صفوفه ، ولكنهم أصروا على الثورة ، فسارت اليهم جيوش الامام وقضت عليهم ومن ثم عاد الامام الى الكوفة ليتأهب لمحاربة معاوية ٠

وبينما كان الامام علي يتأهب لمحاربة معاوية اجتمع في مكة نفر من الخوارج فتذاكروا القتلى من رفاقهم في النهروان والقوا وزر هذه الدماء كلها على ثلاثة هم : علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان وعمرو ابن العاص ، فتعاقدوا على قتلهم ، فقال عبد الرحمن بن ملجم أنا أكفيكم عليا ٠ وقال البرق بن عبدالله التميمي أنا أكفيكم معاوية وقال الثالث وهو عمر ابن بكر التميمي أنا أكفيكم عمرو بن العاص ، فتعاقدوا وتواثقوا على الوفاء واقعدوا شهر رمضان ، ولكن المصادفة العجيبة هي التي شاءت أن تشحذ عزيمة ابن ملجم بحافز من الغرام الظامىء لا يرويه الا دم ذلك الشهيد الكريم [١] ٠

واتفق الثلاثة على يوم عينوه ليقتل كل منهم صاحبه ، فأما عمرو ابن العاص فقد اشتكى بطنه تلك الليلة فلم يخرج من بيته وأمر خارجة ابن

(١) مقاتل الطالبيين ص ٢٩ عبقرية الامام ص ١٠٢ الطبري ج ٦ ص ٨٣ ابن أبي حديد ج ٢ ص ٤٢ ابن الاثير ج ٣ ص ١٦٨ الامامة والسياسة ج١ ص١٣٤ البداية والنهاية ج ٧ ص ١٤٥ تاريخ الخلفاء ج ١ ص ١١٧ ٠

حذافة (١) صاحب شرطته أن يصلي بالناس فضربه عمر بن بكر وهو يحسبه عمرا فقتله ، فقال له عمرو أردتني وأراد الله خارجه ، وأمر بقتله .

وأما معاوية فعرض له صاحبه فلم ينل حاجته اذ قيل ان معاوية كان دارعا أو لانه لم يصب منه مقتلا ولقى الضارب حتفه .

وأما الامام علي فضربه ابن ملجم في جبينه بسيف مسموم وهو خارج للصلاة فتوفي بعد أيام في ليلة الجمعة لاحدى عشر وقيل لثماني عشرة ليلة مضت من شهر رمضان سنة ٤٠ هجرية بالكوفة عن ثلاثة وستين عاما ودفن في الظهر بجانب القرى (٢) .

وازاء هذه الرواية لا يسعنا أن نمر مرور الكرام دون أن نعطي رأينا في الموضوع فنقول : لا شك وان مؤامرة القتل قد دبرت لاغتيال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب للتخلص منه حتى تؤول الخلافة من بعده الى معاوية وباعتقادي أن معاوية ورفيقه كانا على علم بهذه المؤامرة وربما كانا هما اللذان دبراها وهي جزء من مؤامرة التحكيم المشهورة . هذا ما تثبته الوقائع كونهما في تلك الليلة تغيبا عن الصلاة بحجة المرض أو غيره ، وذلك انقاذا لسمعتهما لدى المسلمين ، وعلى العموم فقد نجحت خطتهما أو بالاحرى خطة معاوية وحده فتخلص من عدوه الألد الذي لو مد الله في عمره لتغير وجه التاريخ الاسلامي .

صفاته :

كان الامام علي رجلا ذكيا قويا لا يعرف في الحق لومة لائم ، شجاع

---

(١) في مقاتل الطالبين ص ٣٠ خارجة بن أبي حبيبة احد بني عامر بن لؤي

(٢) اتعاظ الحنفا ص ٦ ابن الاثير ج ٣ ص ٩٦ وقال الاصفهاني في مقاتل الطالبيين ص (٣٧) توفي الامام علي ليلة الاحد ٢١ رمضان وقال ابن كثير في البداية والنهاية ج ٧ ص ١٣٠ ضرب يوم الجمعة فمكث يوم الجمعة وتوفي ليلة الاحد .

لا يعرف له موقف جبن عن الحق أو تخاذل عن نصر المروءة ، فهو في حياته ومماته شهيد ذكائه وعظمته البالغة . انتسبت اليه فرق عديدة من المسلمين وأخذت عنه وجعلته الاكثرية الساحقة منهم معلما ومرشدا معصوما ، وقائدا لا يضل سبيله ، عنه أخذ الحكماء الذين شرعوا علم الكلام قبل أن يتطرق اليه علم يونان أو فارس ، وكان من أفصح الخطباء ، وأبلغ العلماء ، قوي البيان ، وهو أول من وضع أصول النحو ، قيل أن ابا الأسود الدؤلي شكا اليه شيوع اللحن على السنة العرب ، فقال له : اكتب ما أملي عليك ثم املاه اصولا فيها ان كلام العرب يتركب من اسم وفعل وحرف ، فالاسم ما أنبأ عن المسمى ، والفعل ما أنبأ عن حركة المسمى والحرف ما أنبأ عن معنى ليس باسم ولا بفعل ، وان الاشياء ثلاثة ظاهر ومضمر وشيء ليس بظاهر ولا مضمر ، ثم قال لأبي الاسود هذا النحو يا أبا الأسود ، فعرف العلم باسم (النحو) .

وللامام علي شعر قليل وهو لا يعدو العشرات ومما نسب اليه قوله يصف همدان في وقعة صفين :

ولما رأيت الخيل ترجم بالقنا ... فوارسها حمر النحور دوامي

وأعرض نقع في السماء كأنه ... عجاجة دجن ملبس بقتام

فلو كنت رضوانا على باب جنة ... لقلت لهمدان ادخلوا بسلام

ويذكر التاريخ أن علي بن أبي طالب كان وهو خليفة المسلمين يأكل الشعير وتطحنه زوجته بيديها وكان يختم على الجراب الذي فيه دقيق الشعير فيقول : (لا أحب أن يدخل بطني الا ما أعلم) .

وروى النضر بن منصور عن عقبة بن علقمة قال :

دخلت على الامام علي فاذا بين يديه لبن حامض آذتني حموضته ، وكسر يابس ، فقلت يا أمير المؤمنين ! أتأكل مثل هذا ؟ فقال لي يا أبا الجنوب ! كان

رسول الله يأكل أيبس من هذا ويلبس أخشن من هذا (واشار الى ثيابه) فلم لا آخذ بما أخذ به • وقد خفت الا الحق به •

ومن كتبه التي هي فوق كلام المخلوق ودون كلام الخالق (نهج البلاغة) الذي جمعه الشريف الرضي الشاعر العباسي من أحفاد الامام علي المنحدر من سلالة موسى الكاظم ، وهو كتاب أخلاقي حكمي هدف من ورائه الى توجيه الناس توجيهاً اجتماعياً ودينياً واخلاقيا ، هذا مايدع قولنا بان الامام علي كان استاذا لطلاب العلم والمعرفة الاسلاميين ، ويعتبر من أعرف الناس بالله وبالقرآن وأحسنهم عقلا وأكثرهم ذكاء أنار القلوب بالايمان الصادق، والمثل العليا ، والحب العميق للانسانية الفاضلة • كل عبارة من عباراته شاهد له بالملكية الموجودة في قدرة الوعي ، وقدرة التعبير •

والخلاصة ان الامام علي انتقل الى جوار ربه بعد أن نص على امامة الحسين ودفن في النجف الاشرف وقيل في الظهر بجنب القرى والتوبة[1] •

* * *

(١) قيل للحسين بن علي اين دفنتم أمير المؤمنين ؟ قال : خرجنا به ليلا من منزله فمررنا على مسجد الاشعث ، حتى خرجنا به الى الظهر بجنب القرى. مقاتل الطالبين ص (٤٢) .

علي بن حاتم بن ابراهيم الحامدي

قام بأمر الدعوة بعد وفاة أبيه وأخذ يرسل دعاته لنشر الدعوة المستعلية في كافة الاقطار • وانشقت دعوته بحراز وخالف أتباعه من اليعابد أوامره وتمردوا عليه مما دعاه الى ترك حراز والتوجه الى صنعاء ، وظل فيها يقيم الدعوة وينشر مذهبه في أعمالها ، ثم خرج الى حصن ذمرمر لتفقد أحوال أتباعه ، فأدركته العلة فانزل محمولا الى صنعاء ، وتوفي في يوم السبت ٢٥ من ذي القعدة ٦٠٥ هجرية ويقال أنه مات مسموماً[1] •

وبالرغم من العقبات الكثيرة التي اعترضت الدعوة والخلافات الكثيرة التي حدثت بين دعاتها وأتباعها فقد استطاع هذا الداعي أن يجعل أباه قدوة له فيترك المعترك السياسي والخلافات القبلية ، ويوجه نشاطه الى الناحية العلمية فيغور الى أعماق المؤلفات الاسماعيلية فيشبعها درسا وتمحيصا ومن ثم يعمد الى التأليف والقاء المحاضرات المذهبية وقد لاقت دعوته في أول عهده الرواج والانتشار ولكن الخلافات التي ذرت قرنها بين أتباعه أدت الى تحطيم فاعلية دعاته ، فسيطر اليأس والخمول عليهم ، مما أدى الى همود النشاط الدعائي •

وله رسالة روضة الحكم الصافية وبستان العلوم الشافية[2] وتتضمن سبع عشرة مسألة في الحقائق • وفيها شرح بعض أقوال أبي يعقوب السجستاني من كتابه المسمى بالبشارات وشرح بعض مناجاة المؤيد في الدين الشيرازي ، ولم يذكر له أي مصدر تاريخي أو أدبي غير هذا المؤلف سوى

(١) نزهة الافكار للداعي أدريس عماد الدين ١/١٩١

(٢) فهرست اسماعيل ص ٣٦٤ •

قصيدة كتبها الى زعيم اليعابد يناشده فيها الائتلاف منها :

نسيم الصبا ألم بسوح اليعابد ليوث الشرى البانين أعلى المفاخر
ذؤابة قحطـان بن هـود ولبها وأسرة ذي العليـاء عمرو بن عامر
وقل يا أباة الضيم ياصيد يعبـد أفي الحزم أن ترضوا بهذا التشاجر
وان تهملوا اصلاح ما أن غفلتم عن اصلاحـه أنتم بصفقة خـاسر

ولكن الوعظ والتذكير لم ينفعهم ، فاشتد الخلاف بينهم ، واعرضوا عن حراسة الحصون ، وكانت النتيجـة أن تفرق شملهم وخمدت دعـوتهم ، وتبعثروا في كل مكان .

وهكذا نرى أن عهد هذا الداعي قد عرف بالشقاق والفرقة وخمـول الدعـوة .

* * *

علي بن حسن شاه

(آغا خان الثاني)

ولد الامام علي بن حسن شاه الحسيني (آغا خان الثاني) في بلـدة محلات في ايران . ورث عن والده حسن علي شاه الجرأة والاقدام وحب المغامرة ، أقام مع والدته عدة سنوات في كربلاء . حيث تلقى علومه العربية ، فدرس الأدب والتاريخ والفلسفة وقضى فترة من شبابه متنقلا بصحبة الأمير (زيلو سلطان) بن فتح علي شاه وبعض الامراء القاجاريين بين كربلاء وبغداد وبقية البلدان العراقية [١] .

ولما توفي الشاه فتح علي ، واستلم الملك الأمير محمد شاه ، استدعى الامام علي شاه ووالدته للاقامة في طهران ، وبعد الحوادث والمؤامرات التي استهدفت الى ابعاد الامام حسن علي شاه من البلاد الى الهند ، ظل علي شاه مع والدته في ايران ، حيث كلف من قبل والده برعاية أمور الاسماعيلية في فارس والعراق وبلاد الشام ومنحه لقب (بير)[٢] . وظل مع والدته وبقية أفـراد العائلة في فارس حتى استقر الامام علي شاه في الهند ، فاستدعاهم جميعـا للاقامة معه .[٣]

يستدل من المصادر التاريخية أن علي شاه كان محباً للصيد ومغرماً بتربية الخيول والاعتناء بها ، كما كان مولعاً بالأدب والسياسة والفلسفة ومتمتعـاً

---

(١) History of the ismailis : By A. S. Pickloy : p.p. 83

(٢) نور مبين حبل الله المتين : جنارا ص (٦٢٩ — ٦٣٠) .

(٣) The SHI'A of INDIA J. N. Hollister : p.p. 371

بعلوم المذاهب الاسلامية ، ترأس في حياة أبيه الجمعية الاسلامية المحمدية في الهند ، وانتخب عضوا في مجلس مدينة بمباي ، وفي سنة ١٢٩٨ هجرية أصبح اماما روحيا للاسماعيلية بعد وفاة أبيت ولقب (بصاحب السمو الملكي آغا خان الثاني) [١] •

وجه جل اهتمامه لايجاد المدارس في جميع المناطق الاسماعيلية ، وخصص لها ميزانية ضخمة من الاموال التي كانت تأتيه من الاتباع ، وكذلك أنفق الاموال الطائلة لبناء المستشفيات والمؤسسات الاجتماعية ، وقدم المساعدات المادية والمعنوية للطبقات الفقيرة من أبناء الهند ، في عهد هذا الامام وصل أول وفد من اسماعيليةبلاد الشام حيث عرضوا مشاكلهم الداخلية واختلافاتهم على الامام الذي استعمل سلطته الروحية وزودهم بالأوامر والارشادات التي تكفل لهم التضامن والاخاء والمحبة ليعيشوا كغيرهم من الاسماعيليين بسعادة وهناء [٢] •

هذا ما بذله من الناحية الاسماعيلية ، أما نشاطه في الحقل السياسي والاسلامي ، فقد أصبح الناطق الرسمي باسم جميع مسلمي الهند ، وعمل على تأليف جمعية اتحاد الفرق الاسلامية وانتخب رئيسا لها ، ومهمة هذه الجمعية تقوية الروابط بين الطوائف الاسلامية • وتوحيد كلمة المسلمين الهنود ، ليسيروا جنبا الى جنب مع موكب الحضارة والتقدم والرقي •

تزوج الامام علي شاه ثلاث مرات : الاولى تزوجها اثناء اقامته في العراق ، وهي ابنة أحد رؤساء العشائر العراقية توفيت في ايران • والثانية تزوجها في الهند وتدعى (ماتازو جاتان الشيرازي) فولدت له شهاب الدين شاه ، وقد توفي في حياة أبيه وهو في الثالثة والثلاثين من عمره ، وكان

(١) History if the ismailis : By. A. S. Picklay :p.p. 84

(٢) تاريخ الدعوة الاسماعيلية : مصطفى غالب : ص ٢٧٠ •

أديبا عالما بالفلسفة والدين ترك عدة مؤلفات [١] ونور الدين شاه ، توفي اثر حادث حصان وهو في الثلاثين من عمره ، وكان رياضيا مغرما بركوب الخيل وتربيتها •

وزواجه الثالث كان من الاميرة القاجارية عالية شمس الملوك ابنة أخ الشاه محمد علي القاجاري ، وابنة نظام الدولة بن عبد الله خان الدولة ابن حاجي محمد خان الاصفهاني القاجاري [٢] ، كان أبوها نظام الدولة عالما فيلسوفا تولى رئاسة الوزراء في عهد فتح علي شاه القاجاري ، وكان عمرها أربعة وعشرين عاما عندما عقد قرانها على الامام علي شاه في مقاطعة كرمان[٣] وفي يوم الجمعة الثاني من تشرين الثاني سنة ١٨٧٧ ميلادية الموافق الخامس والعشرين من شوال سنة ١٢٩٤ هجرية ولدت له سلطان محمد شاه الحسيني (آغا خان الثالث) في منزل (شهر العسل) بمدينة كراتشي [٤] •

وفي شهر آب من عام ١٨٨٥ ميلادية قام الامام علي شاه برحلة صيد في (بونا) فهطلت امطار غزيرة وشديدة لعدة ساعات ، وكانت الارض رملية موحلة غاصت قدماه فيها طوال هذه المدة فأصيب ببرداء فظيعة ثم انقلبت الى ذات الجنب ، ولم يلبث ان مات بعد ذلك بسبعة أيام[٥] ، فنقل جسمانه الى مدينة بمباي واعلنت الطائفة الاسماعيلية الحداد لمدة اسبوع ، وبعد أن جرى تحنيط الجثة نقلت الى كربلاء في العراق حيث دفنت هناك باحتفال مهيب •

وبالرغم من قصر عهد الامام علي شاه فقد اعتبره الاسماعيلية من العهود

(١) الشيعة في الهند : Hollister ص ٣٧١ •

(٢) نور مبين حبل الله المتين : جنارا ص ٦٢٧ •

(٣) History if the ismailis : By. A. S. Picklay : 24

(٤) مذكرات آغا خان : ص ٥٨

(٥) نور مبين حبل الله المتين : جنارا ص ٦٣٢ ، مذكرات آغا خان ص٥٩.

الزاهره التي بلغ فيها الاسماعيلية درجة كبـيرة من الازدهـــار الاقتصادي والتجاري والعلمي • وانتشر الاسماعيليون الهنود في جميع انحاء العالم حيث أسسوا الشركات التجاريـــة والمؤسسات الاقتصادية في أفريقيا وسيلان ، وبورما ومدغشكر الخ ••

أما الاسماعيلية في سورية فقد أصابهم قليل من الازدهار ، وتوجهوا الى البادية حيث قاموا باعادة بناء مدينة سلمية المشهورة •

* * *

علي بن حماد

تقوم الدعوة الاسماعيلية على الجدل والمنـــاظرات والابحاث العلمية ، عن طريق ايجاد نظريات فلسفية حمـــل لواءها علمـــاء أجلاء ، ودعاة أفذاذ استطاعوا أن ينشروا عقائدهم في أكثر أنحاء العالم الاسلامي بعد أن قوضوا الانظمة الفكرية والسياسية • ولقد كان للتستر الشديد الذي فرضته أنظمة الدعوة وقوانينها على آرائها وعلومها وأهدافها وأعمالها ودعاتها خوفا من البطش والاضطهاد ، ومحاربة الافكار الحرة أكبر الاســـر في فقدان أغلب المصـــادر الاسماعيلية التي تنير السبيل لكل باحث منقب في تاريخ هـــذه الدعوة ؛ كما فتحت الباب على مصراعيه أمام الاعداء للدس والطعن وتصنيف ما توجيه اليهم مخيلتهم ، بدون أن يكلفوا أنفسهم التحري عن الحقيقة التي ينهد اليها كل عالم متجرد • هذا عالم جليل آخر وداعي كبير ذهبت مؤلفاته كغيرها من المؤلفات الاسماعيلية الكثيرة الى عالم النسيان واعتبرت بحكم المفقودة ، وحتى تاريخ حياته ومجال نشاطه الحيوي قد أكل الدهر عليـــه وشرب • وكل ما وجدناه عنه هو ما أتى على ذكره المستشرق الكبير ايڤانوف حيث قال[1] : « داعي من دعاة الاسماعيلية في بلاد الري عين من قبل الامام قبل أبي يعقوب السجستاني ، ويظهر أنه من بني حماد » من مؤلفاته كتاب الآثار في مدح آل البيت • والظاهر ان هـــذا النص نقل عن فهرست ابن النـــديم •

وكادت جميع محاولاتنا لمعرفـــة المزيد عنه أن تتبخر لولا أن عثرنا في كتاب اسماعيلي مخطوط على هذا النص الذي نورده كما وجدناه :

(1) A. Guide to ismaili Literature : W. IVANOW : p.p. 31

« قام بأمر دعوة الحق والصدق في جزيرة الري الداعي علي بن حماد البصري ، مرسلا من قبل مولانا الامام المستور عبد الله بن الحسين ، بعد أن سلم أمر الدعوة في البصرة قبل مولانا الامام المستور عبد الله بن الحسين، بعد أن سلم أمر الدعوة في البصرة الى غيره من الدعاة الذين تخرجوا من مدرسة التنظيمات في سلمية ، لأنه يفهم لغة أهل كل البلاد التابعة له ، وأبوه حماد كان من كبار خدام الامام العلماء الفلاسفة (١) » .

من كل هذا لم نستطع أن نستنتج الا أنه كان داعيا في البصرة وباعتباره كان من الضليعين في اللغة الفارسية فقد عينه الامام داعيـا له في فارس حيث جعل مجاله الحيوي في الري وما يتبعها من المناطق حسب تنظيمات الدعوة السرية ، وبعد أن توفي هذا الداعي خلفه أبو يعقوب السجستاني ، ومن الطبيعي جدا أن من يحل محله العالم السجستاني يجب أن يكون فيلسوفا وعالما نحريرا كالسجستاني .

* * *

(١) ورد هذا النص في كتاب (البستان) نسخة خطية في مكتبتي الخاصة ورقة ٢١٠ ، وهذا المخطوط عجيب غريب كالبستان فيه أشعار وقصائد وأخبار ورسائل فلسفية ونبذ تاريخية من كل لون .

علي بن حنظلة المحفوظي الوادعي

مما لا جـدال فيه أن الدعوة اليمنية بعد العصر الفـاطمي أنتجت نخبة ممتازة من الدعاة العلماء الذين كان لهم أكبر الاثر في الحفاظ على التراث العلمي الاسماعيلي ، ولا تزال خـزائن اليمن عامرة بالمؤلفات الاسماعيلية القيمة ، التي نقلت اليها من القاهرة منذ عهد الامام المستنصر بالله الفاطمي ، ولعلماء الدعوة اليمنية الفضل الاكبر في نقل شتات التراث الفكري الاسماعيلي وتدوينه في كتب ومؤلفات ، وحفظ ما تركه الدعاة والفـلاسفة والمؤلفون في عهد الخلفاء الفـاطميين ، وكان للداعي المطلق على بن حنظلة الوادعي الفضل الاكبر في رعاية هذا التراث الفكري والمحافظة عليه ، بعد أن تسلم الدعوة اثر وفاة الداعي المطلق علي بن محمد بن الوليد ، ولا غرو فقد كان منارا للعلم والمعرفة يقصده طلاب العلم من مختلف الجهات . جدد النشاط الاسماعيلي في جميع أنحاء اليمن والسند والهند ، وحظر على الدعاة التدخل في الشؤون السياسية بالرغم من أن البلاد كانت تعج بالثورات والاضطرابات ومن مؤلفـات هـذا الداعي التي ذكـرها ايڤانوف في المـرشد الى أدب الاسماعيلية(١) :

قصيدة سمط الحقائق وتحتوي على ستمائة وثلاثة وستين بيتا مطلعها :

الحمـد لله العـلي السـامي — عن صفـة الكمال والتمـام

اذ التمـام والـكمال صنعته — سبحـانه تقـدمت هويتـه

ويتلو الحمد أبيات في التوحيد والصلوات والنصيحة في محاسبة النفس

(١) المرشد الى أدب الاسماعيلية ص ٥٩ رقم ٢٤٠ W. IVANOW

بالنفس واطاعة أولي الامر والحدود وذكر مفيديه بعض الدعاة المطلقين في اليمن • ثم يتكلم عن التوحيد ، وعـالم الابداع ، والافلاك ، والاركان ، والمزاج ، والممتزج ، وأدوار الكواكب السبعة ، وأهـل الجنة الابداعية ، ودور الكشف وأهله ، ودور الستر وأهله الخ ••

وله رسالة تسمى بضياء الحلوم ومصباح العلوم(١) وهي من الكتب الضخمة التي تبحث في علم المبدأ والمعـاد وهي مبوبة على أربعة أبواب : الاول : في التوحيد ، والثاني : في المبدأ ، والثالث : في الميعاد المحمود ، والرابع : في ميعاد الصور النافرة المضرة المستكبرة •

وتوفي الـداعي علي بن حنظـلة في يوم السبت ٢٢ ربيع الاول ٦٢٦ هجـرية •

* * *

(١) نفس المصدر ص ٦٠ رقم ٢٣٩ W. IVANOW

علي سلمون خان بن سلطان محمد الحسيني

كان علي سلمون خان الذؤابة المشرقة في شجرة أصلها ثـابت وفرعها في السماء ، وشلالا من العطاء لا ينضب له معين ، زرع متاهات الحيـاة شموسا لا ينطفىء لها ضوء ! فهو كالنسر يشمخ في أجواز الفضاء بحثا عن قمة لم يتربع عليها نسر بعد ! ولم يكن لها عهد بالنسور ! عرف ما بنفسه من دنى تتقزم دونها كل دنيا ، وعهد في آفاقه آفاقا لا يطاولها حد ، فتجاوز الدنيا وحدودها ، وحلق صعدا حيث شروش الكون تتوضع في نقطة البدء ، فعب منها حتى الثمالة ، وانعطف الى دنيا البشر ، أما ترنم لوليدها ، وطبيبا يقتلع أسباب الداء ، ومشعلا يكشح عن الاحداق عتمة الليل وعفن الصديد ! •

اذا كانت في الكلمة قدرة على التعبير ــ وما أعجزها هنا ــ فقد كان « علي » هذا ، الكلمة المطلقة ! • •

فلا حاجز يستطيع أن يصفع وجه الشمس ، ولا غيمـة تقوى على أن تحلل فيء اسوداد خريفي باهت ، كذلك أمر الأئمة في دعوتنا : تصاعد نحو الاكمل والاجل ، وانعطاف للبناء من أجل الاكمل والاجل !

وعيناه ــ في سلمية ــ مبعوثا لوالده الامام (آغا خان الثالث) رسول خير ، وباني مجد ، فتلقفته النفوس الظمأى وقد استبد بها جفاف الأوام ، وحظيت بطلعته البهية النواظر ، فأيقظ في أهـدابها الابداع ، ورسم على مداها الرحب دنيا مخملية فيها من جمال الحياة ألف لون ولون ! •

فكان أن امتلكناه عندما امتلك قلوبنا ، وحظينا به كله ، عندما استأثر بمجامع مشاعرنا ! •

فأحبنا بكل جوارحه ، وافسح لنـا المجال كي نذوب في خضم ذاته ،

فكان أن ذاب في كل ثنية من ثنيات مشاعرنا ، وأصبح منا والينا •

لم يحب علي خان ــ وهو المحب للجميع ــ أكثر مما أحب اسماعيليي سورية ، فشملهم بعناية زائدة وعطف بالغ ، وخصهم دون سواهم بالمحبة المطلقة ، فأوصى أن يستقر جسده الطاهر عندهم ليبقى شاهد صدق على محبته ، وعربون اعجاب وتقدير لهم ! •

وتتوالى زيارات علي خان التفقدية الى سلمية والى جميع أقطار العالم وليا لعهد الامامة ، ومبعوثا لوالده الامام سلطان محمد شاه الحسيني ، فيسطع نجمه ، وتذيع شهرته ، وفجأة ••• يؤدي الامام آغا خان الثالث أمانة ربه ، وتفض الوصية ، فاذا بعلي خان خلو من الامامة ، واذا المطوق بها ابنه « كريم » ! •

فابتسم علي خان ابتسامة الواثق المنتصر ، ووقف بحزم واصرار محترما قدسية الوصية ، متقيدا بأصول العقيدة ، فأعطى المثل الاعلى في التضحية ، بالرغم من قيام مظاهرات التأييد لامامته •

كانت ولادة علي بن سلطان محمد شاه الحسيني في ١١ حزيران عام ١٩١١ ميلادية في الساعة الحادية عشرة والدقيقة السابعة عشرة صباحا في مدينة تورين • أمضى طفولته بصحبة والدته في سويسرا وايطاليا وفرنسا ، وتلقى علومه على المربي الشهير (وادينجتون) عميد كلية مايو في الهند ، ودرس الحقوق في لينكولن وان كان على مستوى رياضي رفيع شغوفا بركوب الخيل وقيادة السيارات والطائرات بجرأة نادرة ، واسع الثقافة ، وقاد الذهن ، محبا للتنقل ، والعمل الشاق الطويل ، بطل من أبطال التحرر الفكري وعدم التعصب الديني • مثل والده في كثير من المهمات الدينية ولم يكن قد تجاوز الحادية عشرة من عمره ، وكان يعد لحمل أعباء الطائفة الاسماعيلية وقيادتها(١) •

(١) نور مبين حبل الله المتين : جنارا ص ٧٣٥ ؛ لقب بعلي سلمون خان نسبة لسلمية في سورية •

كان يجيد الانكليزية والفرنسية والايطالية والاسبانية والفارسية والاوردية اجادة نادرة ، ويعرف العربية والالمانية ، أصبح وليا لعهد الامامة الاسماعيلية في ٢٩ تشرين الثاني سنة ١٩٢٧ ميلادية ، وجرت احتفالات كبرى بهذه المناسبة • وتزوج من (جوان بربارا بارد بيلر) ابنة اللورد شارستون في ١٨ أيار سنة ١٩٣٥ ميلادية في مدينة باريس في قاعة البلدية وتم زواجهما الديني حسب الشريعة الاسلامية في جامع باريس وأصبحت العروس بعد أن اعتنقت الاسلام تحمل اسم (تاج الدولة) • وزار وزوجته الهند في السنة التي أعقبت زواجه ومثل والده في حفلة يوبيله الفضي في (حيدر آباد) ثم ذهبا الى أفريقيا وتركيا ومصر وسورية • وانجب من زواجه هذا في سنة ١٩٣٦ ابنه الاكبر الامام الحاضر (آغا خان الرابع) كريم ، وابنه الثاني محمد أمين عام ١٩٣٧ ميلادية (١) •

ولما كان علي خان يتعشق الروح العسكرية ويحب المغامرات والرياضة بأنواعها تطوع في الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٣٩ م • في الفرقة الاجنبية بالجيش الفرنسي برتبة ملازم وحارب في خط ماجينو عام ١٩٣٩ ميلادية ، ثم عين مرافقا للجنرال (ويغاند) ولما انهارت فرنسا انتقل الى الجيش البريطاني وعاش عدة سنوات كضابط ارتباط بين الجيوش الانكليزية والفرنسية في سورية ولبنان وفلسطين ، ثم اشترك في حرب ليبيا وتدرج في الرتب العسكرية بعد أن قام بمهمات خطيرة أكسبته شهرة واسعة في الحقل العسكري ، وفي ١٤ آب عام ١٩٤٤ ميلادية اشترك في نزول الحلفاء على الشاطىء الفرنسي كمساعد للجنرال (ديفرس) وضابط ارتباط ، وكان أول ضابط من الحلفاء تطأ قدماه الشاطىء الفرنسي ، واستطاع أن يحرر في ١٥ آب منطقة كان ، ومدينة كان بكاملها في ٢٥ منه • وبعد انتهاء الحرب تمكن من العثور على خيول والده المشهورة التي كان قد سرقها الالمان ،

(١) تاريخ الدعوة الاسماعيلية : مصطفى غالب ص ٣٢١ — ٣٢٠

وقد استرجع أكثرها • أنعم عليه الحلفاء بأرفع الاوسمة الانكليزية والاميركية والفرنسية •

وفي الحقل الاسماعيلي أصبح ينوب عن والده (آغا خان الثالث) في كثير من الاحتفالات والمناسبات ، وقد استفاد من التجارب الزمنية فأضحى رجلا عاملا في جميع الحقول الحياتية • وأوكل اليه والده أيضا مهام التنظيمات الاجتماعية والثقافية في جميع المناطق الاسماعيلية فبرهن عن نشاط وجد لا محدودين ، كما أظهر تفوقا بارزا في معالجة مختلف القضايا التي تهم الطائفة •

كان « علي خان » يملك عددا ضخما من أحسن خيول السباق في العالم ، وهو بدوره كان خيالا ماهرا ، ربح عدة مرات سباق الدربي ، وثلاث مرات الجائزة الكبرى للهواة ، وزاد عدد انتصاراته في ميادين السباق على المائة في فرنسا وانكلترا وايرلندا والمانيا ولبنان ومصر ، كل هذه الانتصارات التي حققها في السنوات الاخيرة دليل على عظمة مستواه الرياضي الرفيع ، وقوة أعصابه وشجاعته الخارقة ، اشترك في سباق السيارات ، وسباق التزحلق على الثلوج ، وكان أهم عمل يفتخر به في حياته الرياضية ، عندما قاد طائرة ذات محرك واحد خالية من اللاسلكي ، ولم يكن معه سوى مساعد واحد لمسافة ستة عشر ألف كيلو مترا ، حيث بدأ رحلته من الهند حتى بور ماليزيا فسنغافورة وعاد بعد ذلك الى نقطة الانطلاق ، ولقد جلب له شغفه بالرياضة كثيرا من المتاعب والصعوبات •

وفي ٢٧ أيار سنة ١٩٤٩ تزوج من الممثلة السينمائية العالمية (كارمن كانزيتو) أو (ريتاهيوارث) بعد أن طلق زوجته (جون) في نفس العام • وزواجه هذا شغل الصحافة العالمية أسابيع طويلة ، وفي ٢٨ كانون الاول من نفس العام أنجبت له طفلة دعاها (ياسمين) • ولكن حياتهما الزوجية لم تستمر طويلا ، فاشتدت المشاحنات بين الزوجين وأخذت تزداد مع مرور الايام حتى انفصلا رسميا في ٢٧ كانون الثاني عام ١٩٥٣ ميلادية •

وفي السنوات الاخيرة التي أعقبت نهاية الحرب العالمية الثانية كثرت مهام علي خان وازدادت أعماله ، واهتم اهتماما كبيرا بشؤون الاسماعيلية في سورية ، فقدم لهم المساعدات والارشادات القيمة خلال زياراته العديدة ، فازدهرت حياتهم الاقتصادية ، وكثر عدد المتعلمين فأرسل البعثات العلمية الى الخارج على نفقته الخاصة ، وشيد المدارس العديدة في القرى والدساكر ، وأصبح لا يطيق البعد عن سلمية ، لذلك صرح في آخر زيارته له بأنه كتب في وصيته منذ اثني عشر عاما أن يدفن في باحة المسجد الكبير الذي بناه في مدينة سلمية •

وبرز (علي خان) في الاوساط الدولية العالمية كسياسي عظيم ، وخطيب مفوه قوي الحجة عندما أصبح المندوب الدائم لدولة الباكستان في هيئة الامم المتحدة • وقد تبنى الدفاع عن القضايا العربية ومشاكل الشعوب الملونة ، وكانت مواقفه هذه مشرفة لباكستان ، كما أكسبته شهرة واسعة أدخلته في قلب كل الذين عرفوه •

وظل يشغل هذا المنصب حتى توفي في باريس يوم الخميس الثاني عشر من أيام عام ١٩٦٠ ميلادية الموافق الخامس عشر من ذي القعدة سنة ١٣٨٠ هجرية بحادث اصطدام سيارته التي كان يقودها بنفسه وبسرعة على غاية من البساطة ودفن جثمانه مؤقتا في قصره الخاص في (نويللي) بانتظار نقله الى سلمية في سورية تنفيذا لوصيته •

هذه ترجمة موجزة لحياة علي خان الذي حصل لي شرف معرفته عن كثب خلال زياراته العديدة لسورية ، وفي القاهرة والهند والباكستان كان يقربني اليه في جميع المناسبات ويتحدث الي طويلا عن أشياء وأشياء ، وكان همه الوحيد أن يرى الاسماعيلية في سورية في طليعة الاسماعيليين تقدما وازدهارا وفعالية في المجالات الاقتصادية والاجتماعية •

لم تكن مطلقا وفاته خسارة للطائفة الاسماعيلية فحسب بل كانت للانسانية عامة •

علي بن الفضل الجيشاني

كان مغمورا يعيش في الكوفة ، ويقال انه تعلم اصول الدعوة الاسماعيلية فيها، واسمه كما ورد في المصادر الاسماعيلية : علي بن الفضل الجدني الخنفري الجيشاني • ويحدثنا القاضي النعمان في كتابه افتتاح الدعوة فيقول [١] : « كان ابن الفضل شابا جميلا من أهل بيت تشيع ونعمة ويسار • ويقال له أبو الحسن علي بن الفضل خرج حاجا من جيشان في جماعة من أهلها » • فوصل الى الكوفة بعد أن أدى فريضة الحج سنة ٢٦٧ هجرية وأخذ يبكي عند قبر الامام الشهيد الحسين بن علي بن أبي طالب وينتحب ، ويعدد مناقب الامام ويذكر فضله ، مما جعل دعاة الاسماعيلية يحرصون على استمالته الى دعوتهم • وبعد أن تم لهم ذلك شرعوا في تلقينه أصول المذهب الاسماعيلي وتعاليمه ومن ثم أرسلوه حسب العادة الى حضرة الامام الاسماعيلي للدراسة عليه والتزود من معينه الروحي الذي لا ينضب ؛ ولما اتصل علي بن الفضل بالامام الحسين بن أحمد أخذ يعده الاعداد التام داعية له في بلاد اليمن • وبالرغم من اختلاف المؤرخين في الشخص الذي عهد لابن الفضل بالسفر الى بلاد اليمن نستطيع أن نؤكد اعتمادا منا على ما ذكره القاضي النعمان ان الامام الاسماعيلي الحسين بن أحمد هو الذي قام بهذا الامر ، لأن الامام المذكور بعد أن أخذ العهود والمواثيق على ابن حوشب رأى أن يختار له رفيقا تتوفر فيه كافة الشروط المتوفرة بابن حوشب فوقع اختياره على علي ابن الفضل لما كان يتمتع به من ذكاء خارق وعلم غزير ، فأمر باحضاره ، ولما وصل لعنده قال الامام مخاطبا ابن حوشب : « ••• هذا الذي كنا ننتظره فكيف رأيك في الذي عرضته عليك من أهل اليمن ؟ » فامتثل أبو القاسم

(١) افتتاح الدعوة للقاضي النعمان ص ١٠ •

لأوامر الامام التي قال فيها : « ••• الى عدن لاعة فاقصد ، وعليها فاعتمد ، فمنها يظهر أمرنا ، وفيها تقر دولتنا ومنها تفترق دعاتنا[١] » ثم أمره بالاستتار والاعتماد على التأويل ، واتخاذ التشيع وسيلة لتحقيق أغراضه ، ثم قال له : « واجمع الرجال والمال والزم الصوم والصلاة والتقشف ، واعمل بالظاهر ، ولا تظهر الباطن ، وقل لكل شيء باطن ، وان رد عليك ما لا تعلمه فقل لهذا من يعلمه وليس وقت ذكره [٢] » كما أوصاه بعلي بن الفضل خيرا فقال له : « هو شاب قريب عهد بالامر ، فانظر كيف تسوس أمره [٣] » ثم توجه الى علي بن الفضل فقال له : « ان هذا الرجل الذي نبعث به معك بحر علم ، فانظر كيف تصحبه [٤] » ثم قال : « الله بصاحبك ، وقره واعرف له حقه ، ولا تخالفه فيما يراه لك ، انه أعرف منك وانك ان خالفته لم ترشد [٥] ثم قال لهما : « أبعثكما الى اليمن ، تدعوان الى ولدي هذا ، فسيكون له ولذريته عز وسلطان ، وان الله عز وجل قسم لليمانيين ألا يتم أمر في هذه الشريعة الا بنصرهم [٦] » •

خرج الداعيان الكبيران من الكوفة الى القادسية في نهاية سنة ٢٦٧ هجرية ، فوافيا مكة في حين قدوم الحجاج من اليمن [٧] وبعد أن أدى مناسك الحج تابع علي بن الفضل وزميله ابن حوشب السير جنوبا حتى وصلا الى (غلافقة) أول سنة ٢٦٨ هجرية فقرر الداعيان المذكوران أن يفترقا على أن يتصل كل واحد منهما بصاحبه ليتعرف أحواله ، فاتجه ابن حوشب الى

(١) افتتاح الدعوة للنعمان ص ١٢ •
(٢) افتتاح الدعوة للنعمان ص ١٣ •
(٣) نفس المصدر للنعمان ص ١٦ •
(٤) افتتاح الدعوة للنعمان ص ١٤ •
(٥) كشف أسرار الباطنية للحمادي ٢٣ •
(٦) زهر المعاني للداعي ادريس عماد الدين ص ٦٥ •
(٧) افتتاح الدعوة للنعمان ص ١٤ ، عيون الاخبار للداعي أدريس ٣٥/٥

مدينة الجَنَد ، وكانت غايته عدن لاعه (١) ؛ أما علي بن الفضل فتوجه الى بلاد يافع الجبلية ، بالقرب من الجَنَد ، فأظهر الزهد والتقشف والصلاح والتفقه بالدين ، والتضلع في المذاهب السنية ، فأقبل الناس عليه من كل فج فأمر أصحابه ببناء حصن فوق جبلهم في جهة سرو يافع واتخذه قاعدة ليركز فيها دعوته وليجعلها مقرا لنشاطه المذهبي والسياسي (٢) .

وفي سنة ٢٩٤ هجرية هجم بجيشه الذي أعده اعدادا تاما على بلاد ابن أبي العلاء سلطان لحج وأبين ، ودارت الحروب في خنفر فانتصرت جيوش علي بن الفضل بعد أن أظهر قيادة حكيمة ومعرفة فائقة بأساليب الحرب واحتل المذيخرة وحصن التعكر ، وتتبع جعفر المناخي حتى قتله في وادي نخلة ، وبذلك اشتد ساعده وقوي مركزه فاتجه الى بلاد يحصب فدخل مدينة منكث واحرقها ، ثم أغار على صنعاء ودخلها لأول مرة من ناحية الشهابيين وذلك سنة ٢٩٥ هجرية ، ولكن أسعد ابن أبي يعفر حاول استرجاعها مرارا ، وبقيت صنعاء مكان تجاذب ، حتى استقر فيها ابن الفضل سنة ٢٩٩ هجرية ولم يقف طموحه عند هذا الحد بل استمر في فتوحاته حتى دان له معظم تهامة بعد أن استولى على زبيد وقتل واليها المظفر بن حاج أكبر ممثل لبغداد في اليمن .

ولما استقر علي بن الفضل باليمن ظل على ولائه للامام الاسماعيلي مدة أظهر فيها التقشف والورع ، فكان كما يصفه الحمادي : « أخذ بالنسك والعبادة ، فكان نهاره صائما وليله قائما ؛ فأنسوا اليه وأحبوه ، ثم انهم قلدوه أمرهم ؛ وجعلوا حكمهم اليه ؛ فسألوه أن ينزل من ذلك الجبل (٣) ويسكن بينهم ؛ فقال لا أفعل هذا ، ولست أسكن بين قوم جهال ضلال ،

(١) عيون الاخبار للداعي ادريس ٥/٣١–٣٣

(٢) كشف أسرار الباطنية (ص ٢٨) .

(٣) كشف أسرار الباطنية (ص ٢٤) .

الا أن يعطوني العهود والمواثيق ألاّ يشربوا الخمر ؛ ففعلوا له ذلك ، وانهم ينكرون المنكر وينكرون على أهل المعاصي بأجمعهم » . فحلفوا على الطاعة ، وأن لا يخالفوه بما أمر ، فوعدهم خيرا (١) ومن هنا يتضح لنا أن ابن الفضل ظل مدة في بلاد اليمن على ولائه للاسماعيلية لا تقل عن عشرين سنة اذا علمنا أنه وصل الى اليمن سنة ٢٦٨ هجرية ، وأن خروجه على الاسماعيلية علنا لم يكن الا بعد أن استولى على المذيخرة سنة ٢٩٤ هجرية ، واتهم المؤرخون ابن الفضل بأنه أحل لأصحابه شرب الخمر ونكاح البنات والاخوات (٢) كما أظهر المجوسية وكفر بما جاء به من عند الله عز وجل (٣) . وقيل أنه كان يخاطب نوابه بعبارة « من باسط الارض وداحيها ، ومزلزل الجبال ومرسيها ، علي بن الفضل (٤) » .

ويروى أنه لما دخل الجَنَد خطب شاعره على منبرها ، فقال من قصيدة طويلة تدور حول محرمات الشريعة والاستهانة بها (٥) :

خذي الدفّ ، يا هذه ! والعبي ... وغني هزاريك ، ثم اطربي

تولى نبي بني هاشم ... وهذا نبي بني يعرب

لكل نبي مضى شرعة ... وهذي شرائع هذا النبي

فقد حط عنا فروض الصلاة ... وحط الصيام ، ولم يتعب

ولا تطلبي السعي عند الصفا ... ولا زورة القبر في يثرب

(١) السلوك للجندي ١٤٣ .

(٢) السلوك للجندي ١٤٣ – ١٤٤

(٣) أرندونك ص ٣٠٢ نقلا عن سيرة الهادي لعلي بن محمد بن عبد الله العباسي العلوي .

(٤) السلوك للجندي (١٤٨) .

(٥) جاء بعضها في كتاب كشف أسرار الباطنية ٣١ ؛ والسلوك للجندي ١٤٤ ؛ واغلب الظن أن قائلها من الخطابية ، ومن ثم نسبت لشاعر علي بن الفضل .

وهكذا نرى أن ابن الفضل قد خرج عن صميم المعتقدات الاسماعيلية ، وحتى عن مبادىء الدين الاسلامي الحنيف . بالرغم من أنه كان شخصية بارزة ، وقائدا بارعا ، وحاكما ناجحا ، ووطنيا متحمسا ، وباعتقادي أن كل هذه الاتهامات قد بالغ فيها المؤرخون والكتاب لأنهم لم يأتوا بأدلة قاطعة تثبت اتهاماتهم ، وها ان الحمادي وهو من ألد أعداء الدعوة الاسماعيلية يذكر سياسته البارعة في السلم والحرب ، ويتحدث عن شهامته واقدامه ، وايفائه العهود والمواثيق ، وحمايته المظلومين ، ونصرته لمبادىء الاسلام [1] .

وعلى العموم فالتاريخ الاسماعيلي يذكر بصراحة أن علي بن الفضل بعد أن أضحى سيد اليمن ، عمل على التخلص من جميع المذاهب وقيودها ، فنادى بقطع الحج ، وقال : « حجوا الى الحَرْف ، واعتمروا الى الثلاث ». وبعد صدور هذه الاقوال عنه اعتبر في رأي الدعوة [2] « قد نكث عهده ، واستهواه الشيطان وأضله ، ففارق الدعوة وخرج من الملة .. وافترى على الله وعلى أوليائه ، مقتديا بالمضلين من قبله ، فكانوا له شر أسوة ، واستمال الجهال ، فكانوا له من الانصار والاتباع ، فارتكب المحارم ، ومال الى الاباحات ، أو كفر بعد ايمانه ، وباء بلعنة الله » .

ومن الناحية السياسية ظل ابن الفضل ينافق منصور اليمن ويخادعه ويقول له : « انما أنا سيف من أسيافك » ولما فتح صنعاء سنة ٢٩٩ هجرية اجتمعا وتشاورا في فتوحهما . فاقترح منصور اليمن أن يوقف الحرب ، ويبدأ بالاصلاحات . ولما ازداد نفوذ ابن الفضل وأصبح سيد اليمن بلا منازع قرر تكوين دولة منفصلة عن العباسيين والفاطميين ، وأعلم منصور اليمن بقراره وطلبه للطاعة ، فكتب اليه منصور يذكره بالعهود والمواثيق التي أخذها عليهما الامام ، وحذره من خطر التفكك والتفرقة ولكنه أجابه بقوله :

---

(1) كشف أسرار الباطنية ص ٢٩ .

(2) عيون الاخبار للداعي ادريس ٥/٤٣ .

« هذه الدنيا شاة ، ومن ظفر بها افترسها [1] » وتمادى في اصراره فاستعد أبو القاسم وحصن بلاده وسار فاستولى على (شبام حمير) وحاصر مدينة (الظلمة) حيث كان ابن الفضل وأتباعه وقطع التموين عنهم وأخذ يلاحقهم في كل مكان وكان بينهم قتال شديد ، ومن ثم حاصر علي بن الفضل صنعاء ثمانية أشهر فاضطر المنصور الى عقد راية الصلح بينهما ، ومن ثم توفي ابن الفضل وقيل أن سبب وفاته أن طبيبا جاء لمعالجته فدس له السم فمات سنة ٣٠٣ هجرية .

* * *

---

(1) عيون الاخبار للداعي ادريس ٥/٤٩

أبو الحسن علي شاه

ولد الامام أبو الحسن علي بن قاسم علي في مدينة (كوهك شاه نزار) سنة ١١٥ هجرية • وجلس على أريكة الامامة الاسماعيلية سنة ١١٤٣ هجرية باحتفال كبير حضره الشـاه نادر افشاري حاكم ايران ووفود عـديدة من الاسماعيليين من جميع بلدان العالم حيث قدموا الهدايا والتحف والاموال الكثيرة ، وكان أول خطوة خطاهـا الامام أبو الحسن علي أن أعلن بأنه سينفق جميع الاموال التي قدمهـا أتباعه بمناسبة عيد جلوسه لبناء مدينة جديدة يسكنها مع النخبة المثقفة من الاسماعيليين ، ونقل مركز دعوته الى بلدة (قيان) الواقعة بقرب (دركان) و (جنجران) حيث هدم جميع المنازل القديمة وأخذ يشيد فيها الابنية الحديثة المتوفرة فيها كافة الشروط السكنية المعروفة في ذلك العصر ، وصرف المبالغ الطائلة لايجاد الحدائق والبساتين الغناء التي جلب لها الاغراس من بلاد الشام •

ويذكر التاريخ ان الامام أبا الحسن علي كان محبـا للسياسة مولعـا بالتنقل والتجوال لدراسة أحوال أتباعه عن كسب ، أدخل تعديلات طفيفة في أنظمة الـدعوة فلقب ممثله في المنـاطق باسـم (بادا) ومنحـه كافة الصلاحيات[1] •

في عهده اندلعت الحروب والثورات الداخلية بين القبـائل والطوائف الايرانية بعد وفاة (نادر شاه أفشاري) فسيطر على الملك الامير (كريم خان) وشرع باستئصال المفاسد والثورات من الجذور ، وقيل ان كريم خان هذا ينتسب الى العائلة (الزندية) المعروفة بالشجاعة والاقدام والمشهورة بميولها

(١) تاريخ الدعوة الاسماعيلية : ص ٢٦٣ — ٢٦٤ •

للاسماعيلية ، حتى ان كريم خان عندما أصبح ملكا على ايران كان يقول للنـاس أنا لست الا مريدا لمولاي أبي الحسن علي ، وبالفعل كان يستشير الامام بكل شاردة وواردة ودعاه لزيارته في مقر ملكه ، ولما وصل الامام استقبله استقبالا منقطع النظير •

ويذكر المؤرخ الاسماعيلي الهندي (جنـارا) ان الامام أبـا الحسن علي شاه كان معروفا ومشهورا لدى أتباعه بعدة أسماء وألقاب ذكر منها : سيد شاه محمد حسن شاه ، حسن بيك ، أبو الحسن علي شاه ، آغا محمد حسن شاه ، ويضيف الىذلك قوله : ان النشاط السياسي والعلمي والاجتماعي الذي بذله مولانا أبو الحسن علي لا يحـد ولا يوصف ، أنفق أكثر أموال الخزانة الاسماعيلية على المشاريع العمرانية والصحية والعلمية ، وخاصة على تأسيس المدارس والمستشفيات ودور السكن ؛ ولما شعر فقهاء وعلماء الطوائف الاخـرى بزيادة نفوذ الامام حاولوا كعادتهم تأليب الحكام عليه ، ولكنهم لم يفلحوا نظرا لما كان يقدمه من خدمات جليلة للشعب الايراني بأجمعه[1] •

توفي أبو الحسن علي سنة ١١٩٢ هجـرية ودفن في (وادي السلام) بالنجف الاشرف •

* * *

(١) نور مبين حبل الله المتين لجنارا ص ٥٦٧ — ٥٦٨ •

علاء الدين محمد بن جلال الدين الحسن

تدل المصادر التـاريخية على ان ولادة الامام علاء الدين محمد كانت سنة ٦٠٩ هجرية أو[1] سنة ٦٠٨ هجرية في قلعة آلموت ، وجلس على عرش الامامة الاسماعيلية سنة ٦١٨ هجـرية بعد وفاة أبيه ، واقيمت الافـراح والاحتفالات في جميع البـلدان التي يقطنها الاسماعيلية وأتته كتب البيعة والولاء من كافة القلاع والحصون ، وباعتباره كان في التاسعة أو العاشرة من عمره فقد تولى ادارة شؤون الاسماعيلية مجلس الدعاة ريثما يبلغ الامام أشده ، وكان أول عمل قام به أن أعاد تصنيف الفـدائية والجيش والمالية والادارة بعد أن كادت تصل الى درجة الانهيار في عهد والده[2] ، كما أمر بتأسيس المكتبة الاسماعيلية وأحضر لها المؤلفات القيمة من مختلف الاقاليم ، وقيل انه أنفق الاموال الطائلة على اعادة تأسيسها وفرشها ، ووجه عنـاية خاصة لدور العلم ، وخصص يومين من كل اسبوع لالقاء المناظرات العلمية من قبل أسـاتذة وطلاب مدارس الدعوة ، وكان يغدق المنح والعطايا على المتفوقين ويرقي الاسـاتذة المتناظرين . وبذلك ازدهرت العـلوم الفلسفية والفقهية ، ونبغ دعاة علماء أمثال الفيلسوف نصير الدين الطوسي ، والشاعر الفيلسوف شمس الدين الطيبي داعي دعاة بلاد الشـام وغيرهم ، والجدير بالذكر أن المشرف العـام على تلك المـدارس كان شقيق الامـام وحجته (شمس تبريز) .

---

(١) تاريخ الادب في ايران : براون : ص ٥٧٩ ، تاريخ الدعوة الاسماعيلية ص ٢١٧ .

(٢) The SHI'A of INDIA. By NORMAN : p.p. (317 - 318)

وفي سنة ٦٣٢ هجرية أغار (أرخان) على بعض الحصون الاسماعيلية في نيسابور فاحتلها بعد أن قتل ونهب وأحرق كل شيء فيها ؛ ولما علم الامام علاء الدين محمد بهذه النكبة أوفد الداعي كمال الدين بن اسماعيل مندوبا عنه ليطالب (أرخان) بالتعويضات عمـا أصاب الاسماعيلية في نيسابور ، ولكن (أرخان) أساء الى هذا الداعي وهـدده بالقتل ، فعاد وأبلغ الامام بما حدث ، فأمر الامام بأن يجهز جيشا قويا من الاسماعيلية لقتال (أرخان) والثأر منه ، وبالفعل سارت اليه جموع الاسماعيلية وبعد قتال مرير ألقي القبض على (أرخان) وأعدم ، ووقعت معاهـدة مع خلفه منح بموجبهـا الاسماعيلية الامتيازات المحلية وسلمت اليهم قلعة (دامغان) كتعويض عما أصاب اسماعيلية نيسابور .

وفي سنة ٦٥١ هجرية خرج هولاكو لغزو حصون الاسماعيلية ، وأرسل الى ملوك المسلمين المجاورين سجلا جاء فيه : « نحن انما حضرنا بأمر الخان لندك حصـون الملاحدة ، فاذا رأيتم أن تحضروا بأنفسكم الينـا وتلحقوا عساكركم بعساكرنا ، فانا سنحفظ عليكم بلادكم ، وسنعوض عليكم معاونتكم هـذه بالانعامات الملكية ، أما اذا ترددتم وتمنعتم فاني سأنقض عليكم فور انتهائي من أمر هذه الطائفة الضالة الاسماعيلية[1] واستجاب ملوك المسلمين المجاورن للاسماعيلية لنداء هولاكو خوفا من بطشه وتهديداته ورغبة منهم للتخلص من الفدائيين الاسماعيليين . فسارت جموع المغول وجيوش المسلمين لمحاربة الاسماعيلية في حصونهم فقاوموا ثلاث سنوات ، وهذه فترة كـان بامكان الدول الاسـلامية أن تنتبه للخطر المغولي وتعمـل على مساعدة الاسماعيلية ، ولكن على العكس تعاونوا مع المغول ، فكان أن قضي على كل بمفرده وعم البلاء العالم الاسلامي .

ويذكر التاريخ أن هولاكو خان بعد أن احتل مدينة بغداد وقع معـاهدة

---

(١) طائفة الاسماعيلية : كامل حسين : ص ٨٥

صداقة وعدم اعتداء مع الامام علاء الدين محمد وعين بموجبها العلامة نصير الدين الطوسي وزيرا أولا لهولاكو خان ، ولما استقرت الامور وزع علاءالدين محمد دستورا خاصا للاسماعيلية حظر فيه عليهم ارتكاب الموبقات والمعاصي ، وشدد في حضور الصلاة اليومية والاجتماعات الخاصة التي تلقى فيها الدروس المذهبية ، وعين لهذه الغاية دعاة اكفاء تتفاوت درجة ثقافتهم ومقدرتهم العلمية حسب الدروس التي يلقونها [1] .

وقبل أن ننهي كلمتنا عن هذا الامام لا بد لنا من ايراد بعض أقوال المؤرخين حوله ومناقشتها والرد عليها . قال براون : [2] « كان عمره تسع سنوات تولى الوصاية وزيره ، وقيل أن فاتحة أعماله كانت أن أمر بقتل جماعة من النساء اللائي كن في حريم (والده) بحجة أنهن تآمرن على قتله ، كما أمر بحرق بعضهن وهن على قيد الحياة . ولم يبلغ الخامسة عشر حتى أصيب بعارض شديد من (الماليخوليا) ... وتزوج علاء الدين وهو صغير ولم يبلغ الثامنة عشر من عمره فأنجب أول أولاده (ركن الدين خورشاه) فجعله خليفة له على الاسماعيلية ، ولكن أفعال الايام جعلت الحسد يدب بينهما بحيث سعى الوالد الى خلع ابنه ، وعمل جاهدا على ذلك ولكن الاسماعيلية رفضوا أن يجيبوه الى ما طلب ، لانهم يدينون بالمذهب القديم ، ووجد علاء الدين مقتولا في (شيركوه) في آخر شوال سنة ٦٥٣ هجرية وقد بادر ابنه (ركن الدين) الى الامر باعدام قاتله (الحسن المازنداني) واحراق جثته ، ولكن الاقاويل ثارت بانه هو الذي حرضه على قتل أبيه .... » .

ونحن نرد على هذا القول فنقول : يستدل من المصادر الاسماعيلية

(١) لدينا نسخة خطية من هذا الدستور في مكتبتنا الخاصة .

(٢) تاريخ الادب في ايران : ص ٥٧٩

الموجودة بين أيدينا وأقصد بها كتاب (دستور المولى علاء الدين) الذي أملاء على حجته في بلاد الشام العلامة شمس الدين الطيبي ابان وجوده في (آلموت) أن الامام علاء الدين محمد كان يتمتع بكافة قواه العقلية ، وبمقدرة علمية لا تتوفر بشخص مصاب بمرض (الماليخوليا) أي الجنون ، أو بالاحرى النوبات الهيستيرية ، أما ما قيل أنه فكر بنزع الامامة عن ولده (ركن الدين) فكما يظهر انه لمس وهو العالم الجليل ، بولده الثاني الفيلسوف (شمس تبريز) القوة لادارة دفة شؤون الاسماعيليين في ذلك العصر المضطرب ، فكان من جراء ذلك التفكير أن قام بعض الدعاة ممن يتمسكون عادة بالنصوص القديمة فحالوا دون تنفيذ هذه الرغبة ، وهذه الحادثة من الاسباب التي جعلت ابنه الثاني (شمس تبريز)[1] يغادر القلاع ليعيش في ايران بعض الوقت مرشدا ومدرسا للعلوم الروحية ، ومن ثم يتوجه الى قونيه بعد فاجعة (آلموت) ليترأس مدرسة الصوفية فيوجهها الوجهة الاسماعيلية بالتعاون مع تلميذه الداعي جلال الدين الرومي . وليس بغريب أن يقدم أحد الخونة من الاتباع أو غيرهم على اغتيال الامام فهو انسان يجري على جسده ما يجري على بقية الاجساد البشرية .

وعلى العموم أوجد عصر هذا الامام نخبة ممتازة من رجال الفكر والفلاسفة الذين كان لهم شأن كبير في عالم الفلسفة والعلم والمعارف . وتوفي في آخر شوال سنة ٦٥٣ ودفن في آلموت .

* * *

(١) نور مبين حبل الله المتين : جنارا : ص ٤٣٠ ، الشيعة في الهند ، نورمان ص ٣١٨ .

المستنصر بالله الثاني

علي شاه بن محمد بن اسلام شاه

يعتبر الامام المستنصر بالله الثاني من كبار العلماء في عصره ، ومن رواد الفلسفة الاسلامية ، أخذ عنه أغلب العلماء المتصوفة الذين ظهروا في عصره في فارس والهند وافغانستان ، كانت ولادته سنة ٨٠٦ هجرية في مدينة (بابك) وتسلم الامامة بعد وفاة أبيه سنة ٨٦٨ هجرية ولقب بـ (المستنصر بالله الثاني) ورد اسمه في كتب التاريخ علي شاه بن محمد بن اسلام شاه ، كان يتجول متفقدا أتباعه في جميع المناطق دون خوف أو وجل لما كان يتمتع به من احترام لدى كافة الحكام والملوك والامراء ، وجه جل اهتمامه لتقوية الاقتصاد الاسماعيلي فخصص كل الاموال التي كانت ترد الى دار الدعوة لتقوية التجار والصناع والمزارعين من اتباعه ، فكانت توزع عليهم كقروض ترد الى خزينة الدعوة في مركز الامامة بعد أن تتحسن حالة المستقرض [1] .

وجه عناية خاصة لترقية العلوم ، وادخل تنظيمات وتجديدات كثيرة في الامور التعليمية ، وافرد في قصوره غرفا خاصة لتلقى فيها الدروس الفلسفية والفقهية ولعقد المجالس التأويلية ، والمناظرات بين دعاة وعلماء المذهب الاسماعيلي ، واختار الدعاة ذوي المقدرة العلمية فأوفدهم الى المناطق النائية ، وعين الداعي (فرزند سيد نوربخش) في كشمير ، والداعي نور صابر بن حسن كبير الدين في أفغانستان ، وكلف (بير) شمس الدين الثاني بتسيير امور الدعوة في السند ، والداعي (سيد كمال الدين الثاني) في

(١) نور مبين حبل الله المتين جنارا : ص (٥١٦ — ٥١٧)

البنجاب ، فازدهرت الدعوة على أيديهم ودخل في المذهب خلق كثير من الوثنيين والهندوس ، وبذل أقصى الجهود لانقاذ الاسماعيلية في سورية من الهوة التي تردوا اليها فأوفد لهم كبير دعاته (محمد نور حسن) ليدرس أوضاعهم ، فعاد بعد مدة مع بعثة اسماعيلية سورية قوامها ثمانية أشخاص ، حيث تدارسوا أمرهم مع الامام وقدموا له بعض المطاليب ، فأخذ قضيتهم بعين الاعتبار ووعدهم بتلبية جميع مطاليبهم ، ومن ثم سيرهم مع ثلاثة من كبار الدعاة ليفضوا الخلافات حول الزعامة الدينية [1] .

وتذكر المصادر العلمية والتاريخية أن الامام المستنصر بالله قد صنف عدة كتب تبحث في الفقه والفلسفة وعلم التأويل ، ولكنها فقدت جميعها ولم يبق منها الا كتاب واحد فقط اسمه (بندياني جوان مردي) ويبحث في اصول المذهب الاسماعيلي ويعتبره الاسماعيلية في فارس والهند كدستور لهم يرجعون اليه في خلافاتهم المذهبية [2] ، وقيل ان الامام المستنصر بالله الثاني كان يتمتع بمكانة سياسية عظيمة كان لها أكبر الاثر في تسيير شؤون ايران وكشمير ، والسند الداخلية والخارجية ، وكان موضع اعجاب وثقة وتقدير جميع المذاهب والطوائف على السواء . توفي سنة ٨٨٠ هجرية ودفن في مدينة بابك الايرانية .

* * *

(١) تاريخ الدعوة الاسماعيلية لغالب : ص ١٣٦ .

(٢) A Guide to ismaili literature ivanow. p.p. 206

علي بن محمد بن طاهر الصائغ العجمي

تولى زعامة الاسماعيلية في ولاية حلب بعد وفاة (الطبيب المنجم) والمرجح أنه أرسل من مقر الدعوة الاسماعيلية النزارية في فارس لمساعدة الطبيب المنجم وليكون نائبا له ، وبالرغم من الجهود التي بذلناها لم نتمكن من معرفة تاريخ نشأته ، وباعتقادي أنه كغيره من كبار الدعاة تلقى علومه في مدارس الدعوة في فارس ، وبعد تخرجه التحق بخدمة الحكيم المنجم في ولاية حلب .

وما كاد يتسلم منصبه حتى وجه اهتمامه الى تنشئة الشباب الاسماعيلي تنشئة عسكرية قوية ، فعمم التدريب على أعمال الفدائية والدفاع والهجوم ، وسار على نهج سلفه في التقرب من رضوان والافادة من عطفه وتشجيعه ، وكان يساعده في ادارة شؤون الاسماعيلية مقدم الاسماعيلية وقاضي القضاة أبو الفتح السرمني ، ولقد تمكنا من احتلال أفامية التي كانت تابعة للفاطميين في مصر ويحكمها خلف بن ملاعب الكلابي ولقد ذكر تعيينه بهذا المنصب ابن ميسر فقال [١] : « ان أهل أفامية قدموا الى مصر ، وكانت مذاهبهم اسماعيلية ، وسألوا واليا يكون عليهم ، فوقع الاختيار على ابن ملاعب » . وبذل الاسماعيلية المستحيل لرد هجمات الصليبيين الغزاة المتوالية ، واخراجهم من قلاع منطقة حلب ، ولكن الصليبيين تمكنوا من احتلال سرمين جنوب حلب التي كانت مقرا للقاضي أبي الفتح السرميني ، فلجأ الى أفامية ، حيث احتلها أيضا الصليبيون ، ولكن أبا طاهر الصائغ جرد عليهم حملة سنة ٤٩٧ هجرية وطردهم منها ، ولكنهم عادوا اليها ثانية بقيادة تنكريد صاحب

(١) تاريخ مصر ، ابن ميسر : ١٣٧/٢ .

انطاكية وحاصرها حتى استسلمت له سنة ٥٠٠ هجرية [١] وقتل أبو الفتح السرميني وأسر أبو طاهر الصائغ وجماعة من وجهاء الاسماعيلية ولم يتركه الصليبيون الا بعد أن افتدى نفسه وجماعته بمال كثير [٢] فاستقبل الصائغ من قبل رضوان خير استقبال ، ولما اشتدت الحملات الصليبية صمم (الصائغ) على اغتيال الامير (دوسانجيل) في طرابلس فأرسل له من طعنه بخنجر فأرداه قتيلا .

وفي سنة ٥٠٥ هجرية تألبت الطوائف المجاورة على الاسماعيلية في منطقة حلب والباب فقتل منهم الآلاف وقيل أنهم لم يتركوا الاطفال والنساء والشيوخ [٣] ، وفي سنة ٥٠٧ هجرية توفي رضوان ملك حلب فخلفه ابنه ألب أرسلان الذي استطاع زعماء حلب من السنيين أن يقنعوه بلزوم تلافي خطر النشاط الاسماعيلي في المدينة والولاية ، واعلموه ان في قتالهم وقتلهم أعظم القرب الى الله تعالى [٤] ، فبادر الملك الى اعطاء الاوامر بالقبض على زعماء الاسماعيلية ، وحتم على أتباعه ضرورة قتل كل من يعثرون عليه من الاسماعيلية . فقبض على أبي طاهر الصائغ ، وابنه ، وعلى الداعي اسماعيل أخي الطبيب المنجم ولم يفلت من تلك المذبحة الا الداعي « حسام الدين ابن دملاج » الذي فر الى الرقة والداعي ابراهيم العجمي ، وبعد أن نهبت منازل جميع الاسماعيلية وصودرت أملاكهم ، وقتل منهم بظاهر حلب ثلثمائة، وقتل جميع القادة والزعماء وقيل قذف بهم من أعلى القلاع ومثل بالاطفال والنساء ، حتى انه لم يبق بحلب من الاسماعيلية بعد هذه المذبحة من يعرف .

(١) مرآة الزمان : ابن الجوزي : ٨ ورقة ١١ .
(٢) تاريخ الاسلام للذهبي ٣ ورقة ٥١٧ .
(٣) زبدة حلب : ابن العديم : ١٤٧/٢ .
(٤) تاريخ الدول والملوك : ابن الفرات : ١ ورقة ٧٢ .

علي بن محمد الصليحي

في الربع الاول من القرن الخامس الهجري كانت السياسة في بلاد اليمن تنحدر بسرعة نحو التفكك والتدهور ، ولم تكن في البلاد وحدة سياسية تجمع شمل الامراء والزعماء تحت قيادة واحدة ، بل كانت السلطة موزعة بينهم وهم متباغضون متنافرون يهاجمون بعضهم البعض ويقتتلون على السلطة ، ولم تكن تربطهم بالخلافة العباسية سوى اقامة الخطبة وضرب السكة باسم الخليفة العباسي .

وفي هذا الجو السياسي المشحون بالقلاقل والمشاكل وعدم الاستقرار ظهر الداعي علي بن محمد الصليحي[١] واطبقت شهرته الآفاق ، وذاع صيته بين الناس فقيها صالحا وعالما جليلا . فلا غرو فقد نشأ في بيت عرف بالعلم والتقوى ، فنشأ نشأة طيبة في بيئة عربية حرة ، لها تقاليدها من الاخلاق الفاضلة ، والعلوم الاسلامية الغزيرة ، وكان أبوه القاضي محمد سنيا ، شافعي المذهب ، حسن السيرة مطاعا من أهله وجماعته ، ولا يخرجون عن أمره [٢] .

ولد أبو الحسن علي بن محمد بن علي الصليحي سنة ٤٠٣ هجرية في مدينة قتر من أعمال حراز [٣] « وكان شابا أشقر اللحية أزرق العينين ، وليس في اليمن من يماثله في ذلك » [٤] وتزوج ابنة عمه السيدة الحرة أسماء بنت شهاب ، وكانت من خيرة نساء اليمن ثقافة وكمالا وجمالا .

(١) ينسب الى قبيلة الاصلوح من بلاد حراز .
(٢) الكفاية والاعلام للخزرجي (ص ٤٧) .
(٣) عيون الاخبار للداعي أدريس ٢/٧ .
(٤) مرآة الزمان ١/٢ ورقة ٨٨ ب .

وكانت رئاسة الدعوة اليمنية في ذلك الوقت منوطة بالشيخ سليمان ابن عبد الله الزواحي الذي تولاها بعد أن فترت اثر وفاة ابن حوشب واقسام ابنائه على أنفسهم ، فشاهد الشيخ سليمان عليا ولاحظ عليه علائم النجابة والذكاء ، ودلائل الفضائل [١] وهو في أوان الاستجابة ، فأخذ الشيخ يتصل به ويطلعه على ما عنده من أخبار وآمال ومشروعات كبار حتى استماله وغرس في قلبه من علومه وأدبه ومذهبه ، ولما نضجت تعاليمه جعله خليفته في الدعوة بعد أن أخذ موافقة الامام المستنصر على ذلك [٢] ولما توفي الشيخ سليمان الزواحي ترك له كلما كان لديه من المؤلفات والكتب الاسماعيلية فأخذ يدرسها دراسة عميقة حتى عرف أصول الدعوة وفروعها وكان لفطنته أكبر عامل في نجاحه .

واتخذ من ميدان الحج والاتصال بالحجاج حقلا لغرس مذهبه ونشر عقائده وتنميتها ، فصار يحج بالناس عن طريق السراة والطائف نحو من خمس عشرة سنة ، فانتشر ذكره في البلاد على لسان الخاصة والعامة ، ولما حج سنة ٤٣٨ هجرية اجتمع بفريق من قومه ، همدان ودعاهم الى نصرته ومؤازرته في دعوته ، فأجابوه وبايعوه وكانوا ستين رجلا من رجالات عشيرته على الموت أو الظفر بقيام الدعوة الاسماعيلية [٣] فبانضمامهم اليه اشتد ساعده ، وتمكن من تكوين جماعة صغيرة مخلصة ، وبدأ يستعد للثورة ، فكون جيشا من بطون همدان وكتب للامام يستأذنه بالثورة .

وبعد عودته من الحجاز جهر بدعوته واتخذ حصن مسار بجبل حراز مقرا له وما زال يستميل الناس حتى اجتمع اليه من سنحان وهمدان وحمير خلق كثير [٤] .

(١) عيون الاخبار للداعي أدريس ٣٨/٧ .
(٢) عيون الاخبار للداعي أدريس ٢/٧ .
(٣) قرة العيون لابن الديبع ورقة (٢١) الكفاية والاعلام ص ٤٧ .
(٤) بلوغ المرام في شرح مسك الختام للعرشي : ص ٢٤ .

ولم تكن الامور ممهدة له ليقوم بنشر الدعوة في جميع أنحاء اليمن لان دولة نجاح السنية تعمل على قمع كل المحاولات التي يقوم بها دعاة الاسماعيلية لنشر مذهبهم ، لذا عمد الصليحي الى مداراة نجاح وأظهر له أنه يدين بالطاعة له ، ثم دبر مؤامرة للتخلص منه وكان ذلك سنة ٤٥٢ هجرية حيث أهداه جارية فدست لم السم فمات (١) وخلفه من أولاده سعيد الاحول وجياش ، غير انهما لم يستطيعا أن يقفا في وجه الصليحي طويلا فهربا الى دهلك ، وبذلك قضى على دولة نجاح وضم زبيد الى جانبه (٢) .

وفي سنة ٤٥٥ هجرية تمكن الصليحي من افتتاح اليمن بكاملها فملك قلاعها وحصونها ومدنها وسهلها وجبلها وامتد نفوذه من مكة الى حضرموت، وجعل صنعاء عاصمة لملكه وبنى فيها عدة قصور ووحد البلاد تحت علم واحد ، وأخذ ينظم سياسة الدولة وادارتها (٣) . وولى من يثق بهم الحصون والبلاد ، واستعمل ابنه أحمد بن علي المكرم على (الجَند) وما يليها . واعادة الدعوة وتنظيماتها الى ما كانت عليه في بلا داليمن قبل وفاة ابن حوشب، وأقيمت الخطبة للامام المستنصر ولعلي الصليحي وزوجته السيدة أسماء بنت شهاب ، وزالت الخلافة العباسية (٤) .

وقد بلغ من ثقة الامام المستنصر بعلي الصليحي واطمئنانه الى ولائه أن منحه لقب « الامير الأجل شرف المعالي تاج الدولة سيف الامام المظفر في الدين نظام المؤمنين » ولقبه أيضا (منتخب الدولة وصفوتها ذو المجدين منجب الدولة وغرسها ذو السيفين نجيب الدولة وصنيعتها ذو الفضلين) (٥) ، وعهد

(١) ابن خلدون ٤/٢١٤ .
(٢) خطط المقريزي ٢/١٧٢
(٣) قرة العيون ورقة ٢ الكفاية والاعلام للخزرجي (٤٧) .
(٤) الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن ص ٦٣ .
(٥) سجلات وتوقيعات المستنصر رسالة رقم ٣ ص ٣٤ .

اليه اقرار الامور في مكة والمدينة واعادتهما الى حظيرة الدعوة الاسماعيلية ، فاستطاع بما أوتيه من حنكة تامة ومقدرة فائقة أن يثبت أقدام الفاطميين وان يعيد الخطبة للخليفة الفاطمي على منابر بلاد الحجاز (١) .

وبلغ من تعلق علي الصليحي بحب الامام المستنصر أن كتب اليه يطلب أن يأذن له بالسفر الى القاهرة للمثول بين يديه ، وبعث الكتاب مع الداعي لمك ابن مالك ، فارسل اليه الامام كتابا في جمادي الآخرة سنة ٤٥٩ هجرية يأذن له بالمجيء الى مصر . ولكن علي الصليحي كان في طريقه الى مكة لأداء فريضة الحج ، واستخلف ابنه أحمد المكرم على صنعاء ، وأوصاه « بالعدل وحسن السيرة والسياسة ، وتقوى الله في الجهر والسريرة ، والعمل بأعمال الشريعة واقامة دعائمها ، والائتمار بأوامرها والانتهاء عن محارمها »(٢) وكان قيامه من صنعاء في يوم الاثنين السادس من ذي القعدة سنة ٤٥٩ هجرية .

وصل علي الصليحي الى الهجم ولم يكن معه سوى ابنه الموفق وزوجته أسماء بنت شهاب وأخواه عبد الله وابراهيم وجماعة من بني الصليحي ، لان رجاله وجميع أثقاله كانوا قد تقدموه الى هجر وما كاد يحط الرحال في ضيعة يقال لها (أم الدهيم) حتى فاجأه سعيد الاحول على رأس جماعة من العبيد الاحباش ، وانقضوا عليه في يوم السبت الحادي عشر من ذي القعدة ، ومعه بنو عمه الذين أبلوا بلاء شديدا ، وكان السلطان عبد الله ابن محمد أشدهم يومئذاقداما واعظمهم بطشا بالاعداء (٣) وبعد قتال شديد قتل الملك الصليحي وأخواه عبد الله وابراهيم وبعض أقاربه . أما الامير الموفق ابن علي الصليحي ومهنا بن علي المظفر الصليحي فقد اتجها الى مكان

(١) ابن خلدون ٤/٢١٥ .
(٢) عيون الاخبار .
(٣) عيون الاخبار للداعي أدريس عماد الدين ٧/٩٠ .

النساء لحمايته ، ولكن العبيد مالبثوا أن حاصروا هذا المكان واستمر حصارهم حتى يوم الاربعاء الخامس عشر من ذي القعدة . فاستأمن مهنا وخرج الى الاحول ، فأخذ منه ميثاقا شديدا على الحرائر الصليحيات وعلى من بقى من بني الصليحي وسواهم ، ولكن الاحول غدر بالرجال فقتلهم عن آخرهم ونهب الاموال والاثقال ، ثم سار الى زبيد ومعه النساء ورأسا الملك علي بن محمد الصليحي وأخيه السلطان عبد الله محمولان على رمحين أمام هودج الملكة أسماء . ونصب الرمحان أمام الطاق الذي تنظر منه الملكة الحرة أسماء في الدار التي حلت بها ، هذا وقد اختلف المؤرخون في تحديد السنة التي قتل فيها علي الصليحي فقال البعض ان قتله كان في سنة ٤٧٣ هجرية [١]

وقال بعض آخر : ان ذلك حدث في سنة ٤٥٩ هجرية [٢] . والارجح والاصح ما جاء بالسجلات المستنصرية ، وقد جاء في السجل الذي بعث به الخليفة المستنصر الى الملك أحمد المكرم ما يفهم منه ذلك ، فقد أظهر فيه المستنصر أسفه الشديد على وفاة الصليحي ثم نادى بالمكرم ملكا من بعده [٣] ويؤيد هذا القول عمارة اليمني حيث قال : [٤] « ان قتله كان في يوم السبت الثاني عشر من ذي القعدة سنة ٤٧٣ هجرية ، وقيل سنة ٤٥٩ هجرية ، وهي رواية صحيحة » .

والخلاصة يعتبر الملك علي الصليحي من أشجع القواد الفاتحين الذين لمع اسمهم على صفحات التاريخ بما أحرزه من انتصارات وما قام به من أعمال مجيدة ولو لفترة قصيرة ، فسار بالرعية سيرة الحق والعدل وعامل الناس بالحسنى ، وأدب القبائل الثائرة التي كانت تقطع الطرق وتنهب

(١) كشف أسرار الباطنية للحمادي ص ٤٤ .

(٢) عيون الاخبار ٨٨/٧ الكفاية والاعلام للخزرجي ٤٩ ، أنباء الزمن ٤١ .

(٣) السجلات رقم ٤٠ .

(٤) تاريخ اليمن لعمارة ٢٢ .

الحجاج ، فازداد التفاف الامراء والزعماء حوله فشكل منهم قوة هائلة تمكن بها من اعادة الامن والطمأنينة للبلاد وثل عروش الملوك وقضى على دويلاتهم المفككة ، ومن الناحية الاسماعيلية فقد ظهر عليا على صفحات التاريخ داعيا متمسكا بأهداف دينه ، متسامحا مع المذاهب الاخرى ، يعمل بما شرع الله في دينه ، يسهر على تحقيق العدل الذي أنزله الله في محكم كتابه « كان عالما وفقيها مستبصرا في علم التأويل »[١] كما كان خطيبا ممتازا .

* * *

(١) نفس المصدر لعمارة ١٤و١٥ .

علي بن محمد بن الوليد الانف العبشمي القرشي

تقلد مراسم الدعوة في بلاد اليمن وتوابعها ، بعد وفاة الداعي المطلق علي بن حاتم الحامدي • وكان له مع الداعي حاتم وابنه الداعي علي الرتبة السامية واليد الطولى • وقال عنه حاتم الحامدي : [١] « ••• أما شرف النسب فانه أشرف أهل الوقت نسبا ، وأعلاهم حسبا ، وأقدمهم في الدعوة الهادية ، وأسبقهم الى الافعال المرضية ، وذلك أن جده ابراهيم بن أبي سلمة لسبقه وشرفه سفره علي بن محمد الصليحي الى الحضرة الشريفة المستنصرية• وانهم من أشرف قريش وأعلى العرب من بني عبد مناف بن قصي • وأما الطهارة والورع والعبادة والعفة والنسك والولاية والآداب ، فلا يقاس أحد به من أهل زمانه • ولذلك أضفت أمر الدعوة الهادية سلام الله على صاحبها في الجزيرة اليمنية اليه » • ولما كان هذا الداعي يتمتع بسمعة طيبة وعلم وافر غزير فقد تحسنت أمور الاتباع واقبلوا عليه من كل حدب وصوب لسماع محاضراته والتزود من علومه ، والدراسة عليه ، وأيده السلاطين والامراء من همدان ، وجعل مقره مدينة صنعاء حيث اعتكف كغيره من الدعاة على الدراسة والتأليف والدفاع عن الدعوة بالقلم واللسان ، ويعتبر من أنشط دعاة المستعلية في بلاد اليمن ، استطاع أن يجمع شمل أهل الدعوة في اليمن ويحصن الاتباع بالمعاقل والحصون الجبلية ، كما بذل جهوده لجمع التراث العلمي الفاطمي الذي كان مبعثرا في جميع أنحاء البلاد فضبطه وحفظه في أماكن خاصة حتى لا تتسرب اليه أيدي الغزاة الذين كانوا يتصارعون في البلاد • وقام بدوره في وضع الاسس العلمية للدعوة السرية الجديدة •

---

(١) نزهة الافكار للداعي أدريس عماد الدين ١١٢/١ •

وكانت وفاة علي بن الوليد في شهر شعبان سنة ٦١٢ هجرية وكان عمره قد زاد على التسعين عاما • وهو يدرس ويؤلف ومن مؤلفاته :

١ ـ كتاب تحفة المرتاد وغصة الاضداد [١] في الرد على الفرقة المجيدية واثبات امامة الطيب بن الآمر وذكر تسلسل الامامة • وفيه نبذ من علم الحقائق •

٢ ـ رسالة جلاء العقول وزبدة المحصول [٢] وهي تنقسم الى ثلاثة أبواب تحتوي على ثمانية وعشرين فصلا •

٣ ـ الرسالة المفيدة في ايضاح ملغز القصيدة [٣] وهي شرح القصيدة التي يروى أن قائلها الحكيم ابن سينا ومطلعها :

هبطت اليك من المحل الارفع   ورقاء ذات تعزز وتمنع

وأورد فيها من رسائل اخوان الصفا فصلا في علة كراهية الجميع الموت ومحبتهم البقاء بتمامه وكماله •

٤ ـ كتاب ضياء الألباب المحتوي على المسائل والجواب [٤] ويشتمل على اثنين وثلاثين مسألة والجواب عنها •

٥ ـ ويوان شعره [٥] وفيه أشعار في الرد على الفرق المخالفة وفي مدائح الأئمة وامام زمانه الطيب •

---

(١) فهرست اسماعيل (٢١٠) نشره ستروتمان تحت عنوان (أربعة كتب اسماعيلية) .

(٢) فهرست اسماعيل (٢٧٧) .

(٣) فهرست اسماعيل (٣٤١) .

(٤) المرشد الى أدب الاسماعيلية ص ٥٦ رقم

(٥) فهرست اسماعيل ص ٥٠ .

٦ ـ كتاب دافع الباطل وحتف المناضل [١] في الرد على الغزالي في كتابه المستظهري •

٧ ـ كتاب مختصر الأصول [٢] ويشمل شرح المقالات وكيفية انقسامها ، والرد على الفلاسفة وبعض الفرق •

٨ ـ كتاب تاج العقائد ومعدن الفوائد [٣] يتضمن مائة مسألة في معتقدات مذهب الدعوة •

٩ ـ كتاب مجالس النصح والبيان [٤] فيه أربعون مجلسا من المجلس الاول والمئة الى الاربعين والمئة •

١٠ ـ رسالة الايضاح والتعيين في كيفية تسلسل ولادتي الجسم والدين [٥] في علم المبدأ والمعاد واثبات امامة الطيب بن الآمر •

١١ ـ رسالة لب المعارف [٦] وهي عبارة عن سبعة مسائل : الاولى عن القائم وعن الشريعة في دوره ، والثانية عن الهيولى والصورة ، والثالثة عن قول الله تعالى يخرجون من الأجداث الآية ، والرابعة عن قول الامام المعز اذا كانت هذه السموات والارض فانية فما ظنك بما دونها ، والخامسة عن قول الامام المستنصر في القائم بانه سابع النطقاء ، والسادسة عن الامام وحدوده ، والسابعة عن قول القاضي النعمان في كتاب أسرار التأويل أن النطقاء يأخذون عن الحدود •

(١) فهرست اسماعيل ص ١٢٩ .
(٢) المرشد الى أدب الاسماعيلية ص ٥٧ رقم
(٣) فهرست اسماعيل (١٧٣ ـ ١٧٩) .
(٤) فهرست اسماعيل ص ١٩٥ .
(٥) نفس المصدر ص ١٠ ، نشرها ستروتمن في مجموعة (اربع كتب اسماعيلية) .
(٦) فهرست اسماعيل ٣٦٥ .

١٢ ـ رسالة لباب الفوائد وصفو العقائد [١] في المبدأ والمعاد •

١٣ ـ كتاب الذخيرة [٢] يتضمن بحوثا عن التوحيد والابداع والانبعاث والنبوة والامامة •

١٤ ـ ملحقة الاذهان ومنبهة الوسنان [٣] •

١٥ ـ نظام الوجود في ترتيب الحدود [٤] •

١٦ ـ تاج الحقائق ومعدن الفوائد [٥] •

١٧ ـ رسالة في منال الاسم الاعظم •

هذه هي المؤلفات التي صنفها هذا الداعي خلال حياته الطويلة التي قضاها في خدمة العلم والمعرفة وتمتاز مؤلفاته بسعة الاطلاع ، والمعرفة التامة بأصول المذهب الذي يعتنقه ، ولا تزال كتبه من أهم الكتب الدينية المحفوظة لدى طائفة البهرة في اليمن •

* * *

(١) فهرست اسماعيل ٣٨٣ .
(٢) المرشد الى أدب الاسماعيلية ص ٥٨ رقم (٢٣٠) .
(٣) نفس المصدر ص ٥٨ رقم (٢٢٥) .
(٤) نفس المصدر ص ٥٨ رقم (٢٢٦) .
(٥) نفس المصدر ص ٥٩ رقم (٢٣٨) و (٢٢٨) .

علي بن مراد ميرزا

ولد الامام علي بن مراد ميرزا سنة ٨٨٦ هجرية في مدينة (أنجودان) وتسلم الامامة بعد وفاة أبيه سنة ٩٢٠ هجرية باحتفال كبير ولقب بـ(ذي الفقار علي) نهج نهج والده في التقرب من أقربائه الصفويين وساعدهم في الامور السياسية والاصلاحات الاجتماعية ، وكون فرقة خاصة من أتباعه الاسماعيليين وعين لها القواد والضباط ، وقدم لها السلاح على نفقته الخاصة لتقوم بحراسة المنطقة التي يقطنها الاسماعيليون وكان مقرها الرئيسي في (محلات) . وافتتح مدارس الدعوة واحضر لها الاساتذة والمدرسين ذوي المقدرة العلمية ، كما قام بحملة واسعة لجمع الكتب التي تبحث في مختلف العلوم من جميع أنحاء العالم للاستعانة بها على الابحاث العلمية والفلسفية . ووزع على أتباعه في جميع أنحاء البلاد كتاب خاص عرف (بالتعليقة) حظرهم فيه من ارتكاب الموبقات ، وحثهم على التمسك بأمور الدين والمداومة على العبادة ودفع أموال الزكاة ، وذكر لهم انه على استعداد لسماع الشكاوي في الخامس عشر من كل شهر والنظر في القضايا العامة والخاصة . وساهم في فض المنازعات التي حصلت بين السلطان الصفوي والسلطان سليم في أذربيجان [1] .

وفي عهد هذا الامام هوجمت سورية من قبل السلطان سليم الاول فهب الاسماعيلية الذين أذاقهم الأمرين (قانصوه الغوري) وقدموا المساعدات للسلطان سليم وقيل ان أحد الفدائية أغمد خنجره في صدر (قانصوه الغوري) ثم قذفوه بين سنابك الخيل ، لذلك قدم السلطان سليم في أول

(١) نور مبين حبل الله المتين : جنارا : ص ٥٣٣ — ٥٣٤ .

الامر المساعدات للاسماعيلية فتنسموا الرجاء واعتقدوا بأن السلطان سيسمح لهم بمزاولة شعائرهم الدينية ويعيد اليهم القلاع التي فقدوها ، ولكن السلطان سليم ما لبث أن استقر به المقام حتى جرد على الاسماعيلية الحملات وأذاقهم الويلات فتواروا عن الانظار ، وذهب أحد الدعاة الى مركز الامامة في فارس حيث قدم تقريره للامام الذي بادر للتوسط لدى السلطان سليم فوافق على منحهم قليلا من الحرية الدينية وسمح لهم بالعودة الى قلاعهم على أن لا يقوموا بأي نشاط سياسي [1] .

وكذلك في عهده انتشرت الدعوة الاسماعيلية في الهند انتشارا غريبا حيث كان الهندوس يدخلون أفواجا بالآلاف ، فكان يقدم للفقراء منهم الاموال ويوجههم لمزاولة الاعمال التجارية والحرف ، وقيل أنه أمرهم بالهجرة الى المناطق البكر ليؤسسوا الاعمال التجارية فيها ، فنجحوا نجاحا عظيما وأصبحوا من أغنى التجار والصناع [2] .

وتوفي الامام ذو الفقار علي في (أنجودان) ودفن في مقبرة والده سنة ٩٢٢ هجرية .

* * *

(١) تاريخ الدعوة الاسماعيلية : مصطفى غالب : ص ٢٤٦ .

(٢) الشيعة في الهند : Hollister ص ٣٣٦ .

الظاهر لاعزاز دين الله

علي بن المنصور

تعتبر النعرات الدينية ، والاختلافات المذهبية ، من الاسباب الرئيسية التي فككت المجتمعات الاسلامية وقوضت دعائمها في العصور السالفة •

فالمجازر والمذابح التي ارتكبت باسم الزود عن حياض الدين والـدفاع عنه ، ستبقى نقطة سوداء قاتمة على صفحات التاريخ البشري ، فكم مـن الارواح البريئة ذهبت ضحية محاربة الكفر والالحاد والذندقة تشكو لخالقها ظلم الانسان وعسفه •

لذا نرى الامام الظاهر لاعزاز دين الله قد استطاع بما أوتيه من حكمـة ولباقة وحسن سياسة أن يكسب محبة وعطف أهل الـذمة ، الذين أمن لهم الحرية الدينية المطلقة •

وولد الظاهر لاعزاز دين الله أبو الحسن علي [1] في يوم الاربعاء ١٠ رمضان سنة ٣٩٥ هجرية وبويع له بالخلافة يوم عيد النحر سنة ٤١١ هجرية وعمره ست عشرة سنة [2] وفي عهده تعرضت البلاد لقحط شديد استمر عدة سنوات ، فتفشت المجاعة وانتشرت الامراض في جميع البلاد ، وارتفعت أسعار المواد الغذائية وكثر النهب والسلب [3] ولكن الامام تيقظ للامر وعمل على انقاذ البلاد من الخطر المحدق فوزع الاموال والاطعمة والادوية على أفراد الشعب وضرب بيد من حديد على اللصوص والمارقين العابثين في النظام ، فاستتب الامن وتحسنت حالة البلاد وتحسنت الزراعة وازدهرت التجارة ،

---

(١) قيل ابوهاشم، التاريخ الفاطمي ص١٦٨ وابوه الحاكم بأمر الله الفاطمي.

(٢) وفيات الاعيان ابن خلكان ٣٦٧/٣ •

(٣) خطط المقريزي ١٧٦/٢ ابن الاثير ١٥٤/٩ •

وضبط الامور في داخل البلاد وخارجها • وقد بنى في عهده منظرة اللؤلؤة بالقرب من القصر الغربي الصغير وتعد من أجمل المنارات التي أنشئت فـي القاهرة في عهد الاسماعيليين •

وجه عنايته الخاصة لدار العلم الاسماعيلية فنظمها تنظيما دقيقا واختار لها الدعاة والمدرسين ذوي الاخلاق الكريمة والعلوم الغزيرة ، ووزع المتخرجين من تلك الدار في البلاد وبث الدعوة في بغداد وفارس سنة ٤٢٥ هجريـة فاستجاب له خلق كثير ، والف الامام فرقة خاصة من الشبـاب الاسماعيلي الاقوياء وجعلهم على أتم الاستعداد لتنفيذ الاوامر في كل لحظة ، وأمـر بتلقينهم العلوم وتدريبهم تدريبا فنيا على جميع الاسلحة وفنون القتـال والعلم بها • واقتفى أثر آبائه فاعتنى بدور العلم وشجع العلماء وخصص لهم الاموال ، وأمر الناس بأن يحفظوا كتاب (دعائم الاسلام) وكتاب (مختصر الوزير) وجعل لمن حفظ ذلك مالا ، فحفظهما خلق كثير ، وفي عهده بلغت رقعة الامبراطورية الفاطمية افريقية ومصر والشام والحجاز وبغـداد وبعض المناطق في بلاد فارس •

وفي سنة ٤١٨ هجرية وقع الامام الظاهر الهدنة مع امبراطور الـدولة الرومانية وخطب للامام في القسطنطينية •

وفي سنة ٤٢١ هجرية أمر بجمع الدعاة والفقهاء والوزراء والقواد ونص بحضورهم على ولاية العهد لابنه المستنصر بالله وهو ابن ثمـانية أشهر ، فوزعت العطايا لهذه المناسبة الكريمة ، وأقيمت الافراح في جميع أنحـاء المملكـة •

وفي الخامس عشر من شعبان سنة ٤٢٧ هجرية مرض بالاستسقاء وتوفي ليلة الاحد ودفن في مقبرة القصر بالقاهرة •

كان الامام الظاهر منذ أن تسنم عرش الخلافة والامامة سمحا ، عاقلا لين العريكة حسن السيرة والسياسة منصفا للرعية يسعى دائما لراحة ورفاهية

شعبه باذلا في سبيل ذلك الاموال الطائلة ، ساعد العمال والمزارعين وقدم لهم الارشادات القويمة والاموال الطائلة ، وأباح ذبح الحيوانات التي لاتصلح لحرث الارض ، وذلك اثر الوباء الذي أصاب بعض الحيوانات التي يستخدمها الفلاحون في فلاحة الارض ، وكتب الى الناس كتابا جاء فيه : « ان الله تعالى بتتابع نعمته وبالغ حكمته ، خلق ضروب الانعام وعمل فيها منافع للانام ، فوجب أن تحمي البقر المخصوصة بعمارة الارض ، المذللة لمصالح الخلق ، فان في ذبحها غاية الفساد ، واضرار للعباد والبلاد [1] » .

ولم يقم الظاهر ببناء كثير من المنشئات ، لاشتغاله بالعمل على ضبط الامور في داخل البلاد وخارجها .

ولم يتمتع الظاهر بالخلافة مدة طويلة ، ليتمكن من اجراء الاصلاحات التي قام بها سبعة من الخلفاء ، ومع هذا فقد اعتبر عصره من العصور الزاهرة التي جاءت بالرخاء والرفاهية للشعب وخاصة الطبقات الفقيرة العاملة من عمال ومزارعين ، وكذلك نبغ في عهده علماء وفلاسفة وأدباء كان لهم تأثير كبير في نشر الوعي الثقافي في مختلف أنحاء الامبراطورية ، وتجلت عبقرية هذا الامام ودعاته بما بلغته الدعوة الاسماعيلية في عصره من تنظيم وسعة انتشار .

* * *

(١) أبو المحاسن . النجوم الزاهرة ٤/٢٥٢

علي بن نزار بن المستنصر بالله

يعتبر أول الأئمة الاسماعيلية النزارية في « آلموت » ومؤسس الدولة النزارية في فارس ، كانت ولادته في القاهرة سنة ٤٧٠ هجرية ، وارتحل مع والده الامام نزار من سجلماسة الى قلعة آلموت ، وتسلم الامامة الاسماعيلية بعد وفاة أبيه نزار سنة ٤٩٠ هجرية وكان لا يتجاوز العشرين من عمره[1] فوجه اهتمامه الى تنشئة الاسماعيلية وتنظيم دعوتها السرية في مختلف البلدان ، وعمل على خلق جيل جديد من الشباب الواعي المدرك المؤمن بقيادته الحكيمة ، فعمل منهم جيشاً قوياً قسمه الى فرقتين : الاولى اسماها (الفدائية) وهي المكلفة ببذل التضحيات السريعة المستعجلة ، وتنفيذ الاوامر السرية الهامة ، ولقد تدرب أفراد هذه الفرقة على استعمال كافة أنواع الاسلحة وعلى الفروسية ، كما لقنوا العلوم الفلسفية والمذهبية ، واتقنوا أغلب اللغات الشائعة في ذلك العصر ، والفرقة الثانية جعل اختصاصها نشر الدعوة باسلوب خاص في مختلف المناطق وبين كافة الطبقات ، وهم المكلفون بالدفاع عن المذهب باللسان ، وعلى الغالب كانت مؤهلاتهم العلمية التي يتلقونها في مدارس الدعوة تؤهلهم لاحتلال اكبر الوظائف الادارية في البلاد التي يرسلون اليها . وكان العقل المدبر حجة الامام الحسن بن الصبّاح الحميري المشرف العام على تلك التنظيمات . وبواسطة هذه الأنظمة الحديثة القوية توصلت الاسماعيلية الى درجة عظيمة من الانتشار وآلت اليها القلاع والحصون وقويت شوكة الاسماعيلية فهابها الملوك وخافها الامراء والسلاطين ، واجتاحت الدعوة الاسماعيلية خراسان وما وراء النهر ، وملكوا القلاع التالية : قلعة قهستان ، وجور ، وخوسف ، وزوزن ، وقاين ، وتون ،

(١) تاريخ الدعوة الاسماعيلية لمصطفى غالب : ص ١٨٧

والاطراف المجاورة لهما وقلعة خالنجان بقرب اصفهان ، وستاوند ، وكردكوه، والناظر بخوزستان وقلعة الطنبور ، وخلادخان • وغيرهمامن القلاع والحصون المنيعة ، وعقد قران الامام على (سيداني خاتون) باحتفال عظيم • وبمناسبة هذه الانتصارات الكبيرة اجتمع مجلس الدعاة في (آلموت) واتخذوا قرارات منهــا :

١ ـ نظراً للنجاح الذي احرزته الدعوة بفضل قيادة الامام علي بن نزار يلقب هذا الامام (بالهادي) •

٢ ـ يكلف حجة الامام الحسن بن الصباح بالاشراف الفعلي على كافة الامور السياسية والعسكرية ويلقب (بشيخ الجبل) •

٣ ـ يعتبر الامـام علي الهادي المرجع الأول والأخـير للقضايا العلمية والدينية والفلسفية [1] •

وفي سنة ٥٢٠ هجرية عظم أمر الاسماعيلية في بلاد الشام وازداد نفوذهم فملكوا بانياس في شهر ذي القعـدة وانتشرت دعوتهم في حلب ودمشق والقدموس ومصياف والخوابي وغيرها من البلا دالسورية [2] • كذلك تعرض الاسماعيلية لغارات عنيفة وحصار مستمر من قبل السلاطين السلجوقيين ، ففي سنة ٥٢٢ هجرية أمر الوزير المختص أبو النصر أحمد بن الفضل وزير السلطان سنجر بغزو قلاع الاسماعيلية ومدنهم في خراسان ، وقتلهم اينما وجدوا فظفر بهم ، ونهبت أموالهم وسبيت حريمهم ، وسير الجيوش لقتالهم في (طريثث) و (بهيق) من اعمال نيسابور فاحتلت جيوشه الجرارة قريـة (طريثث) وقتلوا كل من عثروا عليه في طريقهم من الاسماعيلية وقبضوا على النساء والاطفال ، فأمر قائد الحملة أن يحفر خندقا خارج البلدة وتضرم النار فيه ، فجعل يأتي بالاطفال والنساء الاسماعيلية الى النار افواجا ويلقيهم فيها

(١) نور مبين حبل الله المتين لجنارا : ص ٣٦٤ ـ ٣٦٥ ـ هفت بـابي بابا سيدنا للحسن الصباح ـ ورقة ١٠ .

(٢) ابن الأثير : الكامل : ١٠٨/١٠ ـ ١١١ ـ ١١٢ : تاريخ الدعـوة الاسماعيلية ص ١٨٨ .

حتى قتل منهم خلق كثير ، ولم يسلم من تلك المجزرة البشرية الا الداعي (الحسن بن سمبك) الذي رفض الاستسلام وصعد (منارة القرية) ثم رمى نفسه عنها فمات [1] •

وفي سنة ٥٢٣ هجرية في العاشر من شعبان أمر نظـام المـلك الوزير السلجوقي أن يقبض على نجار اسماعيلي اسمه (طاهر) فقتل ومثل به وهو ميت ، فعظمت هذه الجريمة لدى الاسماعيليين لان هذا النجار كان مقدما على الفدائيين ، فحزن عليه الامام الهادي وأوعز الحسن بن الصبّاح لأحد الفدائية أن يثأر للنجار من نظام الملك فأغمد هذا الفدائي خنجره في صدر نظام الملك في ١٠ رمضان سنة ٥٢٣ هجرية • وفي سنة ٥٢٨ هجرية توفي الحسن بن الصبّاح وانتخب (كيا بذرك أميد) ليحل محله •

ومن هنا يتبين لنا ما كان يتعرض اليه الاسماعيلية في عهد هذا الامـام الذي كان دأب التنقل من مكان الى آخر يشرف بنفسه على أمور مريديه الذي تعرضوا لاضطهادات عنصرية ومذهبية لا مثيل لها في التاريخ ، وبالرغم من كل هذا فقد وجه جهوده للناحية التنظيمية والعلمية فكان يعقد المناظرات ويلقي المجالس العلمية ، ويذكر له الاسماعيلية مؤلفات علمية قيمة ولـكن أكثرها فقد نتيجة تلك الاضطهادات والحروب ومنها :

١ ـ كتاب صفات المؤمنين ٢ ـ نور العارفين ٣ ـ اصول الحدود والدين، وغيرهم من الرسائل الفلسفية والنصائح والارشادات التوجيهية •

وظل يعمل وينظم شئون أتباعه المنتشرين في كافة انحاء العالم الاسلامي حتى أدركته الوفاة في قلعة (لامستر) سنة ٥٣٠ هجرية وقيـل سنة ٥٣٥ هجرية بعد أن سلم الامامة لولده محمد بن علي بن نزار [2] وقيل في قلعة لامبير والاصح أنه توفي في سنة ٥٣٠ هجرية ودفن في قلعة لامستر•

(١) نفس المصدر : ٢٢٤/١٠ : تاريخ الدعوة الاسماعيلية ص ١٨٩ .

(٢) نور جبين حبل الله المتين : لجنارا ٣٦٣ . ص.

عمارة بن أبي الحسن اليمني

مؤرخ كبير ، وشاعر فحل ، وفقيه عظيم ، ترك لنا سيرته التي يستنتج منها أن اسمه الكامل : نجم الدين عمارة بن أبي الحسن علي الحكمي اليمني المشهور (بعمارة اليمني) • ولد في تهامة باليمن[١] نشأ وترعرع في بيئة عرفت بحبها للعلم والأدب والشعر ، فاظهر نبوغاً عجيباً في كل هذه العلوم التي على ما يظهر تلقاها في مدارس الدعوة الاسماعيلية الكثيرة التي أوجدها ابن حوشب ، وبعد أن اكتمل نضوجه العلمي سار حاجا الى مكة ، ومن هناك بعث به أمير مكة (القاسم بن ُفليتَة) سنة ٥٤٩ هجرية رسولا من قبله الى مصر ، فدخلها في غرة ربيع الاول سنة ٥٥٠ هجرية ، فاستقبله الخليفة الفاطمي الفائز ووزيره الصالح طلائع بن رزيك بالترحاب، فأنشد في قاعة الذهب بالقصر قصيدة عصماء قال فيها :

الحمد للعيس بعد العزم والهممِ ... حمدا يقوم بما أولتَ من النعمِ
قرّ من بعد مزار العز من نظري ... حتى رأيت امام العصر من أممِ
ورحن من كعبة البطحاء والحرم ... وفدا الى كعبة المعروف والكرمِ
حيث الخلافة مضروب سُرادُقها ... بين النقيضين من عفو ومن نقمِ
وللامامة أنوار" مقدسة" ... تجلو البغيضين من ظلم ومن ظلَم
وللنبوة آيات" تنص لنا ... على الحقيقين من حُكم ومن حِكم
وللمكارم أعلام" تعلمنا ... مدحَ الجزيلين من بأس ومن كَرم
وللعلى ألسن تثنى محامدها ... على الحميدين من فعل ومن شيم
أقسمتُ بالفائز المعصوم معتقدا ... فوز النجاة وأجر البِر في القسم

(١) النكت العصرية ص ٧ ، ٨ .

لقد حمى الدين والدنيا وأهلهما ... وزيره الصالح الفراج للغمم
اللابسُ الفخرَ لم تنسج غلائله ... الا يد الصانعين السيفِ والقلم
قد ملّكته العوالي رقّ مملكته ... تُعير أنفَ الثريا عزة الشمم
ليت الكواكبَ تدنو فانظمها ... عقودَ مدح فما أرضى لكم كلمي
خليفة ووزير مدّ عدلهما ... ظلا على مفرق الاسلام والأمم
زيادة النيل نقص عند فيضهما ... فما عسى يتعاطى ِمنّة الديم[١]

ولقد أعجب الخليفة الفائز ووزيره بهذه القصيدة ايما اعجاب ، حيث يذكر عمارة انه بعد أن أنشد قصيدته خلعت عليه الخلع الموشحة بالذهب ، ودفع اليه الوزير خمسمائة دينار ، وأتته مثلها من السيدة أخت الخليفة • يضاف الى ذلك هذه الرسوم التي أطلقت له من دار الضيافة في مناسبات كثيرة مما لم يطلق لأحد قبله وأقام الامراء وكبار موظفي الدولة الولائم والحفلات التكريمية في بيوتهم ؛ وظل في القاهرة الى شوال سنة ٥٥٠ هجرية [٢] ثم عاد الى مكة ، ومنها أنفذه أميرها بمهمة أخرى في صفر سنة ٥٥١ هجرية • ويظهر أن الاقامة في مصر أعجبته فظل فيها وأصبح من مشاهير شعراء البلاط الفاطمي في عهد الخليفتين الفائز والعاضد ، وشنق في اليوم الثاني من شهر رمضان سنة ٥٦٩ هجرية لتعصبه للفاطميين ، وقيل انه قتل لاشتراكه في المؤامرة التي دبرت لتقويض سلطان الأيوبيين [٣] •

ولا بد لنا ونحن نقترب من نهاية ترجمة حياة هذا الشاعر الكبير والمؤرخ الشهير من الأتيان على ذكر روايات واقوال بعض المؤرخين الذين أكدوا بان عمارة اليمني بالرغم من اخلاصه وتفانيه في سبيل الفاطميين لم يعتنق مذهبهم ، بل ظل سنياً شافعي المذهب [٤] مع أن الخليفة الفاطمي ووزيره قد

(١) نفس المصدر ص ٣٢ ـ ٣٤ .
(٢) نفس المصدر ص ٤١ .
(٣) ابن خلكان : وفيات الاعيان : ١/٤٧٥ ـ ٤٧٧ .
(٤) تاريخ الدولة الفاطمية : حسن ابراهيم حسن : ص ٤٦٠

الحا عليه مراراً لاعتناق المذهب الاسماعيلي واستدلوا على ذلك من قوله :

مذاهبهم في الجود مذهب سنة — وان خالفوني في اعتقـاد التشيع

ونحن نؤكد لهؤلاء ولكل من يظن ويعتقد بأن عمارة اليمني لم يكن على مذهب الاسماعيلية ، بأن عمارة كان اسماعيليا متعمقاً في أصول المذهب ، لقـوله :

أقسمت بالفـائز المعصوم معتقـداً — فوز النجـاة وأجر البر في القسم [1]

فهل من المعقول أن يقسم بالامام المعصوم معتقداً الا من كان على مذهب الشيعة أو بالأحرى على مذهب الفاطميين ، الذين يقولون ان لا نجاة للانسان من عذاب النار الا اذا اعتقد بالامام المعصوم هذا من ناحية ومن ناحية ثانية ، المعروف أن عمارة قد كلف بمهمة سرية تتعلق بالمصلحة الفاطمية العليا حيث كان الواسطة بين القاهرة ومكة ، فلو لم يكن من الاسماعيلية الموثوق فيهم لما اعتمد عليه الخليفة والوزير من جهة وأمير مكة من جهة ثانية • وليس أدل على ايمانه العميق بالمذهب الفاطمي ، كقوله :

وللامـامة أنـوار" مقـدسـة — تجلو البغيضين من ظلم ومن ظلم [2]

واخيرا ان من يضحي بنفسه في سبيل مبدأ وعقيدة ، لا يمكن بأي شكل من الاشكال أن يقال عنه بأنه لم يكن يعتنق تلك العقيدة • ومهما يكن من أمر مذهبه فقد كان مخلصاً للفاطميين وضحى في سبيلهم •

وعلى العموم ترك لنا عمارة الشاعر المؤرخ الفقيه العالم عـدة مؤلفات نثرية ، وكتاب تاريخ اليمن الذي يعتبر من أعظم المصادر التاريخية عن اليمن، وله أيضا ديوان شعر • والرسائل الاخوانية •

---

(١) البيت ١٢ من القصيدة التي القاها في قاعة الذهب : النكت العصرية ص ٣٢ •

(٢) نفس المصدر •

حرف الفاء

فريد الدين العطـار

كان لعلماء الدعوة الاسماعيلية النزارية في فـاس أثر كبير فـي تطور الحركة الفكرية في تلك البلاد ، وثبت تاريخيا ان اغلب ادباء وعلماء وفلاسفة تلك البلاد كانوا يمتون الى الاسماعيلية بصلة •

ومن أولئك الشعراء المشهورين الذين خلفوا آثاراً أدبية احتلت مـكان الصدارة في تاريخ فارس الأدبي الشاعر الفيلسوف الطبيب أبو طالب محمد ابن أبي بكر بن ابراهيم بن مصطفى بن شعبـان المعروف (بفريد الـدين العطار) [1] ويذكر التاريخ أنه ولد في نيسلور وامضى فيها ثلاثة عشر عاما من طفولته ، التزم فيها الدراسة والتعلم في مدرسة الدعاة الاسماعيلية ، ثم اكثر من الترحال والتجوال فزار الري ، والكوفة ، وتوجه الى مصر ، ودمشق ومكة ، والهند ، وتركستان للتبشير في المذهب الذي اعتنقه ، ومن ثم عاد فاستقر في مدينة نيسابور حيث افتتح صيدلية لصنع وبيع الادوية ، وللمداواة الفقراء والمساكين ، ويذكر في كتابه (مصيبت نامه) وكتابه (الهي نامه) وقال صراحة أنه الفهما في صيدليته « داروخانه » التي كان يتردد عليها في ذلك الوقت خمسمائة من المرضى ، كان يقوم على فحصهم وجس نبضهم ، ويدل التاريخ على أنه درس الطب على (الشيخ مجد الدين البغدادي) •

ومن الثابت أنه اشتغل في التأليف وجمع اشعار الفلاسفة الاسماعيلية مدة ٣٩ سنة •

ولما شعرت السلطات بنشاطه ألبت عليه الغوغاء فاتهموه بالالحاد والزندقة

---

(١) تاريخ الأدب في ايران : بروان ص ٦٤٣ ، لباب الالباب ٢٣٧ — ٢٣٩ •

فهدموا منزله ونهبوا متاعه وقتلوه وقيل كان ذلك في ١٠ جمادي الثاني سنة ٦٢٧ هجرية ودفن في نيسابور ولا يزال ضريحه هناك ويزار .

ولقد اختلفت آراء أصحاب التراجم في وفاته فقال البعض كانت سنة ٥٨٩ هجرية على أيدي المغار عندما أغاروا على نيسابور وقيل سنة ٦١٩ أو سنة ٦١٤ والارجح سنة ٦٢٧ هجرية . ويذكر التاريخ أن عدد مؤلفاته كان مساويا لعدد سور القرآن وقيل زادت مؤلفاته على الخمسين . ومن مؤلفاته المشهورة : أسرار النعمة وهو من الكتب المذهبية : و « منطق الطير » وعلى العموم أغلب آثار هذا الفيلسوف العبقري لم تطبع حتى الآن الا طباعة على الحجر في مدينة « لكنو » في سنة ١٨٧٢ م كما طبعت بعض آثاره مؤخرا في الهند وايران والبلاد الاوربية [1] .

* * *

(١) ألف عن حياته وصوفيته كتاب نشر ضمن مؤلفات الجمعية الفلسفية المصرية .

فخر الدين الرازي

هذا عبقري آخر من عباقرة الفكر الاسماعيلي في فارس كان له باع طويل في كافة العلوم التي كانت معروفه في عصره ، غزير الانتاج وقد شمل انتاجه الأدبي موضوعات كثيرة فكتب عن تفسير القرآن والحديث والفقه والفلسفة وعلم النجوم والتاريخ والبلاغة كما صنف موسوعة في العلوم . ويذكر له بروكلمان ٣٣ مؤلفا[1] لازالت باقية حتى الآن .

ولد فخر الدين الرازي سنة ٥٤٤ هجرية في الري وانخرط مبكرا في تنظيمات الدعوة الاسماعيلية وأخذ يحصل علومه في مدارس الدعوة على أيدي كبار الدعاة في بلدة (المراغة) وارتحل الى (خوارزم) وما وراء النهر داعيا لتلك البلاد بعد أن انهى دراسته الأولية . ومن ثم قصد مقر الدعوة في (آلموت) حيث زار الامام الاسماعيلي (أعلا محمد) فدرس عليه مدة من الزمن حتى أتقن آخر مرحلة من مراحل الدراسة المذهبية[2] فاختاره الامام ليتولى شؤون الدعوة في أزربيجان ، فرحل اليها واستقر فيها يلقي المجالس والمحاضرات ويصنف ويبحث فترة من الوقت ثم تعرض للاضطهاد كغيره من دعاة الاسماعيلية فسجن بايعاز من السلطان محمد خوارزم شاه ؛ وقيل أنه صنف أكثر كتبه العلمية وهو في السجن وبعد أن اطلق سراحه توجه الى مدينة (هراة) حيث أدركته الوفاة سنة ٦٠٦ هجرية . وهكذا قضى هذا العالم الفاضل والداعي الكبير نحبه بعد أن تعرض في حياته التي

(١) Brockelmawn : Gesch. s. Arab Litt. Vol. 1 p.p. 506 - 508

(٢) نور مبين حبل الله المتين لجنارا : ص ٤٠٦ .

استمرت اثنان وستون عاما الى التشريدوالسجن والاضطهاد في سبيل المبادىء الفلسفية التي كان يبشر فيها ؛

ومن الجدير بالذكر أن أغلب مؤلفاته كانت باللغة العربية وقيل أن آخر تأليفاته رسالة (في ذم الدنيا) كتبها في مدينة هراة سنة ٦٠٤ هجرية ، ولـه أيضا كتاب (الاختيارات العلائية) باللغة الفارسية . أهداه الى امامه (أعلا محمد) بعكس ما قيل بأن الاهداء كان لملك خوارزم (علاءالدين خوارزمشاه) وصنف في سنة ٥٧٤ هجرية موسوعة العلوم الشهيرة ، التي لا تزال حتى الآن تشغل مكانا علمياً ممتازاً في الأوساط العلمية في مختلف أنحـاء العالم ، وله أيضا عدة مؤلفات مذهبية وفلسفية وخاصة في علم التأويل الذي نبغ فيه دعاة الاسماعيلية منها :

١ ـ كتاب عالم الافـلاك الروحاني ٢ ـ النجـوم السائرة والارواح الطاهرة ٣ ـ الاحاديث الظاهرة ٤ ـ الأنوار . علوم آل محمد . الخ ...

* * *

حرف القاف

قاسم شاه بن شمس الدين محمد

في عهد هذا الامامواجهتالاسماعيليةالنزارية أزمةحادة بسبب ادعاء مؤمن شاه شقيق الامام قاسم شاه الامامة حيث تبعه فريق من الاسماعيلية الذين شردوا من قلاعهم وحصونهم اثر كارثة المغول المشهورة ، واعترفوا به وبأولاده من بعده حتى انقطعت سلسلته في سنة ٩٥٠ هجرية وآخر امام من أنسالها طاهر شاه المعروف بالدكني [١] وسنأتي على ذكر أئمة هذه السلسلة في غير هذا المكان ، والاغلبية الساحقة من الاسماعيلية ظلوا على اخلاصهم للامام قاسم شاه بن شمس الدين محمد صاحب النص الشرعي والابن الاكبر للامام شمس الدين محمد المولود سنة ٦٦٠ هجرية في مدينة (زردوز) في أزربيجان وقد تسلم الامامة بعد وفاة ابيه شمس الدين محمد سنة ٧١٠ هجرية فوجه اهتمامه لتوزيع المهاجرين الاسماعيلية على الهند ، وافغانستان ، وبلاد الشام ، وملتان ، وبامير وغـيرها من المناطق ووزع الدعاة الاكفاء ذوي المقـدرة العلمية على الاقطار التي لم تصل اليها التعاليم الاسماعيلية ، فأوفد الداعي (شاه نزاري) الى وسط الهند والداعي بهاء الدين زكريا الى بالخشان والتيبت وكشمير ، والداعي شمس الدين علي الى (ملتان) والمناطق المجاورة لها [٢] ، وشمس الدين سبنداوري في هندوستان [٣] وعين أخيه وحجته ونائبه (في أول الامر) مؤمن شاه ممثلا له في فارس وقزوين وبلاد الشام ، وأخيه الاصغر (كياشاه) داعياً لمنطقة آلموت والبلاد القريبة منها حتى حدود

---

(١) الطائفة الاسماعيلية : كامل حسين ٨٧ ، نور مبين حبل الله المتين : جنارا : ٤٧٦ ، الشيعة في الهند Hollister ص ١١٧ .

(٢) نفس المصدر : كامل حسين : الشيعة في الهند Hollister : ص ١١٨

(٣) نور مبين حبل الله المتين ، لجنارا : ٤٨١ ، تاريخ الدعوة الاسماعيلية ص ٢٢٨ .

كيلان على أن يكون مقره في (مآهيان) [1] وبعد فترة من الوقت أتته رسائل الدعاة عن طريق الحمام الزاجل تبشره بنجاح الدعوة ، وبنفس الوقت وردت الى مقر الامامة معلومات سرية خطيرة تفيد بأن شقيقه مؤمن شاه استغل منصبه كحجة للامام وممثلا له في فارس وبلاد الشام وأخذ يغوي بعض الدعاة من ذوي النفوس الضعيفة الذين يبحثون عن المناصب ليقيموا الدعوة باسمه ، وبالفعل تمكن من استمالة بعض المشردين وقسما من سكان القلاع والحصون السورية ، فبادر الامام قاسم شاه الى تعميم الكتب مع دعاته المخلصين وطلب منهم ان يتجولوا في جميع المناطق ويعلنوا ان مؤمن شاه ادعى الامامة لنفسه بدون حق ، اذ لا يمكن ان يصبح اماما الا صاحب النص الشرعي المعترف عليه ، وحظر الجميع اتباعه تصديق دعواه . وبالرغم من كل هذا تبع مؤمن شاه قسم ضئيل من الاسماعيلية وساقوا الامامة فيه ولقبوا (بالجون دهرمية) أو (المؤمنية) [2] ويستدل من المعلومات التي بين أيدينا ان هذه الفرقة بقيت محافظة على التعاليم الاسماعيلية ولعبت دوراً هاماً في تاريخ ايران والمناطق المجاورة ، ولا يزال قسم صغير جدا يعد بالعشرات من هذه الفرقة في مصياف والقدموس ، وفي قرب الحدود الروسية الايرانية ، وامامهم من سلالة مؤمن شاه لا يزال مستوراً عن الانظار ولا يعرف عنه شيء وقيل لم يبق من السلالة أحد [3] .

ويستدل من المصادر التاريخية ان هذا الانقسام لم يكن له أي تأثير على انتشار الدعوة حيث ازدهرت في خراسان وطبرستان وكرمان والديلم ، وكيلان وكيك والمناطق المحيطة بآلموت ، وازداد عدد معتنقي المذهب الاسماعيلي في افغانستان وبلوخستان وهندوستان وكشمير ، والهند بصورة عامة ، ولقد أظهر الداعي الكبير الفيلسوف شمس الدين سبزاوري نشاطا عجيبا

(١) الشيعة في الهند : Hollister : ص ١١٨ .
(٢) تاريخ الدعوة الاسماعيلية : ص ٢٢٨ .
(٣) الطائفة الاسماعيلية ص ٨٧ .

في الهند وملتان وبامير فلقبه الامام (ببير شمس الدين) [1] .

وفي بلاد الشام ظل القسم الاكبر من الاسماعيلية في حلب وبقية القلاع على ولائهم لقاسم شاه وكان يتزعمهم موسى حسن القصار الذي نظمهم خير تنظيم وجمع صفوفهم فازداد عددهم [2] ولكن هذا الداعي الكبير لم يلبث طويلا حتى توفي في مدينة حلب وشيع جثمانه باحتفال كبير وقيل ان عدد الفدائية الاسماعيلية الذين ساروا وراء نعشه بلغ عشرون الفا ،وبانتهاء حياة هذا الداعي زال نفوذ الاسماعيلية وسيطر عليهم الخمول والكسل فتفرق شملهم وانتابتهم المصائب والمحن وتألب عليهم الجوار ، واستبيحت دماؤهم وقتلوا اينما وجدوا ونهبت ممتلكاتهم ، واحتل السلطان قسم كبير من بلادهم، كل هذا حدث بعد وفاة الظاهر بيبرس وتولي السلطات المنصور قلاوون الحكم ، وبعد هذه النكبة في حلب وتوابعها غادر أغلب الاسماعيلية حلب وتوغلوا مستترين في المدن السورية .

ويذكر التاريخ ان الاسماعيلية قد تمكنوا من السيطرة على اقليم السند كله ، وظلوا يسيطرون على ذلك الاقليم مدة طويلة [3] .

وعلى العموم تنفس الاسماعيليون الرجاء في عهد هذا الامام الذي اشتهر بكثرة التجوال لتفقد شئون اتباعه ، وقيل انه كان عالما زاهداً تقياً ورعاً يعيش عيشة التقشف والتصوف ، نبغ في عهده دعاة علماء كان لهم تأثير كبير في نشر المذهب الاسماعيلي في الهند والسند ، وافغانستان ، وقيل أيضا ان الامام أسس مركزاً كبيراً لتدريب الدعاة في (ملتان) .

وتوفي سنة ٧٧١ هجرية ودفن في مدينة (قائم اباد) من بلاد ايران بعد أن نص على امامة ولده اسلام شاه .

(١) نور مبين حبل الله المتين : جنارا : ص ٤٨٣
(٢) الدولة النزارية : ص ١٩٤ ، تاريخ الدعوة الاسماعيلية ص ٢٢٨ .
(٣) الطائفة الاسماعيلية : كامل حسين ص ٨٩ .

قاسم علي شاه

عثرنا في المصادر التاريخية الاسماعيلية في الهند على ترجمة كاملة لحياة وأعمال الامام قاسم علي شاه ويستنتج منها على انه ولد في مدينة (كوهك شاه نزار) سنة ١٠٩٠ هجرية وتسلم الامامة بعد وفاة أبيه سنة ١١٠٥ هجرية باحتفال كبير وافراح عظيمة عمت جميع البلدان الاسماعيلية ، وتذكر تلك المصادر ان الامام قاسم علي شاه قد تدخل فعلا في سياسة ايران الداخلية ، وقد سيطر على البلاط الملكي سيطرة تامة واخذ يوجه سياسة البلاد حسب ما تقتضيه المصلحة العليا للمملكة ، وقيل انه قدّم قروضا كبيرة للسلطان حسين بن سليمان الصفوي ، الذي اعترف باستقلال منطقة كرمان الاسماعيلية اداريا ، حتى ان كافة الوظائف الادارية في تلك البلاد كانت بيد الاسماعيليين[١] .

ويستدل أيضا من ترجمة حياة الامام قاسم علي شاه على أنه كان عالما اديبا قدم خدمات علمية كبرى وساعد العلماء والفلاسفة والادباء . وكان يقيم بصورة دائمة في محلات . وتزوج ابنة الشاه طهماسب الثاني الصفوي (شهرمين) ، وهذا الزواج يدل على أن الصفويين كانوا ينشدون التقرب من الأئمة الاسماعيليين لاكتساب تأييدهم ويتخذوا منهم قوة في المجالات الداخلية والخارجية ، وهذا دليل واضح على ان الاسماعيليين كانوا يشكلون قوة فعالة في ذلك الوقت ، واستعان الصفويون أيضا بكبار علماء وفلاسفة الاسماعيلية وسلموهم المناصب الكبرى في الدولة ، وقيل ان اغلب اساتذة ومعلمي المعاهد الايرانية أصبحوا من علماء الاسماعيليين [٢] .

---

(١) نور مبين حبل الله المتين : جنارا : ص (٥٥٦ – ٥٥٧ – ٥٥٨)

(٢) تاريخ الدعوة الاسماعيلية : ص (٢٦١ – ٢٦٢)

ولقد أوجد هؤلاء العلماء بالتعاون مع العلماء والفقهاء الاثنا عشرية الانظمة والقوانين المشتقة من الفقه الجعفري ، ولا يزال يعمل فيها في أغلب المحاكم والمؤسسات الحقوقية والقانونية في ايران .

ويستدل ان الامام قاسم علي شاه كان يتولى بنفسه ادارة شئون مقاطعة كرمان ، وقد قدم من اموال الصندوق الاسماعيلي العام المساعدات لميزانية المقاطعة لتتمكن من تحسين احوال المواطنين .

وفي عهد هذا الامام اندلعت ثورات قبلية داخلية وخارجية في ايران واضطربت الاحوال في البلاد ، بعد ان فتحت بغداد من قبل الاتراك ، وغزت عساكر علي خان القاجاري ايران فاحتلت بندر عباس وتوغلت في البلاد واخيرا قتل شاه طهماسب الثاني سنة ١١٤١ هجرية . فاجتمعت الاسرة الصفوية وانتخبوا عباس الصفوي ، ولكنه لم يتمكن من وقف تيار القبائل القاجارية بقيادة نادر شاه فاستولوا على المملكة الصفوية وطردوا الملك [١] .

وقيل ان نادر شاه هذا كان من أعز اصدقاء الامام قاسم علي شاه فخطب نادر شاه وده ولاقى تأييده .

وتوفي الامام قاسم علي شاه سنة ١١٤٣ هجرية ودفن في مقاطعة (كرمان) ولا يزال قبره مشيدا .

* * *

---

(١) نو رمبين حبل الله المتين جنارا : ص ٥٥٩ .

قيس بن منصور الداديخي

من كبار شعراء ، وعلماء ، وفلاسفة ، الدعوة الاسماعيلية النزارية في سورية ، الذين قضت الحروب والنكبات التي ألمت بالاسماعيلية في جهات حلب على آثارهم الفكرية .

كانت ولادة الشيخ قيس بن منصور في بلدة (داديخ) من أعمال حلب سنة ٥٩٧ هجرية . اشتهر وعرف بسيدنا (الداديخي) نسبة لمسقط رأسه ، تلقى علومه الاولية في مدارس الدعوة الاسماعيلية في مدينة حلب ، ومن ثم أرسل في بعثة دراسية الى فارس لاتمام تحصيله العالي في مركز الدعوة في قلعة (آلموت) على الامام الاسماعيلي علاء الدين محمد ، ولما مثل بين يدي الامام ألقى قصيدته الميمية العصماء في مدح آل البيت ومنها :

الـدين محترم والحـق منتظم ... بآل بيت رسـول الله معتصـم

أئمـة الهـدى أنوار مشعشعـة ... تكشف لهم الآفاق والظـُلم

هم الحمـاة لدين الله ، فاعتصمـوا ... بحبلهم ، ولهـم في العـز مغتنم

مولاي جئت من الشهباء مرتحلا ... لكي أعبَّ من العرفـان ما أسم

عهـدتكم للورى نبراس معرفة ... ومن منـابتكم تستقطر الحِكم

لئن تشرف قيس في مديحـكم ... فـذاك فخر تناهى دونه الأمم

وفي سنة ٦٤٨ هجرية عاد الى حلب فوضع تحت تصرف رئاسة الدعوة في بلاد الشام كداعي سيار ، فأخذ يتجول على كافة القلاع والحصون الاسماعيلية واعظا ومرشدا ومحاضرا ، وأخيرا استقر في حلب حيث عكف على التصنيف والتأليف والتدريس حتى اصيب بمرض اقعده عن السير مدة عام تقريبا ، وفي مطلع عام ٦٥٥ توفي في محلة باب النيرب بحلب ونقل جسده الى مسقط رأسه في داديخ حيث دفن باحتفال مهيب .

ترك لنا الداعي الداديخي غير أشعاره الكثيرة عدة رسائل فلسفيةومؤلفات مذهبية لم يبق منها الا الكتب التالية :

١ — رسالة السماء والعالم[1] .

٢ — رسالة كشف الاسرار المخزونة في تأويل القرآن وحقيقة أئمة الزمان .

٣ — رسالة التحقيق لاهل الايمان والتصديق [1] .

٤ — رسالة الاسابيع [2] .

ولما كان هذا الداعي غزير المادة كما يتضح من المصادر الاسماعيلية ، لذلكأعتقد بأن له مؤلفات كثيرة ولكنها اما ان تكون مفقودة بفعل الزمن ، أو ان مالكيها يحرصون عليها ويخفونها عن الاعين . فالى ان تتوفر لنا معلومات أخرى عن هذا العالم نكتفي بما اوردناه .

* * *

---

(١) هذه الرسائل موجودة في مكتبتي الخاصة ضمن مخطوط اساعيلي فيه عدة رسائل اسماعيلية .

(٢) حققها عارف تامر ضمن خمس رسائل اسماعيلية .

حرف الكاف

كريم بن علي بن محمد شاه الحسيني
(آغا خان الرابع)

ما كادت صحف العالم واذاعاتها تردد نبأ وفاة (آغا خان الثالث) سلطان محمد شاه الحسيني في سويسرا حتى توجه زعماء الاسماعيلية من مختلف انحاء العالم الى مقر (الآغا خان) في قصر بركات بسويسرا حيث وصلت وصية الامام الراحل على متن طائرة خاصة من لندن حيث كان بنك « لويدز » محتفظا بها • وقد كانت الوصية كما يلي :

« نظرا للظروف التي تغيرت تغيرا أساسيا في العالم ، في السنوات الأخيرة، ونظرا للتغييرات الكبرى التي وقعت ، ومن بينها اكتشاف العلوم الذرية ، فاني على يقين ان مصلحة الطائفة الاسماعيلية تقتضي ان يخلفني شاب نشأ وترعرع في السنوات الاخيرة وسط هذا العصر الحديث ، وان تكون له نظرة جديدة للحياة عند تولي زعامة الطائفة الاسماعيلية ، لذلك : أختار حفيدي « كريم » ليكون خليفة لي ، وزعيما للطائفة من بعدي • ! » • واستنادا الى هذه الوصية اعلنت امامة كريم بن علي شاه الحسيني ولقب (بآغا خان الرابع) ووجه الى عموم الاسماعيلية في العالم البرقية التاريخية التالية : عن جنيف في ١٤/٧/١٩٥٧ الى مراكز الدعوة الاسماعيلية في جميع أقطار العالم : « بمناسبة تسلمي الامامة المقدسة ، بموجب ارادة جدي المطلقة الجديرة بالذكرى والاحترام ، أرسل بركاتي الابوية ، والامومية لجميع أبنائي الروحيين الاعزاء في كافة أنحاء العالم • ! »

« آغا خان الرابع »

كانت الفرحة عظيمة لدى الاسماعيلية ، بالامام الجديد ، فنفضوا عن

سواعدهم غبار الكسل ، وتحفزت مشاعرهم استعدادا لمعركة البناء الفعال ، واقـامة المجتمع الاكمل الذي يـلائم مقتضيات التطور ومتطلبـات العصر الحديث •

ولم تكن سلمية ، وتوابعها ، الا في طليعة مناطق الاسماعيلية استعـدادا واستبشارا • ووثقت في أنها ستعيد سيرتها الاولى في ان تلعب الدور الطليعي في الاشعاع الفكري ، والمنطلق القوي الذي يوجه امكانيات الاسماعيليين في العالم أجمع لما فيه الخير والفلاح •

كانت ولادة كريم بن علي بن سلطان محمد شاه الحسيني (آغا خان الرابع) في ١٣ كانون الاول سنة ١٩٣٦ في مدينة جنيف بسويسرا ، أمه الاميرة البريطانية (جون بربارا يولد) ابنة اللورد تشارستون • تلقى علومه الاولية في مدارس سويسرا ، فأتقن الانكليزية والافرنسية والاسبانية ، كما درس اللغة العربية واخذ يتكلمها وهو في العاشرة من عمره ، أظهر تفوقـا بالرياضيات ، وبعد ان اكمل تحصيله في سويسرا انتسب الى جامعة (هارفرد) الاميركية ••

عرف بين أقرانه بالذكاء الحاد والنشاط في جميع الحقول ، اشترك في كافة فرق الجامعة الرياضية ، كثير المطالعة ويقول رفاقه في الجامعة ان باستطاعته ان يمسك كتابين انكليزيا وفرنسيا وان يقرأهما معا • وعرف كذلك أنه محظوظ جدا وذلك لنجاته مرتين من حادثتي اصطدام مروعتين •

الاولى عندما انفجر يخته في سان توريز ، والثانية بحادث اصطـدام سيارته في باريس ، واستنادا الى وصية جده (آغا خان الثالث) تولى الامامة في ١٤/٧/١٩٥٧ وكما جرت العادة لدى تنصيب كل امام جديد قام بجولته لاخذ البيعة من الاتباع ولاقامة مراسيم تنصيبه ، فاقيمت له أول حفلة تنصيب في دار السلام في (تنكانيكا) في ١٩ تشرين الثاني عام ١٩٥٧ وفي نيروبي عاصمة (كينيا) في ٢٢ منه وفي كمبالا عاصمة أوغندا في ٢٥ منه ، وقد شهد هذه

الاحتفالات مندوبون عن الطائفة من جميع انحاء العالم • وكذلك احتفل بتنصيبه في كراتشي عاصمة الباكستان في ٢٣ شباط ١٩٥٨ وفي (دكا) عاصمة باكستان الشرقية في ١٢ منه ، وفي ٣٠ تموز عام ١٩٥٩ زار سورية واحتفل بتنصيبه حسب الاصول المتبعة لدى الطائفة الاسماعيلية •

ولقد تمخض عن زيارة (آغا خان) لسورية كما كان متوقعا اجراء تعديلات جذرية في تنظيمات الدعوة واجهزتها ، واعلن عن تبرعه ببعض المساعدات المادية لتنشيط العلم ، وايفاد البعثات الطلابية على نفقته الخاصة للدراسة في الخارج ، كما وضع بعض الاموال باسم بنك أهلي لمساعدة المزارعين والتجار •

ولا بد ونحن نقارب الانتهاء من الحديث عن امامنا الحاضر (آغا خان الرابع) أن ننوه بأن بعضا من الذين وضع ثقته فيهم ، وتم تعيينهم في ظروف استثنائية غير طبيعية بتأثير من بعض العوامل المحلية القاهرة ، جنحوا عن الخط القويم الذي رسمه لهم ، واستغلوا ثقته بهم ، فراحوا يتخبطون في دوامة المنافسات الشخصية ، مستسلمين لاهوائهم ضاربين عرض الحائط بقدسية الامانة الملقاة على عاتقهم ، فتسببوا بتعطيل أمور الدعوة ، وبعثرة أموالها ، وتبزيرها بطرق لا تتفق ومصلحة الطائفة العالية •

ولنا وطيد الامل في ان يعالج امامنا الشاب ، بما امتاز به من مقدرة على تصريف الامور ، تلك الاوضاع الشاذة ، مقتفيا سيرة اجداده الأئمة السالفين ، ويخلص الطائفة ممن تسلطوا عليها من مرضى النفوس الذين أعمتهم مصالحهم الخاصة ، وشهوة التحكم والسيطرة بمقدرات الطائفة •

* * *

كيا بزرك أميد

كان للمدارس الاسماعيلية التي أوجدها الحسن بن الصباح في المناطق الاسماعيلية اكبر الاثر في ايجاد نخبة ممتازة من الدعاة والعلماء والقادة الذين لعبوا دورا فعالا في التطورات السياسية والعسكرية والعلمية في آسيا •

ومن اولئك القادة التي انجبتهم تلك المدارس الداعي الكبير (كيا بزرك آميد) وتذكر المصادر الاسماعيلية انه ولد في بلاد الهند في عائلة اسماعيلية عريقة ، لذا قرر ابوه ان يرسله وهو في سن مبكرة ليدرس في مدارس الدعوة الاسماعيلية في فارس وبالفعل انضم الى مدرسة الفدائية في آلموت فاظهر نبوغا عجيبا وقام بتنفيد مهمات كثيرة اوكلت اليه ، فترقى في المراتب حتى أصبح مقدما على قلعة (لامبير) وقائدا لفرقة الفدائية فيها [1] • وحاكما على قلاع (رودبار) •

ولقد أذهل عارفيه بحسن قيادته وبتنظيماته العسكرية ، واجادته النادرة لتطبيق عنصر المفاجأة ، ولما زاعت شهرته في كافة القلاع استدعاه الحسن ابن الصباح سنة ٥١٧ هجرية وسلمه قيادة المنظمات العسكرية وجعله نائبا له •

ولم يكن هذا القائد مختصا بالامور العسكرية فحسب ، بل كان ميالا الى العلم والمعرفة وله باع طويل في الدراسات الفلسفية ، ونظريات قيمة عميقة في علم التأويل ، ولما توفي الحسن بن الصباح اختاره الامام علي الهادي ليحل محله وكان ذلك سنة ٥١٨ هجرية ، فعمد بدوره الى ادخال التنظيمات الجديدة في صميم الانظمة العسكرية التي كان قد أوجدها الحسن بن الصباح ،

(١) نور مبين حبل الله المتين : لجنارا ص ٣٨١ .

مما ساعده على احتلال المواقع الكثيرة وصد الجيوش الجرارة التي كانت تهاجم الاسماعيلية على الدوام (١) .

وتوفي الداعي القائد كيا بزرك أميد سنة ٥٣٥ هجرية ودفن في قلعة آلموت . ولا بد لنا ونحن نستعرض ترجمة هذا الداعي الكبير من ان تتعرض لاقوال المؤرخين الذين أشاروا اليه من طرف خفي وقالوا أنه ادعى الامامة لنفسه بعد وفاة الحسن بن الصباح دون ان يعبأ بأولاد نزار اصحاب الحق الشرعي مما حدا ببعض المتعصبين من الدعاة والقادة الى اعلان الثورة والتمرد عليه فاعدم منهم خمسمائة اسماعيلي .

ان هذه الرواية بعيدة عن الواقع والحقيقة ، وهي عبارة عن دس وتحامل من قبل الاعداء الذين أزهلهم الاقبال على الانخراط في صفوف الاسماعيلية فحاولوا تشويه سمعة هذا البطل والطعن في نسب الأئمة من نسل نزار وهو لا يخفى على كل ذي عينين (٢) .

* * *

(١) تاريخ الدعوة الاسماعيلية لمصطفى غالب ص ٢٠٣ .

(٢) تاريخ الادب في ايران : لبراون (ص ٥٧٦ – ٥٧٧) .

لمك بن مالك الحمادي الهمداني

عندما شعر المهتمون بأمور الدعوة الاسماعيلية في مصر بأن مركز الخلافة بدأ يتزعزع قرروا ان يختاروا مكانا آخرا يجعلوه مدرسة لتدريب الدعاة وبنفس الوقت لنقل التراث العلمي الاسماعيلي او بالاحرى قسم منه الى المكان الجديد الذي سيقع اختيارهم عليه ، وبعد البحث قرروا ان يجعلوا من اليمن مكانا ثانيا لمدارس الدعوة الاسماعيلية . نظرا لوفرة العلماء فيها ولمكانة ملوكها السامية بالنسبة للخليفة الفاطمي واخلاصهم الدائم ، لذا فقد كلف الامام المستنصر رئيس بعثة الصليحي قاضي القضاة لمك بن مالك الحمادي الهمداني الذي قدم الى القاهرة على رأس وفد من وجوه اليمن ليستأذنوا للملك الصليحي لاداء فريضة الحج بعد ان تم له فتح جزيرة اليمن بأسرها (١) .

والمصادر الاسماعيلية التي بين أيدينا تدل على أن قاضي القضاة لمك ظل في القاهرة مدة خمس سنوات كان خلالها يعيش في دار المؤيد في الدين الشيرازي يدرس عليه ويأخذ عنه ، ويكتب ما استفاده منه الى ان استوعب ما عنده ، واخيرا قدم له المؤيد سبعا وعشرين مسألة فأجاب عنها جميعها ، فاتضح لباب الابواب سيدنا المؤيد انه أصبح جديرا برئاسة مدارس الدعوة اليمنية ، ولم يكتف بهذا القدر من العلم بل كان يحضر المجالس المستنصرية طوال مدة اقامته في القاهرة ، وبذلك وقف على التعاليم المهمة من باب الابواب وقد كان لهذه التعليمات والارشادات الاثر الفعال في توجيه الدعوة الاسماعيلية في اليمن .

(١) نزهة الافكار لادريس عماد الدين ١/٨٤– ٨٥ عيون الاخبار للداعي ادريس ١٠٣/٧ .

ولما علم الامام المستنصر باغتيال الملك علي الصليحي وهو في طريقه الى الحج ، اثر كتاب وصله من السيدة الحرة اروى الصليحي تعلمه بالخبر وتطلب ان يوافق على تعيين ولدها المكرم عوضا عنه ، كتب الامام المستنصر كتابا أرسله مع القاضي لمك بن مالك بعد ان تم دراسته في القاهرة واصبح جديرا ليكون رئيسا لمدارس الدعوة اليمنية وكان ذلك سنة ٤٥٩ هجرية أو سنة ٤٦٠ هجرية ولقب بداعي (القلم) • ومما جاء في سجل الامام المستنصر الذي أرسله مع لمك بن مالك ما ذكره ادريس عماد الدين فقال [١] « ... وساق الى ولدك (المكرم) من التشريفات والالقاب ما شفعه بما هو أزيد من ذلك صحبة : قاضي قضاة اليمن لمك بن مالك » • وما كاد لمك بن مالك يحط الرحال في اليمن ويسلم الكتاب الى السيدة الحرة ويعلمها بأنه مكلف من قبل الامام المستنصر وباب ابوابه المؤيد في الدين لتنفيذ سياسة معينة بالنسبة للدعوة حتى أخذ الملك ووالدته السيدة اروى لايقطعان أمرا من امور الدولة والدعوة الا اذا استشاراه ، نظر للمكانة العظيمة التي أصبح يتمتع بها ، وكان القاضي لمك في بعض الاوقات يوجه للملك المكرم النصائح واحيانا ينهاه عن بعض المسائل بقوله : « انك في الملك في مقام الامام عليه السلام ، فلا ينبغي لك ان تتواضع عن منزلتك [٢] • ويذكر الداعي ادريس أيضا فيقول ما معناه ان الملك المكرم كان « داعي السيف » وكان لمك داعي القلم [٣] : « وارسل الامام عليه السلام الداعي الاجل لمك بن مالك الى اليمن ، فأقامهداعيا مع الداعي الملك المكرم ؛ وأمر المكرم بأن يقوم بالسيف والقاضي لمك داعي القلم ؛ وجعل الى الملك المكرم امر الملك والسياسة ، والى الداعي لمك اقامة القضاء وأمور الدعوة [٤] ومن هنا يتضح انالملكالمكرم

(١) السجلات المستنصرية رقم ٥٥ . عيون الاخبار ١٨٨/٧ .
(٢) عيون الاخبار للداعي ادريس ٧/ ١٠٤ .
(٣) عيون الاخبار للداعي ادريس ٨٣/٧ .
(٤) نزهة الافكار لادريس عماد الدين ٨٣/١ .

كان الرئيس الاعلى للدولة والدعوة ، ولكنه ترك امر الدعوة للقاضي لمك يتصرف فيها بالرجوع اليه • ومن هنا ايضا نلاحظ ان تغيرا اساسيا قد حصل في صلب دستور الدعوة الاسماعيلية في اليمن ، لان امور الملك والدعوة كانت مركزة في شخص الملك ، على حين اشترك مع الملك القاضي لمك في ادارة شئون الدعوة ، وفي عهد الملكة أروى وبعد ان اصبحت تحمل لقب حجة الامام ، قال صاحب العيون ادريس [١] : فرفعت بذلك عن حدود الدعاة الى مقامات الحجج ، وكفلت كافة المؤمنين ، والدعاة الميامين ، والحدود والمستجيبين خير كفالة • واوضحت البرهان في ولاية الأئمة عليهم السلام ، وأظهرت معالم الدعوة للتابعين ، واستعانت في تثبيته قواعد الدعوة بقاضي القضاة لمك الذي لقب في عهدها بداعي البلاغ » واستمر لمك بوظائفه العديدة يعمل بجد ونشاط الى ان وافته المنية في ٢٧ جمادى الاخرى سنة ٥١٠ هجرية ودفن في بلهاب •

ولقد لعب هذا الداعي الكبير دورا هاما في تاريخ الدعوة الاسماعيلية في بلاد اليمن • وعاصر علي بن محمد الصليحي والمكرم والسيدة الحرة أروى الصليحي ، ويذكر التاريخ أنه كان عالما نحريرا وفيلسوفا عبقريا خدم الدعوة الاسماعيلية خدمات عظيمة ، وزود مكتبتها بعدد من المؤلفات الضخمة التي تبحث في كافة العلوم المذهبية والفقهية ولا تزال كتبه في خزائن الدعوة الاسماعيلية البهرية في الهند ولم يصل لدينا ما يشير الى عدد مؤلفات هذا الداعي الكبير •

* * *

(١) عيون الاخبار للداعي ادريس ١٤١/٧ .

حرف الميم

محمد بن أحمد الرفنة

من كبار الدعاة الاسماعيليين النزارية في سورية ، الذين اخذوا على عاتقهم نشر الدعوة الاسماعيلية في بلاد الشام محمد بن احمد الرفنة .

اشتهر وعرف بين الاسماعيلية السوريين بخصومته العنيفة مع اتباع الفرقة المؤمنية ، الذين خرجوا على الدعوة الاسماعيلية ، وكان هؤلاء بالحقيقة مجموعة من ذوي النفوس المريضة (اما حاقد موتور ، او وصولي انتهازي) لذلك اعتبرهم الدعاة من الخوارج ، الواجب المجاهدة معهم ، لتخليص الدعوة من شرورهم .

ولد الشيخ محمد بن أحمد الرفنة[1] في (بارين أو بعرين[2]) وما كاد يبلغ الثامنة من عمره حتى ظهرت عليه علائم النجابة والذكاء وقوة الحافظة ، درس على أبيه الشيخ احمد الرفنة أصول المذهب الاسماعيلي وعلوم الفلك والرياضيات ، ومن ثم أرسله ابوه الذي كان داعيا في جهات (بعرين) في ذلك الوقت الى مصياف المركز الرئيسي للدعوة الاسماعيلية في بلاد الشام لاتمام تحصيله العقائدي ، فأظهر نبوغا عجيبا ، لما كان يتمتع به من مقدرة فائقة على الجدل والمناظرة وسرعان ما اطبقت شهرته جميع الاوساط الاسماعيلية في بلاد الشام . فانتخب في بعثة دراسية اوفدت الى

---

(١) نسبة الى مكان ولادته .

(٢) يقول عنها ابو الفداء بتقويم البلدان ص (٢٥٩) هي بلدة صغيرة ذات قلعة قد دثرت ولها أعين وبساتين ، وهي على مرحلة من حماه الى الغرب بميلة يسيرة الى الجنوب وبها عمارة قديمة تسمى (الرخنية) لها ذكر شهير في التاريخ .

مقر الامام الاسماعيلي اسلام شاه في مدينة (بابك) في فارس ، فظل هناك حتى أعلنت وفاة الامام اسلام شاه سنة ٨٢٧ هجرية . وحل محله ابنه الامام محمد بن اسلام شاه . واثناء حفلات التنصيب التمس وفد الاسماعيلية في سورية من الامام الجديد ان يختار لهم بعض الدعاة الاشداء الذين يستطيعون الوقوف في وجه دعاة الفرقة المؤمنية التي اخذت تذر قرنها في بعض الجهات السورية ، وخاصة في مدينة حمص . فوقع اختيار الامام على الشيخ محمد الرفنة الذي كان موضع ثقة الجميع .

توجه الداعي الشيخ محمد الى حمص ، فجعلها مقرا له واخذ يشتبك بمناظرات علمية مذهبية مع داعي الفرقة المؤمنية (سعد بن داوود البدخشاني)، واستمر في مقارعته ومناظرته مدة عام تقريبا حتى اضطره الى مغادرة حمص سرا والعودة الى بدخشان بعد ان انفض اتباعه من حوله . وبعد ثلاث سنوات من الاقامة في حمص توجه الى قلعة (الكهف) فاستقر بها مدة طويلة كان خلالها يتجول على كافة القرى والحصون الاسماعيلية واعظا ومرشدا ومعلما ، ومن ثم عين في مصياف رئيسا لمدرسة الدعوة ، فعكف على التصنيف والتدريس والتأليف حتى توفي سنة ٨٥٩ هجرية ولا يزال ضريحه في مصياف وقد حول مؤخرا الى مسجد للصلاة .

يستدل من المصادر الاسماعيلية السورية ان هذا الداعي الكبير كان غزير المادة ، كثير التأليف والتصنيف ، وله شعر حسن موزع في أغلب المخطوطات الاسماعيلية السورية ، وجل أشعاره في مدح آل البيت وفي الرد على المخالفين ، ترك عدة رسائل ومؤلفات مذهبية وفلسفية نذكر منها :

١ ــ الرسالة الكافية : تبحث في فلسفة المذهب وتنظيم الدعوة والدعاة والحجب .

٢ ــ رسالة في الرد على البدخشاني : وهي تضم المناظرات العقائدية التي أجراها مع داعي الفرقة المؤمنية في حمص .

٣ ــ رسالة الشفاء من الوباء : يرد فيها على مزاعم الفرقة المؤمنية ، الذي اعتبرها من الاوبئة الفتاكة التي تنفث سمومها في المجتمع الاسماعيلي السوري •

وباعتقادي ان لهذا الداعي مؤلفات أخرى كثيرة لا تزال موجودة في مصياف والقدموس ، ولكن مع الاسف الشديد فان مالكيها يحرصون عليها أشد الحرص ، فيسترونها عن الاعين ، معتقدين بأن في اظهارها للملأ الكفر كله ، كأنهم لا يزالون يعيشون في القرون الغابرة •

وكم تتمنى لو ان هؤلاء المتعصبين الذين يمتلكون المخطوطات الاسماعيلية يفسحون المجال لمن يرغب من العلماء والكتاب ، وطلاب المعرفة ، للاطلاع على هذه الكنو زالدفينة ، بعد أن زال عهد التستر والتخفي والتعصب المقيت •

ولكنهم يفضلون ان تدفن هذه الكتب معهم في قبورهم على أن تظهر للوجود ، فتتناولها الايدي درسا وتحليلا •

أما اولئك الذين لا يزالون حتى الآن يصنفون ويخترعون شجرات النسب التي يذكرون فيها اسماء وهمية خيالية اوحتها اليهم مخيلتهم المريضة ، فنقول لهم اتقوا الله ، وحافظوا على الامانة العلمية الملقاة على عواتقكم ، فمثل هذه التصرفات لا تجدي نفعا ، لان الجوهر مهما علته الاتربة والغبار ، يبقى يشع في الظلام لينير الطريق القويم امام المؤمنين الاتقياء الشرفاء •

* * *

محمد بن اسلام شاه

في عهد الامام محمد بن اسلام شاه اصبح للاسماعيلية في الهند سيطرة اقتصادية ونفوذا وتأثيرا كبيرا على ملوك الاقليم وامرائه ، وعاشوا مواطنين مسالمين ، يعملون في التجارة والزراعة والصناعة ، ومهروا في صناعة الذهب حتى عرفوا « بالسنار » أي الصاغة [١] •

كانت ولادة الامام محمد بن اسلام شاه في مدينة (بابك) الايرانية سنة ٧٧٣ هجرية • تولى الامامة بعد وفاة ابيه سنة ٨٢٧ هجرية ، فاقتفى اثر أبيه فوزع الدعاة على المناطق ورتب لهم المعاشات الكبيرة وشيد لهم دورا ليدرسوا فيها أصول المذهب الاسماعيلي ، وقام بجولة تفقد فيها اتباعه في عموم أنحاء الهند ، واختار حسن كبير الدين ليكون حجة له ومشرفا عاما على شؤون الدعوة في جميع أقاليم الهند ، ولما توفي الداعي الكبير بير صدر الدين عيَّن ابنه تاج الدين خلفا له • ويذكر التاريخ ان الامام محمد بن اسلام شاه هو أول من أحدث التغيرات في درجات الدعاة التي كانت في العصور السابقة ، فأصبح لقب (پير) بدلا من الحجة ، و (ملا) أو (آخوند) بدلا من الداعي ، وفي هذه التنظيمات أصبح (البير) نائبا عن الامام يقع على عاتقه عبء جمع شمل الطائفة وادارة شئونها ، واعتبر من اقرب المقربين للامام ، حاول الامام محمد بن اسلام شاه أن ينهض بالاسماعيليين في بلاد الشام بعد أن خيم عليهم البؤس والشقاء ، وتفشت في صفوفهم التفرقة ، مما أدى الى بعثرتهم في المدن ليعيشوا بالتقية والكتمان ، ومال اكثر سكان مصياف والقدموس الى الفرقة (المؤمنية) • فأرسل لهم الاعانات والارشادات وعين

(١) الطائفة الاسماعيلية : كامل حسين ص ١١١ •

لهم الدعاة[1] .

تزوج الامام محمد من السيدة (خديجة بي بي) ابنة سيد عالم شاه نامي ، وكانت على غاية من الجمال وحسن السيرة ، عالمة ، جليلة القدر متفقهة في أصول المذهب الاسماعيلي ، كما اشتهر زوجها الامام محمد بتقواه وعلمه ومعرفته النادرة العميقة لكافة العلوم والاديان السماوية ؛ وقيل ان الناس كانوا يأتونه أفواجا وجماعات ليدرسوا عليه وليحكم في اختلافاتهم الدينية .

ويقول (جنارا) : « كان قصر الامام شاه محمد عبارة عن ندوة علمية تعقد فيه المناظرات بين العلماء والفلاسفة والفقهاء ، وكان ـ لذكره السجود ـ يفصل ويحكم في الاختلافات العلمية[2] » .

وهذا دليل واضح على ان الأئمة الاسماعيليين الذين قطنوا أزربيجان بعد كارثة المغول قد تركوا الامور السياسية ووجهوا جلّ اهتمامهم الى الناحية العلمية والتجارية حفاظا على كيانهم ووجودهم ، فانتشرت دعوتهم في بلاد الهند والسند وكشمير وايران بشكل ملحوظ .

وتوفي الامام محمد بن اسلام شاه سنة ٨٦٨ هجرية .

* * *

(١) الشيعة في الهند : Hollister ص ٣٣٤ .

(٢) نور مبين حبل الله المتين : جنارا : ص ٥١٠ ـ ٥١١ .

محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق

ذكرنا في غير هذا المكان ان وفاة الامام جعفر الصادق أدت الى انقسام شيعته الى عدة فرق منها الفرقة التي نادت بامامة ولده اسماعيل وعرفت بالاسماعيلية ، ولما توفي اسماعيل كان ولده محمد طفلا والذي نص على امامته في حياة جده جعفر الصادق أي قبل سنة ١٤٥ هجرية . وذلك لان الامامة كما قلنا لا يمكن أن ترجع القهقري ، ويستدل من المصادر الاسماعيلية أن ولادة محمد بن اسماعيل كانت سنة ١٣٢هجرية في المدينة المنورة . وتدور حول امامة اسماعيل أحاديث وروايات متناقضة ومضطربة .

وتذكر بعض المصادر الاسماعيلية أن جعفر الصادق لما عين ولده موسى الكاظم ليكون سترا على حفيده محمد بن اسماعيل صاحب الحق الشرعي ، استبد موسى الكاظم بالامر دون محمد بن اسماعيل وذلك بعد وفاة الامام جعفر الصادق[1] ويرى البعض الآخر أن الامام جعفر الصادق عهد الى ميمون القداح الذي كان من أخلص الاتباع برعاية محمد بن اسماعيل حتى يبلغ أشده ، لانه كان طفلا عند وفاة أبيه اسماعيل[2] . ومن هذه الاقوال وغيرها نستطيع أن نؤكد استنادا على المصادر الاسماعيلية أن اسماعيل لم يكن طفلا كما يدعون عندما تسلم الامامة بعد وفاة أبيه لاننا ذكرنا عندما استعرضنا حياة اسماعيل في غير هذا المكان أن اعلان موت اسماعيل في حياة أبيه لم يكن الا تغطية أو بالاحرى ذرا للرماد في عيون العباسيين الذين كانوا يلاحقونه في كل مكان ، ومن الواضح أن وفاة

(١) زهر المعاني للداعي أدريس ص ٤٩ ، ٥١ .

(٢) نفس المصدر ص ٤٧ .

اسماعيل كانت سنة ١٥٨ هجرية وفي ذلك الوقت كان عمر ولـده محمـد سنة وعشرين عاما ، وباعتقادي أن من كان عمره هكذا ليس بحـاجة الـى وصاية أو رعاية ، وكل ما هنالك أن موسى الكاظم ادعى الامامة لنفسه بعد وفاة أبيه • وهذه الحادثة مشهورة ورواها اكثر المؤرخين المنصفين ، أمـا علاقة ميمون القداح في الامر ، فميمون كان حـدا من حـدود الـدعوة الاسماعيلية برتبة حجة أو باب الأبواب ومـن الطبيعي وحسب الانظمـة الاسماعيلية يقتضي أن يبقى من يحمل هذه الرتبة مرافقا لـلامام فـي حله وترحـاله •

ومن الطبيعي جدا أن محمد بن اسماعيل بعد أن أصبح وليا لعهد أبيه بموجب النص الشرعي أن ينظم دعوته ويركز دعائمها قبل وفاة جـده ، وبالفعل أخذ يدعو لنفسه وهو في الحجاز وساعده على ذلك حدوده وأتباعه ، خاصة وأن العباسيين كانوا طوال عهد المهدي وقسم من عهد الرشيد مشغولين بحروب الزنادقة والعلويين الثوار •

ففرق الامام محمد بن اسماعيل دعاته في جزائر الارض ، وأمر أهل الجزائر باقامة الدعوة باسمه فعمرت الارض وانتشـر الامر ، واقبلوا فـي السياحة لايجاد دار هجرة لهم [١] • ويذكر بعض المؤرخين بأن الامام محمد ابن اسماعيل عنـدما شعر بالخطر الذي يتهدده من قبـل الرشيد العباسي حفر سردابا في داره بالمدينة ، حتى اذا ما شعر بدنو الخطر توارى فيـه عن الانظـار •

وتتفق المصادر جميعها في القول بان محمد بن اسماعيل استطـاع أن يخرج سرا من المدينة ويتوغل في شرق المملكة الاسلامية ، فيقول البعض أنه قصد فرغانة واستقر بهـا [٢] • بينمـا يرى البعض الآخر أنـه استقر في

(١) أسرار النطقاء لجعفر بن منصور : ص ٦٠ •

(٢) W. IVANOW : the rise of the fatimids - : p. 30

نيسابور[١] حيث تزوج هنـاك وانجب ابنه عبد الله الرضي الذي عهـد اليه بالامامة من بعده •

ويقول غيرهم : ان محمدا بن اسماعيل توجه من المـدينة الى العـراق فالري ، ومنها الى دوماوند ، حيث استقر بقرية تدعى (سملا) أطلق عليهـا فيما بعد (محمد آباد) نسبة اليه • وان خروجـه لم يكن خوفـا مـن العباسيين بل كان لنشر الدعوة وانقاذ أبنائه ودعاته الى كافة أنحاء العـالم الاسـلامي •

ونحن وان كنا نتفق مع هؤلاء في بعض ما جاء بهذه الروايات الا أننـا نخـالفهم في هذه الرواية لأن المصادر الاسماعيلية السورية التي هي بين أيدينا تذكر أن الامام محمد بن اسماعيل عندما كان يقيم في المدينة وينشـر الدعوة منها الى جميع البلدان الاسلامية ، شعر الرشيد بما يقوم بـه ، فكتب كتابا سريعا وزعه على عماله في جميع المناطق يطلب منهم فيه القـاء القبض فورا على محمد بن اسماعيل التي تروج الدعوة باسمه وعلى حججه وحدوده ودعاته أينما وجدوا ، وبطريق الصدفة رأت زوجة الخليفة السيدة زبيدة الكتاب المذكور وباعتبار أنها كانت تميل الى المذهب الاسمـاعيلي فقد شق عليها أن يلقى القبض على الامام محمد بن اسماعيل فأرسلت اليـه صورة عن الكتاب المذكور مع أحد الاشخاص فلما اطلع الامام محمد بن اسماعيل على الكتاب المذكور وعرف نوايا الخليفة تجاهه • غادر المدينـة سرا مع حجته ميمون القداح وبعض الدعاة الى الري حيث رحب بهم حاكمهـا اسحق بن عباس الفارسي باعتباره من الاسماعيلية ، وقدم للامام كل المساعدات التي مكنته من الوصول الى نهاوند حيث استقر به المقام هناك ، وتزوج من ابنة أمير تلك المقاطعة (أبي منصور بن جوش) ورزق منها أربعة أولاد ، هم : عبد الله ، محمد ، أحمد ، الحسين •

(١) زهر المعاني للداعي أدريس عماد الدين ص ٥٤ •

ولما بلغ الرشيد ما فعله اسحق بن عباس الفارسي أمر باحضاره ، فجلد بين يديه حتى مات .

ومن جهة ثانية سير العساكر الى نهاوند لالقاء القبض على الامام محمد بن اسماعيل الذي أخذ ينشر دعوته بسرعة ، ولكن أتباع الامام محمد ابن اسماعيل أحاطوا بعساكر الرشيد وردوها على أعقابها . وخشية أن يرسل حملات أخرى قرر الامام أن يغادر نهاوند فتوجه الى (دوماوند) حيث جعل مقره في قرية (سملا) التي عرفت فيما بعد بـ (محمد أباد) نسبة اليه[1] .

وتقول المصادر الاسماعيلية السورية أيضا أن الامام غادر محمد آباد سرا الى مدينة تدمر في سورية وكان ذلك سنة ١٩١ هجرية فاتخذها مقرا له وكان الاسماعيليون يأتونها من العراق وفارس[2] .

ومن تدمر أوفد الى المغرب الداعيين المشهورين الحلواني وأبا سفيان وقال لهما : « انكما ستدخلان أرضا بورا لم تحرث قط فاحرثاها وكرماها وذللاها حتى يأتي صاحب البذر فيضع حبه » .

وبعد أن نظم الدعوة ونشر الدعاة والحجج في جميع البلدان نص على امامة ولده عبد الله ولقبه بأحمد الوفي وتوفي سنة ١٩٣ هجرية ودفن على رأس رابية تقع في الشمال الشرقي من مدينة تدمر ولا يزال ضريحه فيها حتى الآن ويعرف لدى العامة بضريح (مولاي محمد بن علي) .

ويعتبر الامام محمد بن اسماعيل أول الأئمة المستورين ، والناطق السابع ، لان امامته كانت بداية دور جديد في تاريخ الدعوة الاسماعيلية ، قام بنسخ الشريعة التي سبقته ، فجمع بين النطق والامامة ، ورفع التكاليف الظاهرية

---

(١) تاريخ الدعوة الاسماعيلية لمصطفى غالب ص ٩٠ .

(٢) كتاب الهدى والبيان في معرفة امام الزمان ورقة (٢٥) نسخة خطية .

للشريعة ، فنادى بالتأويل ، واهتم بالباطن ولذلك قال فيه الداعي أدريس[1] : « وانما خص محمد بن اسماعيل بذلك ، لانتظامه في سلك مقامات دور الستر ، لأنك اذا عددت آدم ووصيه وأئمة دوره ، كان خاتمهم الناطق ، وهو نوح عليه السلام ... واذا عددت عيسى ووصيه وأئمة دوره ، كان محمد (ص) متسلما لمراتبهم ، وهو الناطق خاتم للنطقاء ، وكان وصيه عليه السلام بالفضل منفردا به ، واذا عددت الأئمة في دوره كان محمد بن اسماعيل سابعهم ، وللسابع قوة على من تقدمه ، فلذلك صار ناطقا وخاتما للاسبوع ، وقائما وهو ناسخ شريعة صاحب الدور السادس ، ببيان معانيها واظهار باطنها المبطن فيها » .

ولقد رأينا من الافضل أن نورد للقارىء ما ذكره الداعي أدريس في كتابه زهر المعاني حول امامة محمد بن اسماعيل بالنص الواحد ليكون على بينة من الأمر ، قال أدريس[2] :

« وقام محمد بن اسماعيل ، صلوات الله عليه ! وهو سابع الأئمة وقائمهم ، مقابل لجده علي أمير المؤمنين تمام الدور الروحاني ، والخلق الآخر الذي هو نفس الشيء وروحه ومعناه ، وهو تمام الدور الاول ، ومنه ابتداء الدور الثاني .

وكان بالمدينة ، فقام بدين الله سبحانه ، وبث الدعاة ، ونشر العلوم ، وأمر دعاته بطلب دار هجرة يلجأ اليها . وكان في عصر الرشيد ، فلما بلغه علم محمد بسبب انتشار دعوته ، أمر بالقبض عليه ، وأن يؤديه اليه . وكان الامام قد أعد بداره سردابا ينكتم فيه من الضد . فلما وصل الرسول من الرشيد الى المدينة ، دخل ذلك السرداب واختفى فيه ، وطلبوه فلم يجدوه

---

(١) زهر المعاني للداعي أدريس ص ٥٦ .

(٢) أدريس عماد الدين زهر المعاني ص (٥٣ — ٥٦) .

ولا قدروا عليه ، فعادوا الى الرشيد ، وانهوا اليه خبر ما فعلوه • ولما هدأ الطلب ، سار الامام في طلب دار هجرته ، وخلف بالمدينة ولدين خاليين من الامامة ، وهما اسماعيل وجعفر ، وشخص الى نيسابور بنفسه منكتما عن ضده ، وهو يدور ما بينها وبين الديلم • وتزوج بنيسابور امرأة ، فولدت له ولدا فسماه عبد الله ، وكني بالرضي ، وعرف عبد الله الامام بالعطار كتما لمقامه واخفاء له • ونصب له حجبا ، وأمر كل واحد من الحجب والحجج أن يتسمى باسم الامام ، فمن أخذ العهد على مستجيب ، سمى له أحد أولئك الحجب ، حتى يمضي الوهم اليه سترا على صاحب الامر • وجرت بذلك السنة والقضية في الأئمة المستورين الثلاثة • فمن ذلك أن الدعاة في أوضاعهم يسمون هؤلاء الأئمة بأسماء مختلفة ، ما اتفق منها في ذلك اثنان •

فقام محمد باللسان وصمت عنه السيف الى بلوغ الكتاب أجله ، فأظهر العلوم ، وبين الحقائق وكشف لخلصائه منها السر المكتوم ، فظهرت منه حقائق ومعجزات ، ودلائل وآيات ، لم تظهر في الأئمة من قبله ، ولا قام أحد من الأئمة كمثله ، لانه السابع صاحب القوة والظهور ، والضياء والنور ، ومبين العلم المستور •

وكان محمد بن اسماعيل متم الدور المنتهية اليه غاية الشرائع المختومة به ، المشتمل على مراتب حدودها ، المحيط بعلومهم • وهو القائم بالقوة ، صاحب الكشفة الاولى ، لان القائم بالفعل هو القائم الكلي ، الذي هو صاحب الكشفة الاخرى والبطشة العظمى ، قائم القيامة الكبرى ، لان القيامات كثيرة ، أولها المأذون المكفوف ، ثم المأذون المطلق ، ثم الداعي المحرم ، ثم الداعي المطلق ، ثم داعي البلاغ ، ثم الحجة ، وغايتها الباب • وانما كانت هذه الحدود قيامات ، كقيام كل واحد منهم بما يتصل من الصور المجردة المفارقة للاجسام الصائرة الى أفقه المعروفة به •

ويتلو هذه القيامات قائم قيامة كبرى ، وهو المقام الذي هو الامام

عليه أفضل السلام ، فهو قائم القيامة ونهاية النهايات ، وكل أحد ممن ذكرنا قائم بنسبة الى من دونه • ويتلوها جميعا قائم القيامة الكبرى ، صاحب البطشة العظمى ، المجتمعة عنده جميع المقامات ، وهو لهم غاية الغايات الشريفة ، الجامع لها ••• وانما وقع عليه اسم الناطق السابع لنطقه بالامر الالهي ، وجمعه للفضل الذي هو اليه متناهي ، وليس بمتم ولا رسول ، بل هو منفرد برتبة الوحدة ، وقد تم التمام ، واتسق النظام • وانما خص محمد بن اسماعيل بذلك ، لانتظامه في سلك مقامات دور الستر ، لانك اذا عددت آدم ووصيه وأئمة دوره ، كان خاتمهم الناطق ، وهو نوح عليه السلام •• واذا عددت عيسى ووصيه وأئمة دوره ، كان محمد (ص) متسلما لمراتبهم ، وهو الناطق الخاتم للنطقاء ، وكان وصيه عليه السلام بالفضل منفردا • واذا عددت الأئمة في دوره ، كان محمد بن اسماعيل سابعهم ، وللسابع قوة على من تقدمه • فلذلك صار ناطقا وخاتما للاسبوع وقائما ، وهو ناسخ شريعة صاحب الدور السادس ببيان معانيها ، واظهار باطنها المبطن فيها •

••• ومحمد بن اسماعيل لم يبطل شيئا من ظاهر شريعة محمد صلى الله عليه وآله ! بل أكدها ، وأمر بالعمل بها •

وعلى ذلك سنة الأئمة الطاهرين من أبنائه التابعين لهم ، قياما بالتكليفات ومحافظة على المفترضات ، من غير ترخيص ولا اهمال ، ولا ترك ولا ابطال ، وانما عنى الامام المعز بقوله : وعطلت بقيامه ظاهر شريعة محمد ، لما كان لمعانيها مبينا ، ولاسرارها كاشفا ومجليا ، فأزال عن أتباعه وأشياعه اعتقاد الظاهر ، على ما فيه من تعطيل وتشبيه للمبدع الحق بمخلوقاته ، وتمثيل وتجسيم للملائكة الروحانيين ، واعتقاد لذلك ، على ما هو موجود في هذه الدار • فعطل ذلك الاعتقاد ، وبين فيه المراد ، كشفا للحقائق ، واظهار البيان الصادق ، وقياما بالتأويل الذي عرف فيه التوحيد بحقيقته ، ونزه

الباري سبحانه عن صفة خليقته ، وعرفت الملائكة بجوهرها اللطيف ، وبين الثواب والعقاب على ما يعتقده أهل التجسيم والتكثيف » •

وعلى العموم لا بد من الاشارة الى أن اسم الابن الذي نص على امامته بعد محمد بن اسماعيل والمعروف لدى الاسماعيلية النزارية • والمدون اسمه على شجرة الامامة هو عبد الله الملقب (أحمد الوفي) لذا من الارجح أن يكون هذا الخلط بالاسماء قد ارتكب نتيجة لسرية الدعوة ولكثرة الدعاة الذين كانوا كما ذكر الداعي أدريس يسمون باسم الامام تنويها للاضداد ، وحرصا على سلامة صاحب الحق الشرعي ، وباعتقادي أن الاسم الحقيقي هو كما ورد في كتاب الداعيادريس وغيره (عبد الله) ولكنه لقب (بأحمد الوفي) وهذا هو الارجح والاصح لان المصادر الاسماعيلية السورية النزارية تعتبر عبد الله الرضي الامام الثاني بعد أحمد الوفي ويعتبرونه ابنا للامام محمد التقي ، ذلك ما تدل عليه كافة المصادر الاسماعيلية السورية وهم أدرى بالصحيح لان أئمة دور الستر الاول عاشوا بين ظهرانيهم ، فالمصادر المأخوذة حول هذه القضية من الكتب الاسماعيلية السورية تعتبر أدق وأصح وأثبت من غيرها من المصادر •

* * *

ابن الهيثم

يعتبر الفيلسوف أبو علي محمد بن الحسن بن الهيثم من أشهر علماء الرياضيات في العصر الفاطمي [١] ولد في البصرة ونشأ فيها ، ثم رحل الى الشام وعاش في كنف أمير من أمرائها ، فأغدق عليه المنح والعطايا ، ولكن ابن الهيثم قال للامير : « يكفيني قوت يومي » وتكفيني جارية وخادم ، فما زاد عن قوت يومي ان أمسكته كنت خازنك ، وان أنفقته كنت قهرمانك ووكيلك ، واذا اشتغلت بهذين الامرين فمن الذي يشتغل بأمري وعلمي ؟ فما قبل بعد ذلك الا نفقة احتاج اليها ولباسا متوسطا [٢] وهكذا نرى أسمى معاني الترفع عن المادة الحقيرة تتجسد في نفس ابن الهيثم المبدعة الخلاقة ، فينصرف الى العلم والدراسة مكتفيا بما يقيم به أوده ، وليت علماء اليوم الذين يتهافتون على الاصفر الرنان واقتناء السيارات الفاخرة يضعون نصب أعينهم ما قاله ابن الهيثم فيكرسون أنفسهم لخدمة العلم خدمة حقيقية بعيدة عن المادة •

ويذكر التاريخ أن أميرا جاء ابن الهيثم يطلب العلم عليه ، فقال له : أطلب منك للتعلم أجرة قدرها مائة دينار في الشهر الواحد ، فدفع له الامير ما طلبه ، وأقام عنده ثلاث سنوات يأخذ العلم ، فلما عزم الامير على العودة الى بلاده ، قال له ابن الهيثم : خذ أموالك بأسرها فلا حاجة لي اليها وأنت أحوج اليها مني عند عودتك الى مقر ملكك ، ومسقط رأسك ، واني قد جربتك بهذه الأجرة ، فلما علمت أنه لا خطر ولا موقع للمال عندك في طلب

---

(١) وقيل أبو علي الحسن بن الحسن بن الهيثم .

(٢) البهيقي : تاريخ حكماء الاسلام ص ٥١ .

العلم ، بذلت مجهودي في تعليمك وارشادك . واعلم أن لا أجرة ولا رشوة ولا هدية في اقامة الخير ، ثم ودعه وانصرف[1] .

ظل ابن الهيثم بالشام حتى بلغت أخباره الامام الحاكم بأمر الله الخليفة الفاطمي ، وقيل ان ابن الهيثم اتصل بداعي دعاة الاسماعيلية في الشام وبعد مناقشات ومجادلات بينهما على ضوء المعتقدات الاسماعيلية ، اقتنع ابن الهيثم بما أورده داعي الدعاة من حقائق علمية ثابتة فأعلن اعتناقه المذهب الاسماعيلي ، وعرض على داعي الدعاة أن يبلغ الامام الحاكم عن رغبته بالاقامة في مصر ، وقيل انه قال : لو كنت بمصر لعملت في نيلها عملا يحصل به النفع في كل حالة من حالاته من زيادة ونقص ، لانني علمت أنه ينحدر من موضع عال وهو في طرف الاقليم المصري [2] فاستدعاه الامام الحاكم للاقامة في مصر ، وقيل أن الامام خرج بنفسه للترحيب به وقربه اليه وأكرمه .

وبعد أن استقر بعض الوقت كلفه بأن ينظر في أصول النيل عساه يستطيع أن ينفذ ما خطر له بالشام ، فرحل ابن الهيثم في النيل حتى بلغ الموضع المعروف (بالجنادل) قبل مدينة اسوان فتفحص الاعمال الهندسية التي قام بها قدماء المصريين فأيقن أنه لا يستطيع أن يأتي بأحسن منها ، فعاد الى القاهرة وقدم اعتذاره للامام الحاكم[3] فاقتنع الامام الحاكم وعرض عليه أن يتولى بعض الدواوين ، ولكنه فضل الانزواء في منزل خصص له لينصرف الى التأليف والعلم واعطاء الدروس ونسخ الكتب القديمة ، فجعل له الامام من يخدمه ويقوم بمصالحه[4] وما زال معتكفا في منزله حتى توفي سنة ٤٣٠ هجرية .

---

(١) نفس المصدر .

(٢) القفطي : ص ١١٤ ، دعاة الشام مخطوط اسماعيلي سوري ورقة ٣٠ .

(٣) القفطي : ص ١١٥ .

(٤) القفطي : ص ١١٥ ، ابن أبي اصيبعة : عيون الانباء في طبقات الاطباء ٢/٩٠ .

أجمع المؤرخون على أن ابن الهيثم كان عالما مثقفا لعلوم كثيرة وله مؤلفات كثيرة في علم الهندسة ، أخذ عنه الناس واستفادوا من مؤلفاته لانه كان أعظم الرياضيين والطبيعيين في العصور الوسطى قيل أنه صنف ٦٧ كتابا ، وذكر أن له ما يقرب من ٢٠٠ كتابا خلا رسائل كثيرة ، وكلها في الهندسة والطبيعيات والفلك والحساب والجبر والطب والمنطق والاخلاق . وهو الذي أبطل علم المناظر الذي وضعه اليونان ، وأنشأ علم الضوء الحديث . كما لخص كثيرا من كتب ارسطاطاليس وشرحها ، وكذلك كتب جالينوس في الطب ، وكان فاضل النفس ، قوي الذكاء ، متفننا في العلوم ، لم يماثله أحد من زمانه في العلم الرياضي ، وافر الزهد محبا للخير .

ومن مؤلفاته : كتاب السماع الطبيعي ويبحث في ستة أمور هي :

المبادىء الكونية والطبيعة ، والمكان ، والخلاء ، وما لا نهاية له . والحركة ، والمحرك الاول .

وكتاب الكون والفساد ، وكتاب الآثار العلوية ، وكتاب البنات والحيوان ، وكتاب السماء والعالم ، وكتاب النفس ، وكتاب فيما بعد الطبيعة .

ثم تفرغ ابن الهيثم لدراسة علوم الفلسفة ، وهي ثلاثة علوم : رياضية ، وطبيعية ، والهية [1] .

وقد بين لنا ابن الهيثم نفسه آثاره في الرياضيات فقال : « فما صنعته في العلوم الرياضية خمسة وعشرين كتابا (أحدها) شرح أصول اقليدس في الهندسة والعدد وتلخيصه . وفي علوم الطبيعة[2] والالهية أربعة وأربعين كتابا ، وفي العلوم الطبية ثلاثين كتابا[3] » .

---

(١) ابن أبي اصيبعة : ٩٣/١

(٢) المصدر نفسه : ٢/٩٤ ــ ٩٥ .

(٣) المصدر نفسه : ٢/ ٩٥ ــ ٩٨

وبالرغم مما قام به ابن الهيثم من خدمات علمية عظيمة لم تلق مؤلفاته وعلومه النجاح بسبب تعصب أولئك الذين حكموا مصر بعد الفاطميين (الامويين والعباسيين) لانهم اعتبروا كل ما صنف في العهد الفاطمي مشحون على حسب زعمهم بالذندقة والكفر والالحاد ، لذا أوجبوا حرقه ، وهذا بالفعل ما حدث لمؤلفات وعلوم ابن الهيثم وغيره من كبار العلماء والفلاسفة والادباء الاسماعيلية ، وهذه الجرائم التي ارتكبت باسم الدفاع عن الدين لا يغفرها التاريخ ولا العلم ولا الادب ولا المعرفة .

وعلى العموم ان عد نيوتن رائد علم الميكانيكا في القرن السابع عشر فابن الهيثم جدير بأن يعتبر بحق رائد علم الضوء في مستهل القرن الحادي عشر للميلاد .

وشبهه كثير من العلماء بالعلامة أنتشتين في عصرنا .

* * *

محمد شاه الحسيني (آغا خان الثالث)

يعتبر (آغا خان الثالث) أعظم شخصية لعبت دورا هاما على مسرح الحياة العالمية في القرن العشرين ، فكانت مرموقة في كل حركاتها وسكناتها، وموفقة في جميع مراحل حياتها ، حلقت في الاجواء الرحبة المجنحة ، وتفيأت في ظلال المثل العليا تحوطها هالة من الاجلال والتقدير والاعجاب .

لم يكن آغا خان الثالث اماما للاسماعيلية وحدهم أو للمسلمين فحسب ، بل كان مرشدا وموجها للانسانية جمعاء ، ينفحها بايمانه المطلق بالمثل العليا ، وبآرائه القيمة ، وارشاداته الحكيمة ، ومداركه الواسعة ، وارادته الحديدية، وأعصابه القوية الفولاذية ، وعقله الخلاق الجبار . احتك بالمجتمعات الغربية فضرب لهم مثلا أعلى ، وعلمهم ان في شرقنا نبوغا ، وانه لا يزال منبع الحضارات ، ومهبط العبقريات ، وضع بمصاف الفلاسفة العالميين ، والمصلحين الافذاذ ، والقواد العباقرة ، والحكماء المبدعين الذين سبقوا عصرهم بمراحل .

اهتم بالسياسة العالمية اهتماما بالغا سنين طويلة ، وكثيرا ما كان يستشار، وكانت مشورته صائبة سليمة ، عمل بأمور وقضايا كان يتوقف عليها مصير أمم عديدة ، يؤمن بسياسة الاعتدال ، فكانت له صداقات حميمة مع ملوك وأمراء ومهراجات ونواب ملوك وقواد وعلماء وأدباء وفنانين ، بذل جهودا جبارة لزيادة قوة أتباعه المادية والروحية وليؤمن لهم الرفاهية والسعادة ، فبلغت الاسماعيلية درجة من الثراء والثقافة والتقدم الاجتماعي ما جعلت العالم كله يتحدث عنه .

ولد السلطان محمد شاه بن علي شاه الحسيني (آغا خان الثالث) في

(منزل شهر العسل) (هونيمون لوج) في كراتشي يوم الجمعة [١] في الثاني من تشرين الثاني عام ١٨٧٧ ميلادية الموافق الخامس والعشرون من شوال سنة ١٢٩٤ هجرية ، وكان ذلك اليوم مشهورا في مدينة (كراتشي) تخللته الحفلات والمهرجانات الشعبية الرائعة ، ولم تقتصر الحفلات والمهرجانات على مسقط رأسه فحسب بل امتدت الى كافة المناطق التي يقطنها الاسماعيليون ، واقبلت الجماهير الغفيرة تتدافع نحو المكان الذي انبثق منه ذلك النور السرمدي الوهاج ، الذي شع على العالم فأنار ظلمات القلوب ، وبعث الحياة في النفوس المجدبة الضعيفة[٢] .

وما كاد يسير على قدميه حتى أظهر اهتماما كبيرا بمختلف الالعاب ، وحبا بالغا للحيوانات ، فاعتاد[٣] ان يطعم بيديه الظباء والوعول والمهارى ، ويركب الخيل ليتسلق الجبال العالية ، ولما بلغ الخامسة من عمره توفي جده (حسن علي شاه) (آغا خان الاول) وبعد ذلك بثلاث سنوات أي سنة ١٨٨٥ ميلادية توفي والده (علي شاه) (آغا خان الثاني) فتسلم الامانة المقدسة التي ولد من أجلها وأصبح اماما للاسماعيلية ، وتم تنصيبه في مدينة بمباي باحتفال مهيب[٤] .

ولقد ساعدته والدته التي كانت تمتاز برجاحة العقل وحسن التدبير والقدرة على تصريف الامور ، وكانت صوفية خالصة ، تنفق وقتا طويلا

---

(١) قيل يوم الاربعاء . نور مبين ، حبل الله المتين جنارا ص ٦٣١ ، تاريخ الدعوة الاسماعيلية : مصطفى غالب ص ٢٧٣ .

(٢) الشيعة في الهند : Hollister : ص ٣٧١

Histary of the Ismailis By. A. S. Picklay. pp. 935

(٣) مذكرات آغا خان ص ٥٦ ، تاريخ الدعوة الاسماعيلية : مصطفى غالب ص ٢٧٤ ، الشيعة في الهند : Hollister ص ٣٧١ .

(٤) نور مبين حبل الله المتين : جنارا ص ٦٣٢، الشيعة في الهند، ص ٣٧٢ ، الطائفة الاسماعيلية : ١١٨ .

في الصلاة من أجل الاستنارة الروحية والاتصال بالله . تتذوق الشعر وتفهمه فهما عميقا ، متضلعة في الأدبين الفارسي والعربي ، تحفظ الكثير من الشعر العربي والفارسي حتى للشعراء المغمورين ، أقول ساعدته في ادارة شؤون الاتباع ، وضاعفت السهر عليه وأوكلت مهمة تثقيفه الى كبار المربين الاختصاصيين والاساتذة الذين عملوا على تدريسه اللغات الاجنبية والفارسية ، وقراءة الكتب ذات الفائدة العامة وقد وصف نظام حياته في ذلك الوقت فقال [١] : « والى القارىء الآن وصفا لنمط حياتي الثابت : كنت ادعى بين السادسة والسادسة والنصف الى تناول فطور الصباح ، وكان يتألف في العادة من شاي خفيف ، وخبز وزبدة ، ومربى وحلوى فارسية . وفي السابعة سواء شئت أو أبيت ، كان عليّ ان اقضي ساعة في ركوب الخيل . ومن الثامنة حتى الحادية عشرة والنصف كنت أتلقى دروسي على اساتذتي الانكليز والفرنسيين ، ومن ثم ادعى الى تناول طعام الغذاء وأبقى حرا الى الساعة الثانية من بعد الظهر ، وبعد ذلك كنت أقضي ثلاث ساعات في دراسة اللغة العربية ، ثم يسمح لي بالقيام بنزهة في السيارة أو بلعب التنس في الحديقة حتى يحين موعد العشاء في السابعة . وبعد العشاء كنت أخضع لافظع الفظائع ، ذلك انني كنت اجبر على الجلوس ساعتين لتعلم أصعب أنواع الخط وأكثرها فتكا بالروح ... وكان علي ان استقبل اتباعي يوم السبت من كل اسبوع وفي الاعياد والمناسبات المعتادة التي تجري فيها هذه الاستقبالات ، هذا هو النظام الذي اخضعت له وأنا بعد في الثامنة من عمري[٢] » .

ويذكر في مكان آخر فيقول[٣] : « كان لي ثلاثة أساتذة للانكليزية : مستر جالاغر ، وكان ايرلنديا ، ومستر لورنس ، ومستر كاني وكانوا رجالا

---

(١) مذكرات آغا خان : ص (٦٥ — ٦٦) .

(٢) مذكرات آغا خان : ص (٦١ — ٦٠) .

(٣) المصدر نفسه ص ٦٥ .

ممتازين ، سموا بعقلي الى آفاق واسعة ، وفتحوا عيني على العالم الخارجي . كانوا رجالا حكماء واسعي العقل يتمتعون بالقدرة على اثارة الشوق الى المعرفـة » .

وتحدث عن استاذه في الفارسية والعربية فقال : « لا أستطيع أن اذكر الا بالشر ذلك الرجل الذي كان مسؤولا عن تثقيفي بالعربية والفـارسية وجميع الامور الاسلامية ، كان عالما كبيرا ، وأديبا بارعا ، وكان واسع الاطلاع على الادب العـربي والتاريخ الاسلامي ، ولكن علمه كله لم يسع عقله ولم يدفىء قلبه . كان طائفيا متعصبا ، وبالرغم من مطالعاته الواسعة ، فـان عقله كان من أظلم العقول التي لقيت في حياتي واضيقها . ولو ان الاسلام كان فعلا ذلك الدين الذي بشر به ، لكان الله بالتأكيد قد أرسل النبي محمدا لا ليكون نعمة وبركة للناس جميعا ، بل نقمة عليهم ولعنة [1] » . وهكذا نرى ان تعصب مدرس (آغا خان) قد ولد في نفسه الكراهية والمقت لـكل من يتعصب للمذاهب والاديان ، مهما كان نوع هـذا التعصب وشكلـه وأصله . وها هو يقول أيضا : « أنا أعرف ان كرهي لكراهيته ، وتصلبه ، وتعصبه قد صبغ حياتي كلها ، وانما وجدت جوابي في دعائي البسيط ، أن يغفر الله بواسع رحمته ذنوب المسلمين جميعا ، القاتل منهم والمقتول ، كـما ابتهل ايضا ان تكون الجنة من نصيب المؤمنين بالله ايمانا حقيقيا صادقـا ، سواء كانوا مسيحيين ، أو يهودا ، أو بوذيين ، أو براهمانيين ، والذين يعملون الخير ويبتعدون عن الشر ، وان تشملهم الرحمة والمغفرة والسلام [2] » .

ولقد أظهر (آغا خان) من النبوغ والفطنة ، ما يسر له الغوص بسهولة كلية في اجتلاء الحقائق التاريخية ، والاغتراف من مناهل العلم الحقيقية بمختلف غاياتها ومراميها ، ولم يكد يبلغ الثالثة عشر من العمر حتى أجاد

---

(١) مذكرات آغا خان : ص ٦٧ .

(٢) المصدر نفسه ص (٦٩ — ٦٨) .

الانكليزية والفرنسية والعربية والفارسية قراءة وكتابة وتكلما ، وأشـرف ببصيرته النفاذة على آفاق العلم وذخائر المعرفة وما حازته هذه اللغات مـن آداب سامية ، ومعارف رفيعة ، وفلسفة عميقة[1] ، ولم يكن برنامجه اليومي الحافل بالدرس والمطالعة ، ليشغله عن القيام بأعباء مهمته الروحية كمرشد روحي لطائفة اسلامية كبرى ، فكان لتوجيهاته الصائبة وتبصره الواعـي لقضايا أتباعه أثر كبير في تطورهم ، واضطراد تقدمهم في كافة ميـادين الحياة ، فحقق بذلك صدق فراسة والده فيه عندما تنبأ له — وهو بعد صغير — بأنه سيقود أتباعه الى الأوج ، وبفضله ستتمكن الاسماعيلية من التصاعـد في معارج الرقي والازدهار . ولم تقتصر دراسة آغا خان على النواحـي النظرية للعلوم التي كان يتلقاها على أيدي الاخصائيين ، بل كان كثـيرا ما يعكف الساعات الطوال في مختبراته الخاصة ، يجري التجارب العلمية الواقعية ، ويشاهد بتأمل عميق مراحل التجربة ، متتبعا ملاحظاته بانتبـاه زائد ، دارسا الاسباب والنتائج ليستخلص العبرة فيها كي يعتمدها ذخيرة تعينه[2] في أداء مهمته المقدسة .

ولم يترك آغا خان مجالا للفراغ يمرح في ثنية صغيرة من عمره الطويل ، فقد كان يشغل سويعات فراغه بالمطالعة الدائبة والدرس المتواصل لمختلف الكتب ، ولعل المطالعة تشكل هواية متأصلة في نفسه رافقته منذ الصغر[3] .

وكان أول عمل جذري قام به آغا خان ، الموقف الحكيم الذي أقره بسبب النزاع الدامي المشهور الذي نشب في الحادي عشر من آب سنة ١٨٩٣ ميلادية بين الهندوس والمسلمين في بمباي وأشعل نار الفتنة الطائفية الكبرى

---

(١) الشيعة في الهند Hollister ص٣٧٤ و نور مبين حبل‌الله المتين : جنارا.

(٢) الطائفة الاسمـاعيلية : كامل حسين ص ١١٨ ، تاريخ الاسمـاعيلية لبكلي ص ٩٣ — ٩٧ .

(٣) تاريخ الاسماعيلية لبكلي ص ٩٧ — ٩٨ .

نتيجة لذبح بقرة ، اعتبرها الهندوس انتهاكا لشريعتهم • فحصلت مجازر كبيرة في مدينة بمباي قتل خلالها عدد من الاسماعيلية وخادمان من خدم آغا خان داخل بوابة قصره في (مازكان) وكان سموه بوقتها في مدينة (بونا) فأرسل تعليماته لاتباعه يأمرهم بوقف الخصام ، ولقد استطاع أن يسيطر على أعصابهم ، ويكبح جماح مشاعرهم[1] ويقنعهم بأن العقل السليم والحكمة تقضي بمعالجة الامور بالمنطق السديد ، والرأي الصائب ، وان الانسياق في تيار العاطفة سيجر المزيد من المحن والمصائب على الطائفتين كليهما ، وان الواجب الانساني يحتم على الفرقاء المتخاصمين ان يتخلوا عن أحقادهم ويتجاوزوا التوافه من أسباب الشقاق كي يفسحوا المجال لاعادة العلائق الاخوية بينهم كما كانت من قبل[2] فأوقف النزاع وفض الخصام وقدم الاسماعيلية جميع المساعدات والتسهيلات لاخوانهم الهندوس •

وقد كان لموقف آغا خان السليم هذا ، أثره الفعال في اخماد الفتنة ، مما أكسبه منزلة رفيعة بين الهندوس والمسلمين على السواء ، وأصبح في نظر الجميع نبراسا للحق والاخوة والعدالة الانسانية ، ورمزا وطنيا تتآخى في ظله قلوب الهندوس على اختلاف مللهم ونحلهم •

وفي سنة ١٨٩٧ ميلادية وقعت مجاعة كبيرة في الهند فساهم (آغا خان) في تخفيف الكارثة ، فوضع المخيمات في كل مكان لتخفيف المجاعة التي كان يموت من أثرها آلاف الناس في اليوم ، وكان يرسل المساعدات المستورة الى منازل من لا يرغبون الظهور في تلك المخيمات ، نظرا لمكانتهم المعروفة ، ونسبهم العريق ، وألقابهم الفخمة ، ولما انتهت المجاعة أمر بتوزيع البذار على المزارعين الذين يستحيل عليهم زراعة أراضيهم ، ولم يكتف بما

(1) SHI'A of india. J. N. Hollister : p.p.372 ، مذكرات آغا خان ص ٧٢ •

(2) نور مبين حبل الله المتين : جنارا ص ٦٤٥ ، تاريخ الدعوة الاسماعيلية: مصطفى غالب ٢٧٦ •

قدمه من مساعدات بل خصص قصرا كبيرا من قصوره في (بونا) سماه (يرودا) وجعله ملجأ للفقراء والبائسين والمعوزين العاطلين عن العمل[1] •

وما عتم ان انتشر الطاعون بصورة فظيعة فذهب بحياة الآلاف المؤلفة من الناس ، فكلفت الحكومة البريطانية العالم الجراثيمي البروفسور (هافكاين) ليشرف بنفسه على مكافحة هذا الوباء الذي كان له أثر تاريخي بشع في أخلاق الناس ، فقد قل احترامهم للقانون والنظام ، وكثرت حوادث القتل والسلب ، وازداد السكر والفحش ، وحقد الناس على الحكومة لعجزها عن معالجة الوباء ، وبلغت الازمة ذروتها ، عندما اغتيل أحد كبار الموظفين البريطانيين المسؤولين عن التدابير الوقائية ضد هذا الوباء[2] •

ولقد حاول البروفسور (هافكين) فرض آرائه على السلطات الرسمية في بمباي ولكن دونما قدر كبير من النجاح ، وكان الناس يموتون كالذئاب[3] •

كان الامام آغا خان في ذلك الوقت في العشرين من عمره ، ففكر أن يعمل بسرعة ، فتبنى البرفسور (هافكين) وقدم له المساعدات والتسهيلات اللازمة لاجراء ابحاثه وتجاربه ، فوضع تحت تصرفه المطلق أكبر قصوره ، ولكن الناس أحجموا عن التلقيح ، فعمل (آغا خان) بسرعة وحزم ، وجعل من نفسه قدوة للجميع ، فعقد اجتماعا عاما لجميع سكان بمباي ، ولقح نفسه علنا ، ولما رأى الاسماعيلية ان امامهم قد لقح ، حذوا حذوه ، وأقبلوا على التلقيح جماعات ، فشعر الناس انه ليس من خطر الاقتداء بالامام واتباعه ، فارتفع معدل الشفاء ارتفاعا عظيما[4] •

(1) مذكرات آغا خان ص (٨٩ — ٩٠ — ٩١) الطائفة الاسماعيلية : كامل حسين ص ١٨٩ •

(2) تاريخ الاسماعيلية لبكلي ص ٩٧ — ٩٨ •

(3) الشيعة في الهند لهولستر ص ٣٧٢ ومذكرات آغا خان ص ٧٢ •

(4) نور مبين حبل الله المتين : جنارا ص ٦٤٥ ، تاريخ الدعوة الاسماعيلية: مصطفى غالب ص ٢٧٧ •

ولقد وصف (آغا خان) نفسه هذه الحادثة وتأثيرها الفعال فقال : « ان معركة الانسان الاولى في حياته مهمة دائما • ولقد علمتني معركتي الاولى الشيء الكثير ، عن نفسي وعن غيري من الناس ، لقد حاربت الجمود والمحافظة الرسميين ، والخوف والجهل ، ان ماضيَّ قد تنبأ بمستقبلي ، وكان من نتائج النفوذ والسلطان اللذين مارستهما ، ان آخرين من غير الاسماعيليين قد زعموني عليهم[1] » •

وفي سنة ١٨٩٦ ميلادية الموافق سنة ١٣١٣ هجرية كان قد أصبح سموه على حافة الرجولة ، فودع اساتذته ، وتزوج ابنة عمه (شاهزادي بيغوم) ابنة آغاجانجي شاه • ولما كان شديد الولع بالرحلات والتنقل ليختبر الحياة على نطاق واسع ، قرر أن يسافر الى أوروبا التي كان قد قرأ وسمع عنها الشيء الكثير ، فغادر بمباي في أول شباط سنة ١٨٩٨ ميلادية الموافق سنة ١٣١٥ هجرية عن طريق البحر الى مرسيليا ، وبعد أن أمضى عشرة أيام في الكوت دازور ، توجه الى باريس ومنها الى عاصمة الامبراطورية البريطانية لندن حيث استقبل رسميا من قبل ممثلي القصر الملكي ، وبعد أن قابل الملكة منحته لقب (كوماندور) للامبراطورية الهندية ، وكان أول هندي نال هذا اللقب •

وبعد ان انتهت جولته هذه الى أوروبا ، ذهب الى أفريقيا الشرقية لدراسة شئون أتباعه ولوضع الحلول للمنازعات التي كانت ذرت قرنها بين السلطات المحلية والاسماعيلية وخاصة في دار السلام حيث كان الصراع على أشده بين السلطات الالمانية والاسماعيليين حول حقوق التجارة البرية ، ولما كان آغا خان يؤمن طيلة حياته بفض جميع الخلافات والمنازعات على أساس التسوية ، لانها بحسب رأيه أفضل من الخلاف الجاف الذي لا يؤدي الى شيء[2] ، فقد تمكن بالفعل بما أوتيه من حنكة سياسية ومقدرة فائقة وصبر

(١) مذكرات آغا خان الثالث ص (٩٠ ، ٩١ ، ٩٢) •

(٢) نور مبين حبل الله المتين ، جنارا ص ٦٤٧ ، مذكرات آغا خان ص ١١٦ ، ١١٧

طويل من فض جميع الخلافات ، وبنفس الوقت قام باجراء تنظيمات جديدة خاصة باتباعه ، وأدخل أحدث الاساليب التي شاهدها خلال تجواله في أوروبا ، وتبرع بأموال طائلة لبناء الأندية والملاعب الرياضية •

وعاد الى أوروبا حيث أمضى بعض الوقت ثم توجه الى الهند عن طريق مصر ، وما كاد يحط الرحال في الهند حتى وصلته الانعامات السامية من سلطان زنجبار بوسام (نجمة زنجبار البراقة) وهو أرفع أوسمة تلك البلاد ، وتلاه امبراطور المانيا فاهداه وسام (التاج البروسي الملكي من الدرجة الأولى[1]) •

وفي الهند رغب أن يوجه اهتمامه الكلي لتنظيم شؤون اتباعه ، وايجاد أنجع السبل لتقوية مداركهم الثقافية والاقتصادية والعلمية ، فشرع في تأسيس المجالس التعليمية والصحية والاجتماعية ، لأنه رأى بأن لا فائدة من النظريات والآراء اذا لم تدعم بالعمل والانتاج ، وان لا حياة لامة اذا لم تعب من منهل الحضارة العذب وتسير مع عجلة الزمن بسرعة نحو التطور والرقي ، وكانت الناحية الهامة بنظره[2] هي تنشئة الجيل الجديد وتدريبه على حمل المسؤوليات والشعور بالواجب ، فشجع الفرق الكشفية ، وروابط الطلبة وجمعيات رعاية الطفولة ، وانشاء أندية خاصة للصغار يتمرنون فيها على سلوك أنجع الطرق الكفيلة بنجاحهم واسعادهم ، ووجههم توجيها علميا صحيحا ، ودعاهم لتعاطي اساليب التجارة الحديثة وطرق ابواب الاقتصاديات بأنواعها ، وشجع الهجرة الى أفريقيا والعالم ، فبدأ سيل[3] المهاجرين الاسماعيليين يتدفق من الهند الى باقي أقطار العالم ، هذا ما نشط الحركة التجارية فأسست البنوك والمصارف الصناعية والزراعية والتجارية ولم تمض فترة حتى استطاع بما

(١) تاريخ الاسماعيلية لبكلي ص ١٠٢ – ١٠٣

(٢) تاريخ الدعوة الاسماعيلية : مصطفى غالب ص ٢٧٤ ، مذكرات آغا خان ص ١٢٠ •

(٣) نور مبين حبل الله المتين : جنارا ص ٦٥٢ ، ٦٥٣ •

قدمه من خدمات أن يكتسب ثقة واحترام المسلمين وغير المسلمين ، فما من مشكلة وقعت للمسلمين في عهده الا وطرح عن نفسه الصفة المذهبية ، وتطوع للدفاع عن المسلمين، وتاريخه الطويل حافل بذلك[١] •

وفي نفس العام قام بزيارة تفقدية لاتباعه في بورما حيث أحدث بعض التنظيمات الهامة •

وفي سنة ١٩٠٠ ميلادية عاد الى أوروبا حيث لقي شاه ايران مظفر الدين في باريس فاستقبله بترحاب ومنحه أرفع أوسمته (شمس الهمايون أو نجمة ايران) وقدم اليه هدايا من الحلي الماسية[٢] ومن باريس ذهب الى ألمانيا حيث اجتمع (بفون هولشتاين) الذي منحه الاوسمة والالقاب ، ولكنه الح بان يمنح اتباعه حمايته وبعض الامتيازات الخاصة في مقاطعة (تانكانيكا) بافريقيا ، وفي السنة نفسها زار تركيا فاستضافه السلطان عبد الحميد في القسطنطينية ، واجتمع به عدة مرات في قصر يلدز حيث تدارسا الشئون الاسلامية ، وقضايا أتباعه الاسماعيلية في سوريا ، فمنحهم السلطان بعض الامتيازات ، كما انعم على آغا خان بأرفع وسام وهو (قمر تركية)[٣] •

وبينما كان (آغا خان) في تركيا وصلته انباء حصول بعض الاضطرابات في حاشيته بالهند ، فعاد الى بمباي حيث اتخذ اجراءات مشددة وعمل على تنظيف الحاشية التي كانت خليطاً عجيباً من جميع الأجناس والطبقات ، فابعد المسنين منهم ، وأوجد الاعمال والمدارس للبقية[٤] • وفي سنة ١٩٠٢ بدأ آغا خان يتدخل في شئون الهند السياسية ويقدم أعظم الخدمات للشعب الهندي ، وما كاد صديقه الحميم (برنس اوف ولز) الملك ادوار السابع

---

(١) الطائفة الاسماعيلية : كامل حسين ص ١١٨

(٢) مذكرات آغا خان ص ١١٢ ، ١٢١ .

(٣) تاريخ الاسماعيلية لبكلي ص ١٠٢

(٤) مذكرات آغا خان ص ١٣٤ ، ١٣٣ ، ١٣١ .

يعتلي العرش حتى انتخب (آغا خان) ليمثل الهند في حفلات التتويج ، وقد رفعت رتبة (آغا خان) ولقبه من K. C. I. الى رتبة G. C. I. E. واقيم استعراض بحري لهذه المناسبة في (سبيتهد) حضره الملك بالذات وعدد كبير من الشخصيات البارزة •

وفي تشرين الثاني سنة ١٩٠٢ عاد آغا خان الى الهند حيث انتخب عضوا في مجلس نائب الملك التشريعي لمدة سنتين ، ورفض أن يجدد انتخابه ثانية • ومنذ ذلك الوقتأخذ يهتم بشؤون الثقافة الاسلامية في الهند ، ويعقد الاجتماعات ويلقي الخطب والمحاضرات ، التي يدعو فيها لانشاء جامعة اسلامية لتدريس الثقافات الاسلامية اسوة ببقية الجامعات الهندية ، وقد لاقت أفكاره بعض النجاح •

وكان للرحلات الدراسية المتواصلة التي قام بها الى أوروبا أثر كبير في جملة المشاريع التي حملها الى الهند ، وناضل باستمرار من أجلها ، كي تفيق القارة الهندية من غفوتها ، وتقتفي أثر الامم الناهضة باقتدائها الانظمة العصرية ، وانشائها المؤسسات الثقافية التوجيهية لمختلف أمور الحياة[١] •

وكان آغا خان يدرك جيدا مدى المسؤولية الجسيمة الملقاة على عاتقه تجاه جميع الهنود ، وكم هي مهمة شاقة أن يتحسس الزعيم نفسه وحيدا في ميدان النضال ، بعد أن فرضته الأقدار منقذا وحيدا لمجتمع تدب فيه الامراض من كل حدب وصوب • ولكن الثقة الواعية التي كان يتحلى بها آغا خان شددت في نفسه العزيمة ، وشحذت في روحه الهمة العالية ، فقبل طواعية أن يؤدي الرسالة مهما صعبت مسالكها ، وأن يخوض معركة لاهبة مع الجهل والفقر والمرض ، فطار الى عواصم العالم دارسا منقبا ، يبحث عن الحلول الجذرية لمشاكل الهند عامة ، واتباعه خاصة ، ويضع الخطط والتنظيمات

---

(١) نور مبين حبل الله المتين : جنارا ص (٦٦١ — ٦٦٠ — ٦٥٩)

التي تكفل الخلاص للجميع ، فركز اهتمامه على الاقتصاد باعتباره محـور الحياة ، وعليه يتوقف تطور المجتمع بالدرجة الاولى ، فعاد الى الهند بعد أن غصت حقيبته بالمشاريع الحيوية ، والحلول المنقذة ، التي كان لها الفضل الاكبر في بعث الطائفة الاسماعيلية، قوية متماسكة الاطرافسليمة الاوصال ، فاحتل مكانة بارزة في نفوسهم ، واكتسب مرتبة الصدارة بين زعماء العالم ورجالات الدنيا ، فأينما حل ، وأيان ارتحل ، كانت الاستقبالات الفخمـة تحيط به ، ومكان الاعجاب بشخصيته الفذة يدل على مايتمتع به من مكانة مرموقة في مختلف الاوساط • ولم نكن فعالين اذا استشهدنا بأقوال أشهر الكتاب والسياسيين العالميين ، عندما قالوا : « ان آغا خان أمة كاملة جسدت في رجل واحد » •

تعرف آغا خان في احدى زياراته لاوربا الى فتاة ايطاليـة في التاسعة عشرة من عمرها هي (تريزا ماغليانو) فغمرهما حب جارف لفترة من زمن وفي سنة ١٩٠٨ ميلادية صحبها الى مصر حيث عقد قرانه عليها وفقا لأصول الشريعة الاسلامية[١] •

وفي عام ١٩٠٩ م رزق طفله الأول وسماه (مهدي) لكنه توفي في شباط من عام ١٩١١ ثم ولد ابنه الثاني (علي خان) في حزيران من العام نفسه[٢] •

وفي سنة ١٩١٠ ميلادية قام بحملة شاملة طويلة من أجل المؤتمر الثقـافي الاسلامي الذي عقد في (ناغبور) نفس العام ومن أهم بنود ذلك المؤتمر مشروع جامعة عليكرة الاسلامية في الهند •

أدركت انكلترا وهي المسيرة لشؤون الهند ، مدى الجهود التي يبذلها

---

(١) مذكرات آغا خان ص ١٦٩

(٢) تاريخ الدعوة الاسماعيلية : مصطفى غالب : ص ٢٧٩ ، مـذكرات آغا خان ص ١٦٩ •

آغا خان في خدمة الانسانية وتطوير المجتمع الهندي ، فأنعم عليه الملك جورج الخامس عندما زار الهند مع الملكة عام ١٩١٢ ميلادية بوسام G. G. S. T اعترافاً بأعماله الرائعة وخدماته الجلى ، ووضعت جميع المشاريع الاصلاحية التي تقدم بها موضع التنفيذ ، مما دفع بعجلة التطور في الهند ، خطوات سريعة في مضمار التقدم والرقي[١] وانطلاقا من ايمان آغا خان بأن الحيـاة على رحبها واتساعها هي مدرسة المدارس ، وفي مداها الرحب تكمن الحلول الناجعة ، فقد أكثر من زيارة البلدان ، والتجوال في العديد من بلدانالعالم ومؤسساتها الكبرى ، فقام في سنة ١٩١٢ م بزيارة روسيا ، وقابل القيصر نقولا الثاني ، وعاد الى باريس اثر اندلاع الحرب في البلقان ، فكان محتما على آغا خان ، وهو الزعيم الاسلامي الكبير أن يتخذ اجراء فعالا يساعد تركيا ، البلد المسلم ، في حروب البلقان ، فعاد الى الهند ، ورمى بثقله في الميدان السياسي بعد أن أطلق صرخته المدوية معلنا مؤازرته ودعمه لتركيا بأقصى الطاقات ، مما ألهب مشاعر المسلمين في مختلف أرجاء الكون ووقفوا من ورائه مؤيدين تركيا ، وطيروا البرقيات لجميـع المنتديات السياسية في العالم تعلن تضامن المسلمين مع تركيا ، وتحض الاتراك على الاستمرار في الكفاح والصمود في ساحات الوغى ، مهما كان الثمن ، فكل شيء يهون دون الاستسلام الى الهزيمة والذل ، وبدهي أن يكون لهذه الضجة العالمية التي أحدثها آغا خان أثر كبير في سير مجرى المعارك[٢] •

وعلى الرغم من مهمات آغا خان العالمية ، فقد بقيت الهند شغله الشاغل وميدانه الرئيسي من حيث العناية والاهتمام ، فقد حز في نفسه الانقسامات المذهبية التي تفشت في صفوف المسلمين الهنود فعمد الى استئصال شأفتها بأن أسس الرابطة الاسلامية سنة ١٩٠٧ وانتخب رئيسا لها حتى سنة ١٩١٢

---

(١) تاريخ الاسماعيلية لبكلي ص ١٠٥

(٢) مذكرات آغا خان ص ١٨٨ ، ١٨٩ ، ١٩٠ •

ميلادية ، وتطورت الرابطة الاسلامية الى حزب سياسي تمخضت عنه فكرة انشاء دولة الباكستان المسلمة ، وكانت نقطة تحـول رهيبة في حياة الهند وكيانهـا[1] .

وعلى الرغم من أن آغا خان كان يعارض فكرة تقسيم الهند طائفيا الى دولتين ، الا أن مؤسس دولة الباكستان محمد علي جناح ، كان على خلاف مع زعيمه في الرأي بالرغم من أنه من اتباعه في العقيدة الاسماعيلية ؛ لأن آغا خان كان يحرص على أن يبقى المسلمون والهنود في دولة واحدة كي يلعب المسلمون دور الطليعة في تطوير المجتمع الهندي بمجموعه ، ويكونوا القدوة المثلى لاخوانهم في الانسانية .

واعظم عمل خالد يذكره العالم انشاء أول جامعة للمسلمين بالهند ، فقد لاحظ آغا خان الفروق الاساسية في التاريخ الاجتماعي والثقافي والروحي للمسلمين والهندوس ، فحاول ان يوضح المرة بعد الأخرى ، ان التقـدم الثقافي بين المسلمين يعتبر غاية في ذاته ، بل وسيلة لغاية ، فمن الواجب على المسلمين ان يملكوا المعرفة والعدة الثقافية التي تمكنهم من تحمل المسؤوليات السياسية التي يطمحون اليها ، فانشاء جامعة خاصة بهم يعتبر أمرا أساسيا جوهريا ، لانها السبيل الأفضل لانماء وحدة الاسلام الروحية .

ولقد كان امر اقناع الآخرين بهذا الرأي وتنميته لمؤازرة المشروع وجمـع الأموال شاقآ ، فطاف آغا خان جميع أرجاء الهند واتصل بجميع زعمـاء المسلمين الاغنياء والفقراء ، والامراء والفلاحـين ، وكان أينما حل يخطب بالمسلمين ويدعو الى قضية جامعة (عليكرة) وقد جمع لهـذه الغاية ثلاثة ملايين جنيه ، وتبرع بنفسه بمائة الف جنيه كدفعة أولى[2] .

(١) نور مبين حبل الله المتين : جنارا ص٦٥٣ ، ٦٥٤ ؛ الطائفة الاسماعيلية : كامل حسين ١١٩ .

(٢) نور مبين حبل الله المتين : جنارا ص ٥٦٣ ، ٦٥٤ .

وفي الاشهر الأولى من عام ١٩١٤ زار بورما مرة أخرى واتخـذ اثناء زيارته خطوة على جانب كبير من الأهمية بالنسبة للاسماعيلية ، فنصحهـم بالاندماج بسكان البلاد اجتماعيا وثقافيا ، باعتبـار بورما كانت ملحقـة بالامبراطورية ، وكانت فيها الروح القومية والشعور الوطني يسيطران على المواطنين ، حتى انه طلب من الاسماعيليين أن يتخلوا عن اسمائهم الهندية وعن عاداتهم وتقاليدهم ، ويتخذوا اسماء اولئك القوم الذين يعيشون بينهم ؛ وعاد الى الهند حيث اتفق مع زوجته الاولى (شاهزادي) على الطلاق ، واختفت من حياته تماما . ولا بد لنا من الاشارة الى أن آغا خان عندما وقعت حروب البلقان أعاد وسام التاج الروسي (من الدرجة الاولى) الى القيصر تعبيرا عن احتجاجه وتضامنه مع تركيا الدولة الاسلامية[1] .

وفي أثناء الحرب العالمية الأولى زار لندن ، وهناك طلب منه ان يستخدم نفوذه لدى تركيا حتى لا تنضم الى الدول الوسطى وتحافظ على حيادها ، وبالفعل اتصل (آغا خان) بالوزير التركي توفيق باشا وطلب منه أن يدعو رجال تركيا الفتاة الذين كانوا قد تسلموا السلطة الى ارسال وفد وزاري الى لندن للدخول في مفاوضات مباشرة مع بريطانيا ، التي كانت مستعدة بالنيابة عن حلفائها ان تعطي الضمانات والتأكيدات لتركيا[2] .

وفي سنة ١٩١٧ ميلادية اصيب بمرض شديد فدخل أحد مستشفيات سويسرا ، واثناء وجوده في المستشفى ، استغلت السلطات الالمانية هـذه الفرصة ، فدبرت مكيدة للتخلص منه ، فدس العملاء الالمان السم في القهوة، وزرعوا قنبلة في غرفته التي يرقد فيها ، غير أن الاقـدار أبت أن يذهب الآغا خان ضحية القدر ، فاكتشفت المؤامرة واضطر الى مغادرة سويسرا الى

(١) مذكرات آغا خان ص ١٩١ ، ١٩٥

(٢) تاريخ الاسماعيلية لبكلي ص ١٠٧

باريس لمتابعة الاستشفاء [1] .

لم يثن المرض آغا خان عن مهماته الجسام ، فعلى الرغم من اعتكافه مدة سنتين متواليتين بعيدا عن حمى السياسة وصخبها ، شرع في تأليف كتابه الشهير (الهند في مرحلة الانتقال) وقد بين فيه آراءه في مستقبل الهند وجميع بلدان آسيا الجنوبية والشرقية ، وضمنه النظريات القيمة التي بقي المسؤولون الهنود والساسة في آسيا يعتمدونها أساسا لمشاريعهم ، ومحورا لأفكارهم ، ويتخذون منها مقياسا لما يعترضهم من قضايا هامة [2] .

عاد الآغاخان بعد أن أبل من المرض ، سيرته الاولى في التجوال متفقدا شؤون أتباعه ، دارسا الحلول الناجعة للاعلاء من شأنهم ، فقام بزيارة رسمية الى لندن حيث استقبل باحدى عشرة طلقة من المدفعية ، وكان أول أمير حاكم من أمراء الهنود يقام له استقبال حافل رسمي [3] .

وكانت حالة أتباعه من الاسماعيلية في أفريقيا تدعوا الى القلق ، وبخاصة في مستعمرة كينيا حيث كان الاسماعيليون هناك محرومين من بعض الحقوق العامة ، كممارسة حق الانتخاب ، ومزاولة النشاط السياسي بحرية مطلقة ، فطار الى أفريقية لمعالجة تلك الحالات الشاذة ، وطالب السلطات بالاعتراف بالهنود كمواطنين أصليين في البلاد ، مستعدين لاداء واجبات المواطنة على الوجه الاكمل مقابل ضمان حقوقهم تامة غير منقوصة [4] .

وأينما كان الآغا خان ، فانه يبقى على اتصال مستمر بكافة مؤسسات الدعوة الاسماعيلية في مختلف بقاع الدنيا ، ولم يكن ليعيقه أمرمعالجة

(١) مذكرات آغا خان ص ٢٠٧ .

(٢) الشيعة في الهند ص ٣٧٢ — ٣٧٣ .

(٣) مذكرات آغا خان ص : ٢٠٦ .

(٤) نور مبين حبل الله المتين : ٦٧٣ ، ٦٧٤ .

قضية ما لدى اسماعيليي سوريا ، وهو في أفريقيا أو الصين مثلا . لذلك كان يحرص على التمسك في زعامته الدستورية ويشرف بصورة مباشرة على كل شاردة وواردة من أمور الاسماعيليين بصرف النظر عن اتساع رقعتهم وامتداد مجالاتهم .

وفي سنة ١٩٢٦ ميلادية أصيبت زوجة الآغا خان بمرض مميت توفيت على أثره وهي في السابعة والثلاثين من العمر . وما ان انقضى ثلاثة عشر شهرا حتى تزوج من (أندريه كارون) من مدينة (شامبري) في اكس ليبان وكانت في الثلاثين من عمرها فانجبت له صدر الدين في ١٧ كانون الاول سنة ١٩٢٩ ميلادية [1] .

ومرة اخرى جذبته الحياة السياسية العالمية ، وعاوده نشاطه القوي فانتخب لتمثيل الهند في مؤتمر الطاولة المستديرة ، سنة ١٩٣٠ — ٣١ — ١٩٣٤ ، واسندت اليه رئاسة وفد الهند في مؤتمر نزع السلاح وفي اجتماعات عصبة الأمم ، حيث استطاع أن يبرهن عن شخصية فذة ، وذكاء خارق ، فانتزع اعجاب جميع الوفود ، ودفعهم لانتخابه رئيساً للعصبة سنة ١٩٣٧ م. فاشتهر اسمه في العالم أجمع ، وذاع صيته في مختلف الاوساط الراقية . وأدرك المشرفون على تصريف الأمور في الطائفة الاسماعيلية ، مدى الخدمات الجليلة ، والفوائد العظيمة التي قدمها زعيمهم الروحي آغا خان من أجل رفع مستواهم ورقيهم ، فقرروا الاحتفال بيوبيله الذهبي عام ١٩٣٥ في ١٨ اغسطس في مدينة بمباي . وكانت الاحتفالات من الروعة والمهابة ، فقد توافدت مواكب الاسماعيلية من جميع انحاء العالم وتضمن برنامج الاحتفال وزنسموه بالذهب ، وبعد أن وافق آغا خان على قبول الذهب من أتباعه قال لهم : (انني أقبل بسرور عظيم هذا الذهب من أبنائي الروحيين ، وأهديهم حبي وبركاتي الروحية) ، وقد قررت ان استعمل هذا الذهب لرفع شأن ابنائي

(١) تاريخ الاسماعيلية لبكلي ص ١٠٩ — ١١٠

الروحيين لذا اعين لجنة لينفق بمعرفتها هذا الذهب ، وعلى هذه اللجنة ان تختار أنجع الطرق لاستخدام دخل هذا الذهب في رفع مستوى الاسماعيلية عن طريق منح المساعدات للنازحين من المقاطعات المكتظة بالسكان ولمساعدة الاطفال وغير ذلك من المشاريع الحيوية والخيرية ، وأعيد وزنه ثانية بالذهب في نيروبي سنة ١٩٣٧ ميلادية[1] •

وفي خريف عام ١٩٣٧ ميلادية سافر الى برلين واجتمع بزعيم المانيا هتلر ، وحاول ان يقنعه بعدم اشعال نار الحرب العالمية الثانية ... وعندما خرج من مقر هتلر في (برختشادن) بعد مقابلة طويلة قال للصحفيين : ان هتلر يعمل للسلام ولا يريد الحرب ، ولكن على الحلفاء ان يعطوا المانيا حقوقها كاملة .. قالها غير خائف ولا وجل من دول تربطه بها صداقات وثيقة وصلات متينة .. ولو عمل الحلفاء بنصيحته وقتئذ لما وقعت الحرب الثانية ولتغير وجه التاريخ [2] •

وعرض عليه الانكليز عرش مصر عندما غضبوا على الخديوي فقال : « ان من يتربع على عرش قلوب عشرات الملايين من الناس ، وفي سويداء اعماقهم ، يأبى أن يجلس على عرش خشبي تكتنفه الصعاب وتحوطه الاهوال ... »[3] •

واضطر الى العودة للهند على جناح السرعة بناء على طلب والدته المريضة وبعد أن لازمها عدة أيام نقلت بناء على رغبتها الى العراق حيث توفيت في كربلاء ودفنت في النجف الاشرف بضريح زوجها علي شاه •

وفي سنة ١٩٤٤ ميلادية حصل خلاف عائلي مع زوجته فطلقها ، وتزوج

(١) مذكرات آغا خان ص ٢٧٦

History of the Ismailis : A. S. Picklay : pp. 108

(٢) مذكرات آغا خان ص ٢٦٧ ، ٢٩٤ •

(٣) نور مبين حبل الله المتين : جنارا ص (٧١٠ ، ٧٠٩) •

بعد مدة من (ايفيت لابروس) التي كانت قد اعتنقت الاسلام في مصر قبل زواجهما ، وانتقل الى مرسيليا للاستجمام والراحة [1] •

وأعاد أتباعه الاسماعيليون وزنه بالماس سنة ١٩٤٦ ميلادية في مدينة بمباي في الهند ، وكرروا العملية بعد خمسة أشهر في مدينة دار السلام في افريقيا ، وذلك بعد أن لمسوا على يديه البركة ، وافاضة الخيرات وبلغوا من التوفيق والنجاح درجة كبرى [2] •

لم ينقطع الآغا خان لحظة عن تتبع احداث رعيته والسهر على مصالح مريديه ، فانشأ جامعة اسلامية في تنجانيقا على غرار الجامعة الاميركية ، وحض على دعم الثقافة والمواظبة على تحصيل العلم ، مما أوجد بين الاسماعيليين طبقة مثقفة واعية وذوي اختصاص رفيع في مختلف مجالات العلوم ، حيث زاد في رقيهم ، ورفع من شأنهم لدى جميع البلدان التي توطنوا فيها ، وفي سنة ١٩٤٨ ميلادية أوجد آغا خان تنظيمات جديدة الغاية منها النهوض بالاسماعيلية ، ودستورا خاصا للاسماعيلية في افريقيا ، وبفضل هذه التنظيمات استطاعت أن تبعث من جديد ، وان تتحد اتحادا قويا جدا حتى صار لها هذه الشهرة الواسعة في جميع أنحاء العالم ، وذلك بفضل شخصية آغا خان وبعد نظره وصدق فراسته •

وفي سنة ١٩٥٠ ميلادية زار الباكستان لاول مرة بعد استقلالها فاستقبل استقبالا عظيما ، وألقى خطابا طالب فيه حكومة الباكستان بأن تجعل اللغة العربية لغة الباكستان الرسمية •

وفي سنة ١٩٥١ ميلادية زار ايران ومنح أعظم وسام فيها ، كما زار سورية

(١) الشيعة في الهند ص ٣٧٥

(٢) تاريخ الدعوة الاسماعيلية : مصطفى غالب ص ٣١٩ ، الطائفة الاسماعيلية : كامل حسين ص ١٢١ ، ١٢٢ •

ومنح وشاح أمية المرصع • وفي سنة ١٩٥٧ أحدث كرسياً للدراسات الاسلامية في جامعة (هارفارد) في أميركا •

وفي سنة ١٩٥٤ ميلادية في الثالث من شهر شباط احتفل بيوبيله البلاتيني باحتفال عظيم •

وفي سنة ١٩٥٥ ميلادية في شهر آذار احتفل بيوبيله البلاتيني في مدينة القاهرة •

وفي سنة ١٩٥٧ أناب عنه ولي عهده الامير علي خان لحضور احتفالات يوبيله البلاتيني في بمباي •

وفي يوم الخميس الساعة الثانية ظهرا الحادي عشر من تموز توفي في قصره بسويسرا ، ونقل جثمانه جوا الى اسوان وفي ١٩ تموز من نفس العام احتفل بوضع الجثمان في فيلانور السلام حتى تنتهي المقبرة التي شرع بتشييدها على رأس ربوة الجبل الاصفر بقرب فيلانور السلام غرب مدينة اسوان في مصر •

وفي ٢٠ شباط سنة ١٩٥٩ ميلادية تجمع الاسماعيلية من جميع أقطار العالم حيث احتفل رسميا بنقل الجثمان الى مقره الاخير ، وترأس الاحتفال آغا خان الرابع ، وكان لكاتب هذه السطور شرف المساهمة بهذا الحفل الرائع العظيم •

هذه لمحة موجزة لحياة آغا خان الثالث سلطان محمد شاه الحسيني ، الذي وهب نفسه وحياته لخدمة الاسلام ، وسيبقى أبدا مصدر الهام لاينضب لاجيالنا الصاعدة المقبلة حتى نهاية العالم •

ولا غرو فقد تجلت عظمة هذا الامام في معاضدته للثقافة والعلم ، ومساندته للنواحي الاجتماعية والاقتصادية والصحية ، وكان بالرغم من المرض الذي تعرض له كثيرا في السنوات التي تلت نهاية الحرب العالمية الثانية

مشغولا دائما خارج جسده وذاته بالتطورات الجديدة العظيمة للطائفة الاسماعيلية ونشاطها في العالم الاسلامي •

وكانت أمواله تنفق وتخصص دائما لخدمة المجتمع الاسماعيلي ، وقد حرص طوال حياته على ان يكون لكل فرد من اتباعه منزلا خاصا به • ويمتاز عهده في ذلك التطور السريع في حياة الاسماعيلية التي قفزت سريعا نحو الامام ، فازدهرت ازدهارا شاملا في جميع المرافق ، حتى أصبحت مثالية في كل شيء ، كيف لا وزعيمها ومرشدها كان مثاليا وانموذجا في حياته وسلوكه ؟ ! •

وقد وجه عناية خاصة لاتباعه في سورية فوجههم وارشدهم ومنحهم الاموال الطائلة لتأسيس المشاريع العمرانية الكبرى وستتحدث عن ذلك في غير هذا المكان •

والاسماعيلية عامة يحفظون عنه كثيرا من النصائح والارشادات والتعاليم ، في الاقتصاد ، والثقافة ، والصحة ، والاجتماع ، والامور الدينية [1] •

* * *

(١) وضعت جميع تعاليمه وارشاداته في كتاب خاص اسمه (الدرر الثمينة) نشره مؤلف هذا الكتاب بالعربية سنة ١٩٥٦ •

محمد الباقر

يعتبر الامام محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب المؤسس الأكبر للفقه الشيعي الذي استقى منه ولده الامام جعفر الصادق العلوم التي أظهرها فيما بعد .

كانت ولادته يوم الثلاثاء الثالث من صفر سنة ٥٧ هجرية في المدينة المنورة ، أمه أم عبد الله فاطمة بنت الحسين بن الحسن بن علي بن أبي طالب.

وما كاد يبلغ أشده حتى أصبح عالما كبيرا وفقيها مرموقا ، وحجة في العلم ، يختلف اليه العلماء للتزود من ينبوعه الغزير الفياض بمختلف العلوم والمعارف ، وللدراسة عليه وسماع محاضراته ، وحججه وآرائه في مختلف العلوم الدينية [1] .

ذكر أنه ترك عدة مؤلفات منها : [2]

١ ــ كتاب صفة الجنة والنار .

٢ ــ كتاب رسالة الى جابر الجعفي .

٣ ــ كتاب الكشف الكبير .

ونعتقد بأن هذه الكتب فقدت كغيرها من التراث الاسلامي الثمين نتيجة لموجات الفتوحات التي تعرضت لها البلاد الاسلامية في مختلف العصور . وقيل ان الامام الباقر كان يعرف الغيب وتنسب له احدى وثلاثون معجزة ، وكان محبا للسلام فقد أتى ابن سعد على كثير من أقواله التي تدل على ذلك

---

(٢) وفيات الاعيان ٢/٢٢١ .

(٢) المرشد الى الادب الاسماعيلي ص (٢٩) .

ومنها : (لا تنازعوا فيما بينكم فانه ينزع الايمان بالقرآن) ، ولقب بالباقر لتوسعه في العلم وتعمقه فيه [1] .

تزوج أم فروه بنت القاسم بن محمد فولدت له جعفر الصادق وعبد الله وابراهيم وعبيد الله ، عهد بالامامة من بعده لولده الاكبر جعفر الصادق ، وتوفي سنة ١١٤ هجرية في الحميمة ونقل جثمانه الى المدينة المنورة ودفن في روضة البقيع في قبر أبيه وعم أبيه الحسن بن علي وقيل انه أوصى أن يدفن بملابسه التي كان يصلي بها ، وبعد وفاته التف حوله قسم من الشيعة وكونوا الفرقة الباقرية .

وقد اختلفت المصادر في تحديد تاريخ وفاة الامام الباقر فقيل سنة ١١٣ أو ١١٤ أو ١١٧ أو ١١٨ هجرية والأرجح أنها كانت سنة ١١٤ هجرية [2].

* * *

---

(١) وفيات الاعيان ٢/٢٢٢ تاريخ الدعوة الاسماعيلية ص ٧٧ .

(٢) هامش كتاب اتعاظ الحنفا للمقريزي ص ١٤ .

محمد بن علي بن حسن الصوري

يعتبر (الصوري) في طليعة دعاة الاسماعيلية الشعراء الذين اشتهروا بنظم الاراجيز العقائدية الفلسفية ، واشتهرت صناعة الاراجيز في العهود الفاطمية ، حيث استعملها الدعاة للدعاية والتعبير عن المواضيع الفلسفية والتعاليم العقائدية ، وقد نظم هذا الوزن شعراء كثيرون ، ودعاة أجلاء ، عرف منهم القاضي النعمان بن محمد بن حيون ، وقد ذكر انه نظم قصيدتين في هذا الفن هما : « ذات المنن » و « ذات المحن » ، كما ان داعي الدعاة المؤيد في الدين هبة الله الشيرازي نظم قصيدتين على هذا الوزن . مطلع الأولى :

حمداً لرب قاهر السلطان   فرد مليك باهر البرهان

اتقن كل صنعة واحكما   من ذا يرد ما به قد حكما

والثانية :

بديع شكر ووسيع حمد   لمبدع الكاف الرفيع المجد

أكمله سبحانه اذ أبدعه   مبتدئا واخترع النون معه

كما نظم الداعي علي بن حنظلة بن أبي سالم الوادعي قصيدة « سمط الحقائق » ويستدل من المصادر الاسماعيلية السورية أن أغلب الدعاة السوريين قد برعوا في هذا الفن .

ولد الداعي الأجل الشيخ محمد بن علي بن حسن الصوري من أبوين اسماعيليين في بلدة صور سنة ٤١٧ هجرية ، وتلقى علومه الأولية في مدارس الدعوة الاسماعيلية في مدينة (طرابلس الشام) ، ومن ثم توجه الى

القاهرة حيث أكمل علومه الدينية في دار الحكمة ، وقيل انه أقام فيها مدة عشر سنوات ، ثم عيّن داعيا في جبال السماق ، وظل يعمل متنقلا بين القلاع حتى اعلنت وفاة الامام المستنصر بالله ، فاعلن انضمامه كغيره من الدعاة السوريين الى جانب النزارية وتوفي سنة ٤٩٠ هجرية ، ودفن في جبال السماق .

نظم قصائد كثيرة ، ورسائل عديدة اشهرهم « التحفة الزاهرة » و« نفحات الأئمة » وقصيدته المشهورة (القصيدة الصورية)[1] التي تعتبر من أقدم المصادر الاسماعيلية ، وتمثل العقائد أصدق تمثيل ، وتعد من أحسن المراجع في تاريخ قصص الانبياء ، وعدد الأئمة المنحدرين من علي بن أبي طالب حتى الامام المستنصر بالله الفاطمي ، وهي من الاراجيز الرائعة ، تداولتها الايدي وحفظها الدعاة غيبا .

* * *

---

(١) حققها وقدم لها عارف تامر ونشرها المعهد الفرنسي في دمشق سنة ١٩٥٥ ميلادية .

محمد بن علي بن نزار بن المستنصر بالله

في خضم الفتن والقلاقل والثورات ، التـي اجتاحت فارس والعـالم الاسلامي جلس محمد بن علي بن نزار على عرش الامامة الاسماعيلية بعـد وفاة أبيه ، وكان أول عمل قام به أن نقل مقره الى قلعة « آلموت » ووجه اهتمامه لبعث الجيش الاسماعيلي (الفدائية) من جديد وتدريبه تـدريبا كاملا ليستطيع الدفاع عن القـلاع والحصون الاسماعيلية للوقوف فـي وجـه الغزاة •

ولد الامام محمد بن علي بن نزار بن المستنصر بالله الفاطمي سنة ٥٠٠ هجرية في قلعة (لامستر) واصبح اماما للاسماعيلية بعد وفاة أبيه سنة ٥٣٠ هجرية ولقب (بالمهتدي) •

أعاد تنظيم المدارس المذهبية الاسماعيلية في جميع البلـدان ، وأدخـل الجدل والمناقشة في الفلسفة والفقه الاسلامي والعقائد الاسلامية في تلـك المدارس ، كما عمم نظام الشفرة أي المراسلة بواسطة أحرف خاصة في كافة الاتصالات الداخلية والخارجية ، فاستعملوا الاعداد للدلالة على الأحرف الابجديـة[1] •

وفي سنة ٥٣٢ هجرية تعرض الاسماعيلية لكثير من الهجمات الداخلية والغارات الخارجية ، وخرج لحربهم الخليفة العباسي (الراشد بالله) عـلى رأس جيوش جرارة وقاتلهم حتى استولى على بعض القلاع بعد أن دافعوا عنها طويلا ، ولكنهم اضطروا للاستسـلام بالنظر لوفرة جيوش الخليفـة ولانقطاع الامدادات والمؤن عنهم ، ونهبت قلاعهم ، كما سبيت نساؤهم وقتل

(١) تاريخ الدعوة الاسماعيلية لمصطفى غالب ص ١٩٠ •

اطفالهم ومثل فيهم ، وقيل انه لم يبق أحد منهم على قيد الحياة[1] • وبعد عودة الخليفة الى بغداد أمر أن يقبض على الـداعي (ابراهيم الاستربادي) وأعدم فورا •

ولم يقف عند هذا الحد بل حرض العامة والغوغاء على الاسماعيلية فقتلوا منهم ستة آلاف ، كذلك سار لقتال الاسماعيلية السلطان السلجوقي كبريارق بجيوش جرارة فاحتل بعض القلاع الواقعة في بلاده بعد قتال شديد استمر عدة أشهر ودمر معالمها واحرق ساكنيها •

وفي سنة ٥٣٥ هجرية اعلنت وفاة شيخ الجبل الثالث (كيا بزرك أميد) وخلفه في أمور الدعوة ولده محمد كيابزرك أميد فأصبح مقدما على قلعة آلموت وما جاورها •

ونتيجة لتلك النكبات التي ألمت بالاسماعيلية تفرق عدد كبير منهم ودخلوا الاراضي السورية فانتشروا في مدنها وتوزعوا على القلاع الاسماعيلية في المنطقة الغربية ، كالقدموس ، ومصياف ، والمرقب ، والكهف ، والخوابي •

وتوجه قسم آخر بزعامة الداعي (بهرام) الى دمشق فساعدهم صاحب دمشق (طاهر بن سعد المزرغاني) وسلمهم قلعة بانياس في منطقة الحولـة فعظم أمرهم فيها وتوسعوا في تلك المنطقة فخافهم صاحب دمشق ودبر مؤامرة للتخلص منهم ، وقيل انه أولم وليمة في دمشق دعا اليها كبار الاسماعيلية ، وقبل أن يدخلوا القصر أحاطهم بجنده وافنوهم عن بكرة أبيهم ، وأمـر عسكره أن ينادوا بقتل الاسماعيلية في أنحاء المدينة فقتل منهم عشرة آلاف اسماعيلي ونهبت أموالهم وشردت نساؤهم وأطفالهم • وهوجمت القـلاع الاسماعيلية في فارس من قبل السلطان السلجوقي (مسعود) فـدافعوا عنها حتى تمكنوا من دحر جيوشه والقضاء عليها ، وهاجموا خراسان فـاحتلوا قسما كبيرا من أراضيها •

(١) ابن الاثير ٢٢٥/١٠ ، نور مبين حبل الله المتين : لجنارا (ص٣٨٤ـ٣٨٥)

وتمكن الاسماعيلية من اغتيال الخليفة العباسي ، وصاحب دمشق وقائد جيوش الافرنج في طرطوس وغيرهم من القواد والامراء ، وبذلك ثأروا لكرامتهم ممن كانوا السبب في ابادتهم .

ومما لا جدال فيه ان الدعوة الاسماعيلية بالرغم مما تعرضت اليه فارس وغيرها فقد بلغت الأوج في أكثر البلاد السورية ، فعظم أمرهم وخافهم الناس واشتد نفوذهم في حلب ، صور ، صيدا ، طرابلس ، قدموس ، مصياف ، المرقب ، الكهف ، بانياس ، سرمين ، بزاعة ، حماة ، حمص ، الخوابي ، وكانوا على صلة وثيقة في مركز الامامة في (آلموت) وكان الامام محمد المهتدي يزودهم بالارشادات والنصائح والتعليمات ويرسل اليهم الدعاة الاكفاء لاجراء المناظرات وعقد المجالس واعطاء الدروس المذهبية والفلسفية[١] .

ولقد عثرنا مؤخرا على عدة كتب بتوقيع الامام المهتدي مرسلة الى أتباعه في سورية ومنها استطعنا أن نستخلص بعض المعلومات التاريخية الهامة التي تدحض كل ما قيل أن أئمة آلموت كانوا من سلالة الحسن ابن الصباح أو من نسل (كيابزرك أميد) فالحقيقة جلية ناصعة وكل ما قيل ويقال حول هذا الموضوع فمحض دس وافتراء قصد به تشويه سمعة الأئمة الاسماعيليين والطعن في نسبهم لابعاد الناس الذين كانوا يلتفون حولهم ويفدونهم بالارواح ، وليس من المعقول مطلقا أن يغتصب الامامة شخص كالحسن بن الصباح الذي أعدم ولديه لكونهما ارتكبا بعض الاخطاء التي تسيء الى سمعته كحجة للامام ، فهل بعد كل هذا يعمد كما قيل الى اغتصاب الامامة من أولاد نزار الذين بذل المستحيل لنقلهم من سجلماسة الى آلموت . وهل من المعقول أيضا أن يقبل (كيابزرك آميد) بأن يقتل الامام من سلالة نزار ويولي ابنه مكانه ، كل هذه الروايات ليست الا بعض ما صنفه اعداء الاسماعيلية للطعن بنسب أئمتهم .

(١) تاريخ الدعوة الاسماعيلية (ص ١٩٩ — ٢٠٠ — ٢٠١) .

محمد بن كيابزرك آميد

تكاد أغلب المصادر التي بين أيدينا تجمع على أن الداعي محمد ابن كيا بزرك آميد كان خير الدعاة النزارية في عهد الحسن بن الصباح وكان من العلماء المبرزين في كافة العلوم الاسماعيلية ، فلا غرو ، فقد نشأ وترعرع في القلاع الاسماعيلية حيث تلقى العلوم الفلسفية على أيدي كبار الدعاة العلماء ، ولما توفي الحسن بن الصباح وتسلم أبوه كيا بزر آميد مكانه عينه حاكما لقلعة (رودبار) وما جاورها ، فأظهر نبوغا عظيما خوله لأن يحوز على رضاء وثقة الجميع ، ولما أعلنت وفاة والده كيا بزرك آميد في سنة ٥٣٥ هجرية وقيل في جمادي الاول سنة ٥٣٢ هجرية[١] وقع الاختيار عليه ليحل محل أبيه فتوجه الى مركز الدعوة في آلموت وتسلم جميع الامور فيها ، فكون جماعة منظمة تسير على نظام ثابت دقيق ، وأخذ ينشىء المجتمع الاسماعيلي تنشئة دينية قوامها الزهد والتقوى والعلم ، ونظم حدود الدعوة تنظيما روحيا متقنا ، وفي الامور العسكرية والسياسية نهج نهج أبيه فأكثر من اقامة القلاع في جبال فارس وطبرستان وخراسان والشام[٢] .

وتذكر المصادر التاريخية أن نوعا من الفتور قد حصل في عهده ، بينه وبين الاسماعيلية في بلاد الشام التي كان يتزعمها الداعي أبو محمد ، ولقد حاولنا بشتى الوسائل معرفة أسباب ذلك الانقطاع أو الفتور فلم تتمكن ، لان المصادر الاسماعيلية السورية لم تشر الى شيء من هذا القبيل ولربما حصل ذلك بأسباب الحروب الكثيرة التي كان يتعرض اليها الاسماعيلية في

(١) الشيعة في الهند لنورمان ص ٣٠٩

(٢) دولة النزارية : لشرف : ص ٢٢١ — ٢٢٢ .

جميع المنـاطق ، ولو فرضنا أنه وجد ذلك الفتور فانه باعتقادي لم يستمر طويلا لان العلاقات في أواخر عهد هذا الداعي الكبير كانت على أحسن مايرام والدليل على ذلك الرسائل التي كانت تصل باستمرار من مركز الـدعوة النزارية في آلموت ومقر الامام محمد المهتدي الى أتباعه في سورية ، وكانت تحمل في طياتها التعاليم والارشادات والنصح والاوامر المتعلقة بالتنظيمات .

وعلى العموم لاقى حجة الامام محمد بن كيا بزرك كما لاقى من تسلموا هذا المنصب من قبله بعض الصعوبات ، حيث كانت الثورات والاضطرابات والحروب والغارات على الاسماعيلية في جميع البلدان متوالية ، ومع كل هذا فقد أثبت جـدارة وحكمة فقاد أتبـاعه من نصر الى نصر حتى توفي سنة ٥٥٧ هجرية ودفن في قلعة آلموت .

ولا بد من الاشارة الى ما قاله طه أحمد شرف بالحرف الواحد : (ولم يثر واحد من شيوخ الجبل الثلاثة على نزار وأبنائه ، بل كانوا مثلا عليا في حبهم والاخلاص لهم ، كما كانوا مثلا عليا في التقوى والاخلاق الطيبة [١]) وهذا أكبر دليل على بطلان كل الاقوال والروايات .

* * *

---

(١) دولة النزارية : ص ٢٢٢ .

محمد بن المُسيّب العقيلي

وجه الخلفاء الفاطميون جهودا جبارة في سبيل نشر الدعوة الاسماعيلية في بلاد العراق بعد أن لاقت هذه الدعوة المعارضة الشديـدة والمقـاومة العنيفة ، حيث طارد الخلفاء العباسيون الدعاة وقتلوهم أينما وجدوهم ، وبالرغم من كل هذا فقد تسلم رئاسة الدعوة في الموصل الامير أبو الدرداء محمد ابن المُسَيَّب بن رافع بن المقلد العقيلي سنة ٣٨٢ هجرية فخطب على منبر الموصل للامام العزيز الخليفة الفاطمي ، وسير الدعاة الى الانبار والمدائن والكوفة [١] وساعده على نشر الدعوة وتقويتها قرواش العقيلي الذي اعلن خروجه عـلى طاعة الخليفة العباسي .

أثار هذا العمل حفيظة الخليفة العباسي ، فلجأ الى محاربة الاسماعيلية عن طريق التشهير بسمعتهم في العالم الاسلامي ، فعقد اجتماعا دعا اليه الفقهاء والقضاة وبعض زعماء الشيعة ، وطلب منهم أن يصدروا محضرا يتضمن الطعن فـي نسب الأئمة الفاطميين ، والقدح في أنسابهم وعقائدهم وقرئت النسخ ببغداد ، وأخذت فيها خطوط القضاة والأئمة والاشراف [٢] وقيل ان من بين الـذين وقعوا المحضر واشتركوا في تنظيمه ، الشريف الرضي والمرتضى أخوه ، والامام أبو حامد الاسفرايني [٣] . ولكننا نستغرب كيف يشترك في هذا المحضر الشريف الرضي وهو القائل من قصيدة له :

---

(١) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ٢٢٤/٤ — ٢٢٧ .

(٢) نفس المصدر : ٢٢٩/٤ — ٢٣٠ .

(٣) تاريخ بغداد : للبغـدادي : ٣٦٨/٤ — ٣٧٠ ، ابن خلكان : وفيـات الاعيـان ١٩/١ — ٢٠ .

ما مقامي على الهوان وعندي ... مِقوَل صارم وأنف حمي

ألبس الذل في بلاد الأعادي ... وبمصر الخليفة العلوي

من أبوه أبي ومولاه مولا ... يَ اذا ضافني البعيد القصي

لفَّ عرقي بعرقه سيدا النا ... س جميعاً محمد وعلي

ولم يكن هذا ما فعله العباسيون بل نراهم يوعزون الى ولاتهم للقضاء على كل من تسول له نفسه اعتناق المذهب الاسماعيلي ، وبالرغم من كل هذا فقد تمكن الامير أبو الدرداء أمير الموصل من نشر دعوته وتقويتها ، فاطلق الدعاة الى فارس وسورية والبحرين ، وقد لاقت على يديه الرواج والازدهار ، مما ساعد على تسرب بعض الدعاة الى قلب بغداد فتمكنوا من استمالة أهل الكرخ ، الذين مدوا يد المساعدة فيما بعد للبساسيري عندما هاجم بغداد واحتلها •وقيل ان أبا الدرداء محمداً توفي في الموصل سنة ٤٠٧ هجرية •

* * *

محمد نور الدين بن غريب ميرزا

(الشهير بأبي ذر علي)

ذكرنا في ترجمتنا لحياة الامام غريب ميرزا والد الامام أبي ذر علي أنه حاول نقل مركز الامامة الى الهند نتيجة للفوضى الداخلية والقلاقل التي كانت تعم ايران ، ولكنه توفي قبل أن يحقق هذه الأمنية ، فعمد ولده أبو ذر علي بعد أن تسلم الامامة الى الانخراط في السياسة العامة لايرن ، حيث أعلن أثناء الاحتفالات بتنصيبه عن رغبته في التوسط لحل كافة الخلافات الداخلية بين الأمراء والقبائل والسلطة الحاكمة •

ولقد وافق الجميع على تحقيق هذه الرغبة لما كان يتمتع به الامام الاسماعيلي من ثقة لدى الجميع ، وبالفعل تمكن من فض المنازعات والمشاحنات مما قربه الى الاسرة الحاكمة الصفوية ، وزوجوه من الاميرة (صابرة خاتون) وبذلك توثقت العلاقات وازدادت الروابط بينه وبين الصفويين ، فاصبح يسيطر من وراء الستار على شؤون ايران السياسية ، مما ساعد على اعادة الامن والنظام الى ربوع البلاد [١] •

كانت ولادة الامام محمد نور الدين بن غريب ميرزا (الشهير بأبي الذر علي) سنة ٨٤٢ هجرية في مدينة (بابك) وجلس على اريكة الامامة الاسماعيلية بعد وفاة أبيه سنة ٩٠٢ هجرية ووجه اهتمامه لتقديم المساعدات المادية والمعنوية لاتباعه في جميع المناطق فازدهرت دعوته بعد أن تمكن من فض مشاكل ايران الداخلية وناسب العائلة المالكة • فوزع الدعاة الاكفاء وأعلن عن ترك التقية والستر واظهار الدعوةبصورة علنية ، وحظر على اتباعه

(١) نور مبين حبل الله المتين : جنارا : ص ٥٥٥ ـ ٥٥٦ •

في مختلف المناطق الاساءة الى الطوائف والفرق والمذاهب الاخرى ، وطلب منهم أن يحترموا المذاهب الاخرى حتى يحترم مذهبهم [١] .

وأقر على سورية الداعي (أبا فراس) الذي جعل مقره في قلعة المنيفة[٢] ، وأخذ يعمل بجد ونشاط على جمع العائلات الاسماعيلية التي كانت موزعة في المدن السورية تعيش بالتقية والكتمان ، وحشدهم في القلاع الممتدة على طول الساحل السوري ، بعد أن حسن علاقاته السياسية والاجتماعية مع الطوائف المجاورة من النصيرية والسنية ، وتذكر المصادر ان قسما كبيرا من أتباع الفرقة (المؤمنية) المنشقة عن الاسماعيلية أخذوا يعودون الى كنف اخوانهم فعاشوا متضامنين متحدين متآزرين يسيطر عليهم الحب والاخاء . وكذلك زاد نفوذ الاسماعيلية في الهند فسيطروا على الاسواق التجارية وعلى الصناعات المحلية ، وابتعدوا كلياً عن السياسة المحلية والخارجية [٣] .

وتوفي الامام أبو الذر علي سنة ٩١٥ هجرية ودفن في (انجوذان) ولا يزال ضريحه حتى الآن وسط روضة غناء ويزار .

* * *

---

(١) تاريخ الدعوة الاسماعيلية : مصطفى غالب : ص ٢٤١ — ٢٤٢ .

(٢) كتاب البستان : مخطوط اسماعيلي في مكتبتي الخاصة ورقة ٢١٧ .

(٣) الشيعة في الهند : Hollister : ص ٣٣٤ — ٣٣٥ .

أعلا محمد بن الحسن علي بن القاهر

كان الامام أعلا محمد على نصيب كبير من المقدرة العلمية والادبية ، والمعرفة الفلسفية ، قوي الحجة ، له مقدرة عجيبة على الاقناع ، استطاع أن يقنع أكبر فيلسوف عرفته فارس في ذلك الوقت وهو الفيلسوف الكبير (فخر الدين الرازي)فاعتنق مذهبه ، وأصبح كبيرا لدعاته ورئيسا لمدارس الدعوة الاسماعيلية في آلموت [١] .

ولد الامام الاسماعيلي الخامس — من سلالة نزار — أعلا محمد بن الحسن علي ابن القاهر بقوة الله سنة ٥٥٣ هجرية في قلعة آلموت .

وما كاد يبلغ الثامنة من عمره حتى أعلنت وفاة أبيه فتسلم الامامة سنة ٥٦١ هجرية باحتفال كبير حضرته وفود كثيرة من كبار رجالات الدعوة الاسماعيلية في بلاد فارس . وأتته البيعة من جميع القلاع والحصون ومن مختلف المناطق الاسماعيلية في بلاد الشام والعراق والهند وغيرهما .

ولما كان الامام أعلا محمد صغيرا فقد أعلن مجلس الدعاة الاشراف على أمور الدعوة وتنظيماتها السياسية والعسكرية ، وعين كبار العلماء والفلاسفة المختصين ليشرفوا على تثقيف الامام وتعليمه ، ولم تمض فترة من الوقت حتى استوعب كافة العلوم الدينية والفلسفية وتعمق في أصول الجدل والاقناع ، وأظهر نبوغا غريبا في العلوم الروحانية والتأويلية والفقهية . حتى قيل ان علومه ومعارفه واحاديثه أصبحت تحير العقول [٢] . لذا تسلم كافة

---

(١) تاريخ الادب في ايران : لبراون : ص ٥٧٨ .

(٢) نور مبين حبل الله المتين : لجنارا : ص ٤٠٦ .

السلطات الممنوحة له كامام وأعلن ان دور الستر قد انتهى وبدأ عهد الظهور والنور والعلم ، فوجه اهتمامه الى الدعوة فأحدث بعض التبديلات الجوهرية في نظمها وادخل نظام (المناظرات العلمية) وخصص يوما واحدا من كل اسبوع لاجراء المناظرات الفلسفية والفقهية بين الدعاة يحضرها بنفسه ليحكم بين المتناظرين ، فيعلمهم ويرقيهم في مراتب الدعوة حسب ما يظهرونه من كفاءة علمية ، ولقد تمكن الامام من افحام الفيلسوف الفارسي الكبير (فخر الدين الرازي) في احدى المناظرات ، فاقتنع بحججه القوية واعتنق مذهبه ، فعينه الامام وزيرا ومشرفا عاما على العلوم والتدريس والجدل والمناظرات .

ويذكر التاريخ أن الاسماعيلية لم يتعرضوا في عهده لأية هجمات خارجية لما كان يتمتع به من سمعة علمية فائقة جعلته يكسب حب واحترام جميع الطوائف ، ولكن الاسماعيلية في سورية تعرضوا لغزوات بعض الأمراء الصليبيين ولنقمة صلاح الدين الايوبي الذي جرد عليهم الحملات ولكن حجة الامام في بلاد الشام (سنان راشد الدين) تمكن من رد جميع المحاولات فاضطر صلاح الدين الى توقيع معاهدة صداقة معه ، فتقرب اليه صلاح الدين فساعده سنان في بعض حروبه مع الصليبيين وتوفي الامام أعلا محمد سنة ٦٠٧ هجرية ودفن في قلعة آلموت (١) .

* * *

(١) تاريخ الدعوة الاسماعيلية : ص ٢١٠ .

القائم بأمر الله

محمد بن المهدي

تأسيس الدول وتركيز دعائم الحكم ، على أنقاض ثورات عنيفة لاهبة ، وحروب طاحنة ، يتطلب عقلية جبارة ، وقيادة حكيمة ، وشجاعة نادرة ، وصبر طويل ، خاصة اذا كانت البلاد واسعة مترامية الأطراف ، يعيش في مجتمعها القبلية والعشائرية ، ويسيطر على شعوبها التعصب الديني المقيت .

وبالرغم من كل هذه العوامل فقد استطاع الاسماعيلية أن يذللوا العقبات والمصاعب ، وان يستأصلوا جذور الفتن والقلاقل ، ويبنوا دولة مثالية ، بفضل حنكة ودراية وشجاعة الامام المهدي وولده الامام القائم بأمر الله الذي رافق تأسيس هذه الدولة الفتية منذ اللحظة الاولى وخاض المعارك والحروب وقاد الجيوش من نصر الى نصر .

كانت ولادة الامام القائم بأمر الله أبو القاسم محمد بن المهدي في سلمية في شهر محرم عام ٢٨٠ هجرية رافق والده الامام محمد المهدي في رحلته المشهورة الى المغرب وعهد اليه بالامامة الروحية للاسماعيلية وبالخلافة الفاطمية وكان في الثالثة والاربعين من عمره عندما تمت له البيعة في عام ٣٢٢ هجرية ، فاقتفى اثر ابيه وخطى خطاه ونهج نهجه ، فعمل جاهدا على تعميم الدعوة لمذهبه ، والاعتناء بجيوشه وتنظيمها ، وتقوية البحرية فشكل اسطولا عظيما تمكن بواسطته من قهر العصابات البحرية المالطية التي كانت تأتي باعمال القرصنة للسلب والنهب والتخريب ، واحتل اسطوله (جينوه) و (لونبارتي) و (غرناطة) وغيرها من البلاد الايطالية التي كانت خاضعة لحكم الروم كما فتح جزيرة (صقيلية) .

رغب الامام القائم بأن يتوسع في المغرب الاقصى ليتمكن من القضاء على الثورات الداخلية التي كان قد أشعلها أذناب وبقايا فلول العباسيين والأمويين المتوارين عن الانظار ، فسير جيشا كبيرا أسند قيادته (لميسور الفتى) لغزو المغرب الاقصى فوصل الى « فاس » والى « تكرور »[1] وأرسل جيشا بحريا بقيادة (يعقوب بن اسحق) لقتال الروم فسبا وغنم في (جنوه)[2] وسير جيشا آخرا بقيادة خادمه (زيدان) الى مصر فدخل الاسكندرية وتقابل مع جيش الاخشيدي وفي سنة ٣٢٣ هجرية أخرج الامام القائم الجيوش لضبط البلاد واعادة الأمن والاستقرار فيها ، فأرسل جيشا مع « ميسور الفتى » وآخر مع « بشرى الفتى » لمحاربة قبائل زناته التي شقت عصا الطاعة بقيادة زعيمها « أبي يزيد » فالتقى الجيشان في معركة حامية انهزم على أثرها أصحاب أبي يزيد بعد أن قتل منهم أربعة آلاف وأسر خمسمائة ارسلوا الى المهدية في السلاسل فقتلتهم العامة[3] .

جمع أبو زيد فلول جيشه المدحور فتوجه الى تونس في العشرين من صفر سنة ٣٣٤ هجرية فوصلها ونهب جميع ما فيها وسبى النساء والاطفال وقتل الرجال ، وهدم المساجد ، فالتجأ أكثر الناس الهاربين منه الى البحر فغرقوا ، وتمكن أبو يزيد من احتلال القيروان ورقادة فنهب وقتل وأحرق . ولما بلغت أخباره الامام في المهدية أرسل له جيشا بقيادة ميسور الفتى فالتقى بأبي يزيد ، واشتد القتال بينهما ، وقتل ميسور ، وحمل رأسه الى أبي يزيد فانهزم عامة عسكره[4] .

وسيَّر أبو يزيد الكتب الى عامة البلاد يخبر بهذا الظفر ، وطيف برأس

---

(١) ابن خلدون العبر ١٣٥/٦ — ١٣٦ ابن الاثير ١٠٧/٨ .

(٢) اتعاظ الحنفا للمقريزي ص ١٠٨ .

(٣) اتعاظ الحنفا ص ١١١ .

(٤) ابن الاثير ١٦٠/٨ اتعاظ الحنفا ١١٢ .

ميسور بالقيروان ، وأقام أبو يزيد شهرين وثمانية أيام في معسكرات ميسور، ومن ثم فتح سُوسَة بالسيف ، وقتل الرجال وسبا النساء ، وأحرق البلد ، وبقر أصحابه البطون واعتدوا على النساء ، حتى لم يبق موضع في افريقية معمور ، ولا سقف مرفوع ، ومضى جميع من بقي الى القيروان حفاة عراة فمات أكثرهم جوعا وعطشا[1] .

ولم يقف أبو يزيد عند هذا الحد بل رحل نحو المهدية فنزل على بعد خمسة عشر ميلا منها ، وبث سراياه فانتهبوا ما وجدوا ، وقتلوا من أصابوا . فلما كان يوم الخميس لثمان بقين من جمادي الاولى من نفس السنة خرجت كتامة وأصحاب الامام القائم الى أبي يزيد ، فالتقوا على ستة أميال من المهدية ، واقتتلوا حتى انهزم أصحاب أبي يزيد وقتل كثير منهم ، ولكن أبا يزيد جمع الصفوف وهجم بنفسه واقتحم قوم من البربر بباب الفتوح ، وأشرف أبو يزيد على المهدية ، ووقف على الخندق المحدث ، وقاتل عليه حتى وصل الى باب المهدية عند المصلى الذي للعيد ، وتفرق أصحابه في زويلة ينهبون ويقتلون ، وحمل الكتاميون على البربر وهزموهم وقتلوا منهم .

وفي هذه الاثناء وصل زيري بن مناد فعظم القتال ، واشتد الحصار على المهدية ، واقتحم أبو يزيد بنفسه الجموع حتى وصل قرب الباب ، فعرفه بعض العبيد فقبض على لجامه ، وصاح : « هذا أبو يزيد فاقتلوه » فأتاه بعض أصحابه وقطع يد العبد ، وخلص أبو يزيد ، واستنجد أبو يزيد بعامله على القيروان ، وبعد أن وافته النجدة زحف بهم على المهدية ، فجرى قتال تشيب لهوله الولدان وانهزم أبو يزيد هزيمة منكرة وزحفت عساكر الامام القائم ففرقت الجموع وبعثرت الصفوف . وتكررت الحروب بين الطرفين في أماكن متعددة من البلاد استمرت فترة طويلة ، ولقد تعرضت البلاد للخراب والتدمير والفقر ، خلال هذه الحروب العنيفة التي أشعل نارها أبو يزيد ،

---

(١) ابن الاثير ١٦٦/٨ .

ويستدل من المصادر التاريخية الكثيرة أن عهد الامام القائم كان عهد حروب وثورات وفتوحات لنشر الدعوة ولتركيز دعائم الملك ، وللقضاء على العناصر الهدامة التي كانت تعيث فسادا في البلاد ، ولصد غزوات القرصان الدائمة ، ومع كل هذا فقد استطاع هذا الامام المقدام أن يستأصل أكثر العناصر الثائرة ، ويخلق جيلا جديدا من المحاربين المدربين على كافة الامور الحربية وباعتبار أن اكثر المدن تعرضت للدمار والخراب والنهب والسلب نتيجة لتلك الحروب فقد اهتم الامام القائم بهذه الامور فوزع الاموال والهبات على الشعب المنكوب وقدم كل المساعدات لاعادة البناء والتعمير .

ولم يقف نشاط الامام القائم عند هذا الحد بل وجه اهتمامه الى تقوية مدارس الدعوة ، وتعميمها في مختلف الاقطار التي يقطنها الاسماعيلية ، فتخرج منها دعاة علماء وكتاب عظماء كان لهم أكبر الاثر في نشر الدعوة وازدهارها على أساس علمي صحيح ، وقد دخل في المذهب الاسماعيلي أكثر حكام النواحي والامصار .

واستمرت مدة خدمة الامام القائم اثنا عشر عاما تعرضت دولته خلالها لهزات عنيفة وحروب طاحنة ، لم تمكنه من أن يكرث جهوده الكلية للاصلاحات الداخلية ، ومع كل الظروف التي أحاطت به فقد عرف عهده بالمجد الحربي والانتصارات الرائعة التي حققها الاسماعيلية .

وتوفي الامام القائم في ١٣ شوال سنة ٣٣٤ هجرية ودفن بالمهدية .

وأولاده : أبو الطاهر اسماعيل ، وأبو عبد الله جعفر ، وحمزة ، وعدنان ، وأبو كنانة ، ويوسف ، وعبد الجبار ، وأربع بنات ، وترك سبع سراري .

وقال فيه خليل بن اسحاق لما بعثه لقتال أبي يزيد :

وما وَدَّعتُ خيرَ الخلقِ طرًا ... ولا فارقته عن طيب نفس
ولكني طلبت به رضاه ... وعفو الله يوم حلول رمس
فعاش مُمَلَّكاً ما لاح نجم ... على الثقلين من جنٍّ وانسِ

محمد بن هانيء الاندلسي

كان للمذهب الاسماعيلي ورموزه واشاراته ومصطلحاته تأثير قوي في انتاج الشعراء الاسماعيلية ، فكانوا يمدحون الأئمة بالصفات التي صبغها المذهب عليهم ، فيستعملون المصطلحات التي أوجدها علماء المذهب ودعاته ، مما جعل بعض النقاد يعتبرون شعرهم غلوا وخروجا عن الدين ، وكفرا والحادا ، مما كان له أكبر الأثر في اتلاف أو حرق انتاج أكثر الشعراء الاسماعيليين ، وخاصة في العهد الايوبي ، وتعود أسباب النقمة على الشعر الاسماعيلي لعدم معرفة النقاد ما يريده الشاعر لجهلهم بالتأويل الباطني لاقوال الشعراء ولو كلفوا أنفسهم وقاموا بدراسة المصطلحات الاسماعيلية العقائدية وخاصة نظرية المثل والممثول لرجعوا عن كثير مما اتهم به الشعراء الاسماعيلية .

ولد الشاعر الاسماعيلي محمد بن هانيء بن محمد بن سعدون الاندلسي الملقب بأبي القاسم ، وأحيانا بأبي الحسن بقرية (سكون) من قرى اشبيلية في بلاد الاندلس سنة ٣٢٠ هجرية [1] ، نشأ وتأدب في اشبيلية وارتاد دار العلم في قرطبة ، فقرض الشعر حتى مهر فيه وتجلت مواهبه الفلسفية .

اتصل بصاحب اشبيلية فأعزه وأكرمه وأقام معه حتى اتهم بمذاهب الفلاسفة الاسماعيلية فشاع أمره واشتهر بين الناس فنقموا عليه وحاول أهل اشبيلية قتله ، وأخذوا يسيئون الظن بالملك بسببه ، فأشار الملك عليه أن يترك المدينة ، فرحل عنها وله من العمر سبع وعشرون سنة (في سنة ٣٤٧ هجرية) الى المغرب حيث اتصل بأمير (المسيلة) جعفر بن علي بن حمدون فبالغ في اكرامه واحسن اليه ، فنمى خبره الى الامام المعز فطلبه من جعفر

(١) تاريخ الدعوة الاسماعيلية لمصطفى غالب ص ١٣٦ .

فأرسل اليه ، فلما وفد على الامام المعز بالغ في الانعام عليه [1] .

أقام ابن هانيء في بلاط الامام المعز حتى ارتحل الى مصر فودعه ابن هانيء وعاد الى المغرب لاخذ عياله واللحاق بمولاه [2] .

أعد ابن هانيء العدة للرحيل ، وسار يريد مصر . فلما بلغ برقة أضافه شخص من أهلها ، فأقام عنده أياما في مجالس الأنس والطرب . وقيل انهم عربدوا عليه فقتلوه . وفي رواية أخرى ، أنه خرج سكران ، فنام في الطريق ، فوجد ميتا في الصباح وقيل مخنوقا بتكة سرواله وملقى على جانب البحر لا يدري من قتله وكان ذلك في أواخر رجب سنة ٣٦٢ هجرية [3] .

ولما علم الامام المعز بوفاته تأسف عليه وقال : « لا حول ولا قوة الا بالله هذا الرجل كنا نرجو أن نفاخر به شعراء المشرق فلم يقدر ذلك » [4] .

كان ابن هانيء فحل من فحول الشعراء ، ويعتبر أشعر شعراء المغرب على الاطلاق من المتقدمين والمتأخرين ، فلا غرو اذا لقب (بمتنبي الغرب) ، وقصائده الرائعة المدونة في ديوانه [5] لأكبر دليل على مقدرته الشعرية ، وجل قصائده في وصف الفتوحات الاسماعيلية . ومدح الامام الاسماعيلي المعز لدين الله ، وقائده جوهر الصقلي ، والتحمس للمذهب الاسماعيلي :

قال مظهراً تشيعه معتزاً بمذهبه :

لي صارم وهو شيعـي كحـامله ... يكاد يسبق كراتـي الـى البطل
اذا المعز معـز الـدين سلطـه ... لم يرتقب بالمنايا مدة الأجـل [6]

---

(١) ياقوت : ارشادات الاريب ١٢٦/٧ – ١٢٧ .
(٢) ابن خلكان ٥/٢ ، المقري : نفح الطيب ١٠/٢ .
(٣) ابن الاثير ٤٥٧/٨ .
(٤) وفيات الاعيان : ابن خلكان ٢/ ٥ .
(٥) نشره وطبعه في الهند الدكتور علي زاهد الاسماعيلي ص ٢٤٦ .
(٦) ديوان ابن هانيء ص ١٨٢ .

وها هو يذكر كيف تلمس السبيل الى امامه المعز :

وطفقت أسأل عن أغرّ محجل ... فـاذا الأنـام جبلـة دهمـاء
حتـى دفعت الـى المعز خليفة ... فعلمت أن المطلـب الخلفـاء
جـود كـأن اليم فيـه نفاثة ... وكأنمـا الدنيا عليـه غثـاء [1]

ويقول في قصيدة رائعة قيل انها أول ما أنشد في مدح الامام المعز :

قد كان رشح حـديده أجـلا وما ... صـاغت مضـاربه الـرقاق قيون
وكأنمـا يلقى الضـريبـة دونه ... بأس المعـز أو اسمـه المخـزون
هـذا معـد والخـلائق كلهـا ... هـذا المعز متـوجا والـدين
هـذا ضمير النشأة الاولى التـي ... بـدأ الالـه وغيبهـا المكنون
وصواهل ، لا الهُضب يوم مغارها ... هُضب ، ولا البيد الحزون حزون
عـرفت بساعة سبقهـا لا أنهـا ... علقت بهـا يوم الرهـان عيـون
وأجَـلُّ علـم البرق فيهـا أنهـا ... مـرت بجانحتيـه وهي ظنـون
في الغيث شبـه من نداك فكأنمـا ... مسحت علـى الانواء منـك يمين
أمـا الغنى فهـو الـذي أوليتنـا ... فكأن جـودك بالخـلود رهـين
وأذن له يغـرق أمية معلنـا ... مـا كـل مـأذون لـه مـأذون
النـور أنت وكـل نور ظلمـة ... والفـوق أنـت وكـل فوق دون
فارزق عبـادك منك فضل شفاعة ... واقرب بهم زلفـى فأنت مكين [2]

وعلى هـذا الشكل نظم ابن هانيء مدائحه في المعـز ، معدداً مآثره ، مشيداً بأحقية الفاطميين بالخلافة .

وأدخل في قصيدته بعض المصطلحات الاسماعيلية التي أطلقها على مولاه :

---

(١) الديوان ص ٧ .
(٢) ديوان ابن هانيء ص ٢١١ – ٢١٦ .

وهذه بعض الابيات من قصيدة أخرى طويلة :

هو علة الدنيا ومن خلقت له … ولعلة ما كانت الاشياء
ولك الجواري المنشآت مواخرا … تجري بأمرك والرياح رخاء
فعنت لك الابصار وانقادت لك الأ … قدار واستحييت لك الأنواء
لا تسألن عن الزمان فانه … في راحتيك يدور حيث تشاء[1]

وواصل ابن هانيء مدح امامه المعز فجعله في منزلة عيسى ومحمد وهذا جزء من المصطلحات الاسماعيلية :

ندعوه منتقما عزيزا قادرا … غفار موبقة الذنوب صفوحا
أقسمت لولا أن دعيت خليفة … لدعيت من بعد المسيح مسيحا
شهدت بمفخرك السموات العلا … وتنزل القرآن فيك مديحا[2]

وها هو يعتز بالانتصارات التي أحرزتها جيوش المعز على جند البيزنطيين في وقعة (المجاز) حيث قتل قائد الروم منويل :

يوم عريض في الفخار طويل … ما تنقضي عُزر له وحجول
لو أبصرتك الروم يومئذ درت … أن الاله بما تشاء كفيل
يا ليت شعري عن مقاولهم اذا … سَمعت بذلك عنك كيف تقول
ودوا ودادا أن ذلك لم يكن … صدقا ، وكل ثاكل مثكول
قل للدمستق مورد الجمع الذي … ما اصدرته له قنا ونصول
سل رهط منويل وأنت غررته … في أي معركة ثوى منويل
منع الجنود من القفول رواجعا … تبا له بالمنديات قفول
ان التي رام الدمستق حربها … لله فيها صارم مسلول
ليت الهرقل بدا بها حتى انثنى … وعلى الدمستق ذلة وخمول

(١) ديوان ابن هانيء (ص ٧ — ١١) .
(٢) المصدر نفسه ص (٣٤ — ٣٦) .

نخرت بها العرب الاعاجم انها … رمح اعق ولهذم مصقول
ما ذاك الا ان جبل قطنها … بجبال آل محمد موصول
من يهتدي دون المعز خليفة … ان الهداية دونه تضليل
من يشهد القرآن فيه بفضله … وتصدق التوراة والانجيل
كل الأئمة من جدودك فاضل … فاذا خصصت فكلهم مفضول
فافخر فمن انسابك الفردوس ان … عدت ومن احسابك التنزيل
وأرى الورى لغوا وانت حقيقة … ما يستوي المعلوم والمجهول
شهد البرية كلها لك بالعلى … ان البرية شاهد مقبول
والله مدلول عليه بصنعه … فينا وأنت على الدليل دليل[1]

ولا بد لنا ونحن نقترب من النهاية من أن نقدم بعض الابيات من قصيدة ابن هانيء المشهورة التي جعلت أكثر النقاد يعدونه من الغلاة الملحدين بسببها، وليس هذا بغريب لأنهم لم يتوصلوا الى معرفة حقيقة ابن هانيء الذي كما ذكرنا يدخل المصطلحات المذهبية الاسماعيلية في كل قصائده معتمدا على نظرية المثل والممثول :

ما شئت لا ما شاءت الأقدار … فاحكم فأنت الواحد القهار
وكأنما أنت النبي محمد … وكأنما أنصارك الانصار
انت الذي كانت تبشرنا به … في كتبها الأحبار والأخبار
هذا امام المتقين ومن به … قد دوخ الطغيان والكفار
هذا الذي ترجى النجاة بحبه … وبه يحط الاصر والأوزار
هذا الذي تجدي شفاعته غدا … حقاً وتخمد أن تراه النار
من آل أحمد كل فخر لم يكن … ينمي اليهم ليس فيه فخار
كالبدر تحت غمامة في قسطل … صنحيان لا يخفيه عنك سرار

* * *

(١) ديوان ابن هانيء ص ١٤٧ — ١٥٣

ومنهـا :

صدعت جيوشك في العجاج وعانشت   ليل العجاج فوردها اصدار
ملأوا البلاد رغائباً وكتائباً   وقواضباً وشوازياً ان ساروا
وعواطفاً وعوارفاً وقواصفاً   وخوائفاً يشتاقها المضمار
وجداولاً وأجادلاً ومقاولاً   وعواملاً وذوابلاً واختاروا
عسكوا الزمان عواتناً ودواخناً   فالصبح ليل والظلام نهار
سفروا فأخلت بالشموس جباههم   وتمعجرت بغمامها الأقمار

* * *

جلت صفاتك أن تحد بمقولٍ   ما يصنع المصداق والمكثار
والله خصك بالقرآن وفضله   واخجلتني ما تبلغ الاشعار (1)

وفي هذين البيتين من قصيدة قد تكون آخر ما نظمه ، وقد أرسلها الى الامام المعز وهو في طريقه الى مصر فيقول :

وروح هدى في جسم نور يمده   شعاع من الأعلى الذي لم يُجسم
فاقسم لو لم يأخذ الناس وصفه   عن الله لم يعقل ولم يتوهم (2)

* * *

(1) نفس المصدر ص ٩٦ .
(2) نفس المصدر ص ١٨٨ .

محي الدين بن العربي

في العصور الاسلامية السابقة كانت تسود المجتمعات الاسلامية الفكرية مدرستان ، الاسماعيلية والصوفية ، وكان للحكومات السائدة في ذلك الوقت التأثير الكبير على سير هاتين المدرستين ، فعندما تكون الحكومة من أنصار المدرسة الاسماعيلية الفلسفية تطغى الفكرة الاسماعيلية وتعاليمها على المدرسة الصوفية ، فيعتنق الطلاب الفلاسفة الصوفيون الافكار الاسماعيلية ويدخلونها في مدرستهم وبالعكس .

ونرى ذلك ظاهرا في سلوك ومؤلفات الكثيرين من اتباع هاتين المدرستين في العصور المختلفة ، هذا ما جعل أمر البت في الحكم على أي فيلسوف من فلاسفة ذلك الوقت ، ولأي هاتين المدرستين ينتمي من أصعب الامور التي لا يعرفها الا من تعمق في دراسة أصول وفلسفة الاسماعيلية والصوفية .

ويعتبر مترجمنا من أكبر فلاسفة الاسماعيلية والصوفية الذين ظهروا في العالم الاسلامي .

كانت ولادة الشيخ العلامة محي الدين العربي في بلاد الاندلس بمدينة (مرسيه) سنة ٥٦١ هجرية ويذكر التاريخ أنه درس الفقه في اشبيلية سنة ٥٦٨ هجرية ثم غادر تلك البلاد سنة ٥٩٨ هجرية قاصدا المشرق فعاش في مصر فترة من الوقت ثم توجه الى الحجاز ومنها الى بغداد فالموصل . وهناك حسب ما تشير اليه المصادر الاسماعيلية تعرف على كبار الدعاة الاسماعيلية وبعد مجادلات ومناقشات أصبح منهم واعتنق مذهبهم ، وسار الى فارس مع العلامة الاسماعيلي الكبير سنان راشد الدين حيث عرجا على (آلموت) واتصلا بالامام الاسماعيلي الذي أمرهما أن يتوجها الى سورية

حيث[1] عين سنان حجة له في حلب ومحي الدين في دمشق ، وعلى هذه الصورة سار مترجمنا الى دمشق واستقر فيها يؤلف ويصنف ويقوم بالمهمة التي أوكلت اليه حتى توفي خلال سنة ٦٣٨ هجرية .

كان الشيخ محي الدين العربي غزير الانتاج كثير الاخراج ، شاعراً مبدعاً ، قصائده غريبة وثمينة ، اتهم من قبل رجال الدين بالكفر والزندقة ، وقد حاولوا قتله في مصر عدة مرات لولا حماسة أتباعه العديدين . قيل انه ألف أكثر من ١٥٠ كتابا ومن أشهر مؤلفاته :

١ ـ فصوص الحكم .

٢ ـ الفتوحات المكية .

كتب أولهما في مدينة دمشق في سنة ٦٢٨ هجرية ، والثاني عبارة عن موسوعة كبيرة جدا . وله ديوان شعر مطبوع على الحجر في ٢٤٤ صفحة وأكثر أشعاره الصوفية وردت في كتاب (نفح الطيب) واسلوبه غامض ومصطلحاته كثيرة لا يستطيع فهمها الا من تعمق في دراسة الصوفية والاسماعيلية .

وفيما يلي قصيدة من أشعاره نقلناها من كتاب (نفح الطيب[1]) :

حقيقتي همت بها ... وما رآها بصري
ولو رآها لغدا ... قتيل ذاك الحور
فعندما أبصرتها ... صرت بحكم النظر
فبت مسحورا بها ... أهيم حتى السحر
يا حذري من حذري ... لو كان يغني حذري

---

(١) نور مبين حبل الله المتين . جنارا ص

(٢) المقري : نفح الطيب : ١/٤٠٠ .

والله ما هيمني ... جمال ذاك الخفر
في حسنها من ظبية ... ترعى بذات الحمر
اذا رنت أو عطفت ... تسبي عقول البشر
كأنما أنفاسها ... أعراف مسك عطر
كأنها شمس الضحى ... في النور أو كالقمر
ان أسفرت أبرزها ... نور صباح مسفر
أو سدلت غيبها ... سواد ذاك الشعر
يا قمراً تحت دمي ... خذي فؤادي وذري
عيني لكي أبصرك ... اذا كان حظي نظري

وقيل ان محي الدين بن العربي كان على صلة بالشاعر الصوفي (عمر ابن الفارض) فسأله مرة أن يأذن له بكتابة شرح على تائيته ، ولكن ابن الفارض أجابه بأن (كتابك الفتوحات المكية) ما هو في الحقيقة الا شرح لهذه التائية ...

* * *

مراد ميرزا بن ابي الذرعلي

لعب الامام مراد ميرزا دورا فعالا في سياسة ايران الداخلية والخارجية لما كان يتمتع به من مكانة ممتازة لدى ملوك ايران الصفويين الذين يمتون اليه بصلة النسب من ناحية والدته (صفوة خاتون) وقيل انه أصبح المرشد الأول لملوك ايران ، وبذلك تمكن من تعيين بعض العلماء والفقهاء من أتباعه في مناصب عالية ومراكز ممتازة في الدولة[1] •

وتذكر المصادر التاريخية ان الامام مراد ميرزا توسط لفض النزاع بين السلطان محمد شيباني في خراسان وبين الحكومة الايرانية ، وكذلك حسن العلاقات بين تركستان وطبرستان وافغانستان وبدخشان وايران في سلسلة من الاتحادات كان لها أكبر الاثر على استقرار الاحوال السياسية في تلك البلاد فترة من الوقت[2] •

كانت ولادة الامام مراد ميرزا سنة ٨٦٨ هجرية في (انجودان) وتسلم الامامة بعد وفاة والده سنة ٩١٥ هجرية ، باحتفال مهيب لم يسبق له مثيل من قبل ويذكر التاريخ أن وفود عديدة حضرت ذلك الاحتفال من جميع البلدان الاسماعيلية ، وكان وفد بلاد الشام من أكبر الوفود ، وقيل انهم أحضروا معهم الهدايا والتحف وبعض الكتب المخطوطة التي كانت لديهم منذ عهد الامام المستور (الوفي أحمد [3]) فسر بها الامام غاية السرور •

---

(١) نور مبين حبل الله المتين : جنارا : ص ٥٣١ •

(٢) نفس المصدر • ص ٥٣٢

(٣) تاريخ الدعوة الاسماعيلية : مصطفى غالب : ص ٢٤٤

وقد ألقى الشاعر الاسماعيلي الفارسي خاكي الخراساني في هذه المناسبة قصيدة عصماء مطلعها [1] :

على درجا مئة مولا مراد ست — خداوند زين وعرش وآسمال

أي ان الامام مراد قد بلغ أقصى درجات الرفعة والاحترام عندما جلس على أريكة الامامة •

وفور انتهاء الاحتفالات قام بجولة تفقدية لمنح البركات والارشادات لأتباعه فيهندوستان ، وبنجاب ، وكجرات ، والسند ، وافغانستان ، وملتان، وقيل أنه أمر الاسماعيلية في تلك البلاد بالابتعاد كلياً عن السياسة ، واتباع التجارة والصناعة والزراعة ، لتقوية اقتصادهم ، وبالفعل نشطوا في هذه الحقول وأصبحوا بعد مدة وجيزة من أغنى التجار وأمهر الصناع في البلاد التي يقطنوها • وبعد عودته من تلك الرحلة اجتمع بوفد من اسماعيلية سورية كانوا قد وفدوا الى مركز الدعوة بعد اختلافهم على تعيين ممثلا للامام خلفاً لأبي الفوارس ، فاختار لهم الداعي أبا يزيد السرميني كونه كان يتمتع بثقة الجميع ومعروفاً بحياده التام ونزاهته وتجرده وغزارة علمه •

وعلى العموم كان الامام مراد ميرزا من ألمع السياسيين في ذلك العصر وأقدر العلماء ، محبا للخير والسلام يقضي لياليه ساهرا يرعى اتباعه ويرشدهم الى طريق الخير والنجاح •

اصيب لكثرة تجواله بمرض شديد توفي على أثره في السابع منذي القعدة سنة ٩٢٠ هجرية ودفن في بلدة (انجودان) ولا يزال ضريحه هناك ويزار •

* * *

---

(١) ديوان خاكي خراساني : ورقة : ١٧ ، نور مبين حبل الله المتين : جنارا : ص ٥٣٠ •

مزيد الحلي الاسدي

أوجدت الدعوة الاسماعيلية شعراء كثيرين لعبوا دورا هاما في الحياة العقلية ، والادبية والفلسفية ، ودبجوا القصائد الطوال ، وصنفوا الكتب العديدة التي جاءت زاخرة بأنفس الاشعار وأطيب الاقوال .

ومن أشهر شعراء الاسماعيلية في منتصف القرن الخامس الهجري الامير مزيد بن صفوان بن الحسن بن منصور (بهاء الدولة) بن دبيس (نور الدولة) ابن علي بن مزيد الاسدي (أبي الحسن) صاحب الحلة العراقية[1] .

نشأ هذا الشاعر الفحل في بيت امارة عربية عريقة ، هي أمارة بني مزيد الأسديين في (الحلة) أو (بابل) أو (الجامعين) . فقرض الشعر حتى برع فيه وأصبح من الشعراء المشهورين الذين يشار اليهم بالبنان ، وامتازت قصائده بالقوة والجزالة ، والرقة والسلالة ، وتدل أشعاره على انه كان شاعرا مبدعا مرهف الحس ، رقيق الشعور ، صادق العاطفة ، يعبر عن ألم دفين ، وحزن لاعج ، سببه فراقه لمسقط رأسه ، وذكر ما كان له فيها من مجالس انس وطرب ، وحب جامح . وتعطي قصائده الدليل الواضح على انه كان ضليعا في اللغة العربية وآدابها . عالما باصول الفلسفة الاسماعيلية .

وبالرغم من الجهود الكثيرة التي بذلناها لم نتوصل الى معرفة الاسباب التي دعته الى ترك بلده الحلة والاقامة في مصياف ، ولكننا نستنتج من قصائده بأنه كان شاعراً عقائدياً يحن الى التقرب من الأئمة أو ممن يمثلونهم ، لذا أعتقد ان مصياف هي دار هجرة وموطن الدعوة ومعقل الأئمة بدليل قوله

---

(1) قال عنها ياقوت الحموي بمعجم البلدان : « انها مدينة في أرض بابل » وتسمى أيضا (الجامعين) وتدعى أيضا حلة بني مزيد .

من قصيدة :

وجئنا الى مصياف سعياً كما سعى
الى البيت قوم من قريشٍ وجرهم

لذا يجب على كل اسماعيلي أن يسعى اليها حاجاً كما تحج بقية الفرق الاسلامية الى مكة ، والظاهر ان الاقامة في مصياف أعجبته فظل فيها حتى توفي سنة ٥٨٤ هجرية ولا يزال ضريحه قائماً للآن بجوار ضريح سنان راشد الدين .

ويستدل من أشعاره انه كان غنياً وصاحب ثروة كبيرة ، وانه ترك أهله وأقرباءه ، وظل وقتا طويلا يذكرهم بقصائده ويتفجع أسأً عليهم :

ألا كم ألوم النفس عند اذكاركم   وحتام اخفي ما الاقي وأكتم
وفي كبدي للبين ناب ومخلب   وحولي ذئاب" للحوادث حوّم
وكم ليلة قضّيت مآربي   اعانق ربات الخدود وألثم
فيا دهر هل بعد التغير رجعة   وهل يستفي من لاعج الشوق مغرم[1]

وينتقل بعد ذلك ليذكر مجالس الانس والطرب والندمان والخلاّن ووصف الخمرة والكأس ببيان عذب جميل :

وكنت اناجيه ، وقد غلب الكرى   الا فاسقني خمراً من الدن تهدم
ودرها لنا لا عيش الاّ بشربها   اذا لاح ضوء الصبح أو هبّ انسم
مشعشعة جلت على كل عاشق   لبيب وان كانت على المرء تحرم
تراءت فلا تدري مصابيح راهب   تلوح أو انقضت من الافق أنجم
ويرفعها الساقي فلست بعارفٍ   أيلزمها بالكف أم ليس يلزم
هي الشمس في الدوران والدين برجها   ومشرقها كأس ومغربها فم[2]

---

(1) ديوان مزيد الحلي نسخة خطية ورقة ٢٥ .
(2) ديوان مزيد الحلي نسخة خطية ورقة ٢٥ .

وهذان بيتان من قصيدة ، فيهما طرافة في الغزل والنسيب :

أما والهوى لو عندها بعض ماعندي ... لما هجرت لكنما وجدها وجدي
وحق الهوى لو استطيع اذا مشت ... لأبسط ذلاً تحت أقدامها خدي (١)

ثم نرى الامير مزيداً في أبيات من قصيدة طويلة يتحدث بلغة الحكمة والفلسفة والاجتماع ناهجاً نهج كبار الشعراء ، ولكننا نراه يفوقهم بايراد التعابير الفلسفية الاسماعيلية العميقة ، التي رضع لبانها صغيراً وبرع فيها كبيراً :

للعلم أهل وللايمان ترتيب ... وللعقول وأهليها تجاريب
والدهر يومان مذموم وممتدح ... والناس اثنان ، ممدوح ومسبوب
والعلم صنفان ، منبوذ ومطلب ... والبحر بحران ، ممنوع ومركوب
وللعلوم أعاجيب مقدرة ... فيه تناهت اليهن الاعاجيب
فانظر بعينك ما عنيته وعه ... واعرف بعقلك ان العقل موهوب (٢)

وهذه قصيدة طويلة يستهلها بالبكاء على الطلول والتذكر والشوق والحنين الى مرابع الانس والطرب وذكرى شبابه الغض :

سل الربع كم من لاهف بلّ دمعه ... تراه فلم يستشف بالدمع لاهف
ديارٌ عفت منها الرسوم فأصبحت ... هواطل تذريها الرياح العواصف
وباكرها ودق السحاب مبشراً ... برعد تباريه البروق الخواطف

وينتقل ليقدم صورة عن حبيبته وجمالها ، ووصف ما يعانيه في سبيلها :

تلوح وراء السجن من جانب الخبا ... مخدرة بل ربرب متهايف
فتاة لها من سالف الليل طرة ... ومن طرة الصبح المنوّر سالف

(١) نفس المصدر ورقة ٦٣ .
(٢) نفس المصدر ورقة ٨٤ .

ووجه يعيد الليل صبحاً بضوئه ... وبدر الدجى في لونه وهو كاسف
اسال دموعي خدها وهو سائل ... وانحف جسمي خصرها وهو ناحف
وامرض قلبي جفنها وهو ممرض ... وادلف طرفي طرفها وهو دالف

ثم يصف حالة الوداع وما يتعرض له الحبيب من لهفة وحزن والتياع :

تودعني والبين يلعب بيننا ... ولا قلب الا وهو للبين راجف
فحالت صروف الدهر بيني وبينها ... الا ان من يعتز بالدهر تالف
وكنت قبيل البين أرشف ريقها ... فها انا بعد البين للدمع راشف
وكنت أليفاً للسرور بقربها ... فها أنا للأحزان والهم آلف
فيا دهر هل بعد التفرق رجعة ... فيهتف بي للوصل يا دهر هاتف
وتسعدني بالسعدتين أحبتي ... وتجمعني با « لجامعين » معارف (١)

ومنها :

واني لراضٍ في هواهم بما رضوا ... ولا أرتضي ما ترتضيه الحوالف
صحائف في دار الفناء طويتها ... وقد نشرت لي بالبقاء صحائف
وشرُّ الورى من يشتري الفقر بالغنى ... وتزهو من الدنيا لديه الزخارف

وينتقل في هذه القصيدة الى التبشير بالعقيدة ، فيورد التعابير الاسماعيلية الحقيقية الصحيحة التي تظهر طول باعه في معرفة اصولها وأسسها وطرقها :

يا ليت قومي بعد شط النوى ... بما حباني ذو العلى يعلمون
بحب أترابٍ كمثل الدمى ... يرشقن قلبي بسهام العيون
يخفقن شبه الشمس يحجبنها ... بل أنتم عن نورها تحجبون
نور مضيء لم يزل ساطعاً ... لكنكم عن ضوئه تعمهون
أسماء ذاك النور مسطورة ... في كتب الله التي تقرأون

(١) نفس المصدر ورقة ٩٣

تأملوا الذكر وآياته … فانكم قوم به تجهلون
ما وجه رب العرش باقٍ اذا … ادرك هذا الخلق ريب المنون
ما الاذن ، ما العين ، وما نفسه … والجنب والنور الذي تنظرون
ما الوارثون الارض ، ما ارثهم … بل ما اولي العلم وما الشاهدون
ما المنفقون السر ، ما معلن … ما الصوم ، ما الصائم ما المؤثرون
ما الكلم الطيب ، ما ضده … ما الطيبات الخلق ، ما الطيبون
ما مرج البحرين ، ما برزخ … بينهما ، لو كنتم تعلمون
ما حجة الله على خلقه … ما الامر بالمعروف ، ما الآمرون
ما النور ، ما المشكات ، ما ذلك … الكوكب ، ما المصباح لو تسألون
نور على نور ليشقى به … قوم ويحظى بالهدى آخرون
فأصغوا الى الداعي فهل أنتم … صمٌ عن الداعي فلا تسمعون
لاح صباح الحق لكنكم … في ظلمة الباطل لا تبصرون[1]

ومن قصيدة يورد شواهد وحججاً تثبت نظريته باعتقاده بامام معصوم ، من نسل علي بن ابي طالب :

لو خلا الارض من امام لمادت … بهم الارض واعترتها السماء
جده المصطفى ، أبوه علي … مرتضى الحق ، امه الزهراء
وله المشعران قصداً لمن حج … ولبى والركن والبطحاء
نبأ أعظم به وعد الله … وجاءت بفضله الانبياء[2]

وفي هذه الابيات تتجلى متانة اعتقاداته الباطنية ، فنراه يستعمل القوافي الشعرية للرد على المتخلفين عن اتباع عقيدته الاسماعيلية ومدح الأئمة الاطهار :

(١) ديوان مزيد الحلي مخطوط ورقة ٣٠ .
(٢) نفس المصدر ورقة ٤٨ .

يكاد فؤادي عند ذكر أحبتي … يذوب جوى ، لولا عرى الدين تعضد
ففكري الى من بالعراق مشرّد … وقلبي في أرض الشآم مقيّد
وما القرب من دار المحبين صالحاً … اذا أنا عن دين المحقين مُبعد
ولا شرف للمرء ان فاته التقى … ولا آل الا آل أحمد سؤدد
هم الوارثون الارض والارث دائم … هم المالكون الامر والامر سرمد
هم سبب الابداع والله مبدع … هم شهداء الحق والله يشهد

ومنها :

يخوضون في الآراء ، هذا منزه … لخالقه جهلاً ، وهذا مجسّد
كعمي اقاموا في ظلام ضلالةٍ … ومصباح حقٍ بينهم يتوقد
فلم يبصروا اذ ظاهر العين أبيض … ولم يعقلوا اذ باطن القلب أسود
فلو طلبوا الهادي لحكم اختلافهم … لما كان أمر حقه الذم يحمد
هو النور نور الله حقاً وفضله … ورحمته والعين والجنب واليد[1]

ومن قصيدة يمدح فيها قومه ومن يسلكون نهجه ، وينتهي لمدح السادة الاطهار أهل البيت والأئمة :

اترجى رجع الجواب واني … لرسوم الدار رجع الجواب
ربّ ليلٍ بادرته فبدا لي … بدره من هوادجٍ وقباب
ونهار لمحت فيه فلاحت … شمسه تحت برقعٍ ونقاب
وغزالٍ اوما اليّ فبانت … لي نقا العاج حمرة العناب
فتجشمت ذلك الليل حتى … كنت من بدره المنير كقاب
وطويت النهار ثم ترشفت … من الشمس بارداً من رضاب
وذبحت الغزال ذبحاً بسكين … شبابي في روض عصر التصابي
يا لقومي من آل طيبة مالي … لا أرى لي مخيماً في قباب

(١) ديوان مزيد الحلي نسخة خطية : ورقة ٧١ .

أنتم خير من اقيم عليه ... عمداً مشرقاً على أطناب
ان سطا الخطب كنتم ماء مزن ... أو دعا الحرب كنتم أسد غاب
رمت صبراً عنكم فاعوزني الصبر ... فهل لي اليكم من اياب
وزجرت القلب القريح عن الشو ... ق فيثني بلوعةٍ واكتئاب
لا ومن أنشأ البرية خلقا ... ذو انتقالٍ من نطفة لتراب
ما تباعدت عنكم لملالٍ ... ليس لي رغبة الى الاغتراب
غير ان الحسام لا يستطيع ... القطع الاّ مفارقاً للقراب

ومنها :

وأبى الله ان أضلّ وان ... اغفل بين الغواة في جلباب
فهداني الى رحيق شرابٍ ... بعد ركضي الى لموع السراب
فتمسكت بالأدلة للطالب ... والوارثين علم الكتاب
داخلا باب حطة حيث لايمك ... ن قصد البيوب من غير باب (1)

وهذه دعوة تبشيرية بعقيدته الاسماعيلية :

هلموا فهذا الذي باسمه ... توسّل لما عصى آدم
وهذا الذي لم تحز فضله ... قريش ولم تحوه جرهم
له الركن والبيت والمشعرين ... اذن والصفا وله زمزم
ولولاه ما خلقت في الورى ... سماء ولا طلعت انجم
هو الأول الآخر المرتجى ... هو الغائب الحاضر المنعم
هو النور والنور لا ينطفي ... هو الحبل والحبل لا يصرم (2)

وفي هذه الابيات يعلن بصراحة عن تمسكه بآل البيت :

وتمسكي بحبال آل محمد ... ما عشت لا بحبائل الشيطان

(1) نفس الديوان : ورقة ٥٤ .
(2) ديوان مزيد الحلي نسخة خطية : ورقة ١٢ .

فهم الحياة لكل قلب ميتٍ ... وهم الممات اذا التقى الجمعان
وهم الطريق لمن تبصّر بالهدى ... والبارد السلسال للظمآن
وهم الادلة للذين بحبهم ... والواصلين بهم الى الرحمن (1)

وهذه أبيات في الفخر والحماسة تتوافر فيها القوة والمتانة :

يا للرجال اتى الأوان فبادروا ... قد حان من حين الأوان أوان
كسب المعالي بالعوالي والظبى ... عز وحب الغانيات هوان
ليس الفخار لفاخر في مجلسٍ ... في وقت ما تتهاضهم الفرقان
وتدور كأسات المدام عليهما ... بين الرياضِ وتخفق العيدان
فالعزّ في طلب العلى بين الملا ... في وقت ما تتزاحم الفرسان
وتدور كاسات الحمام مدارها ... والنفس تبذل والحريم تصان (2)

ومن قصيدة تتجلى فيها الصنعة الشعرية والرنة الموسيقية :

ومن فارق الاحباب حن لوصلهم ... ولا سيما من فارق الاهل والخدرا
رحلت وكان الشرط شهرا وانثني ... اليهم فصار الشهر في طوله دهرا

ومنها يمدح معلمه وحجته :

ففي كل يوم اقتني منه حكمة ... فهل يعدمنّ الورد من جاوز البحرا
سوى انه عذب لمن رام علمه ... وملح" اجاج للذي يبتغي الشرا
فان نلت منه ظاهرا نلت ماءه ... وان رمت منه باطناً نلته درّاً
اذا نحن القينا السؤال اجابنا ... ومن هزّ نخلاً مثمراً أكل الثمرا
واذا نحن أمسكنا حياءً افادنا ... ففزنا به علماً وفاز بنا اجرا

(1) نفس المصدر : ورقة ١٨ .
(2) نفس المصدر : ورقة ٥٧ .

امـام اليـه فوّض الله دينـه ... وملّكه الـدنيـا وردّ لـه الأمرا
امـام اعـزّ الله تـأييـد نصره ... فقد نصر الايمان وامتحق الكفرا (١)

ولمزيد في مجال الغزل جولات يحلق فيها في سماء الحب والعـاطفة والجمـال :

وجفون عين اسبلت يـوم النـدى ... أم نرجس متكلل بجمـان
والحاجبان عـلى الجبين تقوسا ... أم فـي صحيفـة كـاتب نونـان
وشنيب ثغرٍ فـي فـم ام لؤلـؤٍ ... نظموه فـي سلـك مـن المرجان

ومنهـا :

او كلما عاينت طرفـك في الكرى ... وشكوت طـول الصـد والهجران
اوترت قوسـي حاجبيـك كـأنني ... غـرض لاسهم طرفـك الفتـان
يـا بنت مختلس النفوس ترفقـي ... فهـواك ابعـدنـي عن الاوطـان
لولاك مـا اتصل السهاد بمقلتـي ... ولمـا جفـا طيف الكرى اجفـاني
ولمـا رأيت من العجيب مصارعـاً ... لـلاسد بـين مراتـع الغزلان (٢)

وها هو يتغنى بذكر حبيبته ويصف الحلة وايامه ومجالسه ولياليه فيها :

كم وقفة لي بالديـار وقـد عفت ... تلـك الديـار بـوارق ورعـود
فكأنمـا ليلي نهـاري سرمـد ... وكـأنّ أيـامـي ليالٍ سـود

ومنهـا :

ولهـا من الليل البهيم ذوائـب ... جثـل يزيّن رسلهـا التجعيـد
ولهـا مـن الصبح المنير وضوئه ... وجـه فـلا كلف ولا تحـديـد
ومرجـح فـي واضحٍ فكـأنـه ... نون بهـامش رقعـة ممـدود
ولها محـاجر مقلـة مـن نرجس ... ولهـا مـن الورد الطري خـدود

---

(١) الديوان ورقة ١١ .
(٢) ديوان مزيد الحلي : ورقة ٢٨ .

ولهـا مـن البرد الصقيـل ترائب ... ولهـا مـن العـاج النقي نهـود

ومنهـا :

أتعود ايـامي بحلـة بـابـلٍ ... هيهـات ايـام مضـت أتعـود
أيـام أسحب في ريـاض وصالهـا ... برد الشبـاب الغض وهو جـديد
فطن الزمـان بنـا فأصبح شملنـا ... متشتتـاً والوصـل فهـو قعيـد
وبقيت ارجـو مـا عهدت ولي به ... امـل يظنلمـا رجـوت بعيـد
من لي بذلـك والفرات ودجلـة ... ومهـامه دون المزار وبيـد (١)

هذا هو الشاعر الاسماعيلي مزيد الحلي الاسدي قدمنا نماذج من شعره لم تنشر من قبل لعلها تنال الاهتمام .

* * *

---

(١) ديوان مزيد الحلي : ورقة ٣٣ .

المستنصر بالله

معد أبو تميم

يعتبر عهد الامام المستنصر بالله من أطول عهود الخلفاء الفاطميين ، حيث استمر حكمه ٦٠ عاما وأربعة أشهر وثلاثة أيام ، امتد سلطانه في القسم الاول من خلافته على بلاد الشام وفلسطين والحجاز واليمن وصقلية وشمال افريقية ، وكان اسمه يذاع على كافة منابر البلاد الممتدة من المحيط الاطلسي غربا الى البحر الاحمر شرقا ، وكذا في صقلية واليمن والحجاز والموصل وفارس وبغداد نفسها .

وفي القسم الثاني من خلافته حدثت أحداث سياسية واقتصادية واجتماعية كان من أثرها تزعزع مركز الخلافة الفاطمية ، وبالرغم من كل هذا فقد تمتعت البلاد بالطمأنينة والرخاء وانتشار الثقافة .

ولد المستنصر بالله معد أبو تميم محمد بن الظاهر يوم الثلاثاء ١٦ جمادي الآخر وقيل العشرين منه سنة ٤٢٠ هجرية [1] في مدينة القاهرة ، وبويع بالخلافة يوم الاحد في ١٥ شعبان سنة ٤٢٧ هجرية وهو في السابعة من عمره . حصلت في عهده مجاعة دامت ثمان سنوات ، ففقدت المواد الغذائية من الاسواق ، وارتفعت الاسعار ، وتفشت الأوبئة فنكبت بها جميع الامم الاسلامية من مصر الى سمرقند ، وقيل ان الناس اضطروا الى أكل الكلاب والقطط ثم أكل بعضهم بعضا ، وقامت الفتن والحروب الاهلية [2] واخرج الامام المنصور من خزائنه الاموال والثياب ووزعها لاعانة الشعب ، وحاولت

(١) خطط المقريزي ٢/٢٧٩ .

(٢) ابن ميسر تاريخ مصر (١٣ – ٢٣ – ٣٤) .

بعض البلدان المحكومة الانتفاض ونقض البيعة واقامة الدعوة للخليفة العباسي فسير عليهم الجيوش وحصلت الحروب والثورات ، فاستقدم أمير الجيوش بدر بن عبد الله الجمالي وأسند اليه منصب الوزارة ولقب بالسيد الأجل كما أسندت اليه رئاسة الدعوة الاسماعيلية .

عمل بدرالجمالي جاهدا لاصلاح أحوال البلاد وقضى على الثورات ، فاستقرت الامور وعم الهدوء والسكينة جميع أنحاء البلاد وتحسنت الحالة الزراعية وهبطت أسعار الحاجيات فعاش الشعب بالرخاء والطمأنينة .

وعهد المستنصر الى الداعي علي بن محمد الصليحي ليتولى رئاسة الدعوة الاسماعيلية في بلاد اليمن فسار الى (حصن مسار) بخيل جرار وأخذ يستميل الناس اليه حتى اجتمع من قبائل سنحان وهمدان وحمير خلق كثير [1] فجهزهم لاحتلال عاصمة اليمن (صنعاء) مقر دولة (نجاح) فاحتلها وقضى على نفوذ دولة نجاح في اليمن ، وضم اليه قبيلة زبيدة ، وخطب للامام المستنصر في جميع انحاء اليمن وعلت مكانته فيها وبسط سلطانه على جميع البلاد وأصبحت صنعاء عاصمة له ، وسنتحدث عن هذا الداعي العظيم في غير هذا المكان .

وفي سنة ٤٥٥ هجرية حدثت فتنة في مكة فاخمدها الصليحي بعد أن أمره الامام بالمسير اليها ، فتمكن من استمالة أهلها ونشر الأمن والطمأنينة فيها ، فطابت قلوب الناس وتدنت أسعار الحاجيات وكسا الصليحي البيت الحرام بثياب بيض [2] .

كذلك أرسل الامام المستنصر الداعي الحارث أرسلان البساسيري ، ليتولى شؤون الدعوة في بغداد فخرج سنة ٤٤٨ هجرية يدعو الناس للانضواء

(١) ابن خلدون ٤/٢١٥ .

(٢) أبو المحاسن ٥/٧٢

تحت العلم الاسماعيلي ، فعظم أمره وكبر شأنه وأقام الخطبة للمستنصر في بغداد ففر الخليفة العباسي القائم وغادر البلاد[1] واقيمت الدعوة في البصرة وخطب للامام المستنصر فيها .

وفي سنة ٤٥٩ هجرية اغتيل رئيس دعاة اليمن الصليحي بينما كان في طريقه الى البيت الحرام ليؤدي فريضة الحج فاسندت رئاسة الدعوة لولده (المكرم أحمد) فتغلب على جميع العقبات والمصاعب التي اعترضته وتزوج بداعية صنعاء السيدة أروى بنت أحمد بن محمد بن جعفر بن موسى الصليحي وسلمها زمام الامور في اليمن وقد تحدثنا عنها وعن المكرم في غير هذا المكان .

ومن هنا يتضح لنا أن الدعوة الاسماعيلية في عهد المستنصر بالله كانت منظمة تنظيما دقيقا ، يدير شؤونها دعاة أكفاء علماء كان لهم أكبر الاثر في القضاء على الثورات الداخلية واستئصال الفتن من الجذور ، فعظم أمرهم وانتشر تعقيدتهم في أغلب البلاد فاتسعت رقعة المملكة واستقرت أمورها الداخلية والخارجية[2] .

لبث البساسيري في بغداد حتى هوجمت من قبل (طغرلبك) فقتل البساسيري وأعيد الخليفة العباسي الى بغداد وكان ذلك سنة ٤٥١ هجرية .

وفي سنة ٤٧٩ هجرية أم القاهرة الداعي الاسماعيلي (ناصر خسرو) داعي بلاد خراسان وفارس ، و (الحسن بن الصباح) داعي جبال الطالقان والري وديار بكر والشام ، ليتلقوا دروسهم في دار الحكمة وليتشرفوا بالمثول بين يدي الامام المستنصر . وبعد أن انتهت مدة تدريبهم عقد الامام اجتماعا كبيرا ضم كبار الدعاة والعلماء والفقهاء ونص على امامة ولده نزار من بعده وكان ذلك سنة ٤٨٠ هجرية .

---

(١) وفيات الاعيان ٢/١٥١ خطط المقريزي ٢/٢٧٩ .
(٢) تاريخ الدعوة الاسماعيلية ص ١١٧٠ .

وتوفي الامام المستنصر في ١٨ ذي الحجة سنة ٤٨٧ هجرية في ليلة الخميس بعد أن أقام بالخلافة ستين عاما توصل خلالها الى ما لم يتوصل اليه أحد قبله من الأئمة الذين تولوا شؤون مصر في العهد الفاطمي ، كما بلغت الدعوة الاسماعيلية الذروة وانتشرت في أغلب البلاد العربية على يد جماعة من أمهر الدعاة والفلاسفة والعلماء والفقهاء والادباء .

وتجمع المصادر على أن الامام المستنصر بالله كان شاعرا مبدعا ، وانه كان متمكنا من انشاد الشعر وارتجاله في المناسبات ، وقيل انه كان يرد على بعض الرسائل التي كانت ترد عليه بالشعر . وله مجموعة رسائل قيل انه كتبها الى علي بن محمد الصليحي باليمن .

يروي صاحب النجوم الزاهرة ان ناظر الدولة جاء بالاتراك سنة ٤٦٠ هجرية الى الوزير ابن كدينة ، وطالبوا الوزير بالمال ، فقال لهم الوزير : وأي مال بقي عندي بعد أخذكم الاموال واقتسامكم الاقطاعات ، فطلبوا من الوزير أن يرفع الامر الى المستنصر ، فكتب الوزير رقعة بما جرى وأرسلها الى الامام ، فأجاب المستنصر على الرقعة نفسها بخطه :

أصبحت لا أرجو ولا أتقي ... الا الهي وله الفضل
جدي نبي وامامي أبي ... وقولي التوحيد والعدل[1]

ومما يروى عن المستنصر أيضا ان المؤيد في الدين هبة الله الشيرازي بعد أن عاد سنة ٤٥٠ هجرية الى القاهرة منعه الوزير ابن المغربي من لقاء المستنصر ، فأخذ المؤيد يرسل اليه الكتب والرسائل وينشد فيه الشعر حتى بلغ المستنصر قول المؤيد :

أقسم لو أنك توجتني ... بتاج كسرى ملك المشرق

---

(١) النجوم الزاهرة ٤/٨١ وهناك من ينسبها الى الحاكم بأمر الله أما ابن خلدون فينسبها في تاريخه ٤/٧١ الى الآمر بأحكام الله .

ونلتنـــي كـــل أمـــور الـــورى ... من قـــد مضى منهم ومـــن قد بقى
وقلت أن لا نلتقـــي ســـاعـــــــة ... أجبت يـــامـــولاي أن نلتقـــى
لأن ابعـــادك لـــي ســـــــاعة ... شيـــب فـــودي مـــــع المفرق

فلما بلغت الرقعة التي فيها هذا الشعر الى المستنصر أجاب عليها بخطه :

يـاحجة مشـهورة فـي الـورى ... وطود عـلـم أعجـز المرتقـى
مـا غلقت دونـك أبوابنـــــا ... الا لأمـــر مـؤلـــم مقلـق
خفنـــا علـى قلبـك مـن سمعه ... فصدنـــا صـــد أب مشفق
شيعتنـــا قـــد عـدموا رشدهـم ... فـي الغرب يـــا صاح وفي المشرق
فـانشر لهم مـــا شئت مـن علمنا ... وكن لهم كـالـوالـــد المشـفق
ان كنـــت فـي دعـوتنـا آخـرا ... فقـد تجـاوزت مــدى السبق
مثلـك لا يـوجـــد فيمن مضى ... من سائر الناس ولا من بقـى [1]

وتنسب للامام المستنصر بالله قصيدة وردت في مجموعة أشعار اسماعيلية مطلعهـا :

كفى ملامك يا ابنــة الغمر ... ما بال وقر أبيك من وفر [2]

والخلاصة كان الامام المستنصر كما يتضح من مؤلفات الدعاة والعلمـاء الذين عاصروه محبا للعلم ومشجعا للادب ، باعه طويلة في مختلف العموم ، كان يشرف بنفسه على مؤلفات الدعاة والعلماء فيتناولها بالتوجيه والارشاد ، وفي أكثر الاحيان كان يلغي بعض الفصول منها ويضيف اليها فصولا توافق الموضوع الذي الفت فيه ، وهذا أكبر دليل على تمكنه العلمي والفلسفي ، ومما لا جدال فيه أن الجهود الجبارة التي بذلها في عصره فاقت كل الجهود

(١) انظر ديوان المؤيد في الدين داعي الدعاة .

(٢) ورقة ٦٣ ب .

الذي بذلها آباؤه من الخلفاء الفاطميين ومما ساعده على ذلك المدة الطويلة التي عاشها كامام وخليفة .

أما الاقوال التي جاء بها بعض المؤرخين بأن الامام المستنصر كان ضعيف الارادة لين العريكة سار بموجب السياسة التي خطتها له ولدته ، فقول مردود ليس له أية صحة ، فالمصادر التاريخية تدلنا على حسن ادارته وشدة سيطرته على ولاته ودعاته ، فالدعاة والعلماء والفلاسفة الذين عاشوا في عصره بلغوا أقصى درجات العلم والثقافة ، فكيف يقبلون السير والعمل بموجب سياسة تخططها لهـم امرأة ، فالويل كل الويل لمن يأخذون المصادر على علاتهـا بدون أن يتبينوا الحقيقة .

* * *

المعز لـدين الله
معـد

يعتبر عهـد الامام المعز لـدين الله من أزهى العهود الفاطمية ، عرف بالفتوحات والانشاء والتعمير والبناء ، وانتشار الثقافة والعلم في جميـع أنحاء المملكة التي اتسعت رقعتها وزادت مساحتها بعد أن تم له تحقيق حلم آبائه من الأئمة فافتتح مصر ونقل مركز الخلافة الى مدينة القاهرة التي شيدها في تلك البلاد .

ولا غرو فلقد كان الامام المعز مثقفا يجيد عدة لغات : منها اللغة التليانية التي تعلمها في صباه بجزيرة صقلية ، وكان ذا ولع بالعلوم ودراية بالادب ، فضلا عما عرف به من حسن التدبير واحكام الامور كما كان عليه آباؤه مـن قبل . وفي عهده دانت له كافة قبائل البربر ، ولا سيما قبيلتا بني كملان وبني مليلة من قبائل هوارة ، وقد أبتا أن تذعنا للخلفاء الفاطميين من قبله .

ويرجع الفضل في اكتساب الامام المعز طاعة قبائل المغرب على اختلافهـا الى السياسة الرشيدة التي سار عليها مما ساعد على اقرار خلافته ، وأتـاح له القضاء على دولة الادارسة ، بعد أن حكمت المغرب الاقصى نحو قرنين[١] .

كانت ولادة المعز لدين الله معد ابن الامام المنصور في ١١ رمضان سنة ٣١٩ هجرية[٢] في مدينة المهدية ، وبويع بالخلافة والامامة في ٧ ذي الحجة سنة ٣٤١ هجرية [٣] . وبما أن الامور لم تكن قد استقرت بعد في بـلاد

---

(١) المقريزي ، اتعاظ الحنفا ص (٥٩ – ٦١ – ٦٥) .
(٢) قيل ولد سنة (٣١٧) هجرية .
(٣) بويع المعز بولاية العهد في حياة أبيه في ٧ ذي الحجة ٣٤١ هجريـة ولما قام بعد وفاة أبيه سنة ٣٤٢ جددت له البيعة .

المغرب ، فلم يكن بد من أن يعمل المعز لدين الله على اخضاعها واقرار الأمن في ربوعها ، وبذلك يستطيع أن يوجه جيوشه الى بلاد الاندلس ، ثم الـى مصر ، ومد نفوذه الى المشرق .

فبذل المعز جهودا جبارة في سبيل اخضاع جميع بلاد المغرب وتم له ذلك بفضل شجاعة قواده الغر الميامين أمثـال جوهر الصقلي وزيري بن منـاد الصنهاجي . ولم يقف عند هذا الحد بل وجه عناية زائدة للبرابرة فأحسن اليهم ولم يمسهم بأذى فاعتنقوا المذهب الاسماعيلي عن بكرة أبيهم ، ووزع الولاة المخلصين الأكفاء على الاقاليم وزودهم بتعليماته وارشاداته القيمة [١] .

وفي سنة ٣٤٨ هجرية سير الامام المعز جيشا ضخما أسند قيادته (لوزيره وقائده) جوهر الصقلي وكانت وجهة هذا الجيش بلاد تاهرت لتأديب واليهـا (يعلى بن محمد الزناتي) بعد أن نقض البيعة واظهر اخلاصه للناصر الاموي . فاسره جوهر ثم قتله [٢] ومن ثم قصد اقليم فاس ، وسجلماسة ، والقى القبض على الولاة المتمردين وأخضع كافة المدن التي كانت تـدين لهم بالولاء ، وتقدمت جيوشه حتى أتى سواحل المحيط الاطلسي ، فأمر جوهر باصطيـاد الاسماك وجعلها في قلال الماء وأرسلها الى المعز اشارة منه بأنه أدى المهمة التي أوكلت اليه على أكمل وجه وطهر البلاد حتى البحر المحيط الـذي لا عمار بعده [٣] ، ولما وصلت أخبار انتصارات جوهر الصقلي مع الهدايا الى الامام المعز وهو في مجلس يضم نخبة من رجال الدولة وبينهم الشـاعر الكبير ابن هانيء الاندلسي قام هذا منشدا ومهنئا الامام المعز بهذا لنصـر الكبير واصفا الهدية بقصيدة نقتطف منها هذه الابيات [٤] :

---

(١) ابن الاثير ٧/٣٧٤ .
(٢) السلاوي : الاستقصاء لاخبار دول المغرب الاقصى ١/٨٦ .
(٣) ابن خلدون ٢/١٣٢ المقريزي ٢/٢٠٥ .
(٤) من ديوان ابن هانيء الاندلسي ص ٣٥٢ وقد عثر عليها في كتـاب عيون الاخبار للداعي ادريس عماد الدين في (السبع السادس) .

ألا هكذا فليهد من قاد عسكرا ... وأورد عن رأي الامام وأصدرا
هدية من أعطى النصيحة حقها ... وكان بما لم يبصر الناس أبصرا
ألا هكذا فلتجلب العيس بدناً ... الا هكذا فلتجنب الخيل ضمرا
مرفلة يسحبن أذيال يمنة ... ويركضن ديباجاً ووشياً محبرا
تراهن أمثال الظباء عواطياً ... لبسن بيبرين الربيع المنورا
ويمشين مشي الغانيات تهادياً ... عليهن زي الغانيات مشهرا
وجررن أذيال الحسان سوابغاً ... فعلمن فيهن الحسان تبخترا
فلا يسترن الوشي حسن شياتها ... فيستر أحلى منه في العين منظرا

ومنها :

ألا انما كانت طلائع جوهر ... ببعض الهدايا كالعجالة للقرى
ولو لم يعجل بعضها دون بعض ... لضاق الثرى والماء طرقا ومعبرا
أقول لصحبي اذ تلقيت رسله ... وقد غصت البيداء خفاً ومنسرا
وقد مارت البزل القناعيس جبلا ... وقد ماجت الجرد العناجيج أبحرا
فطابت لي الانباء عنه كانه ... لطائم ابل تحمل المسك اذفرا
لعمري لئن زان الخلافة ناطقاً ... لقد زان ايام الحروب مدبرا
هو الرمح فاطعن كيف شئت بصورة ... فلن يسأم الهيجان ولن يتكسرا

ومنها :

وقد كانت القواد من قبل جوهر ... لتصلح أن تسعى لتخدم جوهرا
على انها كانوا كواكب عصرهم ... ولكن رأينا الشمس أبهى وانورا
فلا يعدمنّ الله عبدك نصره ... فما زال مقصور اليدين مظفرا
اذ حاربت عند الملائكة العدى ... ملأت سماء الله باسمك مشعرا
وما اخترته حتى صفا ونفى القذى ... بل الله في ام الكتاب تخيرا
ولكنه بالجيش والامر كله ... فوكلت بالغيل الهزبر الغضنفرا
كانك شاهدت الخفايا سوافراً ... واعجلت وجه الغيب ان يتسترا

فعرفت في اليوم البصيرة في غد ... وشاركت في الرأي القضاء المقدرا
وما قيس وفر المال في كل حالة ... بجودك الا كان جودك أوفرا
فلا بخل يا اكرم الناس معشراً ... واطيب ابناء النبيين عنصرا
فانك لم تترك على الارض جاهلا ... وانك لم تترك على الارض معسرا
الا انظر الى الشمس المنيرةفي الضحى ... وما قبضته أو تمد على الثرى
فاثقب منها نار زندك للقرى ... واشهر منها ذكر جودك للورى
بلغت بك العليا فلم أدن مادحاً ... لأسأل لكنني دنوت لأشكرا
وصدق فيك الله ما أنا قائل ... فلست أبالي من أقل وأكثرا

ولم يعُد القائد جوهر من تلك الرحلة الا بعد أن استأصل جميع الفتن التي قامت بالبلاد ، وكان قد أشعل نارها أنصار العباسيين والامويين في الاندلس ، ولم تبق مدينة أو قرية أو دسكرة الا واقيمت فيها الدعوة الاسماعيلية وخطب فيها للامام المعز ، ثم عاد جوهر غانما مظفرا ومعه صاحب سجلماسة وفاس أسيرين في أقفاص من حديد ودخل بهما المنصورية في يوم مشهود[1] . استقبل فيه استقبال الفاتحين ، وعمت الافراح المهدية من أقصاها الى أقصاها ، وقيل أن الامام المعز خرج بنفسه لاستقباله ، وفي سنة ٣٥١ هجرية أوعز الامام المعز الى أحمد بن الحسن نائبه على جزيرة (صقلية) بفتح القلاع التي بقيت للروم في تلك الجزيرة فغزاها وفتح (طبرمين) وغيرها من القلاع الحصينة .

وفي سنة ٣٥٤ هجرية حوصرت قلعة (رمطة) في جزيرة صقلية وجرت معارك عظيمة قتل فيها قائد الروم (منويل) وانهزم جيشه في المراكب ناجين بأنفسهم ، فتبعهم القائد الاسماعيلي العظيم الامير أحمد وجنوده فألقى الجنود الاسماعيليون نفوسهم في الماء وأحرقوا كثيرا من مراكب الروم

(١) اتعاظ الحنفا ص ١٣٥ الخطط للمقريزي ٢/١٦٧ .

فغرقت وكثر القتل في عساكر الروم فولوا الادبار بعد أن اسر الف من عظمائهم ، ومائة بطريق من بطارقتهم •

وغنمت الاسماعيلية غنائم كثيرة كان منها سيف هندي كتب عليه (هذا سيف هندي وزنه مائة وسبعون مثقالا طالما ضرب به بين يدي رسول الله) فارسل الى الامام المعز مع الاسرى [1] وتعرف هذه الوقعة بوقعة (المجاز) وقد وصفها الشاعر ابن هانيء بقصيدة عدد أبياتها ١١٣ بيتا نقتطف منها ما يلي :

يوم عريض في الفخار طويل	لا تنقضي غرر له وحجول
قل للمستق مورد الجمع الذي	ما اصدرته له قنا ونصول
سل رهط منويل وانت غررته	في أي معركة ثوى منويل
منع الجنود من القفول رواجعاً	تبا له بالمنديات قفول
ان التي رام الدمستق حربها	لله فيها صارم مسلول
ليت الهرقل بدا بها حتى انثنى	وعلى الدمستق ذلة وخمول
نحرت بها العرب الاعاجم انها	رمح اعق ولهزم مصقول
ما ذاك الا ان حبل قطنها	بحبال آل محمد موصول
من يهتدي دون المعز خليفة	ان الهداية دونه تضليل
من يشهد القرآن فيه بفضله	وتصدق التوراة والانجيل
كل الأئمة من جدودك فاضل	فاذا خصصت فكلهم مفضول
فافخر فمن انسابك الفردوس ان	عدت ومن احسابك التنزيل
وأرى الورى لغواً وانت حقيقة	ما يستوي المعلوم والمجهول
شهر البرية كلها بالعلى	ان البرية شاهد مقبول
والله مدلول عليه بصنعه	فينا وانت على الدليل دليل

وكان من اثر هذه الانتصارات التي حققها الاسماعيلية في هاتين الموقعتين

(1) ابن الاثير ٨/٤٠٤ — ٤١٤ ابن خلدون ٤/٢٠٧ — ٢١١ •

أن أخذت المدن الثائرة في صقلية تسلم الواحدة تلو الاخرى • ولم يقف أثر هاتين الموقعتين عند ذلك الحد ، فقد استولى الفزع على أهل قلورية ، فعقدوا الهدنة مع أحمد بن الحسن الكلبي ، وتعهدوا بدفع الجزية للفاطميين •

وكان لهذه الانتصارات المتتالية أثرها في نفس الحسن بن أحمد الكلبي ، فقد سره تدفق الاسرى والغنائم الرومانية ، كما سره قدوم الجيوش الفاطمية المظفرة في بلرمو ، حاضرة هذه الجزيرة • وهكذا امتد نفوذ الامام المعز في صقلية وقلورية ، مما ساهم مساهمة فعالة في هزيمة الروم برا وبحرا ، وهزم أسطول الامويين في عقر داره •

وقد تخوف امبراطور الدولة الرومانية الشرقية من ناحية الفاطميين ، فعمل على تحسين العلاقة بينه وبينهم ، وعول على الاستعانة بالاسماعيلية لدفع الخطر الجرماني عن ممتلكاته البعيدة في ايطاليا •

فأوفد سفيره نقولا الى افريقية سنة ٣٥٧ هجرية لمفاوضة الخليفة الفاطمي بغية عقد اتفاق عدم اعتداء فيما بينهم ، وكان وصوله في الوقت الذي كانت فيه جيوش الفاطميين تتأهب لغزو مصر •

وقد هال السفير ما شاهده من عظمة المعز ، وما رآه في قصره من مظاهر الأبهة ، فاتضح له أن الروم قد أخطأوا عندما سموا المعز (بملك المتبربرين) وأيقن بأن الامام الاسماعيلي المعز سوف يخلف العباسيين في امبراطوريتهم ، ولما مثل بين يدي الخليفة المعز قال : « بعثني اليك الملك نقفور فوكاس ، فرأيت من عظمتك وكثرة أصحابك ما كدت أموت منه ، ووصلت الى قصرك ، فرأيت عليه نورا عظيما ، غطى بصري ، ثم دخلت عليك فرأيتك على سريرك ، فظننتك خالقا فلو قلت لي انك تعرج الى السماء لتحققت ذلك » [1] •

(1) ابن الاثير ٨/٢٣٩ تاريخ الدولة الفاطمية ص ١٠٥ •

وقد أفادت هذه المعاهدة الامام المعز ، فأمن خطر غارات الروم المستمرة على بلاده في المغرب في الوقت الذي بعث فيه بجيوشه الضخمة الى مصر ، كما أن المعز استفاد من موقع صقلية الستراتيجي الحربي لصد جميع الحملات التي كان يوجهها الامويون والبيزنطيون نحو افريقية ، وبذلك امتد نفـوذ الاسماعيلية الى ايطاليا نفسها ، فتحقق للمعز تنظيم القسم الغربي من دولته ، مما ساعده على اعداد العدة للمسير نحو الشرق ليجعل من القاهرة قـاعدة لدولته الشاسعة الارجاء ويوجه منها ضرباته الى العباسيين والروم . وبنفس الوقت اتخذ الامام المعز من موانىء صقلية قواعد للاغارة على موانىء حوض البحر الابيض المتوسط[1] .

احتلال مصـر :

منذ تأسيس الدولة الفاطمية بالمغرب أخذ الأئمة بتوجيه عنايتهم لامتـلاك مصر ، نظرا لما لها من الاهمية السياسية والحربية ، خصوصا وان الشـام والحجاز كانتا تخضعان لولاة مصر ، وامتلاك مصر معناه امتلاك الشـام والحجاز ، وتمهيد الطريق لـلاستيلاء على بغداد عـاصمة الامبراطوريـة العباسية . فأرسلوا الدعاة النشيطين الذين أخذوا يعملون بجد ونشاط لنشر المذهب الاسماعيلي فلاقت دعوتهم العطف والتأييد ، فكاتب المصريون الأئمة ودفعوهم الى غزو مصر ، وقد وعدوهم بالمؤازرة والنصرة ، ولقد حاول المهدي والقائم والمنصور تحقيق هذه الامنية ولكن لأمر يريده الله لم يتمكنوا من فتح كافة البلاد نظرا لانشغالهم في تركيز دعائم الدولة في افريقية .

ولقـد تعرضت مصر بعد كافور الى حالة من البؤس والشقاء لدرجة لم تعهدها من قبل نتيجة القحط والجفاف وهبوط مستوى النيل ، فـاشتد الغلاء ، وندر وجود الاطعمة ، وعم السلب والنهب للبلاد ، وكثرت الأوبئة

(١) تاريخ الدولة الفاطمية (١٠٩ ـ ١١٠) لحسن ابراهيم ابراهيم حسن .

والامراض ، وقيل أن الناس عجزوا عن تكفين ودفن موتاهم ففضلوا أن يقذفوا بهم في النيل .

تلك كانت حـالة مصر بعد وفاة كافور ، وما صارت اليه البـلاد من الفوضى والبؤس ، ولم يستطع الخليفة العباسي أن يمد لها المساعدة وهويعاني من الضعف والتنكيل الأمرين .

أبلغ الدعاة الامام المعز بالحالة التي وصلت اليها مصر ، فشرع يعد العدة لفتح مصر وانقاذها مما تعانيـه فانشأ الطرق وحفر الآبـار ، وأقام المنازل للاستراحة ، وجمع الاموال للانفاق على الحروب وقيل أن الاستعدادات بدأت منذ عام ٣٥٦ هجرية .

وفي ١٤ ربيع الآخر سنة ٣٥٨ هجرية حشدت العساكر والجيـوش وأسند الامام المعز قيادتها لجوهر الصقلي وخرج الامام بنفسه لوداع الجيش فخطب بالمشايخ الذين انضووا تحت لوائه قائلا : « والله لو خرج جوهر هذا وحده لفتح مصر . ولتدخلن الى مصر بالأردية من غير حرب ، ولتنزلن فـي خرابات ابن طولون ، وتبنى مدينة تقهر الدنيـا » وقيل ان الامام أقام أياما في المعسكر [1] كان يجتمع الى جوهر كل يوم ، ومن ثم استعرض الامـام المعـز الجيش وودع القواد والامراء ، وبعـد أن قبّل جوهر يد الخليفة وحافر فرسه ، أذن له الخليفة بالمسير . ولما عاد الامام الى قصره ، بعث الى جوهر كل ما كان عليه من لباس خارجي عدا خاتمه [2] .

سارت جيوش المعز المنظمة تنظيما دقيقا ، والمزودة بالاموال الضخمـة والرجال والعتاد والمؤن ، وتتجلى ضخامة هـذه الحملة الاسماعيلية مما ورد على لسان أحد المصريين الذي قال فيها :

(١) ابن خلكان : ١٠٢/٢ .

(٢) ابن خلكان : ١٤٨/١ .

انها « مثل عرفات كثرة وعدة[1] » ولقد وصف العرض العسكري الذي أجراه الامام المعز للجيش قبل مسيره الشاعر الاسماعيلي ابن هانىء الاندلسي خير وصف فقال :

رأيت بعيني فوق ما كنت أسمع … وقد راعني يوم من الحشر أروع
غداة كأنّ الافق سُد بمثله … فعاد غروب الشمس من حيث تطلع
فلم أدر اذ سلمت كيف أشيع … ولم ادر اذ شيعت كيف أودع
وكيف أخوض الجيش والجيش لجة … واني بمن قاده الدهر مولع
وأين ومالي بين ذا الجمع مسلك … ولا لجوادي في البسيطة موضع
ألا ان هذا حشد من لم يذق له … غرار الكرى جفن ولا بات يهجع
نصيحته للملك سدت مذاهبي … وما بين قيد الرمح والرمح أصبع
فقد ضرعت منه الروابي لما رأت … فكيف قلوب الانس والانس أضرع
فلا عسكر من قبل عسكر جوهر … تخب المطايا فيه عشراً وتوضع
تسير الجبال الجامدات بسيره … وتسجد من أدنى الحفيف وتركع
اذا حل في ارض بناها مدائنا … وان سارعن أرض ثوت وهي بلقع
سموت له بعد الرحيل وفاتني … فاقسمت الا لاءم الجنب مضجع

ومنها :

لقد جل من يقتاد ذا الخلق كله … وكل له من قائم السيف أطوع
تخف به القواد والأمر أمره … ويقدمه زي الخلافة أجمع
ويسحب أذيال الخلافة رادعا … به المسك في نشر الهدى يتضوع
له حلل الاكرام خص بفضلها … نسائج بالتبر الملمع تلمع
برود أمير المؤمنين بروده … كساه الرضي منهن ماليس يخلع

(١) المقريزي : اتعاظ الحنفا ص ٧١ .

ومنها :

ونودي بالترحال في فحمة الدجى … فجاءته خيل النصر تردي وتمزع
فلاح لها من وجهه البدر طالعا … وفي خده الشعرى العبور تطلع
فكبرت الفرسان لله اذ بدا … وظل السلاح المنتقى يتقعقع

ومنها :

وما جهلت مصر وقد قيل من لها … بانك ذاك الهبرزي السميدع
وانك دون الناس فاتح قفلها … فانت لها المرجو والمتوقع
فان يك في مصر رجال حلومها … فقد جاءهم نيل سوى النيل يهرع

ومنها :

وكفكفت عنهم من يجور ويعتدي … وامنت منهم من يخاف ويجزع
اذاً لرأوا كيف العطايا بحقها … لسائلها منهم وكيف التبرع
وانساهم الاخشيد من شعسع نعله … اعز من الاخشيد قدرا وارفع
سيعلم من ناواك كيف مصيره … ويبصر من قارعته كيف يقرع
تحملت أعباء الخلافة كلها … وغيرك في أيام دنياه يرتع

ومنها :

فأنت أمين الله بعد أمينه … وفي يدك الارزاق تعطي وتمنع
وما بلغ الاسكندر الرتبة التي … بلغت ولا كسرى الملوك وتبع
سموت من العليا الى الذروة التي … ترى الشمس فيها تحت قدرك تضرع
الى غاية ما بعدها لك غاية … وهل خلف أفلاك السموات مطلع
الى أين تبغي ليس خلفك مذهب … ولا لجواد في لحاقك مطمع

والجدير بالذكر ان هذا الجيش لم يكن بريا وحسب ، بل كان يصحبه بعض القطع البحرية ، سار القائد جوهر فدخل الاسكندرية بلا حرب ثم عمد

الى الفسطاط فهزم من كان بها من العساكر الاخشيدية واستولى على المخاضة بمنية شلقان ، ومنها عبر الى مصر فدخلها يوم الثلاثاء الخامس عشر من شعبان سنة ٣٥٨ هجرية بعد العصر وأناخ في موضع القاهرة الآن واختط موضع القصر .

وفي اليوم التالي جاء المصريون ليهنئوه فوجدوه قد حفر أساس القصر في الليل ، وقيل كان فيه زورات جاءت غير معتدلة فلم تعجبه فقال :(خوت في ساعة سعيدة فلا أغيرها) [١] واستمر دخول الجيش مدة سبعة أيام فاستقرت به الدار وجاءته الهدايا فلم يقبل من أحد شيئاً ، ووزع الصدقة على المستورين والفقراء وخطب في الجامع العتيق باسم الامام المعز وأمر ببناء مدينة القاهرة وضرب النقود باسم المعز وخصص يوم السبت من كل اسبوع لينظر في المظالم بنفسه وأرسل يخبر الامام بفتح مصر ، فوصلت البشارة الى المغرب في نصف رمضان سنة ٣٥٨ هجرية فسر الامام سرورا عظيما واقيمت الافراح في جميع البلاد وانشد الشاعر ابن هاني الاندلسي قصيدة جاء فيها :

تقول بنو العباس هل فتحت مصر ... فقل لبني العباس قد قضى الأمر
وقد جاوز الاسكندر جوهر ... تطالعه البشرى ويقدمه النصر
وقد أوفدت مصر اليه وفودها ... وزيد الى المعقود من جسرها جسر
أفي الجيش كنتم تمترون رويدكم ... فهذا القنا القراص والجحفل المجر
وقد اشرفت خيل الاله طوالعاً ... على الدين والدنيا كما طلع الفجر
ذروا الورد في ماء الفرات لخيله ... فلا الضحل منه تمنعون ولا الغمر
فبادوا وعفى الله آثار ملكهم ... فلا خبر يلقاك عنهم ولا خبرو
الا تلكم الارض العريضة أصبحت ... وما لبني العباس في عرضها قتر
فقد دالت الدنيا لآل محمد ... وقد جررت اذيالها الدولة البكر
معز الهدى والدين والرحم التي ... به اتصلت اسبابها وله الشكر

---

(١) ابن خلكان ١/٢١٢ اتعاظ الحنفا (١٥٨) خطط المقريزي ٢/٢٠٤

هو الوارث الدنيا ومن خلقت له ... من الناس حتى يلتقي القطر والقطر
وكنزاً من العلم الربوبي انه ... اليك أقر النيل أم غاله جزر
أهنيك بالفتح الذي أنا ناظر ... اليه بعين ليس يغمضها الكفر
وما ضر مصراً حين ألقت قيادها ... هو العلم حقا لا القيافة والزجر
فلو سمع التثويب من كان رمة ... رفاتاً ولبى الصوت من ضمه قبر
لناديت من قدمات حي بدولة ... تقام لها الموتى ويرتجع العمر

ولم تقف جهود جوهر عند هذا الحد بل اذاع منشورا على الجند يحرم فيه أن يقوموا بعمل من أعمال العنف والنهب ، فهدأت البلاد وسكن الناس ، وعاد الأمن الى نصابه ، وفتحت الاسواق ، وعادت الاعمال التجارية الى ماكانت عليه .[١] وباشر جوهر باصلاح المساجد وتحسين السكة والغاء السخرة ، ومنح للشعب الحرية التامة ، مسلمين كانوا أو ذميين في اقامة شعائرهم الدينية كل حسب دينه ومذهبه .

وهكذا زال سلطان الاخشيديين والعباسيين عن مصر ، واصبحت البلاد ولاية اسماعيلية ، وبذلك امتدت الدولة الفاطمية الاسماعيلية من المحيط الاطلسي غربا الى البحر الاحمر شرقا .

مكث القائد جوهر في مصر والياً من قبل الامام المعز فنظم شؤونها الداخلية خير تنظيم ، وكان الغلاء شديدا فعدل الاسعار وحظر بيع الطحين الا باشرافه غير أن بعض الطحانين خالفوا الأوامر فأمر بجمعهم في موضع واحد وضرب احد عشر رجلا منهم وطيف بهم وقضى على مروجي الفتن والقلاقل ، وأرسل جيشا بقيادة ابن فلاح فاستولى على الرملة وطبرية ودمشق وخطب للامام في حلب وحمص .

وفي سنة ٣٦٠ هجرية هاجم القرامطة مصر فقاتلهم جوهر قتالا مريرا حتى

---

(١) ابن خلكان /٣٤٣ .

هزمهم ونادى في جميع أنحاء البلاد من جاء بالقرمطي أو برأسه فله ثلاثة مائة ألف درهم وخمسون خلعة ، وخمسون سرجاً تحل على دوابها • وغزا الاسطول الاسماعيلي الساحل الفلسطيني فاحتله بكامله •

رأى جوهر الصقلي بعد أن استقر له الامر أن الوقت قد حان لحضور الامام المعز ليتسلم زمام الحكم • ويذكر ابن خلكان[1] أن جوهراً كتب بذلك الى الامام المعز اكثر من مرة ، ثم بعث اليه رسولا يحمل اليه خبر خضوع مصر والشام والحجاز لسلطانه ، وأن الدعوة قد أقيمت له في كافة أرجاء هذه البلاد • فقرر الامام أن ينقل عاصمته الى القاهرة ، فاستخلف (بُلكين) بن زيري بن مناد الصنهاجي على افريقية[2] وتوجه الى مصر بأموال كثيرة المقدار ورجال عظيمة الاخطار ، وحمل معه جثث آبائه الثلاثة الذين تولوا الخلافة قبله •

وخرج المعز من المنصورية دار ملكه يوم الاثنين ٢١ شوال سنة ٣٦١ هجرية ومر في طريقه على برقة ودخل الاسكندرية يوم السبت ٢٣ شعبان سنة ٣٦٢ هجرية وهو ممتط جواده ، فقدم عليه القاضي أبو طاهر محمد ابن أحمد وأعيان البلاد ، وسلموا عليه • وجلس الخليفة المعز عند المنارة ذلك اليوم ، وخطبهم خطبة طويلة ؛ فقال انه لم يرد دخول مصر لزيادة في ملكه ولا لمال ، وانما أراد اقامة الحق وحماية الحجاج واعلان الجهاد ضد الكفار ، ووعظهم وأطال في الوعظ حتى استدر دموع الحاضرين ، وخلع بعد ذلك على القاضي وبعض من كان في جماعته ، وحملهم على الخيل المطهمة ، ثم انصرفوا [3] •

ثم غادر المعز الاسكندرية في أواخر شعبان ، فوصل الى ساحل مدينة

---

(١) ابن خلكان ١٣٤/٢ •
(٢) نفس المصدر ١١٥/١
(٣) نفس المصدر ١٣٤/٢

مصر المقابل للجيزة ؛ فخرج اليه القائد جوهر • وترجل عند لقائه وقبل الارض بين يديه • وأقام المعز في الجيزة ثلاثة أيام ؛ ثم أخذت عساكره في العبور الى ساحل مصر • وفي يوم الثلاثاء الخامس من شهر رمضان ، عبر المعز النيل ودخل القاهرة من غير أن يمر على مصر في طريقه ، وقد أقام له الاهلون معالم الزينة على جانبي الطريق ، ظناً منهم أنه سيشرفها بزيارته •

ولما وصل الامام المعز الى القاهرة ودخل القصر الذي بناه له جوهر وصار في احدى ردهاته ، خرّ ساجداً لله تعالى ؛ ثم صلى ركعتين ، وانصرف الناس عنه • وقد أطلق على المدينة اسم القاهرة نسبة الى الخليفة المعز[1] وبعد ان تقبل الامام المعز ماقدم اليه من الهدايا والتحف ، أذن لجماعةالمهنئين بالجلوس في مجلسه وأمر باطلاق جميع من اعتقلهم جوهر من الاخشيديين والكافوريين ، وكانوا نحو الألف •

وفي يوم الجمعة ١٧ محرم تسلم الامام المعز دواوين مصر وجباية أموالها والنظر في أحوالها •

وهكذا أصبحت مصر داراً للخلافة الاسماعيلية وأصبح المعز أول خليفة فاطمي فيها ، وغدت القاهرة بدل المنصورية مركزا للدعوة الاسماعيلية ومقراً للخليفة الفاطمي •

عمل الامام المعز على ترقية العلوم والثقافة وأمر بناء جامع الأزهر وجعله داراً للعلوم ومنهلا للثقافة والفكر ، وشجع العلماء وخصص لهم المبالغ الطائلة فوفدوا عليه من كل قطر حيث وجدوا المساعدات والتشجيع ؛ ووجه الاعتناء الزائد لمكتبة القصر واشرف بنفسه على تأليف الكتب الاسماعيلية ، فتقدمت الفلسفة تقدما باهراً وازدهرت علوم المذهب ، ونبغ في عهده شعراء وفلاسفة نهضت على كواهلهم الدعوة الاسماعيلية ، واهتم أيضا

---

(١) ابن خلكان ١٣٥/٢ ••

بالتنظيمات الادارية وانشأ محكمة للنظر في المظالم ، كما عين الولاة والحكام المشهورين بنزاهتهم وحسن ادارتهم وقضى على الفوضى والمحسوبية والرشوة وعمل على تقوية الجيش وشيد دارا لصنع السفن البحرية ، هـذا ما جعل الاسطول الفاطمي يصبح مفخرة الدول الاسلامية واعظم اسطول في الشرق .

وكان الامام المعز أول من فخم الاحتفال بصلاة الجمعة ، وبالأعياد والمواسم وركوب الخليفة بالمواكب الملكية أيام السبت والثلاثاء ، وأيام الجمع ، واقامة الاسمطة ، وتوزيع الانعامات الدينية والسياسية في المناسبات .

ويذكر التاريخ أن الامام المعز كان شاعراً ، عاقلا ، حازماً أديباً ومن شعره :[1]

أطلع الحسن من جنبك شمسا   فوق ورد في وجنتيك أطلا
وكأن الجمال خاف على الور   د جفافاً فمد بالشعر ظلا

وينسب اليه هذه الابيات :

لله ما صنعت بنا   تلك المحاجر في المعاجر
أمضى وأقضى في النفوس   من الخناجر في الحناجر
ولقد تعبت بينكم   تعب المهاجر في الهواجر [2]

وتحدث المؤرخ ابن اياس عن شعر المعز فقال :

ما بان عذري فيه حتى عذرا   وبدا البنفسج فوق ورد أحمرا
همت بقبلته عقارب صدغه   فاستل ناظره عليها خنجرا[3]

(١) ابن خلكان وفيات الاعيان : ١٥٣/٢
(٢) نفس المصدر : ١٠٣/٢
(٣) تاريخ ابن اياس : ٤٨/١

ويذكر المستشرق الروسي ايفانوف في كتابه المرشد الى أدب الاسماعيلية للامام المعز عدة مؤلفات وهي :[1]

١ ــ كتاب الروضة ــ يبحث في العقائد والمذاهب وقد أملاه على القاضي النعمان بن محمد .

٢ ــ الرسالة الى حسن القرمطي (وهي عبارة عن رسالة أدبية ارشادية)

٣ ــ الرسالة المسيحية .

٤ ــ كتاب المناجاة .

والاسماعيلية يعتبرون الامام المعز الامام السابع المتمم للدور الذي تقدمه لذا فهم يعدونه حاوي لقوة روحية تعادل مجموع القوى التي كان يتمتع بها الأئمة الستة الذين تقدموه ، وهو سابع الاسبوعين أي ناطق الدور ، لان كل سابع هو ناطق الدور ، وصاحب التشريع ، ولهذا أطلق عليه ابن هانىء لقب الرسالة وشبهه بمحمد لأنه ناطق مثله فقال :

وكأنما أنت النبي محمد   وكأنما انصارك الأنصار

وفي الحادي عشر من ربيع الاول سنة ٣٦٥ هجرية في يوم الجمعة انتقل الامام المعز الى جوار ربه بعد أن نص على امامة ولده العزيز ودفن في القاهرة .

* * *

(١) المرشد الى الآدب الاسماعيلي ص ٣٦ .

معروف بن جمر

من أشهر قواد الفرق الفدائية الاسماعيلية في بلاد الشام ، أحيطت أعماله البطولية بهالة من الأساطير تناقلتها الألسن ، وكان لها الصدارة في المنتديات العامة ، وأصبح اسمه على كل شفة ولسان •

ويذكر التاريخ انه كان القائد العام للفرق الفدائية أثناء الحروب التي خاضها الظاهر بيبرس ، يرأس سبعين مقداما ، وكان كل مقدم يرأس ألف فدائي ، وهو مقدم على جميع المقدمين • ولد في قلعة الكهف سنة ٦٢٤ هجرية ، وقيل انه يمت بصلة النسب الى محمد بن الحنفية • انخرط في التنظيمات السرية للفدائية ، وتدرب على أعمالها في مركز الدعوة بمدينة مصياف ، وفي سنة ٦٦٤ هجرية ترأس جيوش الفدائية الاسماعيلية التي حاربت الى جانب السلطان الظاهر بيبرس ، فأبلى البلاء الحسن في جميع المعارك التي خاض غمارها ، وفي احدى هذه المعارك وقع في الأسر غيلة ، وحمل الى مدينة (قيطلان) حيث وضع في سجن سري رهيب ، ولقد تمكن المقدم جمال الدين شيحه ومساعده سعد بن دبل من التخفي بزي جنودالاعداء والذهاب الى (قيطلان) حيث تمكنا من انقاذه والاتيان به الى مصر ، فاستقبل استقبالا عظيماً ، ومن ثم عاد الى حلب مع فدائيته للدفاع عنها والتمركز فيها ، تروي المصادر الاسماعيلية ان المقدم عرنوس بن معروف بن حمير الذي كان يعسكر مع جنوده في القاهرة قد اختلف مع الظاهر بيبرس فالتجأ الى بلاد الروم وتآمر معهم لاحتلال مدينة حلب ، التي كانت تخضع للظاهر بيبرس ، والمكلف بالدفاع عنها والده المقدم معروف بن جمر ، اشتد الحصار على مدينة حلب ، فاغلقت أبواب المدينة ، فجعل المقدم معروف مقر قيادته في باب انطاكية ، بينما سلم مهمة الدفاع عن الابواب الاخرى لكبار المقدمين

الاسماعيلية ويذكر التاريخ ان الأبواب كانت تفتح في الصباح حيث يهاجم الفدائية الاعداء بضراوة ، وفي المساء كانت تغلق الابواب ، وكان المقدم معروف بن جمر يشرف بنفسه على الحراسة وفي ليلة من الليالي الحالكة وجد ميتاً في مركز مراقبته في باب انطاكية ، فحزن عليه الاسماعيليون حزنا عميقا وشيعت جنازته باحتفال مهيب ، ولما علم ابنه عرنوس المنشق بوفاة والده جمع أتباعه ليلا وشن هجوما ليليا على الروم فبعثر صفوفهم ودبت الفوضى في جموعهم ، ففتحت ابواب حلب وعمل الفدائية بالروم قتلا حتى أجلوهم عن حلب ، ولما بلغ الظاهر بيبرس الامر أصدر عفوا خاصاً عن المقدم عرنوس نظراً للخدمات الجليلة التي قدمها والده المقدم معروف ، وعاد الى صفوف الفدائية •

* * *

معروف بن الفتح السرميني

يستدل من المصادر التاريخية على أن هذا الداعي قد لعب دوراً هامة في تنشئة الاسماعيلية في ولاية حلب ، وخاصة من الناحية الفكرية حيث كلف بالاشراف على ادارة (دار الدعوة) في مدينة حلب في عهد مقدم الاسماعيلية (الحكيم المنجم) •

ولد الشيخ معروف بن الفتح السرميني في قرية (سرمين) الواقعة جنوب مدينة حلب وتلقى دروسه الاولية في مدارس الدعوة الاسماعيلية في حلب ومن ثم أرسل الى (آلموت) لاكمال دراسته المذهبية ، فاختص بالفقه والتأويل والفلسفة فاظهر نبوغاً عجيباً وبعد أن أمضى ثلاث سنوات عين قاضياً للمذهب الاسماعيلي في حلب وجعل مقره الدائم في مسقط رأسه سرمين ، وبطبيعة عمله كان يكثر من التردد على حلب ويتجول في كافة المناطق والقلاع الاسماعيلية التابعة لها •

ولما قتل (الحكيم المنجم) الذي كان مقدماً على الاسماعيلية في ولاية حلب وخلفه أبو طاهر الصائغ انتخب الشيخ معروف ليكون نائبا له ومديراً عاما لمدارس الدعوة في ولاية حلب وعرف منذ ذلك الوقت بـ (أبي الفتح السرميني)[1] وجه جل اهتمامه الى خلق جيل جديد من الشباب المتعلم الواعي المثقف ، المدرب على التضحية الفذة والشجاعة النادرة والتفكير الحر الطليق الذي لا يخضع الا لقوة العقل والمنطق ، ولا غرو فقد كان السرميني عالما فاضلا وشاعرا رقيقا ، تدل قصائده التي عثرنا عليها في بعض المخطوطات الاسماعيلية السورية على طول باعه في علم التأويل والفلسفة •

---

(١) نسبة الى قرية (سرمين) التي تبعد مرحلة واحدة الى جنوب حلب •

وبعد أن وقعت بلدته سرمين في أيدي الصليبيين تمكن أبو الفتح من الفرار الى قلعة (أفامية[1]) وذلك سنة ٤٩٩ هجرية ولجأ الى صاحبها خلف ابن ملاعب الكلابي الذي كان من الاسماعيلية المستعلية ، فوثق به واعتمد عليه وقيل اعتنق مذهبه وأصبح نزارياً •

وفي سنة ٥٠٠ هجرية توجه حاكم انطاكية (تنكريد) على رأس جيش جرار لمحاصرة (أفامية) وبعد قتال مرير عاد تنكريد بدون أن ينالها ، ولكنه أعاد الكرة ثانية فاحتلها في نفس التاريخ وأمر باعدام الشيخ معروف السرميني ونخبة من رجاله الاشاوس •

وقيل أن الذي حرض حاكم انطاكية على العودة ثانية الى أفامية هو مصبح بن خلف بن ملاعب الذي تمكن من التسلل أثناء الحصار حيث التجأ الى صاحب انطاكية وأطمعه في آخذها لقلة القوت بها ، فنهض اليها ، ونزل عليها وضايقها ، الى أن تسلمها بالامان ، في الثالث عشر من محرم سنة ٥٠٠ هجرية ، فلما حصل أبو الفتح السرميني الباطني في يده ، قتله بالعقوبة[2] •

* * *

---

(١) تاريخ الاسلام : للذهبي : ٣ ورقة ٥٦١ •

(٢) ذيل تاريخ دمشق : ابن القلانسي : ص ١٥٠ •

منصور العزيزي الجوذري

لا ندري شيئا عن أبي علي منصور العزيزي الجوذري وأصله وتاريخ ولادته ، وكل ما توصلنا الى معرفته ما ذكره هو نفسه في كتابه (سيرة الاستاذ جوذر) وما أورده المقريزي : فهو يقول انه دخل خدمة جوذر كاتبا له سنة ٣٥٠ هجرية ، وأن جوذر « آثرني بما أنا لنيه من جزيل الرتبة وشرف المنزلة عنده ، وجعلني واسطة بينه وبين الخدام تحت يديه واستحفظني على ما يجري بينه وبين مولانا وسيدنا الامام المعز لدين الله صلوات الله عليه من الأسرار مما تضمنته التوقيعات وجرت به المشافهات والكتب الواردات عليه من كل الجهات حتى أني لم أك شيئا مذكوراً فجعل مني أشياء مذكورات »[1] .

ويذكر في آخر الكتاب : « ثم أسعدني الله بخدمتي له ، وأدركني من بركاته ما أوجب له في قلب وليه مولانا وسيدنا قدس الله روحه الرأفة فصيرني مكانه مقدما على أسبابه وجميع أصحابه ، والى الله أرغب بخالص الطلبة أن يختم لي بمثل ما ختم له ، وأن يعين على المفترض من طاعة وليه وابن نبيه وخيرته من خلقه وخالصة عباده عبد الله ووليه نزار أبي المنصور الامام العزيز بالله أمير المؤمنين »[2] هذا كل ماذكره عن نفسه بنفسه في هذا الكتاب .

وتدل هذه المعلومات على أنه كان من الموالي وعلى الأرجح أنه صقلبي ، دخل في خدمة جوذر وتولى الكتابة له ، وتعتبر وظيفة الكتابة من المراكز الكبيرة في النظم الاسلامية كانت تؤهل صاحبها الى أكبر مراتب الدولة حتى

(١) سيرة جوذر ص ٣٣

(٢) سيرة جوذر ص ١٤٧

الوزارة ، وهذه الصفة مكنته من أن يطلع على كافة الوثائق المتبادلة بين الأئمة وجوذر وعلى ما فيها من أسرار هامة ، وطبعي ان سيده كان يطلعه على كافة الوثائق التاريخية المتعلقة بالدولة .

ولقد وقع اختيار المعز عليه ليخلف مولاه جوذر نظرا لانه كان محلا لثقة الأئمة أنفسهم ، وكان مثلا أعلى في الطاعة والاخلاص والوفاء للأئمة . أما ما ذكره عنه المقريزي فيقول : « أبو علي منصور الجوذري الذي كان في أيام العزيز بالله وزادت مكانته في الايام الحاكمية فأضيفت اليه مع الأحباس الحسبة وسوق الرقيق والسواحل وغير ذلك[1] » ويعتبر من أصحاب فن السر في العهد الفاطمي ولكن أثره كله ضاع لولا أن خلده كتابه سيرة الاستاذ جوذر . ولقد أشار ايڤانوف[2] الى هذا الكتاب ومؤلفه فقال « المنصور الجوذري كاتب الاستاذ جوذر موظف كبير في أيام المعز وكتابه سيرة الاستاذ جوذر ، من المرجح أنه كتبه في ذكرى مولاه . ومن كل هذا نستطيع أن نستخلص أن منصور الجوذري كان من أبرع كتاب السر ومن أخلص موالي الأئمة توصل الى مرتبة عالية من مراتب الدولة وكان موضع ثقة الجميع .

* * *

(١) خطط المقريزي : ٣/٧

(٢) المرشد الى أدب الاسماعيلية ص ٤١

الحاكم بأمر الله

أبو علي منصور

لا تزال آراء وأقوال المؤرخين متضاربة متناقضة أشد التناقض حول حياة الخليفة الفاطمي ، الحاكم بأمر الله ، أبو علي منصور ، وكل ما قيل ويقال لا يتعدى التخمين والاستنتاج ، والافتراض غير مدعوم بالحجج الدامغة والبراهين التاريخية الصادقة .

يذكر البعض ان الامام الحاكم بأمر الله كان ظالما يميل الى سفك الدماء ، وأنه كان مريضا في عقله ، مما جعله يتصرف تصرفات اعتباطية لا تصدر — حسب زعمهم — الا عن انسان مصاب بخلل في قواه العقلية . بينما نرى البعض الآخر يدحض هذه الآراء والأقوال وينفي تلك الفرضيات ، فيؤكد ان الامام الحاكم كان على عكس ما قيل فيه تماماً ، فعهده عرف بالعدل المتناهي ، والجود العظيم ، والصلات الواسعة ، شجع العلم وحافظ على المجتمع من الفساد ، والانحلال ، والفسق والفجور ، وها هو الانطاكي ، الكاتب المسيحي ، المنصف ، يقول[1] : « أظهر الحاكم من العدل مالم يسمع به ، وكان له جود عظيم ، وعطايا جزيلة ، وصلات واسعة ، وكان نصيرا للعلوم والآداب » وقال أيضا عبد الله عنان الكاتب والمؤرخ متحدثا عن زهد الامام الحاكم وتواضعه : « كان الامام الحاكم يحتقر الألقاب ، كما يحتقر متاع هذه الدنيا ، اشتهر بالزهد والورع والتقوى ، أدهش الناس بتصوفه الفلسفي ، واقتصر طعامه على أبسط ماتقتضيه الحياة من القوت المتواضع ». ونحن الذين آلينا على أنفسنا أن نطلق كلمة الحق عالية مجلجلة ، لا يسعنا الا أن نقول : ان كل ما احيط بشخصية الامام الحاكم لم يكن الا من قبيل

(١) تاريخ الانطاكي ص (٢٠٦ — ٢٠٧) .

الدس والتحامل والعصبية الدينية المذهبية ، أو بالاحرى حكم بعض المؤرخين على الامور قبل التشبع من دراستها ، فامام ينحدر من العترة الطاهرة لا يمكن أن يصدر عنه الا الخير العميم لصالح البشرية جمعاء لانه وجد في الكون لا لتخليص الانفس من الادران التي علقت بها في عالم الكون والفساد ، ولانارة ظلمات القلوب وبعث الحياة في النفوس المجدبة .

ولد أبو علي منصور بن المعز لدين الله أبي تميم بالقصر الملكي في القاهرة المعزية ليلة الخميس[1] الثالث والعشرين من ربيع الاول سنة ٣٧٥[2] هجرية في الساعة التاسعة والطالع عن برج السرطان سبع وعشرون درجة . تولى الخلافة والامامة بعد وفاة أبيه وسلم عليه في مدينة بلبيس بعد الظهر من يوم الثلاثاء العشرين من رمضان سنة ٣٨٦ هجرية ، وسار الى القاهرة يوم الاربعاء بسائر أهل الدولة وبويع بالامامة ولقب (بالحاكم بأمر الله) وكان عمره يومئذ ١١ سنة وخمسة أشهر وستة أيام . قام بواجبه نحو مملكته وأمته خير قيام ووجه اهتمامه الزائد للناحية العلمية فنشط الحركة الفكرية ، فراجت الثقافة ، وزخر البلاط الفاطمي بالعلماء والشعراء والادباء ، وجعل من المساجد مثابة للعلماء وخاصة فقهاء المذهب الاسماعيلي فكانوا يحاضرون الناس في عقائد المذهب وأصوله .

اشتهر الامام الحاكم بالسخاء والبذل ، انشأ ديوان (المنفرد) خاصة لاضافة الاموال المصادرة من الاغنياء والخارجين على القانون الى أموال الرعية ، وأصدر نظاما خاصا للبر والعطايا ، توزع بموجبه الاموال على الفقراء والمعوزين والمحتاجين[3] فكثرت الانعامات في عهده على جميع

(١) قبل ليلة الجمعة ٢٤ ربيع الاول والأصح ليلة الخميس .

(٢) وفيات الاعيان ٢/١٨٥ اتعاظ الحنفا للمقريزي ص (٢٩٩) .

(٣) وفيات الاعيان ٢/١٨٥

المستحقين مما جعل أمين الامناء حسين بن طاهر الوزان يتوقف عن صرفهـا فكتب اليه الامام الحاكم بخطه بعد البسملة :

الحمد لله كما هو أهله :

أصبحت لا أرجو ولا أتقـي   الا الهـي ولـه الفضـل
جـدي النبي وامـامي أبي   وديني الاخـلاص والعـدل

المال مال الله عز وجل ، والخلق عباد الله ، ونحن امناء في الارض أطلع أرزاق الناس ولا تقطعها والسلام[1] .

وأمر بانشاء دار الحكمة لتكون جامعة علمية ففتحت أبوابهـا في ١٠ جمادى الآخرة سنة ٣٩٥ هجرية وأوعز بنقل بعض الكتب الثمينة من مكتبة القصر الى دار الحكمة ، وأمها الناس على اختلاف طبقاتهم وتباين ثقافتهم ، فمنهم من كان يحضر لقراءة الكتب ، ومنهم من يحضر للنسخ ومنهم من يحضر للتعلم ، وجعل فيهـا ما يحتاج النـاس اليه من الحبر والاقلام والورق[2] وخصص قسما منهـا لاجتماع الدعاة والفقهاء لتنظيم الدعوة الاسماعيلية ولالقاء مجالس الحكمة التأويلية فدخل كثير من الناس في المذهب الاسماعيلي وازدحمت دار الحكمة بالمستجيبين وقيل ان بعض الناس كانوا يموتون من كثرة الازدحام ، وخصص يومين في الاسبوع لحضور تلك المجالس ، وكانت دار الحكمة من أعظـم وأفخم المؤسسات العلمية وأرقاها في ذلك العصر . انفقت عليهـا الاموال الطائلة . وفرشت بأحسن الاساس ، وزينت بأجمل النقوش ، وكان الامام يشرف بنفسه على اقامة المناظرات بين العلماء والفقهاء ويهبهم العطايا والمنح[3] .

(١) خطط المقريزي ٤/٨٤
(٢) نفس المصدر ٢/٣٣٤
(٣) تاريخ الانطاكي ص ٢٠٦ — ٢٠٧ خطط المقريزي ٢/٣٣٢ — ٣٣٤

وأنشأ دار العلم سنة ٣٩٥ هجرية وجعلها جزءا من قصره وحضرها الناس على اختلاف طبقاتهم وتباين ثقافاتهم وكان الداعي يجلس فيها ويجتمع اليه من التـلاميذ من يتكلم في العلوم المتعلقة بمذهبهم ، كمـا خصص مكانا لاجتمـاع داعي الدعاة بالدعاة والفقهـاء لتنظيم أمور الدعوة ، وانتشرت الترجمة انتشارا يدعو الى الاعجاب ، وهكذا بلغت النهضة الفكرية أقصى درجات الازدهار مما جذب طلاب العلم الى القاهرة من كافة أرجاء البـلاد الاسلامية ، فكان يقدم اليهم المآكل والمسكن وكل ما يوفر عليهم وسـائل المعيشة وأسباب الراحة .

ولقد أجرى الخليفة الحاكم بأمر الله كثيرا من الاصلاحات والارشادات الاجتماعية كان لها الاثر الكبير في خلق مجتمع قوي صـالح مؤمن بالقيم الروحية والانسانية ، وحرم بيع الخمور وشربها ، كما منع النساء من التبرج والخروج لزيارة القبور ، ودخول الحمامات العـامة ومحي صـورهن من الحمامات[1] ومنع الرجال من التسكع في الشوارع والوقوف أمام الحوانيت وحرم أيضا تناول بعض الاطعمة كـ(الملوخية) وأمر بأن لا يقبل أحد الارض ولا يقبل ركابه ويده عند السلام عليه في الموكب ، ومنع الالقاب وأكثر من الخروج لوحده ليلا والجلوس مع المؤمنين الموحدين المخلصين[2] وفي يوم الاثنين السابع عشر من ربيع الاول سنة ٣٩٣ هجرية بدأ في اكمال جـامع الازهر وبنى جامع راشده وشيد عدة مساجد في مدينة القاهرة وحمل اليها من المصاحف والآلات الفضية والستور والحصر السامانية ما له قيمة طائلة .

وفي سنة ٤٠٣ هجرية أمر باحصاء المساجد التي لا غلة لها فوجدت ٨٣٠ مسجدا فرصدت لها النفقات اللازمة .

وفي سنة ٤٠٥ هجـرية وقف الضياع والاموال على العلمـاء والفقهاء

(١) وفيات الاعيان ٢/١٨٧
(٢) تاريخ الدعوة الاسماعيلية ١٦٥

والمستشفيات ووزع أمواله الخاصة على المساجد والفقراء ودور العلم .

هذا من ناحية التنظيمات الداخلية ، أما من النـاحية الخارجية فقد عين الولاة الموثوق بهـم على الاقاليم والجزر ونظم الدعوة الاسماعيلية تنظيما دقيقا فوزع الدعاة الاكفاء على الجزر والاقاليم والبـلدان فانتشرت الدعوة الاسماعيلية بواسطتهم وعظم أمرها ونبغ دعاة علماء كان لهـم شأن عظيم في نهضة مصر العلمية .

ومع هـذا لم يخل عهده من الثورات والحروب وكان يرسل الجيوش لقمعها بالشدة والحزم ، ولقد أرسل جيشا لقتال الروم في غـزة وعسقلان بقيادة خـادمه (يمن) فقتل من الروم خمسة آلاف ودخـل جيشه مدينة (مرعش) كما قضت جيوش الحاكم على ثورة أبي ركوة الاموي وعسكره بعد أن قتل منهم ستة آلاف وأسر مائة وقبض على أبي ركوة فاعدم .

وفي سنة ٤٠٠ هجرية أرسل جيشا آخرا بقيادة علي بن صالح الى بغداد فاجتاحها واستولى على بلاد فارس .

وفي سنة ٤٠٥ وفد على مصر حمزة بن علي الزوزني ، وانتظم في سلك دعاة الفرس الذين كانوا يختلفون الى دار الحكمة وأخـذ ينشر في الخفاء الدعوة الى تأليه الحاكم بأمر الله ، واجتمع اليه جماعة من غلاة الاسماعيلية ، وتلقب بهادي المستجيبين ، وفي سنة ٤٠٨ هجرية جهر حمزة بن علي بدعوة آلوهية الحاكم وصنف كتابا ذكر فيه أن روح الله متجسدة في الحـاكم ، فانضم اليه الداعي الحسن بن حيدرة الفرغاني المعـروف بالاخرم ، ومحمد ابن اسماعيل أنوشتكين البخاري الدرزي ، وقيل انهم كانوا عندما يشاهدون الحاكم في الشوارع يصيحون قائلين له[1] :

« أنت الواحد الاحـد والمحي والمميت ، ويخـرون له سجدا ويقبلون

---

(١) ابو المحاسن جـ ٢ رقم ١ ورقة ٦٨ ــ نهاية الارب : ٥٩/٢٦ للنويري.

الارض » مما أثار سخط الاهلين وخاصة الذين كانوا لا يزالون ينـاوئون سياسة الاسماعيلية ، فهب علمـاء الاسماعيلية ودعاتها للرد على دعاة تأليه الحـاكم ، حتى ان الداعي الكبير والفيلسوف العظيم أحمد حميد الـدين الكرماني أكبر علماء المذهب الاسماعيلي حينذاك اضطر أن يترك مقره بالعراق، ويفد الى مصر ليهديء ثورة الدعاة الاسماعيلية ضـد فكرة تأليه الحـاكم بأمر الله ، وان يفند آراء دعاة التـأليه ، فكتب في ذلك رسالته (الرسـالة الواعظة) يثبت فيها كفر والحاد كل من تحدثه نفسه بتأليه الامام . وسرعان ما قامت ثورة في مصر ضـد هؤلاء الدعاة وقتلوا اخ تكين وبعض أتبـاعه وهرب الدرزي وحمزة الى سورية حيث استطاعا أن يجدا شيئا من النجاح في جذب بعض قبائل بني كلب الى آرائهما ، وأوجدوا فرقة خاصة منشقة عن الاسماعيلية عرفت (بالدرزية) وقد اتخذت فيما بعد عقائد وآراء خالفت العقائد والآراء الاسماعيلية وسنتحدث عنها في غير هذا المكان .

اعتاد الامام الحاكم كمـا أسلفنا سابقا أن يخرج وحيدا لتفقد شؤون مملكته في الليل وللنزهة خارج مدينة القـاهرة وفي ليـلة الاثنين ٢٧ شوال سنة ٤١١ هجرية خرج الحاكم كعادته ولم يعد فأعلنت غيبته ووفاته في ذلك التـاريخ .

وهنالك اختلافات كبيرة وآراء متضاربة حول وفاة وغيبة الامام الحاكم بأمر الله لم يتفق عليها حتى الآن ، وكل ما ذكر بهذا الخصوص لا يتعـدى الافتراض والاستنتاج : قال البعض من اولئـك المؤرخين بأن شقيقة الامام قد دبرت مؤامرة سرية للقضاء عليه فلما خرج للتنزه فتك به بعض المجهولين وأخفوا جسده عن الانظار ، وقيل أيضـا ان بعض اللصوص قد اعترضوه وقتلوه ولما علموا انه الخليفة أخفوا جثته عن الانظار . والحقيقة التي لا غبار عليها ان وفاة الامام الحاكم لم تكن سوى وفاة طبيعية بعد أن سلم شؤون الامامة لولده الظاهر ، وهـذه الوفاة حيرت عقول العلماء والمؤرخين الذين

لا يزالون حتى الآن يتحرون عن أسبابها وعلاتها ، ونحن نؤكد لهم أنها نوع من الغيبة الجسدية ، أما الروح الطاهرة فقد سارح في عقبه وستظل تنتقل من واحد الى آخر حتى نهاية الوجود .

والخلاصة انعهد هذا الامام يعتبر سلسلة من الاعمال الخيرية والاصلاحات الاجتماعية المتعددة منـذ اللحظة التي بدأ بها مسؤوليته اماما للاسماعيلية وخليفة للمسلمين ، وفي عهده تقدمت الثقافة تقدما عظيما لم يعرف له التاريخ مثيلا ، كيف لا وقد كان الامام نفسه عالما وأديبا وشاعرا ينسب اليه صاحب النجوم الزاهرة هذه الابيـات[1] :

دع اللوم عنـي لست مني بموثق
فـلا بد لي من صـدقه المتحنـق
وأسقي جيـادي من فرات ودجـلة
واجمـع شمل الدين بعـد التفرق

وقيل انه كان يلذ له سماع الشعر ممن يحسنون النشيد . وكانت مدة خلافته خمسا وعشرين سنة وشهرا .

* * *

(١) النجوم الزاهرة ١٩٦/٤

موسى بن حسن القصـار

ظل الاسماعيليون يتمتعون بنفوذ كبير ، وأصبح ملوك الفرنجة يخشون بأسهم ، ويدفعون لهم الجزية ، ويقدمون الهدايا الثمينة لرئيس الدعوة في منطقة مصياف الشيخ نجم الدين الشعراني[1] وولده صارم الدين مبـارك ابن الرضي صاحب قلعة (العليقة) .

ولما اجتاحت جيوش المغول بلاد الشام ، أظهر الاسماعيلية جـرأة نادرة وشجـاعة عظيمة حيث تمكنوا من اغتيال بعض قواد تلك الجيوش ، فاستاء منهم المغول ، وحاصروا قلعة مصياف والكهف والقدموس والخوابي سنة ٦٥٨ هجرية فترة من الوقت حتى سقطوا في أيديهم ، فتفرق شمـل الاسماعيلية وتبعثرت قواهم ، فاضطروا الى الانزواء حتى أقبلت جيوش قطز المصـرية فانضموا اليها مع من انضم الى تلك الجيوش من العرب والتركمان ، وواصلوا السير لملاقاة المغول ، فقابلوهم في (عين جالوت) وبعـد أن أوقع المغول بالجيش المصري ، تعاون امراء العرب والمماليك والاسماعيلية بقيادة الظاهر بيبرس ، فدحروا المغول وقتلوا قائدهم (كتبغا) فارتدت القوات المغولية الى دمشق حيث انضمت اليهم حاميتها ، وثار أهالي دمشق فذبحوا المسيحيين لتآمرهم على زوال الاسـلام . ولما دخل قطز دمشق أعاد الامن الى نصابه في جميع المدن المخربة ، كما أعاد امراء الايوبيين على ولاية حمص وحمـاه على أن يدفعوا الجزية ، وكافأ الاسماعيلية بأن أعاد لهم قلاعهم وأقر الشيخ نجم الـدين الشعراني رئيسا اداريا لتلك القـلاع ومنحه بعض الامتيازات السياسية . وبعد مقتل الملك المظفر قطز وقع اختيار الامراء على الامير ركن

(١) عقد الجمان : العيني : ج ٢٠ المجلد الثالث ورقة ٥٢٩ المقريزي : السلوك ص ٥٤٣ .

الدين بيبرس البندقداري ، فبايعوه في الصالحية قبل وصولهم الى القاهرة[١] ولقب بالملك القاهر ركن الدين بيبرس الصالحي ، فأشار عليه وزيره زين الدين ابن الزبير بتغيير هذا اللقب ، فاستمع بيبرس لمشورته وتلقب بالملك الظاهر[٢] ولم يصف الجو تماما لبيبرس بعد اعتلائه عرش مصر ؛ اذ خرج بعض الامراء عن طاعته وطالبوا بالملك لأنفسهم • ومن هؤلاء علم الدين سنجر الحلبي نائب الملك قطز بدمشق • ولما علم بيبرس بخروج سنجر عليه ، جهز جيشا لمحاربته ؛ فوصل الى دمشق في صفر سنة ٦٥٩ هجرية ، والتقى بجيش سنجر الحلبي بظاهرها فتغلب عليه وفر الحلبي وأتباعه الى قلعة دمشق ، ومنها هرب ليلا الى بعلبك فتبعه العسكر وقبضوا عليه وحملوه الى مصر ، وولي الظاهر مولاه علاء الدين على دمشق •

وبعد أن وطد بيبرس سلطته في مصر وجه جل اهتمامه لطرد الصليبيين من سواحل الشام • فعقد عدة محالفات مع الدول المحيطة بمملكته ، وزحف بجيوشه من مصر الى بلاد الشام واقتحم عكا سنة ٦٦١ هجرية وشتت شمل الصليبيين ، ومن ثم سار ثانية الى بلاد الشام سنة ٦٦٣ هجرية على رأس جيش كبير لمحاربة التتر الذين هاجموا حلب ، وما كاد يصل الى غزة حتى بلغه أنهم طردوا من حلب فعاد الى القاهرة للقضاء على بعض الثورات الداخلية ، وبعد أن تم له ما أراد عاد الى بلاد الشام فنزل غزة ورحل منها الى صفد وسار الى دمشق ، والظاهر ان زعيم الاسماعيلية في جهات مصياف نجم الدين الشعراني وولده صارم الدين لم ينزلا لاستقبال الظاهر بيبرس عندما نزل بالقرب من حماه كغيرهم من الرؤساء والزعماء ، فاستاء منهما وأمر بعزلهما ، وأرسل جيشا بقيادة الامير عز الدين العديمي لاحتلال قلاع الاسماعيلية في جهات مصياف •

---

(١) عيون التواريخ : ابن شاكر الكتبي : ج ٢٠ ورقة ١٨٦ •

(٢) أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر ، ٢٠٨/٣ ، النجوم الزاهرة : ابو المحاسن ١٨٦/٣ •

ولكن الاسماعيليين استقبلوا الامير عز الدين بالترحاب وأعلنوا عن صداقتهم للسلطان وانهم لن يدخروا وسعا في سبيل تقديم المساعدات التي يطلبها منهم ، وبعد أخذ ورد ومفاوضات عقدت بين السلطان الظاهر بيبرس والاسماعيلية في عموم بلاد الشام معاهدة صداقة ، وقيل ان السلطان بيبرس أقطع الاسماعيلية بعض الاراضي المصرية ليستوطنوها[١] •

هذا ما حصل للاسماعيلية في جهات مصياف وتوابعها ، أما الاسماعيلية في ولاية حلب فقد ساهموا مساهمة فعالة في رد غارات التتر ، فازداد نفوذهم ، وانتشرت دعوتهم بفضل القيادة الحكيمة التي أظهرها زعيمهم العلامة الشيخ موسى بن حسن القصار •

كانت ولادة الشيخ موسى بن حسن القصار في بلدة شيزر من أعمال حماه سنة ٦٢٣ هجرية تلقى علومه الاولية على دعاة الاسماعيلية في مدارس الدعوة بحلب ، فأظهر نبوغا عجيبا مكنه من الانخراط في تنظيمات الدعوة السرية فأرسل الى (آلموت) في فارس لتلقي الدروس النهائية على أيدي كبار العلماء والفلاسفة الاسماعيلية ، ومن ثم عينه الامام شمس الدين رئيسا للدعوة في ولاية حلب فوصلها سنة ٦٥٥ هجرية ، وجعل مقره في مدينة حلب ، وكان أول عمل قام به أن استأصل شأفة الخلافات الداخلية بين الاتباع فوحد صفوفهم ، وتقرب الى السلطات الحاكمة واشترك مع نجم الدين الشعراني في التوقيع على معاهدة الصداقة مع السلطان الظاهر بيبرس ، الذي اعترف بموجبها بصيانة حقوق الاسماعيلية واحترام عقائدهم والسماح لهم بمزاولة نشاطهم الديني والسياسي ، واختار منهم الوزراء والقواد وحرسه الخاص ، كما فرضت تلك المعاهدة على الاسماعيلية تقديم المساعدات العسكرية لمؤازرة السلطان في حروبه مع الصليبيين ، فساهم الاسماعيلية بسبعين مقدما من

---

(١) نهاية الارب : للنويري : ٢٨ ورقة ٢٥٤ — ٢٥٥ ، السلوك ، للمقريزي ص ٥٨٦ — ٥٨٧ •

جيشهم يرأس كل منهم ألف مقاتل ، وتولى الوزارة منهم (آغا شاهين[1]) و (علاء الدين حسن) و (عز الدين ايك) كما اسندت قيادة الاسطول الى (محمد البطرني أبو بكر[2]) وعين العلامة بدر الغفير ممثلا للسلطان لدى الامبراطورية الرومانية في روما • وقاد المقدمين ابراهيم بن حسن الحوراني ، وسعد بن دبل واسماعيل أبي السباع الفرق الاسماعيلية لاحتلال طرابلس الشام •

وفي سنة ٧١٥ توفي الشيخ موسى بن حسن القصار ودفن في مدينة حلب باحتفال كبير وقيل انه سار وراء نعشه عشرون ألف اسماعيلي بلباسهم العسكري • ولا تزال في باب الحديد بجانب قلعة حلب قاعة تحمل اسم هذا العالم الكبير • وخلفه في رئاسة الاسماعيلية المقدم معروف بن جمر صاحب حصن صهيون والذي مرت ترجمته •

* * *

(١) آغا شاهين الاخرم ، وقيل انه زوج ابنته الى المقدم ابراهيم بن حسن الحوراني •

(٢) مدفون في اللاذقية على شاطيء البحر وقبره مشيد ويزار حتى الآن •

ميمون القداح

احتلت اسرة القداح مكانا مرموقا في تاريخ الدعوة الاسماعيلية في دورها الاول منذ عهد الامام جعفر الصادق ، وكان الأئمة يعتمدون على أفراد هذه الاسرة التي قدمت للاسماعيلية أعظم الخدمات •

وكان مؤسس هذه الاسرة الداعي الكبير ميمون القداح أول من اتخذه الأئمة المستوريون حجة ونائبا لهم ، ويذكر التاريخ أن الامام جعفر الصادق جعله حجابا وسترا على حفيده محمد بن اسماعيل أو الأئمة المستورين ، ولقد كان ميمون راوية للامام محمد الباقر وابنه الامام جعفر الصادق وقيل انه ينتسب الى عقيل بن أبي طالب ، وتقول المصادر الاسماعيلية أنه يرجع في نسبه الى سلمان الفارسي ، ويعرف بميمون بن غيلان بن بيدر بن مهران ابن سلمان الفارسي ، يكتنف ولادته الغموض والابهام ، ولكن بعض المصادر توضح أنه ولد في مكة وانتقل الى الأهواز ، وقيل أيضا انه جاء من محل في الاهواز يدعى قورج العباسي ونزل عسكر مكرم ثم ذهب الى ساباط أبي نوح ، ويذكر صاحب كتاب زهر المعاني[1] أن الامام جعفر الصادق شاء أن يقيم لولده حجبا ومستودعا كما أوصى هارون موسى أن يقيم لولده كفيلا ، فاقام له يوشع بن النون سرا عليه وحجابا له ، فسلمه أعني مولانا محمد بن اسماعيل الى ميمون بن غيلان قدس الله روحه فرباه وأخفى شخصه وهو ابن ثلاث سنوات مع ميمون القداح ، وهو كفيل له ومستودع أمره ، وميمون من أولاد سلمان ، وسلمان من أولاد اسحق بن يعقوب أهل الاستيداع والقائمين بالبلاغ والابلاغ ، أي أن ميمون وابنه عبد الله من بعده

(١) زهر المعاني ص (٤٧ — ٤٩) •

كانا حاجبين ومستودعين لأسرار أولاد اسماعيل بن جعفر الصادق •

ولقد ثارت عاصفة من النقاش التاريخي حول ميمون القداح وعلاقته بالأئمة الاسماعيليين استمر حتى عصرنا الحاضر ، ولقد اعتبر البعض أن ميمون القداح هو مؤسس الدعوة الاسماعيلية وأن أئمة هذه الدعوة ينتسبون اليه ، وقال البعض الآخر أن ميمونا كان يهوديا ديصانيا عمل على تهديم الدين الاسلامي ونشر الالحاد والزندقة وذهب آخرون الى القول بأن الفاطميين ينتسبون الى هذا الديصاني اليهودي ونحن في هذا الصدد لا يسعنا الا أن نقول بأن قصة انتساب الأئمة لميمون القداح خرافة لا يؤيدها المنطق ولا المراجع الاسماعيلية ، أو الحوادث التاريخية •

والقول في أن ميمونا ربما كان هو نفسه محمد بن اسماعيل الامام الاسماعيلي المستور فمردود لان المصادر الاسماعيلية تذكر أن ميمونا من نسل سلمان الفارسي ومحمد بن اسماعيل هو من نسل علي وفاطمة •

لما اشتد الضغط العباسي على الامام الاسماعيلي محمد بن اسماعيل توجه بصحبة ميمون القداح الى طبرستان ومنها الى فلسطين حيث انصرف ميمون التي التأليف وجذب الاتباع لاعتناق المذهب الاسماعيلي ومن ثم عاد الى سلمية حيث وضع اسس وتنظيمات الدعوة السرية ووزع الدعاة على مختلف البلدان والاقاليم ، وألف كتابه (الميزان) وكتاب (الهداية) وغيرهما من المؤلفات التي تشرح للمستجيبين اصول المذهب الاسماعيلي ، ويعتبر ميمون القداح أول فيلسوف عربي درس وتفهم الفلسفة اليونانية بعمق وخاصة فلسفة أفلاطون وارسطاطاليس وقد عمل على ادخال هذه الفلسفة في اصول المذهب الاسماعيلي •

والخلاصة كان ميمون القداح فيلسوفا وعالما من أنبغ علماء عصره ومن أعظم منظمي الدعوة الاسماعيلية ، وعلى يده ازدهر المذهب الاسماعيلي ازدهارا عظيما فأقبلت الجماهير على اعتناقه بقوة وحماسة منقطعة النظير •

ولا يزال هذا الفيلسوف العبقري يحتل مكانا مرموقا لدى الاسماعيليين الذين يعتبرونه بحق أول من وضع أسس وتنظيمات دعوتهم التي شع نورها من سلمية فعم الجزيرة العربية وكافة البلدان المجاورة لها ، ومهما اختلف المؤرخون والعلماء في تحليل شخصية هذا الداعي الكبير فلم يكن سوى خادم أمين لامامة ولدعوته •

ومن الأرجح أنه استقر في سلمية في اواخر حياته للتأليف والتصنيف ومات فيها في نهاية القرن الثاني للهجرة ودفن فيها •

* * *

حرف النون

نـــاصر خســـرو

تذكر بعض المصادر التاريخية ان كثيرا من الخرافات والاقاصيص قد نسجت حول شخص الشاعر الحكيم والفيلسوف الرحالة (ناصر خسرو) وجميعها مستمدة من السيرة التي توجد في مقدمة ديوانه الذي طبع في (تبريز) وهي عبـارة عن أخبار اختلطت فيها بعض الخرافات المتعلقة بغيره من الرجـال ، ثم انتهت بحكاية نسبوها الى شقيق الفيلسوف ورووها عن لسانه ، وهي تذكر ان ناصر خسرو قد مات بعد أن بلغ من العمر ١٤٠ عـاما وان الجن قد تولت حمل جنازته ودفنه ، ولا غرو أن تنسج حول شخصية ناصر خسرو الذي يعتبر من أعجب الرجال وأنبغهم مثل هذه الخرافات التي لا تمت الى الحقيقة والواقع بأية صلة •

ولد الشاعر الرحالة وحجة خراسان الداعي الاسماعيلي الحكيم أبو معين الدين ناصر بن الحارث القبادياني [١] المروزي البلخي البدخشاني سنة ٣٩٤ هجرية في بلدة بلخ ، وقيل في (قباديان) • نشأ وترعرع في اسرة عرفت بميولها الاسماعيلية ، تأدب وتعلم على أيدي الفلاسفة والدعاة الاسماعيلية ، فاظهر نبوغا عجيبا ، وشاعرية فذة ، وتفوق في علوم الرياضيات ، ثم التحق بخدمة السلطانين الغزنويين (محمود) ثم ابنه (مسعود) •

وبعد أن افلح السلاجقة بالقضاء على الدويلات الشرقية والأمـارات الصغيرة ، وأصبح الامر لهم التحق بخدمة (جفري بك السلجوقي) حاكم خراسان وتولى أمر خزانته في (مرو) وكان يدأب على قراءة آراء (الفارابي)

---

(١) نسبة الى قاديان ، ومرو ، بلدتان في فارس الاولى واقعة بالقرب من (بلخ) والثانية ولاية بالقرب من ترمز على نهر (جيحون) •

و (ابن سينا) واشتغل بتحصيل العلوم والبحث في الاديان والعقائد والاطلاع على الفضل والعلم والحكمة •

وباعتباره كان مرتبطا ارتباطا كليا بمنظمات الدعوة الاسماعيلية السرية فقد أوعز اليه حجة خراسان في ذلك الوقت أن يتوجه الى القـاهرة ليمثل بين يدي الامام المستنصر وليحضر مجالس الحكمة التي ستؤهله فيما بعـد ليحل محل الحجة المذكور • وبالفعل قام برحلته سيرا على الاقدام ، وقد وصف هذه الرحلة بكتاب سماه (سفرنامه) سنأتي على ذكره فيما بعد • وبعد عودته من القاهرة عرف (بحجة خراسان) وظل يعمل بنشاط في سبيـل نشر مذهبه حتى شعر به امراء السلاجقة وعلماؤهم ، مما اضطره الى الهرب الى مدينة (فاربمكان) فظل فيها حتى توفي في صبيحة يوم الجمعة في الثامن والعشرين من ربيع الاول سنة ٤٨٠ هجرية وقد رثاه أخوه ابو سعيد فقال :

طويت بلاد الله علَّمت حكمـة ... وحـيرت بين الناس قرماً ممجدا
وقد فقت بيلاغوس بأسوءِ حاله ... والزمت افـلاطون لهفاً مسددا
تحليت بالتقوى ومـا يعترى بها ... ورقيت معراج السلاطين بالندى
وجاهدت خمساً وعشـرين ليلة ... وسافرت بالأبطاح كالطير تغتدى
ملأت الدنيا بالمدح والذم شاهداً ... وصادفت مأمول البريـة سرمدا
فأسكنت غور الغار غير مغـائر ... سوى رحمة الله الكريم وقد بدا
سقاك اله النـاس سقياً مـروياً ... والبسك الغفران ياناصر الهدى[١]

ترك هذا الفيلسوف الحكيم والداعي الكبير مؤلفات كثيرة تعتبر من أشهر الكتب الادبية والفارسية التي صنفت في عصره ، ومن أهمها :

١ ـ كتاب (سفر نامه) وهذا الكتاب ذكر فيه رحلاته وقسما هاما من تاريخ حياته وقد ترجمه المستشرق (شيفر)[٢] الى اللغة الافرنسية كما

---

(١) جامع الحكمتين ـ المقدمة ص ١٩ •

(٢) باريس سنة ١٨٨١ ميلادية وطبع ثانية سنة ١٣٠٤ هجرية •

نقله الى العربية الدكتور يحيى الخشاب[1] لذا رأينا أن نستعرض بعض ما ذكره حول رحلته الى القاهرة نظرا لاهميتها التاريخية :

قال : « وفي خريف سنة ٤٣٧ هجرية رأى في منامه رجلا يحذره من شرب الخمر ، فأقلع عنها ، ثم عزم على الحج الى مكة ، وكان عمره اذ ذاك يقرب من الاربعين فاغتسل وتطهر وذهب الى جامع (جزجانان) ودعا الله أن يتقبل توبته ، وان يعينه على ترك المعاصي والسيئات ، ثم خرج في رحلته في يوم الخميس السادس من جمادي الآخر سنة ٤٣٧ هجرية » . ويذكر أنه سار بطريق (شبورغان) الى مدينة (مرو) وبعد أن استقال من عمله توجه الى مدينة (نيسابور) وخرج منها برفقة السيد « الموفق » فزار الشيخ الاسماعيلي وحجة خراسان (بايزيد البسطامي) في مدينة (قومها) ثم تركها وحيدا الى مدينة (سمنان) مارا بمدينة (دامغان) وهناك تعرف على شاب اسمه (الاستاذ علي النسائي) من تلاميذ (أبي علي سينا) كان يحاضر الطلاب على الحساب والهندسة والطب ، ثم اجتاز (قزوين) ووصل الى تبريز في ٢٠ صفر سنة ٤٣٨ هجرية وهناك تعرف بالشاعر قطران وفسر له جملة مقطوعات صعبة من أشعار الشاعرين (الدقيقي) و (منجيك) ثم خرج من تبريز الى (وان) ثم (اخلاط) ثم (بطليس) ثم (ارزن) ثم (حيافارقين) ثم (آمد) ومنها الى حلب ثم عرج على معرة النعمان حيث تلاقى بالشاعر الفيلسوف (ابي العلاء المعري) وبعد أن قضى فترة وجيزة ارتاح فيها قليلا من عناء السفر ثم توجه الى (حماة) ثم الى طرابلس فبيروت ، ثم الى صيدا وصور وعكا ثم الى حيفا ،فغادرها بطريق البحر متوجها الى مصر ولكن الرياح أجبرته على العودة فسار الى القاهرة عن طريق البر فوصلها يوم الاحد السابع من شهر صفر سنة ٤٣٩ هجرية وكان وصوله ابان خلافة الامام المستنصر بالله فرحب به وادخله دار الحكمة ليتلقى آخر تدريب فيه على

(١) نشر في القاهرة سنة ١٩٤٥ ميلادية .

اصول المذهب الاسماعيلي .

ظل ناصر خسرو في مصر ثلاث سنوات استطاع خلال هذه المدة ان يتحقق من عظمة الامام المستنصر بالله الخليفة الفاطمي وما اتصف به من عدل وادارة حكيمة متزنة ، وبعد أن أنجز دراسته استدعاه الامام المستنصر واعلمه بانه وقع اختياره عليه ليكون كبيرا للدعاة في (خراسان وبدخشان) وتوابعهما في الاقاليم الفارسية وانه منحه رتبة (الحجة) كما أبلغه بأن الامام من بعده سيكون ولده نزار . ولقد أجاد ناصر خسرو في كتابه (سفرنامه) عندما وصف القاهرة والجيش الفاطمي ، كما ادهشه مقدار الثراء الذي كانت تذخر به الاسواق في ذلك الوقت . وقد استغرقت رحلته منذ خروجه من موطنه الى وقت رجوعه سبع سنوات كاملة ، ابتدأت يوم الخميس السادس من جمادي الآخر سنة ٤٣٧ هجرية وانتهت يوم السبت السادس والعشرين من جمادي الآخر سنة ٤٤٤ هجرية وقد تمكن من اداء فريضة الحج خلال هذه الرحلة خمسة مرات .

٢ ـ « الديوان » كان يبلغ ثلاثين ألف بيت ولكنه الآن اثني عشر الف بيت[1] .

وهو مجموعة ما قال من أشعار ، والطبعة الاخيرة تتألف من ٢٧٧ صفحة تتضمن ٤٢٥ بيتا من الشعر .

ويستنتج من الديوان بعض الامور التي رواها الفيلسوف الشاعر عن حياته ، واغنى القصائد هي القصيدة السادسة والسبعون التي ذكر فيها ولادته ، وتحدث فيها ايضا عن رغبته الجامحة في ادراك معاني الباطنية للاوامر الدينية ، وبنفس الوقت يشكر الله على هدايته الى اتباع طريق الحق وجادة

(١) حققه تقي زاده ـ طهران سنة ١٩٢٩ . طبع على الحجر في تبريز سنة ١٢٨٠ هجرية . وطبع ثانية في طهران سنة ١٣٠٤ ـ ١٣٠٧ هجرية .

الصواب ، ويشير الى اعتناقه المذهب الاسماعيلي ، ويصف في الصفحة (١٨٢) مراسم ادخاله المذهب ويمين الولاء التي أقسمها[١] ويتحدث عن تعينه « حجة خراسان [٢] » وانه حجة الامام المستنصر كما يشير الى غيره من الحجج وانه يعتبر واحدا من النقباء الاثنى عشر[٣] ويفخر بحياة الزهد والتقشف والعفاف التي عاشها ، ويذكر الدرجة العلمية التي حصل عليها ، ويعدد الاشعار التي برز منها والمكانة الادبية التي احتلها[٤] ، ويذكر أيضا الكتب الكثيرة التي ألفها ، ويشير الى الاشعار التي نظمها بالعربية والفارسية ، كما يتعرض أيضا الى كتابه المعروف (بزاد المسافرين[٥]) . ويشعر القارىء عندما يتصفح الديوان المذكور أنه يستعرض آراء دينية فلسفية صورها الشاعر فأبدع التصوير ، وتعتبر عقيدته الدينية المدار الاصلي الذي تدور عليها سائر اشعاره .

٣ ـ كتاب « وجه الدين » ترجمه وحققه كافياني ، برلين سنة ١٩٢٤ ميلادية .

٤ ـ كتاب « زاد المسافرين » ترجمه وحققه كافياني ، برلين سنة ١٩٢٢ ميلادية ونقله الى العربية الدكتور يحيي الخشاب سنة ١٣٦٤ هجرية .

٥ ـ كتاب « خوان الخوان » ترجمه وحققه الدكتور يحيي الخشاب القاهرة سنة ١٩٤٠ ميلادية .

٦ ـ كتاب « روشنائي ـ نامه » أو « الضياء » نشره (اتيه) وترجمه وعلق عليه في مجلة المستشرقين الالمان سنة ١٨٧٩ ميلادية وحققه المستشرق

---

(١) ديوان ناصر خسرو طبع سنة ١٣٠٧ هجرية صفحة (١١١ ـ ١١٢) .
(٢) نفس المصدر ص ٣٣ .
(٣) نفس المصدر ص ٢٠٩ .
(٤) نفس المصدر (ص ٥ ، ١٠ ، ١٢٧ ، ١٥٨) .
(٥) نفس المصدر (ص ٩ ، ٢٣٣ ، ١٧١ ، ١٩٥) .

« ايفانوف » ونشرته الجمعية الثقافية الاسماعيلية في بومباي سنة ١٩٤٩ م .

٧ ـ « كشايش ورهايش » حققه السيد نعيسي بومباي ـ ليدن ـ ١٩٥٠ من منشورات الجمعية الاسماعيلية بومباي .

٨ ـ « جامع الحكمتين » ترجمة وتحقيق هنري كوربان ومحمد معين من منشورات المعهد الافرنسي طهران ١٩٥٣ م .

٩ ـ « سعادة نامه » أو كتاب السعادة وقد نشره (فانيان) في الجزء ٣٤ من مجلة المستشرقين الالمان ص ٦٤٣ ـ ٦٧٤ .

١٠ ـ « أم الكتاب » نشره ايفانوف سنة ١٩٣٦ م وعلق عليه بمجلة الدروس الاسلامية باريس .

١١ ـ « بستان العقول » ، ١٢ ـ (المفتاح والمصباح) ، ١٣ ـ (دليل المتحيرين) ، ١٤ ـ (الدلائل) ، ١٥ ـ (لسان العالم) ، ١٦ ـ (اختيار الامام واختيار الايمان) ، ١٧ ـ (كنز الحقائق) ، ١٨ ـ (تفسير القرآن)، ١٩ ـ (ارشاد السالكين) ، ٢٠ ـ (اصول الآداب) ، ٢١ ـ (صحيفة الناظرين) ، ٢١ ـ (روضة المعلمين) ، ٢٢ ـ (مطلب السائلين) ، ٢٣ ـ (نصائح المؤمنين) ، ٢٤ ـ (نور نامه) . وله غير هذه الكتب كثير من البحوث والمقالات وهو نفسه يقول :

« لا تنظر الى ضعف جسمي فقد قلت الكثير من الكلام
ولي من الآثار ما يربو عما في الفلك من النجوم »

وقال :

لم يبق نوع من العلوم كان جديرا ... الا استفدت منه قليلا وكثيرا

والخلاصة بعد أن عاد هذا العبقري الفليسوف من القاهرة وأصبح من أكبر دعاة الدعوة الاسماعيلية في بلاد فارس شعر الخليفة العباسي بنشاطه

ولاحقه فتوارى عن الانظار والتجأ الى قلعة جبل (ليمخان) وبقي يعيش فيها عيشة التقشف والزهد مرتديا الخشن من الثياب ويقتات بالاعشاب حتى انتقل الى جوار ربه • ولا بد لنا ونحن نقترب من نهاية بحثنا عن ناصر خسرو من أن نورد عدة أبيات اخترناها من القصائد الخمس من ديوانه وقد ارعينا ان نضع نقطا صغيرة في مكان الابيات التي أسقطناها •

ـ ان روحك هي السجل ، وأعمالك هي الكتابات التي تكتب في هذا السجل

فلا تسطر في سجلك الا كل ما عز وجل

ـ واكتب في كتابك كل طيب وجميل من أعمالك

فالقلم •• يا أخي •• طوع لما تخطه يدك ويكتبه بنانك ••![1]

❋ ❋ ❋

ـ أن كلام هو الله بحار الكلام الزاخرة

قد امتلأت بالجواهر الكريمة واللآلىء الباهرة •••[2]

ـ وظاهر « التنزيل » مالح كماء البحر المرير

ولكن باطن « التأويل » حلو كاللآلىء لدى أصحاب التفكير ••!!

ـ والجواهر واللآلىء ، مستقرة في جوف البحر وأعماقه

فلا تقنع بالسير على شواطئه ، والتمس غواصا ماهرا يصل الى أعمق أطباقه

ـ وهل تعرف لأي سبب وضع الله في قاع البحر والماء

مثل هذه الجواهر واللآلىء ذات الرونق والبهاء •••؟!

---

(١) ديوان ناصر خسرو طبع طهران ص ١٤٩، سنة ١٣٠٤–١٣٠٧ هجرية.

(٢) نفس المصدر طبع طهران ص ٣ .

ـ وصفها هكذا لأجل « الرسول » وكأنما قال له : هذا المثل الاحتذاء

فاعط « التأويل » للحكماء واعط « التنزيل » للغوغاء •••!!

ـ واذا لم يعطك الغواص غير العكر والماء المالح والطين

فلأنه لم ير منك غير الحنق والكره والعداء الدفين

ـ فاطلب المعنى الحقيقي لظاهر « التنزيل » وكن كالرجال الاصفياء

ولا تكن كالحمير ، فتقنع بالنهيق والاقوال الهراء •••!!

ـ والزمان ألعوبة خاطفة تلتقف جميع الانام

ولا ينجو منها أرفع الاسياد ولا أحقر الخدام •••!!

ـ وبعد ذلك اليوم ، لا يستطيع فرد من الكماة

أن يجد لدى الحاكم العادل ملجأ أو منجاة ••!!

ـ وينال جميع الناس ما يستحقون من مجازاه

ويستوى في ذلك الظالم والعادل بغير محاباة ••!!

ـ وفي ذلك اليوم سأتقدم في وسط الهول والفزع والدعاء

فأتعلق أمام الشهداء ، بأذيال الزهراء (فاطمة الزهراء)

ـ حتى ينتصف لي الله من أعداء أولاد الرسول

ويعطيني حقي كاملا ، وأنال منه الرضا والقبول •••!![2]

❋ ❋ ❋

---

(١) ديوان ناصر خسرو نسخة تبريز ص ٤ ـ ٥ .

« رأيت في الفلاه رجلا ، مزقت جسده الذئاب
فنهش النسر لحمه ، وطعم منه الغراب ••!! »

« وتبرز النسر ، فتبرز في فتن الجبال والقفار
وتبرز الغراب • فتبرز في قاع الينابيع والآبار ••!!

فهل يستطيع ان يحيى مثل هذا الرجل في يوم الحشر والنشور ••؟»

❋ ❋ ❋

— لو كانت دورة الدهر تجري وفقا لفضلي ومداه
لما كان لي مستقر الا على قمة القمر في علاه ••!!

— ولكن من أسف أن الفلك والدهر لا يعرفان قيمة الفضل والصواب
وهكذا قال لي أبي في وقت الصبا والشباب ••!!

— والعلم خير من الضياع والمال والملك والجاه
وقد أفتاني بذلك عقلي ، كما أفتت به الحياة ••!!

— وخاطري يزدهي ، أكثر من القمر ، بالنور والضياء
ولا يصلح مقر القمر • لمقامي •• في أوج السماء ••!!

— وفي مدافعتي لجيوش الزمان وسيوفه المصلتة القاطعة
اكتفي بالدين مجبا والعقل ترسا من غوائله ••!![3]

❋ ❋ ❋

— فيا جسدي الحقير •• انك في هذا العالم نفاية الاشياء
ولم أجد قرينا أسوأ لي منك بين القرناء ••!!

(١) ديوان ناصر خسرو طبع تبريز ص ٥ — ٧ .

— وقد كنت أظنك دائما من أخلص الخلصاء
ولم يكن لي صديق غيرك في البر والبحر والارض والماء ••!!

— ولكنك نصبت لي الشراك •• وناصبتني العداء
ولم يكن لي علم بما نصبت لي من أحابيل المكر والدهاء •••!!

— فلما وجدتني غافلا عنك ، مستأمنا لك في صفاء
قهرتني بمكرك وغدرك ، وغلبتني بقلة الوفاء ••!!

— ولو لم تنجدني رحمة الله ويدركني فضل الرحمن
لأوقعني مكرك ، واكتسحتني حادثات الزمان •••!!

❋ ❋ ❋

— وقد أصبح نصيبي من العمر وحظي من الزمان
أن أصوغ أشعاري فانظمها عقدا من الذهب واللؤلؤ والمرجان ••!!

— ومن الحق ألا يكون لي على أعتاب الملوك مقام ومكان
وألا يكون مقري الا على باب الله واعتاب الرحمن

— ما دمت لا أظلم بأفعالي أحدا من العباد
فهل تنقصني عظمة العظيم • وهل أحتاج الى أياديه الشداد ••؟![1]

❋ ❋ ❋

— وأربعة أشياء هي التي تؤنس روحي طوال الزمان
وهي : الزهد ، والعلم ، والعمل ، وترتيل القرآن ••!!

(١) ديوان ناصر خسرو طبعة تبريز ص ٨ — ١٠ .

— وعيني ، وقلبي ، وأذني ، أثناء الليل الطويل
نكرر النصح والموعظة لجسدي الضعيف الهزيل ..!

— فتقول العين : بربك احفظني من التطلع الى كل أمر حرام
وصنني من الوقوع في الشرور والخطايا والآثام ..!!

— وتقول الأذن : أسدد على السبيل ، وأغلق على الطريق
حتى لا استمع للأكاذيب والاباطيل المليئة بالتلفيق ..!!

— ويقول القلب : بربك احفظني من التردي في المطامع والأهواء
وصنني من نزعات الهوى .. كما يفعل الرجال الأصفياء ..!!

— وأما العقل فيقول لي : لقد وكل الله اليَّ أمر روحك وجسدك
وجعلني مسيطرا عليك ، وموكلا على شأنك ..!!

— ولا شأن لك بجيوش المطامع والأهواء ،
فانا الموكل على محاربتها لألتمس لك النجاء ..!!

— وكيف أستطيع أن أخرج رأسي من أنشوطة العقل الدَّراك ...؟!
وقد فضلني الله على الحمير بالتمييز والعقل والادراك ..!!

— وقد ربط « الشيطان » رأسي الى قطاره وقافلته
ولكن « العقل » هو الذي خلصني من ركابه ومتابعته ..!!

— ولو لم يدركني « العقل » ليأخذ بأعنتي من يد الشيطان
لاستمر « الشيطان » ممسكا بزمامي ، قابضا على العنان ..!!

ومن أشعاره يستنتج الابداع والعلم والامانة والتقوى والحماس الديني ، واحتقار الدنيا والمنافقين وتظهر شجاعته المنقطعة النظير .

* * *

نزار الثاني بن خليل الله

ولد الامام نزار (الثاني) بن خليل الله علي سنة ٩٧٢ هجرية في مدينة (انجودان) وتسلم الامامة بعد وفاة والده سنة ٩٩٣ هجرية في احتفال كبير حضره جمهور غفير من الاسماعيلية من مختلف أنحاء العالم .

يعتبر عهده من أزهى عهود الأئمة الاسماعيليين الذين قطنوا في فارس ، حيث برزت فيه التقدمية البناءة ، والادارة الحكيمة ، التي تنهد الى خدمة المجتمع الانساني التواق الى التحرر والانطلاق .

ولقد أثبتت الوقائع والادلة التاريخية على أن الامام نزار الثاني كان في طليعة علماء عصره ، غزير المعرفة ، له باع طويل في علم الفلسفة والتأويل ، شجع العلم وجعل من قصره ندوة علمية يأتيها العلماء والفقهاء والفلاسفة والادباء من جميع انحاء العالم لسماع المحاضرات وللاشتراك في الجدل والمناظرات [1] .

ولم يقف نشاطه عند هذا الحد بل شيد مدينة حديثة جعلها مقرا له ومركزا رئيسيا لدعوته واختار لبناء تلك المدينة مرجة خضراء بقرب جبل (بندي) تحيط بها السهول السندسية المنبسطة من جميع الجهات ، وجعل المدينة الجديدة تتسع لآلاف الاسماعيلية ، وشيد في الجهة الجنوبية منها عددا من الابنية الضخمة لتكون مؤسسات علمية واجتماعية وأماكن للاجتماعات العامة ، وعلى مسافة بضعة أمتار من قصره بنى المكتبة العامة التي شحنها بآلاف الكتب التي تبحث في مختلف المواضيع العلمية [2] .

---

(١) تاريخ الدعوة الاسماعيلية : مصطفى غالب : ص ٢٥٤ .
(٢) نور مبين حبل الله المتين : جنارا : ص ٥٤٨ — ٥٤٩ .

وبعد أن شيد القصر انتقل ورجال دعوته اليه ومنذ ذلك الوقت سميت تلك المدينة (الكهك شاه نزار) ووجه عنايته للمناطق الزراعية الخصبة التي تحيط بالمدينة فغرسها بالاغراس المثمرة من جميع الاصناف والالوان . وسميت تلك البقعة الزراعية بحدائقها وبساتينها ومزارعها (نزار آباد) أو (باغ تخت) [1] .

وعلى العموم اعتبر عهد هذا الامام من أرقى وأزهى العهود التي وصلت اليها الاسماعيلية بعد انتقال دعوتهم من مصر ، وفي عصره نبغ شعراء كان لهم الفضل في تكوين النهضة الادبية في ايران ، نذكر منهم الشاعر الفيلسوف قاسم أميري ، والعلامة الشهير عبد النبي نامي ، والداعي الشاعر الفيلسوف العالم (نعمة الله شاه) الذي ينحدر من عائلة الامام .

والامام نزار بنفسه كان عالما وفقيها لا يشق له غبار تعمق في دراسة كافة العلوم .

وتوفي الامام نزار الثاني الشهير (بآغا نزار شاه) سنة ١٠٣٨ هجرية في مدينة (الكهك شاه نزار) ودفن في روضة غناء تحف بها الاشجار من جميع الجهات ولا يزال ضريحه حتى الآن ويزار .

* * *

(١) الشيعة في الهند، Hollister : ص ٣٣٨ .

نور الدين شاه

بالرغم من الجهود التي بذلناها لمعرفة المزيد عن حياة ونشاط الامام نور الدين شاه في الحقل السياسي والمذهبي ظلت معلوماتنا قليلة جدا لاتفي بالغرض المطلوب ، وكل ما تمكنا من استنتاجه انه ولد في بلدة (انجودان) سنة ٨٩٣ هجرية وتسلم الامامة بعد وفاة أبيه الامام ذي الفقار علي سنة ٩٢٢ هجرية وكان لقبه (حق زمان) .

وجه اهتمامه لتحسين أحوال اتباعه من الاسماعيلية ، وقيل انه أولى الناحية العلمية والثقافية جل اهتمامه فانشأ لهم مكتبة عامة في قصره كانت تحتوي على أكثر من ستين ألف مجلد ، تبحث في الفلسفة والادب والاجتماع .

وتذكر بعض المصادر الفارسية ان العلاقات التي كانت تربط بعض الأئمة الاسماعيلية بالاسرة الصفوية قد اعتراها الفتور في عهد هذا الامام ، مما اضطره الى الاعتكاف ببلدة (انجودان) للدراسة والقاء المجالس العلمية والاشراف على تنظيمات أتباعه في جميع البلدان ، وقيل انه لم يغادر (انجودان) الا مرة واحدة قام خلالها بجولة الى الهند وافغانستان وغيرها من المناطق استغرقت عدة سنوات [1] .

ولما توفي اسماعيل الصفوي ازدادت العلاقات سوءاً بين الاسماعيلية والصفويين ، وتحركت الفرق المعادية فأخذت تقوم بحملات دعائية مغرضة تطالب فيها باستئصال شأفة الاسماعيليين لخروجهم عن الدين . فصمم ملك ايران أن يوقع بالاسماعيلية لولا ظهور القاجاريين الذين هاجموا افغانستان،

(١) نور مبين حبل الله المتين : جنارا : ص ٥٣٧ .

فاضطر علي الصفوي الى اجراء الاستعدادات لاستقبالهم .

وفي تلك الفترة بالذات ظهرت قصائد رائعة للشاعر خاكي الخراساني يمدح فيها الامام نور الدين شاه ، مما أثار نقمة امراء ايران ، فأمروا بالقبض عليه ، فالتجأ الى معقل الامام في محلات ، وقيل أنه ظل هناك حتى توفي ، وهناك مصدر آخر يذكر انه قبض عليه في قصر الامام في (انجودان) ووضع في السجن حتى مات فيه [1] .

ومع كل هذه التطورات فقد نشط الاسماعيليون في الهند ، والسند ، وبنجاب وشكلوا قوة تجارية صناعية لا يستهاب بها ، وقيل انهم وجهوا دعوة للامام لينقل مركزه الى الهند حرصا على سلامته . ولكن الامام نور الدين ظل في (انجودان) قانعا بالعيش في قصره يشرف على الامور التعليمية ويولي القضايا الفكرية والمذهبية كل الاهتمام . ولم يستطع الامام نور الدين أن يفعل شيئا للاسماعيليين السوريين الذين اضطربت احوالهم .

وفي سنة ٩٥٧ هجرية توفي الامام نور الدين ودفن في المقبرة الخاصة بعائلته في (انجودان) .

* * *

(١) تاريخ الدعوة الاسماعيلية : مصطفى غالب : ص ٢٤٨ — ٢٤٩ .

العـزيز بالله

نزار بن المعز لدين الله

أجمع المؤرخون الذين عاصروا العزيز بالله على أن عهده كان من أزهى واعظم العهود التي مرت فيها الخلافة الفاطمية ، حيث عم البلاد اليسر والرخاء والتسامح الديني ، وبلغت الثقافة الفكرية والعلمية أقصى درجات الانتشار والازدهار ، لان الامام العزيز بالله كان ذكيا ، أديبا ، شاعرا عالما مستنيرا ، وقائدا شجاعا ، وحاكما مدبرا ، وخليفة عادلا كريما يعفو عند المقدرة حسن الخلق قريبا من الناس . يجيد عدة لغات كأبيه الامام المعز ، شعره حسن ، روى الثعالبي [1] انه قال يوم عيد ، وقد مات ابنه وجلس للعزاء :

نحن بنـو المصطفى ذوو محن … يجرعهـا فـي الحياة كاظمنـا

عجيبة فـي الأنـام محنتنـا … أولنـا مبتـلٍ وخـاتمنـا

يفرح هـذا الورى بعيـدهم … طرًا وأعيـادنـا مـأتمنـا

وهو في هذه الابيات يعبر عن صدق العاطفـة والالم الـدفين والحزن العميق ، فهو لم يحزن لفقد ولده فحسب بل يتألم لما أصاب أهل البيت من محن وكوارث حتى أصبحت أعيادهم مأتما ، وله أيضا :

ولما رأيت الـدين رثت حبالـه … وأصبح ممحو الضيـا والمعـالم

وأصبحت الاغنام من كـل أمـة … تسـوم عبـاد الله خزم المخـاطم

وتحكم في أموالهـا ودمـائهـا … بغـير كتـاب الله عند التحـاكم

غضبت لـدين الله غضبـة ثـائر … غيور عليهـا مـانـع للمحـارم

(١) يتيمة الدهر ٢٢٣/١ والنجوم الزاهرة ١١٣/٤ .

وسيرت نحو الشرق بحر كتـــائب ... تمـوج بأبطـال رجـال قمـاقم
يقودون جرد الخيـل تخطر بالقنـا ... وبالمشرفيات الرقـاق الصـوارم
أنـا ابن رسول الله غـير مدافـع ... تنقلت في الانوار مـن قبـل آدم
لي الشرف العـالي الذي خضعت له ... رقـاب بني حواء من كـل عـالم
بنا فتحت أبواب كـل هـدايـــة ... ومنا بحمد الله (خـير الخواتم)
فقل لبني العباس مع ضعف ملكهم ... بأنهم أسرى بأيـدي الأعـاجم
غصبتم بني المروان مـا غصبوه من ... مواريثنـا ، سحقـا لظالم ظـالم
ولـم تحفظوا فينـا وصايـا محمد ... ولا ما ادعيتم من مناسب هاشم
سنسقيكم كأسا كمـا قـد سقيتم ... أوائلنـا والله أعـدل حـاكم (١)

وفي هذه الابيات تظهر غيرة الامام العزيز على عقيدته ودينه ، شديد العداء لمن خالفه من العباسيين ، يتوعدهم بالانتقام لما آصاب آباءه وأجداده من محن على أيديهم ، وأشار الى صميم المعتقدات الاسماعيلية به كامام تنقل في الانوار من قبل آدم •

كانت ولادة الامام العزيز بالله نزار بن المعز لدين الله أبي تميم معد في يوم الخميس الرابع عشر من محرم سنة ٣٤٤ هجرية بالمهدية ، قدم الى القاهرة مع أبيه المعز وولى عهده في يوم الخميس الرابع من ربيع الآخر سنة ٣٦٥ هجرية وهو في الثانية والعشرين من عمره ، وكانت أمه أم ولد اسمها « درزاره » •

في عهده ترامت رقعة الامبراطورية الاسماعيلية من بلاد المغرب شرقاً الى ساحل المحيط الاطلسي غرباً ، ومن آسيا الصغرى شمالا الى بلاد النوبة جنوبا ، وفي أيامه ازداد خطر القرامطة وأفتكين في الشام ، فحاول أن يستميل اليه أفتكين بالطرق السلمية واعداً أياه بالمكافأة اذا ترك دمشق ، ولكن أفتكين

(١) من مجموعة أشعار اسماعيليةورقة ١٦٣نسخة خطيةبمكتبتي الخاصة.

تحالف مع القرامطة واعلنوا الثورة على الامام ، الذي لم ير بدأ من أن يرسل لهم جيشاً لجباً بقيادة جوهر الصقلي ، فسار اليهم سنة ٣٦٦ هجرية ، ولما علم القرامطة وكانوا في الرملة ، هربوا الى الأحساء ، فدخل جوهر الرملة واحتلها ، وتوجه الى دمشق فحاصرها فترة من الوقت تمكن خلالها أفتكين من الهرب الى طبرية حيث انضم الى فلول القرامطة واستعد للقاء جوهر بعد أن جمع المؤن من حوران والبثينة ، عاد جوهر عن دمشق في ٣ جمادي الاولى سنة ٣٦٦ هجرية لمنازلة القرامطة في عسقلان فجرى بينهما قتال شديد استمر طويلا مما أجبر القائد جوهر الى العودة الى مصر وشرح الحالة للامام فخرج الامام بنفسه لمقاتلة القرامطة وافتكين بعد أن أعد العدة وحشد العساكر وزودها بالمؤن والذخائر •

وفي ١٣ محرم سنة ٣٦٨ هجرية تلاقى الجيشان وحمى وطيس القتال ودارت الدائرة على القرامطة وأفتكين ، ويذكر التاريخ بان الامام قد حاول عدة مرات أن يستميل افتكين عندما شاهده بنفسه يخترق الصفوف ويجندل الفرسان ، ولكن أفتكين أظهر التمرد مما اضطر الامام العزيز الى التلاحم معه أكثر من مرة ، وأخيرا تمكن أحد الشجعان من أسر أفتكين بعد هرب قواته فاقتيد الى مصر مع الاسرى ، فأحسن اليهم الخليفة العزيز بالله وكساهم واسند اليهم الاعمال التي كانوا يولونها أيام أفتكين ، ولما مثل أفتكين بين يدي الامام المعز استقبله أحسن استقبال وبالغ في اكرامه وأسكنه دارا فسيحة واغدق عليه صلاته وعطاياه حتى مات سنة ٣٧٢ هجرية (١) •

وهكذا أصبحت سورية بعد القضاء على هذه الفتنة الخطيرة ولاية فاطمية عاصمتها دمشق • فوجه الامام العزيز الى هذه الولاية الجديدة الاعتناء الزائد فاختار لولايتها غلامه (بنجوكتين) التركي وأمره أن يفتح حلب وبالفعل سار بنجوكتين الى دمشق ومنها الى حلب فاصطدمت جيوشه بجيوش

(١) خطط المقريزي ٦٧/٤ وفيات الاعيان لابن خلكان ١٥٣/٢

البيزنطيين على ضفاف العاصي فهزمهم وأسر قائدهم وطاردهم حتى انطاكية فقتل منهم خلق كثير ، وكان ذلك سنة ٣٨١ هجرية[1] .

وبعد أن استقرت الاحوال في جميع أنحاء الامبراطورية الفاطمية ، رأى الامام العزيز بالله أن يحول جهوده الى النواحي الاصلاحية فانفق الاموال الطائلة على تشييد المباني ، وانشاء الجسور والمرافيء وتقوية الجيش والبحرية ، فازداد عدد الاسطول زيادة ملحوظة ، وعين الاتراك قواداً لجيشه كما عين يعقوب بن كلس وزيراً له ، وخلع عليه لقبه بالوزير الاجل وأثبت اسمه على الطراز ، واهتم الامام العزيز بانشاء دور للكتب وشحنها بالمؤلفات الضخمة التي تبحث في جميع العلوم ، ووجه اهتمامه الزائد لمكتبة القصر فرعاها بنفسه وانفق عليها الأموال الطائلة حتى قيل انها حوت مائة وسبعون ألف مجلدا جلّها في الفلسفة والطب والتاريخ والادب والفقه ، كذلك شجع العلماء والشعراء والمؤلفين ووهبهم الاموال وخصص لهم المنح والعطايا ، وجعل من الجامع الازهر مدرسة علمية أنفق عليها من جيبه الخاص فتخرج منها علماء كان لهم شأن عظيم في عالم الفكر والتأليف[2] هذا ما جعل الشعراء يتسابقون في تخصيص القصائد الخالدة لمدحه ومن تلك القصائد ماقال الشاعر الاسكندراني في قصيدته (ذات الدوحة) التي نقتطف منها عدة أبيات وسنقدمها كاملة عندما نأتي على ذكر هذا الشاعر في مكان آخر نظراً لما تتمتع به من مكانة سامية في عالم الأدب والشعر والفلسفة ولما تضمنته من المصطلحات الاسماعيلية :

سئمت من البين الذي ليس يصدق   فلست بغير الحق والصدق أنطق
أأمدح رهطا غير رهط محمد   وفي الجيد عهد للأمام موثق
أئمة دين الله مذ قام دينه   وأنوار هذا الخلق من قبل يخلق

(١) ابن الأثير ٣١/٩
(٢) تاريخ الدعوة الاسماعيلية ص (١٥٩)

محبتهم فرض على الناس واجب   وعصيانهم كفر الى النار موبق
هم العروة الوثقى ، هم منهج الهدى   هم الغاية القصوى التي ليس تلحق
ولولاهم لم يخلق الله خلقه   ولم يك في الدنيا ضياء ورونق
هم دوحة الدين التي تثمر الهدى   وباليمن والتقوى تظل وتسبق
فضائل مولانا العزيز جليلة   اذا عد فضل فهو بالفضل يسبق

وها هو ذا الأمير تميم بن المعز لدين الله أخ الامام العزيز يصف امامه وأخاه فيقول :[1]

جئت الخلافة لما أن دعتك كما   وافى لميثاقه موسى على قدر
كالأرض جاد عليها الغيث منهملا   فزانها بضروب الروض والزهر
ما أنت دون ملوك العالمين سوى   روح من القدس في جسم من البشر
نور لطيف تناهى منك جوهره   تناهيا جاز حد الشمس والقمر
لو شئت لم ترض بالدنيا وساكنها   مثوى ، وكنت مليك الانجم الزهر
ولو تفاطنت الألباب فيك درت   بأنها عنك في عجز وفي حصر

ومهما أوتى المرء من قوة التعبير لا يستطيع أن يوفي هذا الامام العظيم حقه ، لما كان يتحلى به من الشمائل النادرة ، والاخلاق الحميدة ، التي حببته الى جميع القلوب ، وجعلت له مكانة سامية حتى في قلوب الاعداء الذين عاصروه .

توفي الامام العزيز في مدينة بلبيس من مرض طويل في المثانة وقولنج ، في اليوم الثامن والعشرين من شهر رمضان سنة ٣٨٦ هجرية وهو في الرابعة والاربعين من عمره ، ودفن في مقبرة القصر مع آبائه ، وكانت مدة خلافته بعد أبيه المعز احدى وعشرين سنة وخمسة أشهر ونصفاً . وكان نقش خاتمه : « بنصر العزيز الجبار ، ينتصر الامام نزار » . وخلف من الأولاد : المنصور

(١) ديوان الأمير تميم ١٥٨ نسخة خطية .

وسيدة الملك ، وقيل أنه كان أسمر طوالا ، أصهب الشعر ، أعين أشهل ، عريض المنكبين ، شجاعا كريما حسن العفو عند المقدرة ، لا يعرف سفك الدماء ، له معرفة بالخيل ، وجوارح الطير ، محبا للصيد ، وخاصة صيد السباع[1] •

* * *

(1) اتعاظ الحنفا ص ٢٩٦ : وفيات الاعيان ابن خلكان : ١٥٣/٢

المصطفى بالله

نزار بن المستنصر

يعتبر الامـام المصطفى بالله نزار ضحية من ضحايا تلك المؤامرات الدنيئة التي كانت تمثل على مسرح هذا الوجود لاغتصاب حق شرعي أقره العرف والقانون ، وليس الامام نزار بالضحية الاولى من آل بيت رسول الله (ص) بل سبقه عشرات الضحايا والشهداء الابرار الذين سفكت دماؤهـم الزكية الطاهرة في سبيل خدمة البشرية وسعادتها •

وولد الامام المصطفى بالله نزار بن الامام المستنصر[1] في ١٠ ربيع الأول سنة ٤٣٧ هجرية في مدينة القاهرة وأصبـح وليا للعهد سنة ٤٨٠ هجرية بموجب النص عليه من والده بحضور نخبة من رجالات الدعوة الاسماعيلية واعلنت ولايته للعهد على الجمهور •

ولما توفي الامام المستنصر في ١٢ ذي الحجة سنة ٤٨٧ هجرية أقصى نزار عن الخلافة نتيجة لمؤامرة دبرها الوزير الافضل بن بدر الجمالي الذي كان يخشى ان يتسلم نزار الخلافة فيبعده عن الوزارة لما كان يتمتع به من سمعة سيئة ونفوذ عظيم في البلاد ، وتذكر المصادر التاريخية أسباب أقصاء نزار عن الخلافة فتقول : أن الأفضل دخل مرة أحد أبـواب قصر الامام المستنصر راكباً بغلة ، فلما رآه نزار ، قال له : « انزل ياأرملي يانجس » فحقد عليه الافضل وانتهز فرصة وفاة المستنصر وحال بينه وبين الخلافـة ، فاجتمع بالأمراء وكبار رجال الدولة ، وأثار مخاوفهم من نزار ، وأشار عليهم بتولية أخيه الصغير أبي القاسم أحمد ولقبه (المستعلي بالله) واخذوا له البيعة من كبار رجال الدولة •

(1) تاريخ الدولة الفاطمية ١٧١ وهو أبو منصور المصطفى بالله نزار •

ولقد اتى المؤرخ ابن الأثير على ذكر اسباب نقمة الافضل فقال :

« كان الامام المستنصر قد عهد لولده نزار بالامامة والخلافة سنة ٤٨٠ هجرية ، الا أن الافضل رئيس الوزراء سعى لخلعه وبايع أخاه الاصغر أحمد المستعلي ، وسبب نقمة الافضل انه ركب مرة أثناء خلافة المستنصر ودخل القصر راكباً من باب الذهب بينما كان نزار خارجاً من نفس الدهليز فصاح به (انزل يا أرمني ياكلب عن الفرس اذا ماكنت داخلا الى القصر ، ما أقل أدبك) فحقدها عليه وخشي اذا ما اضحى خليفة أن يقضي عليه ويبعده عن الوزارة ، فسعى لخلعه خوفا منه وبايع أخاه المستعلي » .

ولما رأى الامام نزار أن الخلافة اغتصبت منه بالقوة سار الى الاسكندرية مع أخيه عبد الله وابن مصال اللكي ، ونخبة من الدعاة الذين فضلوا المسير معه ، فاستقبله والي الاسكندرية ناصر الدولة أفتكين والقاضي جلال الدين ابن عمار وبايعوه ومن ثم أخذوا له البيعة من جميع أهل الاسكندرية ولقب (المصطفى لدين الله) وأتته البيعة وكتب الولاء من سائر بلاد فارس وسوريا وجبال الطالقان وغيرهما من البلدان[1] الأخرى والقلاع الاسماعيلية ، فلما علم الأفضل بذلك خرج لقتال الامام نزار على رأس جيش لجب ، فدارت الدائرة على الأفضل وعاد مهزوماً الى القاهرة ، فأخذ يعد العدة لقتال نزار ونجح باستمالة بعض العربان من أتباع نزار ، ولما تم ذلك توجه ثانية الى الاسكندرية على رأس جيش كثير ففتح الاسكندرية والقى القبض على حاكمها أفتكين وعلى القاضي جلال الدين وعددا من رجالات الدعوة النزارية وقيل أنه قبض على الامام نزار فسلمه للمستعلي الذي أمر أن يبني عليه حائطاً فمات ، وقيل في رواية أخرى أن الامير نزار قتل في القاهرة سنة ٤٨٨ هجرية أما ابن مصال اللكي فقيل أنه جمع ماله وفر الى بلاد المغرب .

---

(١) تاريخ الدعوة الاسماعيلية (١٧٢) .

غير أن أغلب المصادر التاريخية لا تؤيد هذه الأقوال وخاصة المصادر الاسماعيلية النزارية التي هي بين أيدينا اذ يقول اكثرها بان الامام نزار قد تمكن من مغادرة الاسكندرية سرا أثناء الحصار مع ابن مصال اللكلي وخمسة من الفدائيين الاسماعيلية الذين أوفدهم ابن الصباح من أجل مرافقة الامام نزار الى آلموت فيما لو أراد الحضور ، وتوجه الى بلاد فارس حيث استقر به المقام في جبال الطالقان واسس الدولة النزارية هناك .

ومنذ ذلك التاريخ انقسمت الاسماعيلية الى فرقتين : الاولى ظلت على اخلاصها للامام نزار فسميت بالنزارية وتعرف الآن (الآغاخانية) وهي موضوع بحثنا في هذا الكتاب والفرقة الثانية سارت وراء المستعلي فسميت (بالمستعلية) وتعرف الآن بطائفة (البهرة) في الهند و (الطيبة) باليمن .

ولا بد لنا من التعرض الى البواعث والاسباب التي دعت الى محاولة طمس تاريخ الدولة النزارية وذلك عن طريق الادعاء بأن نزاراً قد قتل في القاهرة مع أبنائه ، وبذلك تم للمستعلي القضاء على سلالته أو بالاحرى على عرقه ، أما الامام الذي أسس الدولة النزارية في فارس فليس من صلب نزار ولا من ابنائه انما قيل أنه من سلالة الحسن بن الصباح الداعي المعروف. كل هذه الادعاآت والاشاعات اطلقت بقصد ابعاد الاسماعيلية الذين تهافتوا على نزار عندما أصبح في آلموت ، ولكن الله لأمر يريده أظهر الحقيقة التي لا غبار عليها ، فعثرنا على مخطوطة اسماعيلية ضمن كتاب للداعي الاسماعيلي المغربي الشيخ محمد أبي المكارم[1] ذكر فيه قصة فرار الامام نزار من الاسكندرية فقال :

عندما اشتد الحصار على الاسكندرية من قبل الجاحد المارق الذنديق الارمني الافضل غادرها مولانا الامام نزار عليه السلام مع أهل بيته متخفيا

---

(١) كتاب (الاخبار والآثار) ص ٢١٤ .

بذي التجار نحو سجلماسة حيث مكث عند عمته هناك بضعة أشهر حتى عادت اليه الرسل التي اوفدها لابلاغ الحسن بن الصباح عن محل اقامته فسار الى جبال الطالقان مع أهل بيته ومن بقي معه من دعاته وخدمه حيث استقر بقلعة آلموت بين رجال دعوته المخلصين ، وعمل الحسن بن الصباح على تأسيس الدولة النزارية وبعد أن تم له ذلك أصابه مرض شديد استدعى على أثره دعاته ونص على امامة ابنه (علي) وذلك سنة ٤٩٠ هجرية وتوفي في اليوم الثاني ودفن في قلعة آلموت .

ومهما يكن الأمر فان الحسن بن الصباح أيد الدعوة النزارية ومهد لها في فارس وخراسان فأصابت نجاحا بعيد المدى ، وأفلح الامام نزار في تكوين دولة جديدة بنظام جديد ، وخلق مجتمعات اسماعيلية بحتة تستقر في أماكن حصينة ، وتعمل بموجب تعاليم فلسفية وتنظيمات علمية ، وقد قسمت الدعوة النزارية الى مراتب ودرجات جعل أساسها المحبة والاخوة والمرحمة تقويها الروابط الوثيقة بين الافراد فأصبح لها دور كبير في السياسة والعلم ، والفلسفة ، في بلاد الهند وايران ، والشام ، وكان الحسن بن الصباح الساعد الايمن للأئمة النزارية والعقل المدبر لجميع الحوادث التي كانت تجري في العالم الاسلامي .

ومنذ ذلك التاريخ قطعت جميع الصلات والروابط التي كانت تربط بلاد فارس والشام بالخلافة الفاطمية بمصر وأصبحت الدولة الاسماعيلية الجديدة من ألد أعداء الخلفاء الفاطميين الذين اغتصبوا الحق الشرعي من نزار .

* * *

نصير الدين الطوسي

يعتبر من كبار الفلاسفة الذين كتبوا في الموضوعات الدينية والفلسفية والطبيعية والمسائل المتصلة بعلم الفلك ، ولد في مدينة (طوس) كما تدل على ذلك نسبته في سنة ٥٩٧ هجرية[١] انتسب منذ نشأته الاولى الى المدارس الاسماعيلية التي كانت منتشرة بكثرة في بلاده وبعد أن ترقى في العلوم الدينية والفلسفية ، توجه الى (آلموت) مقر الدعوة في ذلك الوقت حيث أكمل دراساته العليا على كبار دعاتها وفلاسفتها ؛ استطاع أن يحتل مكان الصدارة ويصبح مدرسا في مدرسة الدعاة ، فأقام في قلعة (آلموت) يصنف الكتب في مختلف العلوم ويلقي المجالس والمحاضرات ، ويشرف على المراصد الفلكية التي كانت موجودة فيها ، وظل على اخلاصه وتفانيه في خدمة العقيدة التي آمن بها ورضع لبانها منذ نعومة أظفاره حتى أخضع (هولاكو خان) قلعتي (آلموت) و (ميمون دز) فعثر على هذا الفيلسوف الكبير في مرصد القلعة ، فاقتاده الجند الى (هولاكوخان) ، ولما مثل بين يديه أكرمه وطلب منه أن يلتحق بخدمته كوزير له ، فرفض في بادىء الامر الا اذا أمن على أرواح وممتلكات الاسماعيلية فوعده خيرا شريطة أن يرافقه في حملته على بغداد . وهكذا انتقل هذا الفيلسوف العظيم الى خدمة هولاكو خان بعد أن أخذ العهد منه على المحافظة على الاسماعيلية .

وبعد أن تم لهولاكوخان احتلال بغداد أشار عليه بأن يقتل آخر خلفاء بني العباس (المستعصم بالله) حتى لا يغضب عليه الله ، واغتنم فرصة وجوده في بغداد فجمع كل ما تمكن من جمعه من الكتب النادرة . وقيل ان مكتبته

---

(١) ابن شاكر : فوات الوفيات : ١٤٨/٢ ويذكر بروكلمان انه ولد في سنة ٦٠٧ هجرية ولا ندري من أي مصدر علم ذلك .

أصبحت بعد فتح بغداد تضم أكثر من أربعمائة ألف مجلد[1] • ولقد ساعد في بناء المرصد المشهور في مدينة (المراغة) مع جماعة من العلماء ذكر نصير الدين الطوسي أسماءهم في كتابه (زيبح ايلخاتي) ومات في بغداد سنة ٦٧٣ هجـرية •

كان نصير الدين الطوسي كاتبا خصب الانتاج ذكر انه ترك ستة وخمسين مؤلفا مكتوبة باللغة العربية أهمها :

١ ــ روضة التسليم •

٢ ــ مطالب المؤمنين •

٣ ــ تجريد العقائد •

وله جملة مؤلفات بالفارسية ، وكثير من الاشعار • ومن مؤلفـاته التي كتبها بالفارسية :

١ ــ أخلاق ناصر : وهو كتاب مشهور في علم الاخلاق •

٢ ــ « بيست باب درمعرفت اسطرلاب » أي عشـرون بابا في معـرفة الاسطرلاب •

٣ ــ (رسالة سي فصل) •

٤ ــ (تنسوق تامة ايلخاني) رسالة في المعـادن والاحجار ولم يبق من اشعاره الفارسية الا أمثلة قليلة •

* * *

(١) ابن شاكر : فوات الوفيات : ١٤٩/٨

أبو حنيفة النعمان المغربي

هو أبو حنيفة النعمان بن محمد بن منصور بن أحمد بن حيون التميمي المغربي ، ويعرف لدى الاسماعيلية باسم (سيدنا القاضي النعمان) تميزا بينه وبين أبي حنيفة النعمان صاحب المذهب الحنفي المشهور[1] اختلف العلماء والمؤرخون حول تاريخ مولده فقال بعضهم انه ولد سنة ٢٥٩ هجرية • الا ان الاستاذ آصف‌فيضي خالف الجميع وقال انه ولد في العشر الاخير من القرن الثـالث ، وقيل انه كان مالكي المذهب ثم تحول الى الشيعة الاثنى عشرية ثم انتقل الى الاسماعيلية الفاطمية[2] ويذكر آصف فيضي ان النعمان كان اسماعيلي المذهب منذ نعومة أظفاره وانه اتخذ التقية والستر خوفا على نفسه وعلى مذهبه ؛ دخل في خـدمة الامام الاسماعيلي المهدي واتصل بالقـائم بأمر الله طوال مدة حكمه وولي قضاء مدينة طرابلس • ولما بنى المنصور مدينة المنصورية كان النعمان أول من ولي قضاءها • وقد ولاه المنصور القضـاء على سائر مدن افريقيا وأصبح شديد الصلة بالامام الاسماعيلي ومقربا منه ، وظل قاضي قضاة هذه المدن وتحت امرته قضاتها الى أن ولي المعز الامامة فاشتدت صلة النعمان به وكان يجالسه ويسايره وقل أن يفارقه ووضع النعمان كتابه المجالس والمسايرات جمع فيه كل ما رآه وما سمعه من امامه المعـز ، وفي مؤلفات النعمان كثير من الدلائل تبين انه كان يعرض كتبه على الامام المعز قبل اذاعتها ونشرها بين الناس •

(١) Fayrgee : the ismailian low of nut'a (J. B. B. R. A. S. 1929) p. 85

(٢) وفيات الاعيان جـ ٢ ص ١٦٦ المستدرك جـ ٣ ص ٣١٢

ويعتبر القاضي النعمان (المشرع الاسماعيلي) لما له من أثر كبير في الحياة العقلية للدولة الاسماعيلية في مصر وتعتبر مؤلفـاته من الدعائم القوية التي ركز عليها المذهب الاسماعيلي ولا تزال كتبه حتى يومنا هذا من أقوم الكتب لدى الاسماعيلية •

ويذكر ابن خلكان نقلا عن ابن زولاق ان النعمان بن محمد القاضي كان في غاية الفضل من أهل القرآن وبمعانيه ، وعالما بوجوه الفقه وعلم اختلاف الفقهاء ، واللغة ، والشعر الفحل ، والمعرفة بأيام النـاس مع عقل وانصاف[1] وأصبحت الكتب التي ألفها عمدة كل باحث في المذهب الاسماعيلي والاصل الذي يستقي منه علماء المذهب •

وقد أفاد الدعوة الاسماعيلية بكثرة مؤلفـاته في الفقه ، والمنـاظرة ، والتأويل ، والعقائد ، والسير ، والتاريخ ، والوعظ ، ومن الثابت ان النعمان ألف بضعة وخمسين كتابا ، بقي منهـا حتى اليوم نحو من عشرين كتـابا وضـاع الباقي •

وقيل ان الامام المعز قال عنه : من يؤدي جزءا من مائة مما أداه النعمان أضمن له الجنة بجوار ربه[2] وأهم مؤلفات النعمان (دعائم الاسلام) ويبحث في الفقه الاسماعيلي ويقع في مجلدين ضخمين ، يشمل كل منهما على سبعمائة صفحة[3] ويذكر الداعي ادريس في كتـابه عيون الاخبار ان الامام المعز هو الذي حث القاضي النعمان على تأليفه عندما مثل بين يديه مع كثير من الدعاة ، فتناولوا الكلام على الاحاديث الموضوعة ، والاختلاف في الرواية فذكر لهم الامام المعز الحديث المشهور (اذا ظهرت البدع في أمة ، فليظهر العالم علمه ، والا فعليه لعنة الله) ونظر المعز لدين الله عليه الصلاة والسلام الى القاضي

(١) ابن خلكان جـ ٢ ص ١٦٦ وفيات الاعيان •
(٢) عيون الاخبار للداعي ادريس عماد الدين جـ ٦ ص ٤١
(٣) حققهما العلامة آصف فيضي وتم نشرهما في مصر •

النعمان بن محمد ، رضوان الله عليه ! فقال : أنت المعني في هـذه الاوراق يا نعمان ، ثم أمر بتأليف (دعائم الاسلام) وأصل أصوله • وفرع فروعه ، وأخبره بصحيح الروايات عن الطاهرين من آبائه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم[1] وأصبح كتاب دعائم الاسلام المرجع الاسماعيلي في الاحكام والفتوى وفي الحقيقة ان القاضي النعمان ترك للدعوة الاسماعيلية ثروة فكرية ثمينة بالرغم من ضياع أكثر مؤلفاته •

ويقول ابن خلكان : ان النعمان ألف لأهل البيت من الكتب آلاف أوراق بأحسن تأليف وأملح سجع ، وعمل في المنـاقب والمثالب كتابا حسنا ، وله ردود على المخالفين[2] ، وذكر البرفسور ايفانوف في كتابه (المرشد الى أدب الاسماعيلية) كتب القاضي النعمان وقسمها الى[3] :

آ ـ كتبه الفقه :

١ ــ كتاب الايضاح •
٢ ــ مختصر الايضاح •
٣ ــ كتاب الاخبـار في الفقه •
٤ ــ مختصر الآثار فيما روي عن الأئمة الاطهار وهو كتاب متداول الآن بين طائفة البهرة •
٥ ــ الاقتصار[4] •
٦ ــ القصيدة المنتخبة •
٧ ــ دعائم[5] الاسلام في ذكر الحلال والحرام والقضايا والاحكام •

(١) ادريس عماد الدين عيون الاخبار جـ ٦ ص ٤٢
(٢) وفيات الاعيان جـ ٢ ص ١٦٦
(٣) المرشد الى أدب الاسماعيلية ص ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ •
(٤) تحقيق الدكتور محمد ميرزا ، جامعة لكنو ــ الهند •
(٥) تحقيق الدكتور آصف علي أصغر فيضي •

٨ ــ كتاب منهاج الفرائض .
٩ ــ كتاب الاتفاق والافتراق .
١٠ ــ المقتصر .
١١ ــ كتاب الينبوع .

ب ــ كتب الاخبار :

١ ــ شرح الاخبار في فضائل الأئمة الاطهار في ستة عشر جزءا .
٢ ــ قصيدة ذات المحنة وهي منظومة في ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد الخارجي .
٣ ــ قصيدة ذات المنن منظومة في بعض حوادث وقعت للمعز .

ج ــ كتب الحقائق :

١ ــ دعائم الاسلام .
٢ ــ تأويل الشريعة .
٣ ــ أساس[1] التأويل .
٤ ــ شرح الخطب التي لأمير المؤمنين علي .
٥ ــ كتاب التوحيد والامامة .
٦ ــ اثبات الحقائق في معرفة توحيد الخالق .
٧ ــ حدود المعرفة في تفسير القرآن والتنبيه على التأويل .
٨ ــ نهج السبيل الى معرفة علم التأويل .
٩ ــ الراحة والتسلي .

د ــ في الرد على المخالفين :

١ ــ اختلاف اصول المذاهب .

---

(١) تحقيق عارف تامر .

العــزيز بالله

نزار بن المعز لدين الله

أجمع المؤرخون الذين عاصروا العزيز بالله على أن عهده كان من أزهى واعظم العهود التي مرت فيها الخلافة الفاطمية ، حيث عم البلاد اليسر والرخاء والتسامح الديني ، وبلغت الثقافة الفكرية والعلمية أقصى درجات الانتشار والازدهار ، لان الامام العزيز بالله كان ذكيا ، أديبا ، شاعرا عالما مستنيرا ، وقائدا شجاعا ، وحاكما مدبرا ، وخليفة عادلا كريما يعفو عند المقدرة حسن الخلق قريبا من الناس . يجيد عدة لغات كأبيه الامام المعز ، شعره حسن ، روى الثعالبي [1] انه قال يوم عيد ، وقد مات ابنه وجلس للعزاء :

نحن بنــو المصطفى ذوو محن	يجرعهــا فــي الحياة كاظمنــا
عجيبة فــي الأنــام محنتنــا	أولنــا مبتــلٍ وخــاتمنــا
يفرح هــذا الورى بعيــدهم	طرًا وأعيــادنــا مــأتمنــا

وهو في هذه الابيات يعبر عن صدق العاطفــة والالم الــدفين والحزن العميق ، فهو لم يحزن لفقد ولده فحسب بل يتألم لما أصاب أهل البيت من محن وكوارث حتى أصبحت أعيادهم مأتما ، وله أيضا :

ولما رأيت الــدين رثت حبــالــه	وأصبح ممحو الضيــا والمعــالم
وأصبحت الاغنام من كــل أمــة	تســوم عبــاد الله خزم المخــاطم
وتحكم في أموالهــا ودمــائهــا	بغيــر كتــاب الله عند التحــاكم
غضبت لــدين الله غضبــة ثــائر	غيور عليهــا مــانــع للمحــارم

---

(١) يتيمة الدهر ٢٢٣/١ والنجوم الزاهرة ١١٣/٤ .

وسيرت نحو الشرق بحر كتـائب ... تموج بأبطـال رجـال قمـاقم
يقودون جرد الخيـل تخطر بالقنـا ... وبالمشرفيات الرقـاق الصوارم
أنـا ابن رسول الله غـير مدافـع ... تنقلت في الانوار مـن قبـل آدم
لي الشرف العـالي الذي خضعت له ... رقـاب بنى حواء من كـل عـالم
بنا فتحت أبواب كـل هـدايـة ... ومنا بحمد الله (خـير الخواتم)
فقل لبني العباس مع ضعف ملكهم ... بأنهم أسرى بأيـدي الأعـاجم
غصبتم بني المروان مـا غصبوه من ... مواريثنـا ، سحقـا لظالم ظـالم
ولـم تحفظوا فينـا وصايـا محمد ... ولا ما ادعيتم من منـاسب هاشـم
سنسقيكم كأسا كمـا قـد سقيتم ... أوائلنـا والله أعـدل حـاكم (١)

وفي هذه الابيات تظهر غيرة الامام العزيز على عقيدته ودينه ، شديد العداء لمن خالفه من العباسيين ، يتوعدهم بالانتقام لما آصاب آباءه وأجداده من محن على أيديهم ، وأشار الى صميم المعتقدات الاسماعيلية به كامام تنقل في الانوار من قبل آدم .

كانت ولادة الامام العزيز بالله نزار بن المعز لدين الله أبي تميم معد في يوم الخميس الرابع عشر من محرم سنة ٣٤٤ هجرية بالمهدية ، قدم الى القاهرة مع أبيه المعز وولى عهده في يوم الخميس الرابع من ربيع الآخر سنة ٣٦٥ هجرية وهو في الثانية والعشرين من عمره ، وكانت أمه أم ولد اسمها « درزاره » .

في عهده ترامت رقعة الامبراطورية الاسماعيلية من بلاد المغرب شرقاً الى ساحل المحيط الاطلسي غرباً ، ومن آسيا الصغرى شمالا الى بلاد النوبة جنوبا ، وفي أيامه ازداد خطر القرامطة وأفتكين في الشام ، فحاول أن يستميل اليه أفتكين بالطرق السلمية واعداً أياه بالمكافأة اذا ترك دمشق ، ولكن أفتكين

(١) من مجموعة أشعار اسماعيليةورقة ١٦٣ نسخة خطيةبمكتبتي الخاصة .

تحالف مع القرامطة واعلنوا الثورة على الامام ، الذي لم ير بدأ من أن يرسل لهم جيشاً لجباً بقيادة جوهر الصقلي ، فسار اليهم سنة ٣٦٦ هجرية ، ولما علم القرامطة وكانوا في الرملة ، هربوا الى الأحساء ، فدخل جوهر الرملة واحتلها ، وتوجه الى دمشق فحاصرها فترة من الوقت تمكن خلالها أفتكين من الهرب الى طبرية حيث انضم الى فلول القرامطة واستعد للقاء جوهر بعد أن جمع المؤن من حوران والبثينة ، عاد جوهر عن دمشق في ٣ جمادي الاولى سنة ٣٦٦ هجرية لمنازلة القرامطة في عسقلان فجرى بينهما قتال شديد استمر طويلا مما أجبر القائد جوهر الى العودة الى مصر وشرح الحالة للامام فخرج الامام بنفسه لمقاتلة القرامطة وافتكين بعد أن أعد العدة وحشد العساكر وزودها بالمؤن والذخائر .

وفي ١٣ محرم سنة ٣٦٨ هجرية تلاقى الجيشان وحمى وطيس القتال ودارت الدائرة على القرامطة وأفتكين ، ويذكر التاريخ بان الامام قد حاول عدة مرات أن يستميل افتكين عندما شاهده بنفسه يخترق الصفوف ويجندل الفرسان ، ولكن أفتكين أظهر التمرد مما اضطر الامام العزيز الى التلاحم معه أكثر من مرة ، وأخيرا تمكن أحد الشجعان من أسر أفتكين بعد هرب قواته فاقتيد الى مصر مع الاسرى ، فأحسن اليهم الخليفة العزيز بالله وكساهم واسند اليهم الاعمال التي كانوا يولونها أيام أفتكين ، ولما مثل أفتكين بين يدي الامام المعز استقبله أحسن استقبال وبالغ في اكرامه وأسكنه دارا فسيحة واغدق عليه صلاته وعطاياه حتى مات سنة ٣٧٢ هجرية (١) .

وهكذا أصبحت سورية بعد القضاء على هذه الفتنة الخطيرة ولاية فاطمية عاصمتها دمشق . فوجه الامام العزيز الى هذه الولاية الجديدة الاعتناء الزائد فاختار لولايتها غلامه (بنجوكتين) التركي وأمره أن يفتح حلب وبالفعل سار بنجوكتين الى دمشق ومنها الى حلب فاصطدمت جيوشه بجيوش

(١) خطط المقريزي ٦٧/٤ وفيات الاعيان لابن خلكان ١٥٣/٢

البيزنطيين على ضفاف العاصي فهزمهم وأسر قائدهم وطاردهم حتى انطاكية فقتل منهم خلق كثير ، وكان ذلك سنة ٣٨١ هجرية[1] .

وبعد أن استقرت الاحوال في جميع أنحاء الامبراطورية الفاطمية ، رأى الامام العزيز بالله أن يحول جهوده الى النواحي الاصلاحية فانفق الاموال الطائلة على تشييد المباني ، وانشاء الجسور والمرافيء وتقوية الجيش والبحرية ، فازداد عدد الاسطول زيادة ملحوظة ، وعين الاتراك قواداً لجيشه كما عين يعقوب بن كلس وزيراً له ، وخلع عليه لقبه بالوزير الاجل وأثبت اسمه على الطراز ، واهتم الامام العزيز بانشاء دور للكتب وشحنها بالمؤلفات الضخمة التي تبحث في جميع العلوم ، ووجه اهتمامه الزائد لمكتبة القصر فرعاها بنفسه وانفق عليها الأموال الطائلة حتى قيل انها حوت مائة وسبعون ألف مجلدا جلّها في الفلسفة والطب والتاريخ والادب والفقه ؛ كذلك شجع العلماء والشعراء والمؤلفين ووهبهم الاموال وخصص لهم المنح والعطايا ، وجعل من الجامع الازهر مدرسة علمية أنفق عليها من جيبه الخاص فتخرج منها علماء كان لهم شأن عظيم في عالم الفكر والتأليف[2] هذا ما جعل الشعراء يتسابقون في تخصيص القصائد الخالدة لمدحه ومن تلك القصائد ماقال الشاعر الاسكندراني في قصيدته (ذات الدوحة) التي نقتطف منها عدة أبيات وسنقدمها كاملة عندما نأتي على ذكر هذا الشاعر في مكان آخر نظراً لما تتمتع به من مكانة سامية في عالم الأدب والشعر والفلسفة ولما تضمنته من المصطلحات الاسماعيلية :

سئمت من البين الذي ليس يصدق   فلست بغير الحق والصدق أنطق
أأمدح رهطا غير رهط محمد   وفي الجيد عهد للامام موثق
أئمة دين الله مذ قام دينه   وأنوار هذا الخلق من قبل يخلق

(١) ابن الأثير ٣١/٩
(٢) تاريخ الدعوة الاسماعيلية ص (١٥٩)

محبتهم فرض على الناس واجب   وعصيانهم كفر الى النار موبق
هم العروة الوثقى ، هم منهج الهدى   هم الغاية القصوى التي ليس تلحق
ولولاهم لم يخلق الله خلقه   ولم يك في الدنيا ضياء ورونق
هم دوحة الدين التي تثمر الهدى   وباليمن والتقوى تظل وتسبق
فضائل مولانا العزيز جليلة   اذا عد فضل فهو بالفضل يسبق

وها هو ذا الأمير تميم بن المعز لدين الله أخ الامام العزيز يصف امامه وأخاه فيقول :[1]

جئت الخلافة لما أن دعتك كما   وافى لميثاقه موسى على قدر
كالأرض جاد عليها الغيث منهملا   فزانها بضروب الروض والزهر
ما أنت دون ملوك العالمين سوى   روح من القدس في جسم من البشر
نور لطيف تناهى منك جوهره   تناهيا جاز حد الشمس والقمر
لو شئت لم ترض بالدنيا وساكنها   مثوى ، وكنت مليك الانجم الزهر
ولو تفاطنت الألباب فيك درت   بأنها عنك في عجز وفي حصر

ومهما أوتي المرء من قوة التعبير لا يستطيع أن يوفي هذا الامام العظيم حقه ، لما كان يتحلى به من الشمائل النادرة ، والاخلاق الحميدة ، التي حببته الى جميع القلوب ، وجعلت له مكانة سامية حتى في قلوب الاعداء الذين عاصروه .

توفي الامام العزيز في مدينة بلبيس من مرض طويل في المثانة وقولنج ، في اليوم الثامن والعشرين من شهر رمضان سنة ٣٨٦ هجرية وهو في الرابعة والاربعين من عمره ، ودفن في مقبرة القصر مع آبائه ، وكانت مدة خلافته بعد أبيه المعز احدى وعشرين سنة وخمسة أشهر ونصفاً . وكان نقش خاتمه : « بنصر العزيز الجبار ، ينتصر الامام نزار » . وخلف من الأولاد : المنصور

(١) ديوان الأمير تميم ١٥٨ نسخة خطية .

وسيدة الملك ، وقيل أنه كان أسمر طوالا ، أصهب الشعر ، أعين أشهل ، عريض المنكبين ، شجاعا كريما حسن العفو عند المقدرة ، لا يعرف سفك الدماء ، له معرفة بالخيل ، وجوارح الطير ، محبا للصيد ، وخاصة صيد السباع[1] .

* * *

(١) اتعاظ الحنفا ص ٢٩٦ : وفيات الاعيان ابن خلكان : ١٥٣/٢

المصطفى بالله

نزار بن المستنصر

يعتبر الامـام المصطفى بالله نزار ضحية من ضحايا تلك المؤامرات الدنيئة التي كانت تمثل على مسرح هذا الوجود لاغتصاب حق شرعي أقره العرف والقانون ، وليس الامام نزار بالضحية الاولى من آل بيت رسول الله (ص) بل سبقه عشرات الضحايا والشهداء الابرار الذين سفكت دماؤهـم الزكية الطاهرة في سبيل خدمة البشرية وسعادتها .

ولد الامام المصطفى بالله نزار بن الامام المستنصر[1] في ١٠ ربيع الأول سنة ٤٣٧ هجرية في مدينة القاهرة وأصبـح وليا للعهد سنة ٤٨٠ هجرية بموجب النص عليه من والده بحضور نخبة من رجالات الدعوة الاسماعيلية واعلنت ولايته للعهد على الجمهور .

ولما توفي الامام المستنصر في ١٢ ذي الحجة سنة ٤٨٧ هجرية أقصى نزار عن الخلافة نتيجة لمؤامرة دبرها الوزير الافضل بن بدر الجمالي الذي كان يخشى ان يتسلم نزار الخلافة فيبعده عن الوزارة لما كان يتمتع به من سمعة سيئة ونفوذ عظيم في البلاد ، وتذكر المصادر التاريخية أسباب أقصاء نزار عن الخلافة فتقول : أن الأفضل دخل مرة أحد أبـواب قصر الامام المستنصر راكباً بغلة ، فلما رآه نزار ، قال له : « انزل يا أرملي يا نجس » فحقد عليه الافضل وانتهز فرصة وفاة المستنصر وحال بينه وبين الخلافـة ، فاجتمع بالأمراء وكبار رجال الدولة ، وأثار مخاوفهم من نزار ، وأشار عليهم بتولية أخيه الصغير أبي القاسم أحمد ولقبه (المستعلي بالله) واخذوا له البيعة من كبار رجال الدولة .

(١) تاريخ الدولة الفاطمية ١٧١ وهو أبو منصور المصطفى بالله نزار .

ولقد اتى المؤرخ ابن الأثير على ذكر اسباب نقمة الافضل فقال :

« كان الامام المستنصر قد عهد لولده نزار بالامامة والخلافة سنة ٤٨٠ هجرية ، الا أن الافضل رئيس الوزراء سعى لخلعه وبايع أخاه الاصغر أحمد المستعلي ، وسبب نقمة الافضل انه ركب مرة أثناء خلافة المستنصر ودخل القصر راكباً من باب الذهب بينما كان نزار خارجاً من نفس الدهليز فصاح به (انزل يا أرمني ياكلب عن الفرس اذا ماكنت داخلا الى القصر ، ما أقل أدبك) فحقدها عليه وخشي اذا ما اضحى خليفة أن يقضي عليه ويبعده عن الوزارة ، فسعى لخلعه خوفا منه وبايع أخاه المستعلي » .

ولما رأى الامام نزار أن الخلافة اغتصبت منه بالقوة سار الى الاسكندرية مع أخيه عبد الله وابن مصال اللكي ، ونخبة من الدعاة الذين فضلوا المسير معه ، فاستقبله والي الاسكندرية ناصر الدولة أفتكين والقاضي جلال الدين ابن عمار وبايعوه ومن ثم أخذوا له البيعة من جميع أهل الاسكندرية ولقب (المصطفى لدين الله) وأتته البيعة وكتب الولاء من سائر بلاد فارس وسوريا وجبال الطالقان وغيرهما من البلدان[1] الأخرى والقلاع الاسماعيلية ؛ فلما علم الأفضل بذلك خرج لقتال الامام نزار على رأس جيش لجب ، فدارت الدائرة على الأفضل وعاد مهزوماً الى القاهرة ، فأخذ يعد العدة لقتال نزار ونجح باستمالة بعض العربان من أتباع نزار ، ولما تم ذلك توجه ثانية الى الاسكندرية على رأس جيش كثير ففتح الاسكندرية والقى القبض على حاكمها أفتكين وعلى القاضي جلال الدين وعددا من رجالات الدعوة النزارية وقيل أنه قبض على الامام نزار فسلمه للمستعلي الذي أمر أن يبني عليه حائطاً فمات ، وقيل في رواية أخرى أن الامير نزار قتل في القاهرة سنة ٤٨٨ هجرية أما ابن مصال اللكي فقيل أنه جمع ماله وفر الى بلاد المغرب .

(١) تاريخ الدعوة الاسماعيلية (١٧٢) .

غير أن أغلب المصادر التاريخية لا تؤيد هذه الأقوال وخاصة المصادر الاسماعيلية النزارية التي هي بين أيدينا اذ يقول اكثرها بان الامام نزار قد تمكن من مغادرة الاسكندرية سرا أثناء الحصار مع ابن مصال اللكلي وخمسة من الفدائيين الاسماعيلية الذين أوفدهم ابن الصباح من أجل مرافقة الامام نزار الى آلموت فيما لو أراد الحضور ، وتوجه الى بلاد فارس حيث استقر به المقام في جبال الطالقان واسس الدولة النزارية هناك .

ومنذ ذلك التاريخ انقسمت الاسماعيلية الى فرقتين : الاولى ظلت على اخلاصها للامام نزار فسميت بالنزارية وتعرف الآن (الآغاخانية) وهي موضوع بحثنا في هذا الكتاب والفرقة الثانية سارت وراء المستعلي فسميت (بالمستعلية) وتعرف الآن بطائفة (البهرة) في الهند و (الطيبة) باليمن .

ولا بد لنا من التعرض الى البواعث والاسباب التي دعت الى محاولة طمس تاريخ الدولة النزارية وذلك عن طريق الادعاء بأن نزاراً قد قتل في القاهرة مع أبنائه ، وبذلك تم للمستعلي القضاء على سلالته أو بالاحرى على عرقه ، أما الامام الذي أسس الدولة النزارية في فارس فليس من صلب نزار ولا من ابنائه انما قيل أنه من سلالة الحسن بن الصباح الداعي المعروف. كل هذه الادعاآت والاشاعات اطلقت بقصد ابعاد الاسماعيلية الذين تهافتوا على نزار عندما أصبح في آلموت ، ولكن الله لأمر يريده أظهر الحقيقة التي لا غبار عليها ، فعثرنا على مخطوطة اسماعيلية ضمن كتاب للداعي الاسماعيلي المغربي الشيخ محمد أبي المكارم[1] ذكر فيه قصة فرار الامام نزار من الاسكندرية فقال :

عندما اشتد الحصار على الاسكندرية من قبل الجاحد المارق الذنديق الارمني الافضل غادرها مولانا الامام نزار عليه السلام مع أهل بيته متخفيا

(١) كتاب (الاخبار والآثار) ص ٢١٤ .

بذي التجار نحو سجلماسة حيث مكث عند عمته هناك بضعة أشهر حتى عادت اليه الرسل التي اوفدها لابلاغ الحسن بن الصباح عن محل اقامته فسار الى جبال الطالقان مع أهل بيته ومن بقي معه من دعاته وخدمه حيث استقر بقلعة آلموت بين رجال دعوته المخلصين ، وعمل الحسن بن الصباح على تأسيس الدولة النزارية وبعد أن تم له ذلك أصابه مرض شديد استدعى على أثره دعاته ونص على امامة ابنه (علي) وذلك سنة ٤٩٠ هجرية وتوفي في اليوم الثاني ودفن في قلعة آلموت •

ومهما يكن الأمر فان الحسن بن الصباح أيد الدعوة النزارية ومهد لها في فارس وخراسان فأصابت نجاحا بعيد المدى ، وأفلح الامام نزار في تكوين دولة جديدة بنظام جديد ، وخلق مجتمعات اسماعيلية بحتة تستقر في أماكن حصينة ، وتعمل بموجب تعاليم فلسفية وتنظيمات علمية ، وقد قسمت الدعوة النزارية الى مراتب ودرجات جعل أساسها المحبة والاخوة والمرحمة تقويها الروابط الوثيقة بين الافراد فأصبح لها دور كبير في السياسة والعلم ، والفلسفة ، في بلاد الهند وايران ، والشام ، وكان الحسن بن الصباح الساعد الايمن للأئمة النزارية والعقل المدبر لجميع الحوادث التي كانت تجري في العالم الاسلامي •

ومنذ ذلك التاريخ قطعت جميع الصلات والروابط التي كانت تربط بلاد فارس والشام بالخلافة الفاطمية بمصر وأصبحت الدولة الاسماعيلية الجديدة من ألد أعداء الخلفاء الفاطميين الذين اغتصبوا الحق الشرعي من نزار •

* * *

نصير الدين الطوسي

يعتبر من كبار الفلاسفة الذين كتبوا في الموضوعات الدينية والفلسفية والطبيعية والمسائل المتصلة بعلم الفلك ، ولد في مدينة (طوس) كما تدل على ذلك نسبته في سنة ٥٩٧ هجرية[1] انتسب منذ نشأته الاولى الى المدارس الاسماعيلية التي كانت منتشرة بكثرة في بلاده وبعد أن ترقى في العلوم الدينية والفلسفية ، توجه الى (آلموت) مقر الدعوة في ذلك الوقت حيث أكمل دراساته العليا على كبار دعاتها وفلاسفتها ؛ استطاع أن يحتل مكان الصدارة ويصبح مدرسا في مدرسة الدعاة ، فأقام في قلعة (آلموت) يصنف الكتب في مختلف العلوم ويلقي المجالس والمحاضرات ، ويشرف على المراصد الفلكية التي كانت موجودة فيها ، وظل على اخلاصه وتفانيه في خدمة العقيدة التي آمن بها ورضع لبانها منذ نعومة أظفاره حتى أخضع (هولاكو خان) قلعتي (آلموت) و (ميمون دز) فعثر على هذا الفيلسوف الكبير في مرصد القلعة ، فاقتاده الجند الى (هولاكوخان) ، ولما مثل بين يديه أكرمه وطلب منه أن يلتحق بخدمته كوزير له ، فرفض في بادىء الامر الا اذا أمن على أرواح وممتلكات الاسماعيلية فوعده خيرا شريطة أن يرافقه في حملته على بغداد • وهكذا انتقل هذا الفيلسوف العظيم الى خدمة هولاكو خان بعد أن أخذ العهد منه على المحافظة على الاسماعيلية •

وبعد أن تم لهولاكوخان احتلال بغداد أشار عليه بأن يقتل آخر خلفاء بني العباس (المستعصم بالله) حتى لا يغضب عليه الله ، واغتنم فرصة وجوده في بغداد فجمع كل ما تمكن من جمعه من الكتب النادرة • وقيل ان مكتبته

(١) ابن شاكر : فوات الوفيات : ١٤٨/٢ ويذكر بروكلمان انه ولد في سنة ٦٠٧ هجرية ولا ندري من أي مصدر علم ذلك .

أصبحت بعد فتح بغداد تضم أكثر من أربعمائة ألف مجلد[1] • ولقد ساعد في بناء المرصد المشهور في مدينة (المراغة) مع جماعة من العلماء ذكر نصير الدين الطوسي أسماءهم في كتابه (زيبح ايلخاتي) ومات في بغداد سنة ٦٧٣ هجـرية •

كان نصير الدين الطوسي كاتبا خصب الانتاج ذكر انه ترك ستة وخمسين مؤلفا مكتوبة باللغة العربية أهمها :

١ ــ روضة التسليم •

٢ ــ مطالب المؤمنين •

٣ ــ تجريد العقائد •

وله جملة مؤلفات بالفارسية ، وكثير من الاشعار • ومن مؤلفـاته التي كتبها بالفارسية :

١ ــ أخلاق ناصر : وهو كتاب مشهور في علم الاخلاق •

٢ ــ « بيست باب درمعرفت اسطرلاب » أي عشـرون بابا في معـرفة الاسطرلاب •

٣ ــ (رسالة سي فصل) •

٤ ــ (تنسوق تامة ايلخاني) رسالة في المعـادن والاحجار ولم يبق من اشعاره الفارسية الا أمثلة قليلة •

* * *

(١) ابن شاكر : فوات الوفيات : ١٤٩/٨

أبو حنيفة النعمان المغربي

هو أبو حنيفة النعمان بن محمد بن منصور بن أحمد بن حيون التميمي المغربي ، ويعرف لدى الاسماعيلية باسم (سيدنا القاضي النعمان) تميزا بينه وبين أبي حنيفة النعمان صاحب المذهب الحنفي المشهور[1] اختلف العلماء والمؤرخون حول تاريخ مولده فقال بعضهم انه ولد سنة ٢٥٩ هجرية • الا ان الاستاذ آصف‌فيضي خالف الجميع وقال انه ولد في العشر الاخير من القرن الثـالث ، وقيل انه كان مالكي المذهب ثم تحول الى الشيعة الاثنى عشرية ثم انتقل الى الاسماعيلية الفاطمية[2] ويذكر آصف فيضي ان النعمان كان اسماعيلي المذهب منذ نعومة أظفاره وانه اتخذ التقية والستر خوفا على نفسه وعلى مذهبه ، دخل في خـدمة الامام الاسماعيلي المهدي واتصل بالقـائم بأمر الله طوال مدة حكمه وولي قضاء مدينة طرابلس • ولما بنى المنصور مدينة المنصورية كان النعمان أول من ولي قضاءها • وقد ولاه المنصور القضـاء على سائر مدن افريقيا وأصبح شديد الصلة بالامام الاسماعيلي ومقربا منه ، وظل قاضي قضاة هذه المدن وتحت امرته قضاتها الى أن ولي المعز الامامة فاشتدت صلة النعمان به وكان يجالسه ويسايره وقل أن يفارقه ووضع النعمان كتابه المجالس والمسايرات جمع فيه كل ما رآه وما سمعه من امامه المعـز ، وفي مؤلفات النعمان كثير من الدلائل تبين انه كان يعرض كتبه على الامام المعز قبل اذاعتها ونشرها بين الناس •

(١) Fayrgee : the ismailian low of nut'a (J. B. B. R. A. S. 1929) p. 85

(٢) وفيات الاعيان جـ ٢ ص ١٦٦ المستدرك جـ ٣ ص ٣١٣

ويعتبر القاضي النعمان (المشرع الاسماعيلي) لما له من أثر كبير في الحياة العقلية للدولة الاسماعيلية في مصر وتعتبر مؤلفاته من الدعائم القوية التي ركز عليها المذهب الاسماعيلي ولا تزال كتبه حتى يومنا هذا من أقوم الكتب لدى الاسماعيلية .

ويذكر ابن خلكان نقلا عن ابن زولاق ان النعمان بن محمد القاضي كان في غاية الفضل من أهل القرآن وبمعانيه ، وعالما بوجوه الفقه وعلم اختلاف الفقهاء ، واللغة ، والشعر الفحل ، والمعرفة بأيام النـاس مع عقل وانصاف[1] وأصبحت الكتب التي ألفها عمدة كل باحث في المذهب الاسماعيلي والاصل الذي يستقي منه علماء المذهب .

وقد أفاد الدعوة الاسماعيلية بكثرة مؤلفاته في الفقه ، والمناظرة ، والتأويل ، والعقائد ، والسير ، والتاريخ ، والوعظ ، ومن الثابت ان النعمان ألف بضعة وخمسين كتابا ، بقي منها حتى اليوم نحو من عشرين كتابا وضاع الباقي .

وقيل ان الامام المعز قال عنه : من يؤدي جزءا من مائة مما أداه النعمان أضمن له الجنة بجوار ربه[2] وأهم مؤلفات النعمان (دعائم الاسلام) ويبحث في الفقه الاسماعيلي ويقع في مجلدين ضخمين ، يشمل كل منهما على سبعمائة صفحة[3] ويذكر الداعي ادريس في كتابه عيون الاخبار ان الامام المعز هو الذي حث القاضي النعمان على تأليفه عندما مثل بين يديه مع كثير من الدعاة ، فتناولوا الكلام على الاحاديث الموضوعة ، والاختلاف في الرواية فذكر لهم الامام المعز الحديث المشهور (اذا ظهرت البدع في أمة ، فليظهر العالم علمه ، والا فعليه لعنة الله) ونظر المعز لدين الله عليه الصلاة والسلام الى القاضي

(١) ابن خلكان ج ٢ ص ١٦٦ وفيات الاعيان .
(٢) عيون الاخبار للداعي ادريس عماد الدين ج ٦ ص ٤١
(٣) حققهما العلامة آصف فيضي وتم نشرهما في مصر .

النعمان بن محمد ، رضوان الله عليه ! فقال : أنت المعني في هذه الاوراق يا نعمان ، ثم أمر بتأليف (دعائم الاسلام) وأصل أصوله . وفرع فروعه ، وأخبره بصحيح الروايات عن الطاهرين من آبائه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم[1] وأصبح كتاب دعائم الاسلام المرجع الاسماعيلي في الاحكام والفتوى وفي الحقيقة ان القاضي النعمان ترك للدعوة الاسماعيلية ثروة فكرية ثمينة بالرغم من ضياع أكثر مؤلفاته .

ويقول ابن خلكان : ان النعمان ألف لأهل البيت من الكتب آلاف أوراق بأحسن تأليف وأملح سجع ، وعمل في المناقب والمثالب كتابا حسنا ، وله ردود على المخالفين[2] ، وذكر البرفسور ايفانوف في كتابه (المرشد الى أدب الاسماعيلية) كتب القاضي النعمان وقسمها الى[3]:

آ ـ كتبه الفقه :

١ ـ كتاب الايضاح .
٢ ـ مختصر الايضاح .
٣ ـ كتاب الاخبار **في الفقه** .
٤ ـ مختصر الآثار فيما روي عن الأئمة الاطهار وهو كتاب متداول الآن بين طائفة **البهرة** .
٥ ـ الاقتصار[4] .
٦ ـ القصيدة المنتخبة .
٧ ـ دعائم[5] الاسلام في ذكر الحلال والحرام والقضايا والاحكام .

(١) ادريس عماد الدين عيون الاخبار ج ٦ ص ٤٢
(٢) وفيات الاعيان ج ٢ ص ١٦٦
(٣) المرشد الى أدب الاسماعيلية ص ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ .
(٤) تحقيق الدكتور محمد ميرزا ، جامعة لكنو ـ الهند .
(٥) تحقيق الدكتور آصف علي أصغر فيضي .

٨ ــ كتاب منهاج الفرائض .
٩ ــ كتاب الاتفاق والافتراق .
١٠ ــ المقتصر .
١١ ــ كتاب الينبوع .

ب ــ كتب الاخبار :

١ ــ شرح الاخبار في فضائل الأئمة الاطهار في ستة عشر جزءا .
٢ ــ قصيدة ذات المحنة وهي منظومة في ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد الخارجي .
٣ ــ قصيدة ذات المنن منظومة في بعض حوادث وقعت للمعز .

جـ ــ كتب الحقائق :

١ ــ دعائم الاسلام .
٢ ــ تأويل الشريعة .
٣ ــ أساس[1] التأويل .
٤ ــ شرح الخطب التي لأمير المؤمنين علي .
٥ ــ كتاب التوحيد والامامة .
٦ ــ اثبات الحقائق في معرفة توحيد الخالق .
٧ ــ حدود المعرفة في تفسير القرآن والتنبيه على التأويل .
٨ ــ نهج السبيل الى معرفة علم التأويل .
٩ ــ الراحة والتسلي .

د ــ في الرد على المخالفين :

١ ــ اختلاف اصول المذاهب .

---

(١) تحقيق عارف تامر .

٢ ــ الرسالة المصرية في الرد على الشافعي .
٣ ــ الرد على ابن سريج البغدادي .
٤ ــ ذات البيان في الرد على ابن قتيبة .
٥ ــ دامغ الموجز في الرد على العتقي .

هـ ــ كتب في العقائد :

١ ــ قصيدة المختارة .
٢ ــ كتاب الهمة في آداب اتباع الأئمة .
٣ ــ كتاب الطهارة .
٤ ــ الأرجوزة .
٥ ــ مفاتيح النعمة .
٦ ــ كتاب الدعاء .
٧ ــ كتاب عبادة يوم وليلة .
٨ ــ كيفية الصلاة على النبي .
٩ ــ التعقيب والانتقاد .
١٠ ــ كتاب الحلي والثياب .
١١ ــ كتاب الشروط .
١٢ ــ منامات الأئمة .
١٣ ــ تأويل الرؤيات .
١٤ ــ التفريع والتصنيف .

و ــ كتب في الوعظ والتاريخ :

١ ــ رسالة الى المرشد الداعي بمصر في تربية المؤمنين .
٢ ــ المجالس والمسايرات والمواقف والتوقيعات .
٣ ــ معالم المهدي .
٤ ــ المناقب لأهل بيت رسول الله .
٥ ــ افتتاح الدعوة .

وتمتاز مؤلفات القاضي النعمان بعـدم الاغراق في التأويل الذي نلمسه في كتب الدعاة الاسماعيلية التي وضعوها في أدوار الستر •

وأهم كتاب خالد للنعمان هو كتـاب دعائم الاسلام وهو الكتاب الذي أمر الامام الظاهر بأن يحفظه الناس وجعل لمن يحفظه مالا جزيلا ، ويشتمل هذا الكتاب على فقه الاسماعيلية كله ، فدعائم الاسلام عندهم الولاية والطهارة والصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد ، ولكل فريضة من هذه الفرائض أصول وفروع وآداب ، تحدث عنها القاضي النعمان ، ويروي ما ورد في كل فريضة من آيات قرآنية وأحاديث نبوية وما جاء عن الأئمة الفاطميين ، وتظهر قيمة هذا الكتاب عند علمـاء المذهب الاسماعيلي ان داعيين من أكبر الدعاة ذكراه في كتبهما واعتمدا عليه ونوها به وهما أحمد حميد الدين بن عبد الله الكرماني فقد ذكر في السور الاول من كتاب راحة العقل أسماء الكتب التي يجب أن تقرأ قبل قراءة راحة العقل وذكر بينهما كتاب دعائم الاسلام : وأما الداعي الثاني فهو المؤيد في الدين هبة الله بن موسى الشيرازي فقد ذكر في السيرة المؤيدية أنه كان يعقد مجلسا خاصا كل يوم خميس يقـرأ فيه على السلطان أبي كاليجار البويهي فصلا من كتاب دعائم الاسلام •

والكتاب الثاني الهام أيضا من كتب النعمان فهو كتـاب « تأويل دعائم الاسلام » واسم الكتاب الكامل كما ورد في متن الكتاب « كتـاب تربية المؤمنين بالتوفيق على حدود باطن علم الدين في تأويل دعائم الاسلام » وهو في ذكر التأويل الباطني للاحكام والفرائض التي وردت في كتـاب دعائم الاسلام وهو من أهم كتب التأويل عند الاسماعيلية • وقد توفي النعمان قبل أن يتمم كتابه هذا • ويحدثنا النعمان عن بعض كتبه فقال عن كتاب وضعه باسم « كتاب الدينار » : سألني بعض القضاة والحكام والطلبة بسط كتـاب مختصر في قول أهل البيت (ص) لهم ، يقرب معناه ويسهل حفظه ، وتخف مؤونته ، فابتدأت شيئا منه وقدرت أن الكتاب اذا كمـل قام على من يريد استنساخه بدينار فما دونه ، وسميته كتـاب الدينار وذكرت ذلك في بسط

افتتاحه ، ورفعت ما ابتدأته منه الى المعز لدين الله وطالعته فيه وسألته قراءته عليه وسماعه منه ليكون مأثورا عنه وكتبت مع ما رفعته منه اليه رفعة ذكرت فيها ذلك له • فوقع الي بخطه في ظهرها :

بسم الله الرحمن الرحيـم • صـانك الله يا نعمان ، وقفت على الكتاب وتصفحته فرأيت ما أعجبني فيه من صحة الرواية وجودة الاختصـار ولكن فيه كلمات تعتاص على كثير من أوليائنا معرفتها فاشرحها بما يقرب منه أفهامهم فيستوي في معرفته والاحاطة بعلم ألفاظه الشريف والمشروف ، فانه يجيء طريفا قريب المأخذ وسمه « كتاب الاختصار لصحيح الآثار عن الأئمة الاطهار » فان ذلك أشبه به من كتاب الدينار لأن فيه من علم أولياء الله ما يحث على كافة الخلق طلبه بأرواحهم فضلا عن أموالهم ، وهذا الاسم يضع من قدره عند ذوي النعم ويرون أنهم يصلون اليه والى ما هو أجـل منه ببذل اليسير من حطام دنياهم (١) •

والخلاصة : لقد أدى القاضي النعمان للدعوة الاسماعيلية خدمات علمية جلّى كان لها الفضل الاكبر في تركيز دعائم الدعوة ولا غرو فقد كان اللسان الناطق للامام واستحق أن يتربع على عرش الدعوة العلمية وأن يورث أبناءه هذه الزعامة وكانت وفاته في شهر جمادى الآخرة سنة ٣٦٣ هجرية وصلى عليه الامام المعز لدين الله •

* * *

(١) المجالس والمسايرات ورقة ٧٤/ب

حرف الهاء

المؤيد في الدين داعي الدعاة
هبة الله الشيرازي

لا يمكن للباحث المدقق أن يأتي على ذكر علماء الدعوة الاسماعيلية وفلاسفتها دون أن يتعرض لعالم فحل خدم الدعوة خدمات جلى ، فبلغت على يديه درجة عظيمة من الازدهار ، ذلك هو العالم الكبير المؤيد في الدين هبة الله داعي الدعاة الذي عرف في تاريخ الادب العربي بمناظرته مع أبي العلاء المعري في (تحريم أكل اللحم) .

جاء المؤيد في الدين الى مصر مقر الخلافة الفاطمية ، وأقام بها زهاء ثلاثين عاما ، عمل خلالها على نشر العقائد الاسماعيلية عن طريق القاء المحاضرات العلمية ، والمجالس التأويلية ، فاستمع له جمهرة من المصريين وأخذوا عنه علوم الدعوة وفلسفتها ، فكان له تأثير كبير في الحياة العقلية ، وعنه أخذ الدعاة اليمنيون فادانوا له بالاستاذية في علوم الدعوة ، وفي القاهرة أنشد المؤيد أكثر قصائد ديوانه ، وألقى مجالسه التي بلغت الثمانمائة مجلس ، تحدث فيها عن العقائد الاسماعيلية وعلوم دعوتها .

اسمه كما ورد في كتب التاريخ هبة الله بن أبي عمران موسى بن داود الشيرازي ، ولد في شيراز في القرن الرابع من الهجرة ، ولقد اختلف المؤرخون في السنة التي ولد فيها ، فذكر الهمداني انه كان في التاسعة والعشرين من عمره حين طلب اليه أن يغادر بلاده في سنة ٤٢٩ هجرية أعني ان ولادته كانت سنة ٤٠٠ هجرية[١] ولكن الدكتور كامل حسين خالف هذا الرأي فقال ان ولادة المؤيد كانت على الارجح سنة ٣٩٠ هجرية معتمدا في ذلك على بيتين

(١) مقاله في المجلة الاسيوية
Hamadani (J. R. A. S.) 1932 part i. p. 13

من الشعر وردا في ديوان المؤيد يخاطب بهما الامام الاسماعيلي المستنصر بالله قال :

لي في هجرة اليك تمن   قد تمنيته واني غلام
وتدانى من أربعين لي السن   ولم يقض للتمني زمام

وبذلك دل على أنه بلغ الاربعين من عمره سنة ٤٢٧ هجرية[١] .

ونحن ازاء هذه الآراء المتضاربة في تاريخ ولادته ، وباعتبار أننا لم نعثر على أي مصدر يؤيد أو ينفي تلك الآراء لا يسعنا الا أن نأخذ بقول الدكتور كامل حسين . كانت ولادة المؤيد في اسرة اتخذت العقيدة الاسماعيلية مذهبا لها ، فأبوه كان حجة جزيرة فارس في عهد الامام الحاكم بأمر الله الفاطمي ، فنشأ ابنه هبة الله وأعد ليحتل مكان والده في الدعوة الاسماعيلية في ذلك الاقليم ، وما كاد يبلغ أشده حتى استوعب كل ما يخص الدعوة الاسماعيلية وأسرارها ، فكاتب أبوه الامام الحاكم بأمر الله متوسلا أن يولي ابنه هبة الله أمر الدعوة في فارس من بعده ، وبالنظر لنبوغ هبة الله المبكر ونشاطه الملموس في خدمة الدعوة . أصبح حجة بلاد فارس بعد وفاة أبيه ، فكرث جهوده لرفع مستوى الدعوة في تلك البلاد ، وعمد الى تنظيمها تنظيما علميا بحتا ، فانقاد له أتباعه الانقياد كله ، وضحوا في سبيله بأرواحهم ، وازداد عددهم زيادة مخيفة ، مما جعل السلطان أبو كاليجار البويهي يخاف سطوته ونفوذه ، فحاول أن ينفيه مرارا من شيراز ، ولكنه كان يخشى ثورة أتباع المؤيد من الاسماعيلية ، الا ان المؤيد استطاع بما أوتي من مقدرة فائقة أن يتصل بأبي كاليجار ، فأقنعه بالاستماع اليه وأن يعقد مجالس المناظرة بين المؤيد وعلماء الشيعة والمعتزلة وأهل السنة ،فبرز المؤيد على خصومه ومناظريه ، مما اضطر السلطان أن يخضع لقوة بيان المؤيد ودافع حجته ، ويدخل في دعوته .

(١) ديوان المؤيد في الدين ص ٢٢ .

ولقد ساعد دخول السلطان الدعوة المؤيد في الدين فأجهر بمعتقداته الاسماعيلية في بلد يدين للعباسيين دون خشية ، مما حمل قاضي الاهواز على ارسال كتاب الى الخليفة في بغداد ينعي فيه الدولة العباسية وضياع خلافتها على يد المؤيد في الدين ، وبنفس الوقت ثار أهل السنة على أبي كاليجار ، مما أجبر العباسيين على ايفاد الوزير العباسي ابن المسلمة للقبض على المؤيد ، ولكن المؤيد علم بالامر فسار متخفيا متجنبا الطرق العامة ، سالكا البراري والقفار حتى وصل الى مصر سنة ٤٣٧ هجرية • والمؤرخون مختلفون في تاريخ وصول المؤيد في الدين لمصر ، فقال المستشرق الروسي (ايفانوف) انه وصل سنة ٤٣٩ هجرية[1] وذكر الدكتور همداني انه دخل مصر سنة ٤٣٠ هجرية الا ان المؤيد يذكر في سيرته أنه لقي بمصر عند وصوله : أبا سعيد التستري الذي قتل سنة ٤٣٩ هجرية • ويرى الدكتور كامل حسين أن المؤيد جاء الى مصر بين سنتي ٤٣٦ و ٤٣٩ هجرية وأخذ يتردد على أبي سعيد التستري ويتقرب اليه ، فلما قتل التستري في سنة ٤٣٩ هجرية تقرب المؤيد من الوزير أبي نصر الفلاحي الذي سهل له السبيل لمقابلة الخليفة وقد تحققت أمنيته ومثل بين يدي الامام في آخر شعبان سنة ٤٣٩ هجرية •

والمؤيد في سيرته يتحدث عن حياته في مصر وعن علاقته ببعض الوزراء ورجال بلاط المستنصر بالله ولقد وصف المؤيد أول مقابلة له للامام الفاطمي المستنصر بالله فقال :

« وكنت في مسافة بين السقيفة الشريفة والمكان الذي ألمح فيه أنوار الطلعة الشريفة النبوية • فلم تقع عيني عليه الا وقد أخذتني الروعة وغلبتني العَبرَة ، وتمثل في نفسي أنني بين يدي رسول الله وأمير المؤمنين ماثل ، وبوجهي الى وجهيهما مقابل • واجتهدت عند وقوعي الى الارض ساجدا لولي السجود ومستحقه أن يشفعه لساني بشفاعة حسنة بنطقه ، فوجدته

(1) المرشد الى الادب الاسماعيلي ص ٤٧ •

بِعُجمة المهابة مَعْقولا ، وعن مزية الخطابة معزولا • ولما رفعت رأسي من السجود ، وجمعت عليّ ثوبي للقعود ، رأيت بنانا يشير اليّ بالقيام لبعض الحاضرين في ذلك المقام • فقطب أمير المؤمنين خلد الله ملكه وجهه عليه زَجراً ، على انني ما رفعت به رأسا ، ولا جعلت له قدرا ، ومكثت بحضرته ساعة ، لا ينبعث لساني بنطق ، ولا يهتدي لقول ، وكلما استزد الحاضرون مني كلاما ازددت اعجاماً ، ولتعقبه ألقى اقتحاما • وهو ، خلد الله ملكه ! يقول : « دعوه حتى يهدأ ويستأنس » • ثم قمت وأخذت يده الكريمة فترشفتها ، وتركتها على عيني وصدري ، ودعيت وخرجت[1] » •

وبعد هذه المقابلة تقلد المؤيد ديوان الانشاء وزيد في رزقه ، وعلا قدره في نظر الامام المستنصر • وكان المؤيد بارعاً في الكتابة بالعربية والفارسية ، فوسع نطاق الدعوة الفاطمية الى بغداد • فلما علم أن طغر لبك السلجوقي حاول أن يهادن البيزنطيين ويحالفهم من أجل الاستيلاء على أملاك الدولة الفاطمية في أعالي الجزيرة وبلاد الشام بعد أن دخل مدينة الري سنة ٤٤٤ هجرية راسل وزير طغر لبك الكندري يستميله الى الفاطميين• الا ان طغر لبك دخل بغداد في سنة ٤٤٧هجرية • فهرب البساسيري ، ولكن سرعان ما اتصل به المؤيد وأبلغه ان الفاطميين مستعدون لشد أزره وامداده بالمال والسلاح • ومن ناحية ثانية أخذ يستميل العرب والاكراد ويخلع عليهم خلع الفاطميين ويغدق عليهم الاموال •

ونجحت خطة المؤيد ، فانتصرت جيوش البساسيري على جيوش طغرلبك، وانتشرت الدعوة الاسماعيلية في العراق ، وخطب للامام المستنصر في بغداد • ولكن البساسيري ما لبث أن تفرقت جموعه ، ونجح طغر لبك في طرده من بغداد في سنة ٤٤٩ هجرية •

(1) السيرة المؤيدة ص ١٢٧ •

ولقد قدّر الامام الاسماعيلي الجهود التي بذلها المؤيد في نشر الدعوة فعينه داعيا للدعاة سنة ٤٥١ هجرية[١] •

لم يمكث المؤيد في هذه المرتبة طويلا اذ خافه الوزراء ، فكادوا له وشاغبوا عليه حتى نفي من مصر ثم اعيد اليها وولي رئاسة الدعوة ثم عزل وولي ديوان الانشاء مرة ثانية ، وعاش حتى توفي في القاهرة سنة ٤٧٠ هجرية ودفن في دار العلم بجوار القصر وصلى عليه الامام المستنصر نفسه •

على هذه الصورة انتهت حياة هذا العالم الفحل الذي خدم الدعوة الاسماعيلية خدمات لن تنسى ودافع عنها بالقلم واللسان واستطاع أن يقنع الملوك والامراء للدخول في المذهب الاسماعيلي ، وحاول القضاء على الدولة العباسية بتأليب امراء العراق والشام على القائم بأمر الله العباسي ، ونجحت مساعيه في اقامة الدعوة لامامه المستنصر على منابر بغداد سنة ٤٥٠ هجرية ، ولولا أسباب لا طاقة له بدفعها لقضى على الخلافة العباسية قضاء تاما ، ولغير وجه التاريخ الاسلامي ، ولقد استطاع أن يعيد مدينة حلب الى أملاك الفاطميين بعد أن أعيت جيوشهم • هذه لمحة عن نشاطه السياسي الذي أهمله أصحاب التراجم في كتبهم ، وبالفعل ظلت حياة المؤيد مجهولة حتى قيض الله لها الدكتور حسين همداني سنة ١٩٣٢ فنشر بحثه عن تاريخ وأدب الدعوة الاسماعيلية في أواخر عصر الفاطميين[٢] ثم قام المستشرق الروسي ايڤانوف بنشر كتابه (المرشد الى الادب الاسماعيلي) • الذي جاء فيه على ذكر داعي الدعاة المؤيد في الدين فعدد الكتب التي ألفها والابحاث التي كتبها ، والمجالس التي عقدها ، وقال ان المؤيد في الدين كان عالما عظيما وكاتبا بارعا في الخوض في كافة المواضيع العقائدية ، وقد خلف عددا لا يستهان به من الكتب التي لا زالت تعتبر من امهات كتب الاسماعيلية الى اليوم ، زد على ذلك ان المؤيد

---

(١) ديوان المؤيد في الدين ص ٤٩ •

(٢) The history of the isma ili Do'wt ons its biterature Suring the last phose of the fotinid Empire. j. R. A. S. port 1 /1932

كان شاعرا قويا صور في شعره العقائد الاسماعيلية تصويرا تاما • فتحدث عن الولاية والتوحيد ، ولا تكاد تخلو قصيدة من قصائده من ذكر الولاية ، والاشارة الى ضرورة اطاعة الأئمة ومن ذلك قوله :

وهم أولو الأمر أئمة الهدى … عصمة من لاذ بهم من الردى
مفروضة طاعتهم على الأمم … قاطبة من عرب ومن عجم
اقرأ : أطيعوا الله والرسولا … ثم أولي الأمر بهم موصولا
ثلاث طاعات غدت معلومة … في آية واحدة منظومة[١]

كما يبحث المؤيد في مبدأ التأويل واعجاز القرآن والرأي والقياس وتعرض لنظرية المثل والممثول فقال :

ان كان اعجاز القرآن لفظا … ولم ينل معناه منه حظا
صادفتم مَعقُودة مَحْلولا … من أجل ان أنكرتم تأويلا[٢]

ولما كانت الامامة بنظر الاسماعيلية هي قيادة العالم ، وحمل معرفة الحقيقة اليه • اذن لا بد من وجود هذا المرشد في كل عصر حتى لا يبقى العالم جاهلا ، وان علياً والأئمة من ذريته هم الذين اختصوا بتأويل القرآن دون غيرهم من الناس • ويقول المؤيد :

وتأويله مستودع عند واحد … وان لم تسائله فزورا تأولت
وأحمد بيت النور لا شك بابه … أبو حسن والبيت من بابه يؤتى
للعلم قوم" به خصوا ، أقامهم … ربّ الورى للورى في أرضه علما[٣]

ويتعرض المؤيد أيضا الى الفقهاء الذين حرفوا القرآن الكريم لانهم لم يفهموا معناه وان فهموا لفظه فقال :

---

(١) ديوان المؤيد صفحة ٦١

(٢) ديوان المؤيد صفحة ١٠١

(٣) ديوان المؤيد ص ١٠٣ •

وهـو الـذي حرّف الكتابـا　　　عن وجهـه وجـانب الصوابـا
يثبتُ شيئـاً ليس فيـه فيـه　　　وحُكْمِ آي أحكمت ينفيه[1]

وتحدث المؤيد في ديوانه أكثر من مرة عن الباطن والظاهر ونظرية المثل والمثول مفسراً الامور العقلية غير المحسوسة بما يقابلها ويماثلها من الامور الجسمانية المحسوسة ، فقال :

والـذي قـال في الكتاب تعـالى　　　مَثَـلٌ ذاك تحتـه ممثـول
أقصد : حمـا ممثوله دون المثل　　　ذا ابر النحـل وهـذا كالعسـل[2]

كما رد المؤيد على الفرق المختلفة في تفسير رؤية الرحمن ، ورد على الفرق التي أثبتت رؤية الرحمن أو انكرتهـا • فقسم الرؤية الى قسمين : أحدهما محسوس والآخر معقول وهو رؤية العقل • فالبصر لا يتعدى المبصرات الجسمية ، والعقـل لا يدرك الا المدركات العقلية ، والرؤية اما رؤية حس أو رؤية عقل • قال :

فالعقـل للمرء أداة كـالبصـر　　　ذا : بـاطن فيه وهـذا قـد ظهر
كلاهمـا يـدرك بالمجالسـة　　　مقالـة صحت بـلا ممارسة
وليس مـن جنس العقـول الله　　　يا قوم : كي تـدركه حـاشـاه
كما تعـالى أن يكون كـالصور　　　مجسمـا كيما يـلاقيه البصر

ومجمل القول أن المؤيد كان من أكبر علماء عصره ، واسع الثقافة ، ملماً الماماً تاما بجميع العلوم التي عرفت في العالم الاسلامي في ذلك الوقت ، قوي الحجة في مناظراته وجداله مع مخالفيه ، ولقد وضعه أبو العـلاء المعري أثناء المناظرة التي دارت بينهما بقوله : « وسيدنا الرئيس الأجل المؤيد فـي الدين لازالت حجته باهرة ودولته عالية ••• ولو ناظر أرسطاليس لجاز

(١) ديوان المؤيد ص ١٠٤ •
(٢) ديوان المؤيد ص ١٠٧ •

أن يفحمه أو افلاطون لنبذ حججه خلفه[1] وهكذا نرى ان الفيلسوف الكبير المعري قد اعترف له بقوة الحجة وفصاحة البيان وأنه ورث علم الاولين ، وعلى يديه بلغت علوم الدعوة الاسماعيلية الذروة ، ويعتبر المؤيد استاذ الدعوة في اليمن والهند ، كما يعـد استاذ الفيلسوف الكبير ناصر خسرو ، ولقد خلف المؤيد مؤلفات قيمة نذكر منها[2] :

١ ـ المجالس المؤيدية ويضم ثمانمائـة مجلسا مـن مجالس الـدعوة الاسماعيلية التي كان يلقيها المؤيد ، وقد رتب هذا الكتاب وقسمه الى أبواب حسب موضوعاته حاتم بن ابراهيم الحامدي الداعي اليمني وسماه (جامع الحقائق) وفي هذا الكتاب نرى مناظرات المؤيد ورده على المخالفين •

٢ ـ ديوان المؤيد في الدين : وهو عبارة عن مجموعة من القصائد التي أنشدها في مدح الأئمة ، وتعرض فيها لحياته ، كما وصف أحواله وأشار الى جهوده في نشر الدعوة الاسماعيلية وملأ قصائده بالعقائد الاسمـاعيلية ومصطلحاتها •

٣ ـ السيرة المؤيدية ، وهو كتاب قيم يتحدث عن الحياة السيـاسية والاجتماعية في فارس والعراق ومصر من سنة ٤٢٩ هجرية الى سنة ٤٥٠ هجرية ويعتبر سجلا للوثائق التي تبودلت بين المؤيد وأمراء العرب ، وبينه وبين الوزراء المصريين ابان ثورة البساسيري •

٤ ـ كتاب شرح المعاد •

٥ ـ كتا بالايضاح والتبصير في فضل يوم الغدير •

٦ ـ كتاب الابتداء والانتهاء •

(١) معجم الادباء جـ ٣ ص ٢٠٢
(٢) W. Ivanow. aguide to ismaili literature.p. 47 - 48 .

٧ ــ جامع الحقائق في تحريم اللحوم والالبان (مقتطف من المجالس المؤيدية) ٠

٨ ــ القصيدة الاسكندرانية ٠

٩ ــ تأويل الارواح ٠

١٠ ــ نهج العبـاد ٠

١١ ــ المسألـة والجواب ٠

١٢ ــ ترجمة أساس التأويل الى الفارسية عن القاضي النعمان ٠

١٣ ــ المجالس المستنصرية وقد تعرض فيه للفلسفة الاسماعيلية وشـرح عقائدها بايجاز ٠

هذا ما تمكنا من أن نستخلصه من حياة هذا الداعي الكبير ، والفيلسوف العظيم الذي قام بقسط وافر في سبيل رفع مستوى العقائد الاسماعيلية ونشرها في مختلف الاقطار والامصار فاستحق أن يحتل بجدارة المرتبة الكبرى التي حصل عليها بفضل علمه واخلاصه ، بالرغم من المكائد والاحابيل التي تعرض لها خلال الفترة التي قضاها في مصر كداعي دعاة ٠

* * *

حرف اليـاء

يحيى بن لمك بن مالك الحمادي

هذا علم آخر من أعلام الدعوة الاسماعيلية اليمنية الذين عرفوا بمقدرتهم العلمية وحجتهم القوية ، تولى رئاسة الدعوة بعد وفاة أبيه القاضي لمك ابن مالك المحادي الهمداني ، وعمل مقتفيا أثر أبيه ، باذلا أقصى جهوده العلميـة والفلسفية لتخريج دفعة ممتازة من الدعاة العلماء الذي انتشروا في مختلف أنحاء الجزيرة العربية ، ووصلت وفودهم الى بلاد الهند ، وقال عنه الداعي أدريس عماد الدين : [1] « ٠٠٠ فاستمر ينصب الدعاة ، ويوضح معـالم الدين ، ويحيي مراسمه ويبين شريعته ، ويفسر تأويله وحقيقته » وبفضل النشاط الذي بذله تحت رعاية الملكة الحرة ، تمكنت الدعوة الاسماعيلية المستعلية ، من تثبيت أقدامها في بلاد اليمن وما انضاف اليها عمان والهند[2] ٠ ذكـر ايفانوف له كتابا واحدا سماه : « فصل في بيان الارض وما عليهـا مـن الماضين » في الصفحة (٥٠) من المرشد الى أدب الاسماعيلية ٠

ولما توفي المستعلي سنة ٤٩٥ هجرية وخلفه ابنه الآمر ، قـامت الملـكة أروى الصليحي بالدعوة له خير قيام وساعدها في ذلك الداعي يحيى بن لمك « فاستقامت بهما أمور الدين في أقطار اليمن ، ووضحت بهـما الفروض الشرعية والسنن ، ومضت بهما الاحكام ، واقيمت شعائر الاسـلام وعرف الحلال والحرام »[3] ٠

ولما اتضح للملكة الحرة أن أركان دولتها أخذت تتزعزع اثر اغتيـال

---

(١) عيون الاخبار : ١٤٤/٧ ٠
(٢) نفس المصدر ١٢٣/٧ ٠
(٣) عيون الاخبار ١٤٤/٧ ، السجلات المستنصرية رقم ٥٠ ٠

الخليفة الآمر باحكام الله بيد جماعة من الاسماعيلية النزارية ، قررت أن تفصل الدعوة عن الدولة فصلا تاما ، كما كان الحال في مصر ، حتى تباشر الدعوة نشاطها العملي والديني مستقلة عن تأييد الدولة ، ففصلت هيئة الدعوةكلية عن ادارة الحكومة ، فاصبح يقوم باعباء هذا النظام الثنائي رؤساء مختارون لادارة شئون الدولة والدفاع عن المملكة ، وآخرون للدعوة •

فأقام الداعي يحيى والملكة الحرة الداعي الذؤيب بن موسى الوادعي الهمداني في رئاسة الدعوة وفي اختياره يقول ادريس : « اجتمع عدة من سلاطين اليمن الى قاضي القضاة وداعي الدعاة باليمن يحيى بن لمك • وكل من أولئك السلاطين يرى أنها ستقع اليه باقامة الدعوة الشريفة الاشارة ، ومتطلع الى أن يلي ايراد الامر فيها واصداره • والذؤيب بن موسى متواضع مع علو مرتبته لأبويه ••• فحين اجتمعوا عند القاضي ابن لمك أعلن بالتعريف بفضل الداعي الذؤيب وعالي مقامه ، وأنه المعاضد له ، وتلى على السلاطين والمؤمنين التقليدين من الحرة الملكة ••• ومن داعي الدعاة وقاضي القضاة يحيى بن لمك » ، واستمر لمك في وظيفته حتى توفي في ٢٨جمادي الآخرة سنة ٥٢٠ هجرية •

* * *

يعقوب بن كلس

يعتبر أبو الفرج يعقوب بن يوسف بن كلس من أشهر علماء الدعوة الاسماعيلية الذين كان لهم أثر قوي في الحياة العقلية بمصر ، قيل أنه كان يهوديا ولد في بغداد ونشأ فيها وصحب أباه الى الشام ونزل الرملة ، وأقام بها وصار وكيلا للتجار ، ومن ثم توجه الى مصر فقربه (كافور الاخشيدي) ووثق به فعينه في ديوانه الخاص ، ولما رأى فيه النجابة والنزاهة أمر أن لا يصرف أصحاب الدواوين شيئا من المال الا بتوقيع ابن كلس وذلك سنة ٣٣٦ هجرية وفي سنة ٣٥٦ هجرية اعتنق ابن كلس الاسلام فزادت حظوته عند كافور ، ومن ثم لزم الصلاة وقراءة القرآن ورتب لنفسه رجالامن أهل العلم يدرس له أصول الدين الاسلامي [١] • واجتهد بالدرس والتحصيل حتى بلغ فيهما درجة عالية ، ولما توفي كافور سنة ٣٥٧ هجريةغادر مصر الى المغرب اثر خلاف نشب بينه وبين ابن الفرات ،واتصل بالامام المعز لدين الله ، فقربه وصحبه الى مصر بعد أن اعتنق المذهب الاسماعيلي •

وبعد أن استتب الامر في مصر ولي يعقوب الخراج وجميع وجوه الاموال والحسبة سنة ٣٦٣ هجرية واستمر في عمله حتى سنة ٣٦٥ هجرية فولاه الامام المعز بعد أن اكتسب ثقته جميع أموره في القصر ، ولما توفي الامام المعز فوض العزيز بالله ليعقوب النظر في سائر أموره وجعله وزيرا له وذلك في المحرم سنة ٣٦٧ هجرية ولقبه بالوزير الأجل ، فكان أول وزير في مصر الفاطمية •

وأدار شؤون الدولة بمهارة وعزم الى أن مرض في ٢١ شوال سنة ٣٨٠

---

(١) ياقوت : ارشاد ٣/٨٤ ، ابن خلكان : ٢/٤٦١ •

هجرية فذهب العزيز بالله يعوده وقال له : « وددت أنك تباع فابتاعك بمالي أو تفدى فأفديك بولدي[1] » • وتوفي ليلة الاحد لخمس خلون من ذي الحجة سنة ٣٨٠ هجرية وقيل انه رثاه مائة شاعر •

ولقد أصبح يعقوب بن كلس علما من أعلام علماء الدعوة بعد أن تعمق بدراسة العلوم الاسماعيلية ، وعظمت مكانته حتى كتب اسمه على الطرز وفي الكتب[2] وكان محبا للعلم والعلماء مشجعا لطلاب العلم ، يغدق عليهم المنح والعطايا ، ويساعد الكتاب والشعراء •

ويذكر ابن خلكان أن يعقوب « كان يجمع عنده العلماء ، وكان في داره قوم يكتبون القرآن ، وآخرون يكتبون كتب الحديث والفقه والادب والطب، ويعارضون ، ويشكلون المصاحف وينقطونها ، وكان ينصب كل يوم خوانا لخاصته من أهل العلم والكتاب وخواص أتباعه »[3] •

وبلغ درجة في الفقه الاسماعيلي أهلته لان يؤلف الكتب ويعقد مجالس التأويل ، ورتب لنفسه مجلسا كل ليلة جمعة يقرأ فيه مصنفاته على الناس ، وكان يحضر هذا المجلس القضاة والفقهاء والقراء والنساخ والنحاة وجميع أرباب الفضائل والعدول وغيرهم من وجوه الدولة[4] ، كما نصب مجلسا في داره يحضره كل يوم ثلاثاء الفقهاء والمتكلمون وأهل الجدل للمناظرة بين يديه[5] ، وقيل انه كان متمسكا بشدة بالمذهب الاسماعيلي وذكر ان له عدة مؤلفات منها[6] :

(١) المقريزي ٩/٣ •
(٢) المقريزي : ٨/٣•
(٣) ابن خلكان ٣٣٤/٢ •
(٤) ابن خلكان ٣٣٤/٢ •
(٥) المقريزي : ٣٣٤/٢ •
(٦) معجم الادباء لياقوت : ١١٨/١٠ ط •

١ — كتاب القراءات •

٢ — كتاب في الابدان وصلاحها •

٣ — كتاب في الفقه مما سمعه عن الامام المعز والامام العزيز •

٤ — كتاب في الاديان وهو في الفقه •

٥ — مختصر الفقه وهو المعروف (بالرسالة الوزيرية) الذي خصص الامام الظاهر جوائز لمن يحفظها •

٦ — كتاب آداب رسول الله صلى الله عليه وسلم •

وذكر ايفانوف[1] كتابا آخر يدعى مناسك الحج الكبير وقال أن هذه المؤلفات أكثرها مفقود •

وقيل ان الناس كانوا يفتون بكتابه في الفقه ، ويعتبر ابن كلس أول من جعل من الازهر جامعة علمية ورتب لعلمائها الارزاق ، ورعى العلم والعلماء فاتسعت بفضله الثقافة وازداد الاقبال على العلم ، وكان يجلس للمظالم كل يوم ، وكذلك شجع الشعراء فأغدق عليهم الهبات والعطايا ، ولعل أكثر الشعراء مدحا له هو الشاعر أبو حامد أحمد بن محمد الانطاكي المنبوز بأبي الرقعمق وعبد الله بن محمد بن أبي الجرع ، ومن قصيدة لابن أبي الجرع قالها عندما أصاب ابن كلس مرض في يده :

يـدا الوزير هي الدنيـا فان ألمت ... رأيت في كل شيء ذلـك الألمـا
تـأمل الملك وانظر فـرط علتـه ... من أجله ، واسأل القرطاس والقلما
وشاهـد البيض في الأغماد هادئة ... الـى العـدى وكثيرا ماروين دما
هـل ينهض المجـد الا أن يؤيده ... سـاق يقـدم في انهاضه قدمـا

(١) المرشد الى الادب الاسماعيلي ص ٤١ •

لولا العـــزيز وآراء الوزير معـــا   تحيفتنـــا خطوب تشعب الأممـــا

فقل لهذا وهـــذا أنتمـــا شـــرف   لا أوهن الله ركنيـــه ولا انهدمـــا

كـــلاكما لم يزل في الصالحات ابدا   مبسوطـــة ولسانا ناطقـــا وفمـــا

وهذا يدل على مكانة الوزير فيٍنفس امامه وفي نفوس معاصريه جميعا ، لما عرف عنه من انصافه وكرمه وعلمه وشدة تمسكه بالمذهب .

* * *

تم بعونه تعالى طبع هذا الكتاب في غرة محرم الحرام من عام ١٣٨٤

الموافق لشهر ايار من عام ١٩٦٤

٤٢ — الرسالة الواعظة ــ الكرماني
٤٣ — معجم الأدباء ــ ياقوت الحموي
٤٤ — زوبعة الدهور ــ مارون عبود
٤٥ — طائفة الاسماعيلية ــ كامل حسين
٤٦ — الرياض ــ الكرماني
٤٧ — أساس التأويل ــ القاضي النعمان
٤٨ — زهر المعاني ــ أدريس عماد الدين
٤٩ — تاريخ الاسماعيلية السياسي ــ شرف
٥٠ — البنداري
٥١ — مجموع الرسائل ــ لابن القم
٥٢ — قرة العيون ــ لابن الديبع
٥٣ — الكفاية والاعلام ــ للخزرجي
٥٤ — بامخرمه : ثغر عدن
٥٥ — عمارة ركاي
٥٦ — كتاب الازهار ــ مخطوط
٥٧ — رسائل اخوان الصفاء
٥٨ — فصول وأخبار ــ مخطوط
٥٩ — رسالة الأصول والاحكام للداعي ابو المعالي ــ مخطوط
٦٠ — اخوان الصفاء ــ للدسوقي
٦١ — حقيقة اخوان الصفاء
٦٢ — رسالة العسل المصفى
٦٣ — الاشارة الى من نال الوزارة
٦٤ — قلب اليمن لمحمد حسن
٦٥ — ديوان ابي عبد الله حسين بن علي القمي
٦٦ — تاريخ حلب

٦٧ — الدولة النزارية

٦٨ — ابن الجوزي — مرآة الزمان

٦٩ — الملل والنحل — للشهرستاني

٧٠ — العبر وديوان المبتدا والخبر — لابن خلدون

٧١ — الكشي

٧٢ — عمدة الطالب في أنساب آل طالب

٧٣ — بلوشيه

٧٤ — دي خويه

٧٥ — وفيات الاعيان — للقاضي شمس الدين ابن خلكان

٧٦ — ابن أبي دينار

٧٧ — ابن العديم زبدة حلب

٧٨ — ديوان الامير تميم

٧٩ — سيرة الاستاذ جوذر

٨٠ — تاريخ الأدب في ايران — براون

٨١ — مناقب العارفين

٨٢ — الاستقصى لأخبار دول المغرب الأقصى

٨٣ — نزهة الأفكار — أدريس عماد الدين

٨٤ — خمس رسائل اسماعيلية — عارف تامر

٨٥ — كتاب المغرب — ابن سعيد

٨٦ — حسن المحاضرة — السيوطي

٨٧ — رسالتان اسماعيليتان — مصطفى غالب

٨٨ — افتتاح الدعوة — القاضي النعمان

٨٩ — كشف اسرار الباطنية

٩٠ — غاية المواليد

٩١ — زبدة الفكر للمنصوري

٩٢ — عقد الجمان

٩٣ — تهذيب تاريخ ابن عساكر

٩٤ — اصول الكافي للكليني

٩٥ — مسند الامام ابن حنبل

٩٦ — رياض الجنان

٩٧ — الفصول المهمة للمفيد

٩٨ — نور الابصار للشلبنجي

٩٩ — منهاج السنة النبوية

١٠٠ — أبو الشهداء — للعقاد

١٠١ — فتح الباري — للعسقلاني

١٠٢ — كتاب الشفا — عياض

١٠٣ — مقاتل الطالبيين — للاصبهاني

١٠٤ — الاخبار الطوال — للدينوري

١٠٥ — فصل من اللفظ الشريف — مخطوط

١٠٦ — رحلة ابن جبير

١٠٧ — البستان — مخطوط

١٠٨ — مناقب سنان راشد الدين — مخطوط

١٠٩ — غزليات مختارة من ديوان شمس تبريز

١١٠ — من المثنوي — سبرنجر

١١١ — تائية عامر البصري — مخطوط

١١٢ — خطط المقريزي

١١٣ — عبقرية الامام علي — للعقاد

١١٤ — تاريخ الاسلام — للذهبي

١١٥ — مرآة الزمان ابن الجوزي

المراجع الاجنبية

— The origins of ismailism - Bernard Lewis

أوردي — نور مبين حبل الله المتين ــ جنارا

— Muslim Theology.

فارسي — قلائد الجواهر

فارسي — ديوان الخاكي الخراساني

— The Shi'a of india - Hollister.

— History of the ismailis - Picklay.

— Quatremere J.A. Aout 1836.

— Gautier les siécle abscurs du Maghreb.

— Nizam El - Mulk : Siasset Naimeh.

— Grand maitre des assassins : guyard.

— Ferishila, op. cit.

— A guide to ismaili literatur : by ivanow.

— Gresch. S. Arab Litt. Brachelmawn.

— The Rise of the fatimids - W. Ivanow.

الفهرس

الموضـــــــوع	الصفحة
الاهـــــداء	٣
المقـــدمة	٥
عقائد الاسماعيلية وتنظيماتها السرية	١٣
اسرار نظام الدعوة	١٨
عقائد الاسماعيلية	٢٨
القرامطة والاسماعيليون	٤٨
سلميـــة	٦٢
أعلام الاسماعيلية	٨٣
حــرف الالف	
ابراهيم بن اسماعيل العجمي	٨٥
ابراهيم بن الحسين الحامدي	٨٧
احمد بن ابراهيم النيسابوري	٨٩
ابو الطيب المتنبي ــ احمد بن الحسين	٩١
احمد بن الحسين ــ دندان	٩٥
احمد بن حمدان الليثي ــ ابو حاتم الرازي	٩٧
احمد حميد الدين الكرماني	٩٩
احمد بن عبد الله بن سليمان المعري ــ ابو العلاء	١٠٣
احمد بن عبد الله ــ محمد التقي	١٠٩
احمد بن عبد الله بن ميمون القداح	١١١

الموضوع	الصفحة
احمد بن عبد الملك بن عطاش	١١٤
احمد بن قاسم ـ اسلام شاه	١١٦
الملك المكرم أحمد الصليحي	١١٨
ابو الفوارس ـ احمد بن يعقوب	١٢٦
اخوان الصفاء وخلان الوفاء	١٢٨
ادريس عماد الدين القرشي	١٣٧
المظفر أرسلان البساسيري	١٤٠
السيدة الحرة ـ اروى الصليحي	١٤٣
ابو يعقوب اسحاق السجستاني	١٥٤
اسعد بن قاسم بن الحسن العجمي	١٥٧
اسماعيل آغا حسن شاه ـ سيد علي بن شاه نزار	١٥٩
اسماعيل بن جعفر الصادق	١٦١
المنصور اسماعيل بن القائم	١٦٦

حرف الباء

الموضوع	الصفحة
بهرام بن موسى الاستراباذي الفارسي	١٧١

حرف التاء

الموضوع	الصفحة
الامير تميم بن المعز	١٧٣

حرف الجيم

الموضوع	الصفحة
جعفر بن فلاح	١٨٠
جعفر الصادق	١٨٢
جعفر بن منصور اليمن	١٨٥
جلال الدين الرومي	١٨٧

الموضوع	الصفحة
جمال الدين شيحة	١٩٢
جوهر الصقلي	١٩٤

حرف الحاء

الموضوع	الصفحة
حاتم بن ابراهيم الحامدي	١٩٧
حاتم بن محمود بن زهرة	٢٠١
حسام الدين بن دملج	٢٠٣
الحسن بن ابراهيم الليثي ـ ابن زولاق	٢٠٥
حسن بن احمد بن علي المعدل	٢٠٧
جلال الدين حسن بن أعلا محمد	٢٠٩
حسن علي شاه الحسيني ـ آغا خان الاول	٢١٤
حسن علي شاه	٢٢٠
الحسن بن الصباح الحميري	٢٢٢
حسن علي ذكره السلاه	٢٢٩
الحسن بن علي الكلبي	٢٣١
ابو القاسم الحسن بن فرج بن حوشب	٢٣٣
ابو سفيان الحسن بن القاسم	٢٤٢
حسن بن محمد بن علي بن نزار	٢٤٤
ابو عبد الله الشيعي ـ المعلم الحسين بن احمد بن محمد بن زكريا الصنعاني	٢٤٦
ابن سيناء حسين بن عبد الله	٢٥٤
الحسين بن عبد الله ـ الملقب بعبد الله الرضي	٢٦٣
الحسين بن علي بن أبي طالب	٢٦٦

حرف الخاء

الموضوع	الصفحة
السلطان الخطاب بن الحسن الحجوري	٢٨٠

الموضـــــــــوع	الصفحة
خلف بن احمد القاشاني	٢٨٣
خليــل الله علي	٢٨٥
خليل الله علي شاه الثــاني	٢٨٧
حرف الــراء	
ركن الدين خورشاه بن علاء الدين	٢٨٩
حرف الــذال	
الذؤيب بن موسى الهمداني	٢٩٣
حرف السين	
سنان راشد الدين	٢٩٥
سيد سهرب والي	٣٠٤
حرف الشين	
شمس الدين بن احمد الطيبي	٣٠٦
شمس الدين التبريزي	٣٠٩
شمس الدين محمد بن ركن الدين خورشاه	٣١١
ابو فراس شهاب الدين المينقي	٣١٣
شهاب الدين بن حبش السهروردي	٣١٦
شهربار بن حسن	٣١٩
طاهر شاه الدكني الجنيدي	٣٢١
حرف العين	
عامر البصري	٣٢٣
العباس بن عبد السلام ــ غريب ميرزا	٣٣٢

مراجع الكتاب

نورد فيما يلي المراجع العربية والاجنبية التي اعتمدنا عليها في تأليف هذا الكتاب :

المراجع العربية

١ ــ دعائم الاسلام ــ للقاضي النعمان

٢ ــ راحة العقل ــ احمد حميد الدين الكرماني

٣ ــ مذكرات آغا خان ــ آغا خان

٤ ــ المجالس المؤيدية ــ المؤيد في الدين داعي الدعاة

٥ ــ ديوان المؤيد في الدين ــ المؤيد في الدين داعي الدعاة

٦ ــ سيرة المؤيد في الدين ــ المؤيد في الدين داعي الدعاة

٧ ــ المجالس المستنصرية

٨ ــ اسرار النطقاء على هامش جامع الحقائق

٩ ــ البيان لمباحث الاخوان ــ للشادلي

١٠ ــ الفترات والقرانات

١١ ــ الرسالة الدرية ــ الكرماني

١٢ ــ تاريخ ابن الأثير

١٣ ــ التوبختي

١٤ ــ نهاية الأرب في فنون الادب ــ للنويري

١٥ ــ اتعاظ الحنفا للمقريزي

١٦ ــ تاريخ الدولة الفاطمية ــ حسن ابراهيم حسن

١٧ — تاريخ الطبري
١٨ — التنبية والاشراف للمسعودي
١٩ — خطط الشام ـ محمد كرد علي
٢٢ — تاريخ ابي الفـداء
٢١ — ابن رزام النويري
٢٢ — المسالك والممالك
٢٣ — النجوم الزاهرة ـ لأبي المحاسن
٢٤ — تاريخ الدعوة الاسماعيلية ـ مصطفى غالب
٢٥ — معجم البلدان ـ ياقوت الحموي
٢٦ — سيرة جعفر الحاجب ـ مخطوط
٢٧ — الدول والملوك ـ ابن الفرات
٢٨ — ذيل تاريخ دمشق ـ ابن القلانسي
٢٩ — الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن
٣٠ — اثبات الامامـة ـ أحمد النيسابوري
٣١ — الحسن بن الصباح ـ مصطفى غالب
٣٢ — مع المتنبي ـ طه حسين
٣٣ — الطوسي
٣٤ — ابن شهراشب
٣٥ — منهاج المقـال
٣٦ — لسان الميزان للحافظ
٣٧ — تاريخ الخلفاء ـ مقدم الديلم
٣٨ — سياسة نامه ـ نظام الملك
٣٩ — الفهرست لابن النديم
٤٠ — الأقوال الذهبية ـ للكرماني
٤١ — عيون الأخبار ـ أدريس عماد الدين

الموضـــــوع	الصفحة
عبد السلام شاه	٣٣٤
أبو عبد الله بن احمد النسفي البردغي	٣٣٦
عبد الله بن عباس الشاوري	٣٣٩
عبد الله بن علي بن احمد الحلواني	٣٤١
عبد الله بن محمد بن اسماعيل (الوفي أحمد)	٣٤٢
عبد الله بن ميمون القـداح	٣٤٥
عبيـد الله المهدي	٣٤٨
علي بن أبي طالب	٣٥٩
علي بن حسن شاه (آغا خان الثاني)	٣٧٣
علي بن حمـاد	٣٧٧
علي بن حنظلة المحفوظي الوادعي	٣٧٩
علي سلمون خان بن سلطان محمد الحسيني	٣٨١
علي بن الفضل الجيشاني	٣٨٦
ابو الحسن علي شـاه	٣٩٢
علاء الدين محمد بن جلال الدين الحسن	٣٩٤
المستنصر بالله الثاني علي شاه بن محمد بن اسلام شاه	٣٩٨
علي بن محمد بن طاهر الصائغ العجمي	٤٠٠
علي بن محمد الصليحي	٤٠٢
علي بن محمد بن الوليد الانف العبشمي القرشي	٤٠٨
علي بن مراد ميرزا	٤١٢
الظاهر لاعزاز دين الله علي بن المنصور	٤١٤
علي بن نزار بن المستنصر بالله	٤١٧
عمـارة اليمني	٤٢٠

الموضوع	الصفحة
حرف الفاء	
فريد الدين العطار	٤٢٣
فخر الدين الرازي	٤٢٥
حرف القاف	
قاسم شاه بن شمس الدين محمد	٤٢٧
قاسم علي شاه	٤٣٠
قيس بن منصور الداديخي	٤٣٢
حرف الكاف	
كريم بن علي بن محمد شاه الحسيني (آغا خان الرابع)	٤٣٤
كيا بزرك اميد	٤٣٧
حرف اللام	
لمك بن مالك الحمادي الهمداني	٤٣٩
حرف الميم	
محمد بن احمد الرفنة	٤٤٢
محمد بن اسلام شاه	٤٤٥
محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق	٤٤٧
ابو علي محمد بن الحسن بن الهيثم	٤٥٥
محمد شاه الحسيني (آغا خان الثالث)	٤٥٩
محمد الباقر	٤٨٠
محمد بن علي بن حسن الصوري	٤٨٢
محمد بن علي بن نزار بن المستنصر بالله	٤٨٤

الموضوع	الصفحة
محمد بن كيابزرك آميد	٤٨٧
محمد بن المسيب العقيلي	٤٨٩
محمد نور الدين بن غريب ميرزا (الشهير بأبي ذرعلي)	٤٩١
أعلا محمد بن الحسن بن علي بن القاهر	٤٩٣
القائم بأمر الله محمد بن المهدي	٤٩٥
محمد بن هانيء الاندلسي	٤٩٩
محي الدين بن عربي	٥٠٥
مراد ميرزا بن ابي الذرعلي	٥٠٨
فريد الحلي الاسدي	٥١٠
المستنصر بالله معد ابو تميم	٥٢٠
المعز لدين الله معد	٥٢٦
معروف بن جمر	٥٤٢
معروف بن الفتح السرميني	٥٤٤
منصور العزيزي الجوذري	٥٤٦
الحاكم بأمر الله أبو علي منصور	٥٤٨
موسى بن حسن القصار	٥٥٥
ميمون القداح	٥٥٩
حرف النون	
ناصر خسرو	٥٦٢
نزار الثاني بن خليل الله	٥٧٣
نور الدين شاه	٥٧٥
العزيز بالله نزار بن المعز لدين الله	٥٧٧
المصطفى بالله نزار بن المستنصر	٥٨٣

الموضـــــوع	الصفحة

نصير الدين الطوسي ٥٨٧
ابو حنيفة النعمان المغربي ٥٨٩

حرف الهـاء

المؤيد في الدين داعي الدعاة هبة الله الشيرازي ٥٩٦

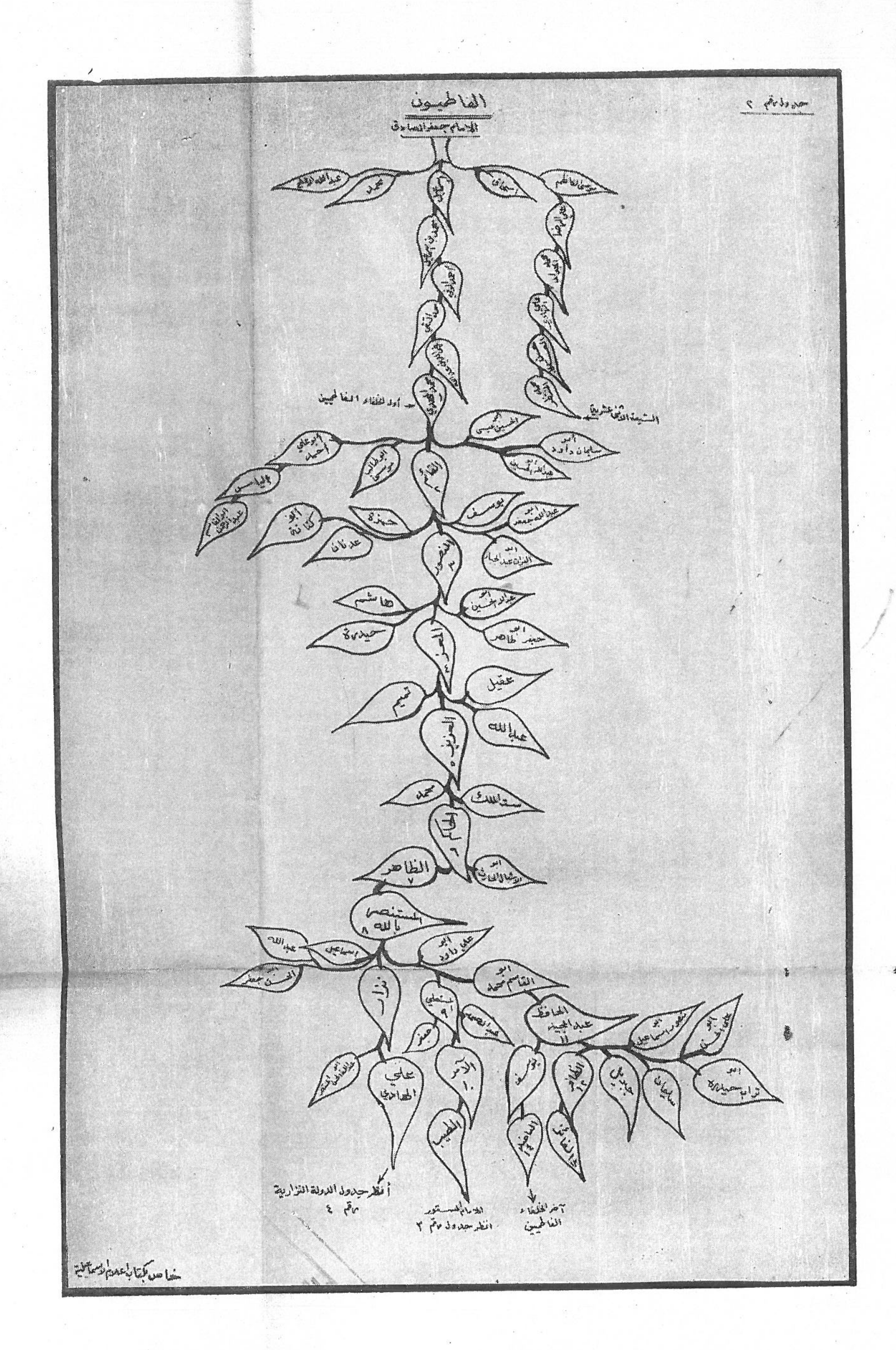
حرف اليـاء

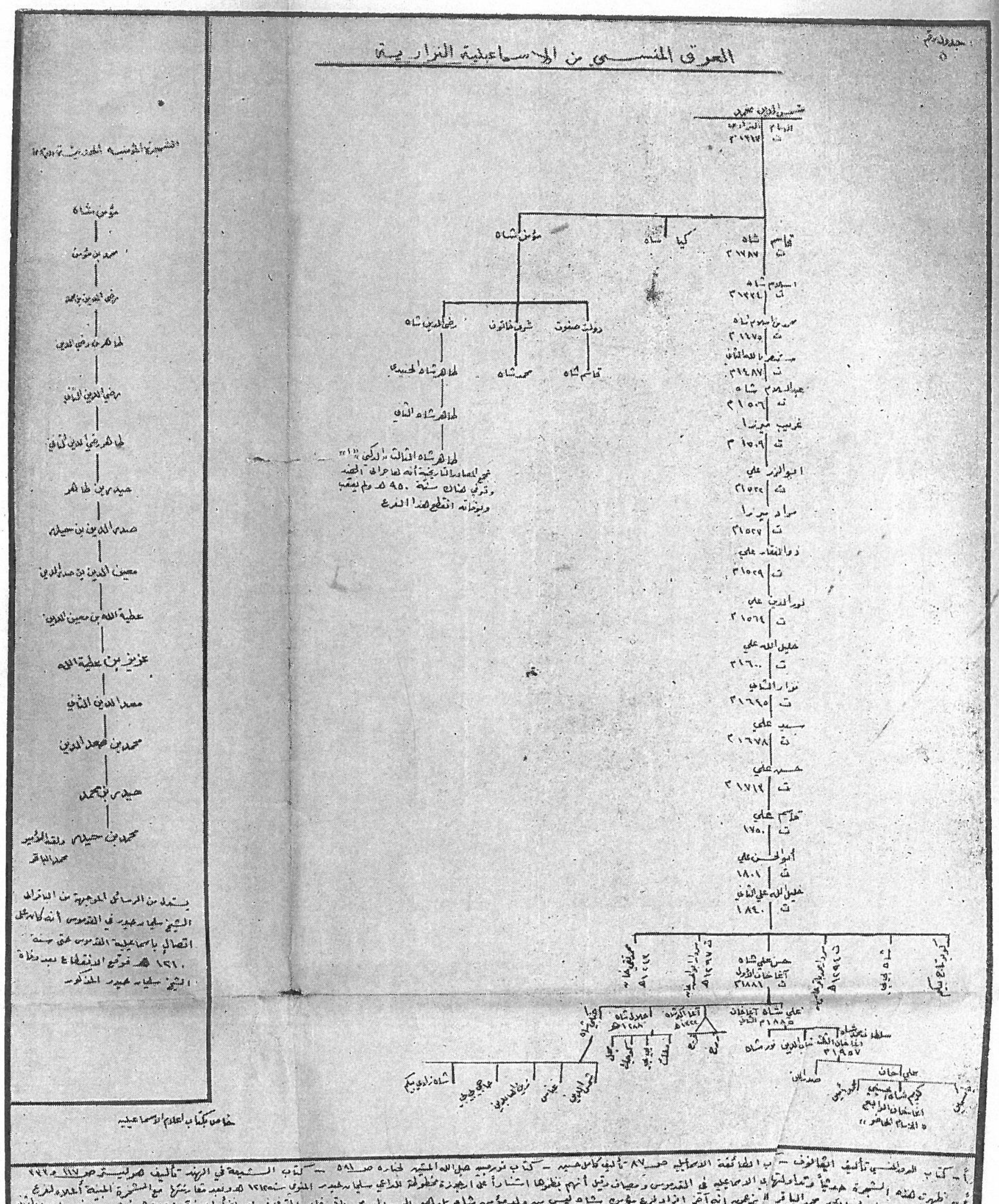
يحيى بن لمك بن مالك الحمادي ٦٠٥
يعقوب بن كلس ٦٠٧
فهرس المراجع ٦١١
فهرس الموضوعات ٦١٧

ملاحظة هـامة

وقعت أثنـاء طبع الكتاب بعض الاغلاط الطفيفة والتي لا تخفى على القارىء فنرجو لذلك المعذرة وقد ذكرنا هنا بعضا منها راجين تصحيحها قبل قراءة الكتاب ٠

ص	سطر	الخطـأ	الصـواب
٧١	٢٥	نهو الخوابي	نهر الخوابي
٧٤	٢١	كانت ترعى (عين ٠٠	كانت ترعى في (عين ٠٠٠
٧٧	٣	علىأعقابهمأكثر المعارك	على اعقابهم في اكثر المعارك
١٣٦	١٨		تشطب كلمة (ان الرسائل)
١٣٦	١٩		يشطب كامل السطر
١٤٥	هامش رقم ١		يقرأ كما يلي : (الحجة في مصطلح الدعوة هي درجة من درجات الحدود تلي درجة الباب ٠٠٠ الخ) وانظر صحيفة ٢١


جدول رقم ٢
الفاطميون
الإمام جعفر الصادق
عبد الله الأفطح
محمد
إسماعيل
إسحاق
موسى الكاظم
أول الخلفاء الفاطميين
الشيعة الاثني عشرية
الحسين عيسى
أبو سليمان داود
أبو علي أحمد
أبو طالب موسى
القائم ٢
الياس
يوسف
حمزة
أبو كنانة
عدنان
المنصور ٣
هاشم
حيدرة
أبو جعفر طاهر
المعز ٤
عقيل
تميم
عبد الله
العزيز ٥
محمد
ست الملك
الحاكم ٦
الظاهر ٧
المستنصر بالله ٨
عبد الله
إسماعيل
أبو علي داود
أبو الحسن جعفر
نزار
المستعلي ٩
أبو القاسم محمد
الحافظ عبد المجيد ١١
جعفر
عبد الصمد
علي الهادي
الآمر ١٠
الطيب
يوسف
الظافر ١٢
جبريل
سليمان
أبو منصور إسماعيل
أبو علي
أبو تراب حيدرة
العاضد
الفائز ١٣
أنظر جدول الدولة النزارية رقم ٤
الإمام المستور انظر جدول رقم ٣
آخر الخلفاء الفاطميين
خاص بكتاب عقيدة الإسماعيلية



1- كتاب العرق المنسي تأليف اليحافوف - ... الطائفة الإسماعيلية ص ٨٧ - تأليف كامل حسين - كتاب نور مبين حبل الله المتين لجانوه ص ٥٩١ - كتاب الشيعة في الهند تأليف هوليستر ص ١١٧ و ٢٧٢

2- ظهرت هذه الشجرة حديثاً وتداولتها الإسماعيلية في القدموس ومصياف وقيل أنهم نظموها استناداً على أرجوزة مخطوطة للداعي سليمان حيدر المتوفى سنة ١٢١٥ هـ ... مع الشجرة المثبتة أعلاه لفرع

3- قاسم شاه الذي لنا بأن الأمير محمد الباقر الذي يدعيه أنه آخر أفراد فرع مؤمن شاه ليس من ولد مؤمن شاه بل هو السردار محمد باقر خان المتوفي في اورنغ آباد سنة ١٢٩٩ هـ وهو ابن خليل الله علي الثاني لدى المصادر الإسماعيلية في الهند تدل على أنه كان المرجع بأمر الدعوة السورية ونعتقد أنه هو الذي كان يوجه الرسائل التي يحتفظ بها القدامسة وتحمل توقيعه

4- يوجد لدى الإسماعيلية في القدموس عدة رسائل موقعة من قبله تدل على أنه كان على صلة معهم ونرى أن الإسماعيلية المؤمنية في القدموس بعد أن انقطعت سلالة مؤمن شاه سنة ٩٥٠ تحولوا إلى الفرع الثاني أي فرع قاسم شاه اتصلوا بالأمير سردار محمد باقر خان واعتبروه خطأ من سلالة مؤمن شاه. والخلاصة الشجرة الحديثة لا يعتمد عليها ولا توجد أية مصادر تقرها.

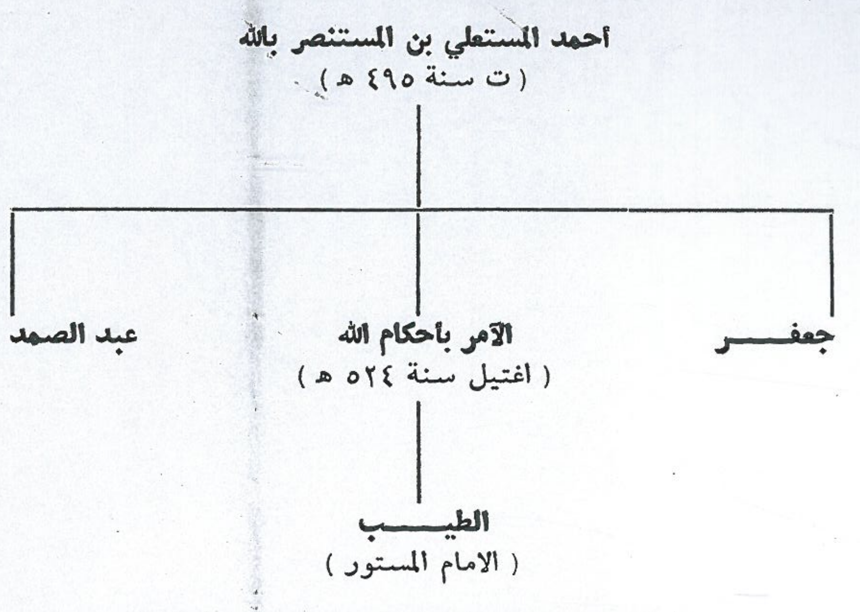
جدول رقم (٤)

الأئمة الاسماعيلية النزارية الآغاخانية

الرقم	الاسم والشهرة	تاريخ استلام الامامة سنة هجرية	تاريخ استلام الامامة سنة ميلادية	تاريخ الوفاة سنة هجرية	تاريخ الوفاة سنة ميلادية	مدة الامامة
١	علي بن أبي طالب	١١	٦٣٨	٤٠	٦٦٧	٢٩
٢	الحسين بن علي بن أبي طالب	٤٠	٦٦٧	٦١	٦٨٨	٢١
٣	علي زين العابدين بن الحسين	٦١	٦٨٨	٩٤	٧٢١	٣٣
٤	محمد الباقر بن علي زين العابدين	٩٤	٧٢١	١١٤	٧٤١	٢٠
٥	جعفر الصادق بن محمد الباقر	١١٤	٧٤١	١٤٨	٧٧٥	٣٤
٦	اسماعيل بن جعفر الصادق	١٤٨	٧٧٥	١٥٨	٧٨٥	١٠
٧	محمد بن اسماعيل بن جعفر	١٥٨	٧٨٥	١٩٧	٨٢٤	٣٩
٨	عبد الله بن محمد بن اسماعيل (أحمد الوفي)	١٩٧	٨٢٤	٢١٢	٨٣٩	١٥
٩	أحمد بن عبد الله بن محمد بن اسماعيل (محمدالتقي)	٢١٢	٨٣٩	٢٢٥	٨٥٢	١٣
١٠	الحسين بن أحمد بن عبد الله (عبد الله الرضي)	٢٢٥	٨٥٢	٢٦١	٨٨٨	٣٦
١١	عبيد الله بن الحسين (محمد المهدي)	٢٦١	٨٨٨	٣٢٢	٩٤٩	٦١
١٢	محمد بن عبيد الله المهدي (القائم بأمر الله)	٣٢٢	٩٣٤	٣٣٤	٩٤٥	١١
١٣	اسماعيل بن محمد القائم (المنصور بالله)	٣٣٤	٩٤٥	٣٤١	٩٥٢	٧
١٤	معد بن اسماعيل المنصور (المعز لدين الله)	٣٤١	٩٥٢	٣٦٥	٩٧٥	٢٣
١٥	نزار بن معد المعز (العزيز بالله)	٣٦٥	٩٧٥	٣٨٦	٩٩٦	٢١
١٦	أبو علي منصور بن نزار (الحاكم بأمر الله)	٣٨٦	٩٩٦	٤١١	١٠٢٠	٢٤
١٧	أبو حسن علي بن منصور (الظاهر لاعزاز دين الله)	٤١١	١٠٢٠	٤٢٧	١٠٣٥	١٥
١٨	معد أبو تميم (المستنصر بالله)	٤٢٧	١٠٣٥	٤٨٧	١٠٩٤	٦٠
١٩	نزار بن المستنصر بالله (المصطفى بالله)	٤٨٧	١٠٩٤	٤٩٠	١٠٩٧	٣
٢٠	علي بن نزار بن المستنصر (الهادي)	٤٩٠	١٠٩٧	٥٣٠	١١٣٧	٤٠
٢١	محمد بن علي بن نزار (المهتدي)	٥٣٠	١١٣٧	٥٥٢	١١٥٩	٢٢
٢٢	حسن بن محمد بن علي (القاهر)	٥٥٢	١١٥٩	٥٥٧	١١٦٤	٥
٢٣	حسن بن حسن بن محمد (على ذكره السلام)	٥٥٧	١١٦٤	٥٦١	١١٦٨	٤
٢٤	محمد بن حسن بن حسن (أعلا محمد)	٥٦١	١١٦٨	٦٠٧	١٢١٤	٤٦
٢٥	حسن بن محمد بن حسن (جلال الدين حسن)	٦٠٧	١٢١٤	٦١٨	١٢٢٥	١١
٢٦	علاء الدين محمد بن جلال الدين	٦١٨	١٢٢٥	٦٥٣	١٢٦٠	٣٥
٢٧	ركن الدين خيروشاه بن علاء الدين محمد	٦٥٣	١٢٦٠	٦٥٤	١٢٦١	١
٢٨	شمس الدين محمد بن ركن الدين خيروشاه	٦٥٤	١٢٦١	٧١٠	١٣١٧	٥٦
٢٩	قاسم شاه بن شمس الدين محمد	٧١٠	١٣١٧	٧٧١	١٣٨٧	٦١
٣٠	اسلام شاه بن قاسم شاه	٧٧١	١٣٨٧	٨٢٧	١٤٣٤	٥٦
٣١	محمد بن اسلام شاه بن قاسم شاه	٨٢٧	١٤٣٤	٧٦٨	١٤٧٥	٤١
٣٢	المستنصر بالله الثاني بن محمد بن اسلام	٧٦٨	١٤٧٥	٨٨٠	١٤٨٧	١٢
٣٣	عبد السلام شاه بن المستنصر بالله الثاني	٨٨٠	١٤٨٧	٨٩٩	١٥٠٦	١٩
٣٤	غريب ميرزا بن عبد السلام شاه	٨٩٩	١٥٠٦	٩٠٢	١٥٠٩	٣
٣٥	أبو الذر علي بن غريب ميرزا	٩٠٢	١٥٠٩	٩١٥	١٥٢٢	١٣
٣٦	مراد ميرزا بن أبو الذر علي	٩١٥	١٥٢٢	٩٢٠	١٥٢٧	٥
٣٧	ذو الفقار علي بن مراد ميرزا	٩٢٠	١٥٢٧	٩٢٢	١٥٢٩	٢
٣٨	نور الدين علي بن ذو الفقار علي	٩٢٢	١٥٢٩	٩٥٧	١٥٦٤	٣٥
٣٩	خليل الله علي بن نور الدين علي	٩٥٧	١٥٦٤	٩٩٣	١٦٠٠	٣٦
٤٠	نزار الثاني بن خليل الله علي	٩٩٣	١٦٠٠	١٠٣٨	١٦٤٥	٤٥
٤١	سيد علي بن نزار الثاني	١٠٣٨	١٦٤٥	١٠٧١	١٦٧٨	٣٣
٤٢	حسن علي بن سيد علي	١٠٧١	١٦٧٨	١١٠٦	١٧١٣	٣٥
٤٣	قاسم علي بن حسن علي	١١٠٦	١٧١٣	١١٤٣	١٧٥٠	٣٥
٤٤	أبو الحسن علي بن قاسم علي	١١٤٣	١٧٥٠	١١٩٤	١٨٠١	٥٠
٤٥	خليل الله علي بن أبو الحسن علي	١١٩٤	١٨٠١	١٢٣٣	١٨٤٠	٣٧
٤٦	حسن علي شاه (آغا خان الاول)	١٢٣٣	١٨٤٠	١٢٩٨	١٨٨١	٦٤
٤٧	علي شاه بن حسن علي (آغا خان الثاني)	١٢٩٨	١٨٨١	١٣٠٢	١٨٨٥	٤
٤٨	سلطان محمد شاه علي (آغا خان الثالث)	١٣٠٢	١٨٨٥	١٣٧٤	١٩٥٧	٧٢
٤٩	كريم شاه علي (آغاخان الرابع)	١٣٧٤	١٩٥٧			

جدول رقم (٣)

الاسماعيليــــة المستعليــــة



دعـــــاة الاســـــــماعيلية المســـــتعلية المطلقـــين

الرقم	اسم الداعي المطلق وشهرته	الاستلام هجري	الاستلام ميلادي
١	ذؤيب بن موسى	٥٤٦	١١٥١
٢	ابراهيم بن حسين	٥٥٧	١١٦٢
٣	حاتم بن ابراهيم	٥٩٦	١١٩٩
٤	علي بن حاتم	٦٠٥	١٢٠٩
٥	علي بن محمد	٦١٢	١٢١٥
٦	علي بن حنظلة	٦٢٦	١٢٢٩
٧	أحمد بن المبارك	٦٢٧	١٢٣٠
٨	حسين بن علي	٦٦٧	١٢٦٨
٩	علي بن حسين بن علي	٦٨٢	١٢٨٤
١٠	علي بن حسين	٦٨٦	١٢٨٧
١١	ابراهيم بن حسين	٧٢٨	١٣٢٨
١٢	محمد بن حاتم	٧٢٩	١٣٢٩
١٣	علي بن ابراهيم	٧٤٦	١٣٤٥
١٤	عبد المطلب	٧٥٥	١٣٥٤
١٥	عباس بن محمد	٧٧٩	١٣٧٨
١٦	عبـد الله بن علي	٨٠٩	١٤٠٧
١٧	حسن بن عبد الله	٨٢١	١٤١٨
١٨	علي بن عبد الله	٨٣٢	١٤٢٨
١٩	أدريس بن حسن	٨٧٢	١٤٦٨
٢٠	حسن بن أدريس	٩١٨	١٥١٢
٢١	حسين بن أدريس	٩٣٣	١٥٢٧
٢٢	علي بن حسين	٩٣٣	١٥٢٧
٢٣	محمد بن حسن	٩٤٦	١٥٣٩
٢٤	يوسف بن سليمان	٩٧٤	١٥٦٧
٢٥	جلال بن حسن	٩٧٥	١٥٦٧
٢٦	داهود بن أجب	٩٩٩	١٥٩١

البهـــــرة السليمانيــــــة

الرقم	الاسم	الاستلام هجري	الاستلام ميلادي
٢٧	سليمان بن حسن	١٠٠٥	١٥٩٧
٢٨	جعفر بن سليمان	١٠٥٠	١٦٤٠
٢٩	علي بن سليمان	١٠٨٨	١٦٧٧
٣٠	ابراهيم بن محمد	١٠٩٤	١٦٨٣
٣١	محمد بن اسماعيل	١١٠٩	١٦٩٧
٣٢	هبة الله بن ابراهيم	١١٦٠	١٧٤٧
٣٣	اسماعيل بن هبة الله	١١٨٤	١٧٧٠
٣٤	حسن بن هبة الله	١١٨٩	١٧٧٥
٣٥	عبـد العلي	١١٩٥	١٧٨١
٣٦	عبد الله بن علي	١٢٢٥	١٨١٠
٣٧	يوسف بن علي	١٢٣٤	١٨١٩
٣٨	حسين بن حسين	١٢٤١	١٨٢٦
٣٩	اسماعيل بن محمد	١٢٥٦	١٨٤٠
٤٠	حسن بن محمد	١٢٦٢	١٨٤٦
٤١	حسن بن اسماعيل	١٢٨٩	١٨٧٢
٤٢	أحمد بن اسماعيل	١٣٠٦	١٨٨٩
٤٣	عبد الله بن علي	١٣٢٣	١٩٠٥
٤٤	علي بن هبة الله	١٣٣١	١٩١٣
٤٥	علي بن محسن	١٣٥٥	١٩٣٦
٤٦	غلام حسين	١٣٥٧	١٩٣٨
٤٧	حسين بن أحمد	١٣٥٨	١٩٣٩
٤٨	علي بن حسين	....	....

البهـــــرة الداهـــــودية

الرقم	الاسم	الاستلام هجري	الاستلام ميلادي
٢٧	داهود برهان الدين	١٠٢١	١٦١٢
٢٨	شيخ آدم سيف الدين	١٠٣٠	١٦٢١
٢٩	عبد الطيب زكي الدين	١٠٤١	١٦٣١
٣٠	علي شمس الدين	١٠٤٢	١٦٣٢
٣١	قاسم زين الدين	١٠٥٤	١٦٤٤
٣٢	قطب خان قطب الدين	١٠٥٦	١٦٤٦
٣٣	بيرخان سوجا الدين	١٠٦٥	١٦٥٥
٣٤	اسماعيل بدر الدين	١٠٨٥	١٦٧٤
٣٥	عبد الطيب زكي الدين	١١١٠	١٦٩٩
٣٦	موسى كليم الدين	١١٢٢	١٧١٠
٣٧	نور محمد نور الدين	١١٣٠	١٧١٨
٣٨	اسماعيل بدر الدين	١١٥٠	١٧٣٧
٣٩	ابراهيم وجيه الدين	١١٦٨	١٧٥٤
٤٠	هبة الله المؤيد في الدين	١١٩٣	١٧٧٩
٤١	عبد الطيب زكي الدين	١٢٠٠	١٧٨٥
٤٢	يوسف نجم الدين	١٢١٣	١٧٩٨
٤٣	عبد علي سيف الدين	١٢٣٢	١٨١٧
٤٤	محمد عز الدين	١٢٣٦	١٨٢١
٤٥	طيب زين الدين	١٢٥٢	١٨٣٧
٤٦	محمد بدر الدين	١٢٥٦	١٨٤٠
٤٧	عبد القادر نجم الدين	١٣٠٢	١٨٨٥
٤٨	عبد الحسين حسام الدين	١٣٠٨	١٨٩١
٤٩	محمد برهان الدين	١٣٢٣	١٩٠٦
٥٠	عبـد الله بدر الدين	١٣٣٣	١٩١٥
٥١	طاهر سيف الدين	....	....

...ول رقم (١)

« إِنَّ اللهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ »

« ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ »

الأدوار والأكـوار والفـترات والقرانـات

أئمـــة الادوار والاكـــوار

#	أئمة الاستقرار: اسم الامام	تاريخ الولادة	تاريخ الوفاة	المدة التي عاشها	أئمة الاستيداع: اسم الامام	تاريخ الولادة	تاريخ الوفاة	المدة التي عاشها
		هبوط آدم				هبوط آدم		
١	آنوش	٤٣٥	١٣٤٠	٩٥٠	هابيل	١٣٠	٢٣٥	١٠٥
٢	ڤينان	٦٢٥	١٥١٥	٩١٠	عيراد	٥٣٠	١٣٤٥	٨١٥
٣	مهلائيل	٧٩٥	١٦٧٦	٨٩٥	محويائيل	٧٤٥	١٥٧٠	٨٢٥
٤	يارد	٩٦٠	١٩٠٨	٩٦٢	متوشائيل	٨٧٠	١٦٥٠	٧٢٠
٥	أحنوخ (ادريس)	١١٢٢	١٤٦٧	٣٦٥	يوبال	١٠٨٥	١٩٢٥	٨٤٠
٦	متوشلح	١٢٨٧			تابال	١٣١٨	٢٠٤٨	٧٣٠
٧	لامك (متم الدور)	١٤٥٤	٢٢٤٢	٩٥٥	نعمه	١٥٤٠	٢٣٦٠	٨٢٠
		الطوفان				آدم		
	آرفخشد	٢	٤٦٧	٤٦٥	يافث	٢١٤٢	٢٦٩٢	٥٥٠
						طوفان		
	شالح	٢٧٦	٧٣٦	٤٦٠				
	غابر	٤٠٦	٨٧٠	٤٦٤	جومر	٣٠	٥٢٠	٤٩٠
	فالغ	٥٤٠	٨٧٩	٣٣٩	توجرمه	١٧٦	٦١٦	٤٤٠
	رَعُوَه	٦٧٠	١٠٠٩	٣٣٩	لود	٢١٥	٨٣٥	٦٢٠
	سروج	٨٠٢	١١٣٢		آرام	٤٤٥	٩٨٥	٥٤٠
	ناحور (متم الدور)	٩٣٢	١١٤٠	٢٠٨	يقطان	٦٣٠	١٢٦٠	٦٣٠
					أسحق	١١٨١	١٣٦١	١٨٠
		من ابراهيم				من ابراهيم		
	قيدار	١٩٠	٣٤٠	١٥٠	يعقوب	١٦٠	٣٠٧	١٤٧
١	حمل	٢٣٠	٣٦٠	١٣٠	لؤي	٢٤٦	٣٨٣	١٣٧
٢	نبت	٢٧٠	٣٩٨	١٢٨	قاهاث	٢٩٢	٤١٩	١٢٧
٤	سلامان	٣٠٥	٤٩٧	١٩٢	افراييم	٣١٠	٥٢٥	٢١٥
	الهميع	٣٤٠	٦٠٠	٢٦٠	زارح	٣٢٠	٥٩٠	٢٧٠
٦	اليسع	٣٧٠	٦٨٧	٣١٧	عمران	٣٥٥	٥٩٣	٢٣٨
٧	أدد (متم الدور)	٤٨٠	٦٩٣	٢١٣	ضفون	٤٠٣	٥٩٦	١٩٣
١	عدنان	٨٧٩			شعيب	٣٨٧	٤٢١	٣٤
٢	معد	٩٢١			صموئيل (حوميل)	٥٦٠	٦٢٢	٦٢
٣	نزار	١٠١٠			داوود	١٠١٠	١٠٨٠	٧٠
٤	مضر	١١٠٥			سليمان	١٠٦٨	١١٢٠	٥٢
٥	الياس	٠			العزر	١١٠٣	١١٦٣	٦٠

الفتـــرات

الناطق : آدم .

الاساس أو الوصي : « شيث » أو هبة الله ، ولد بعد ١٣٠ سنة من هبوط آدم وعاش ٩١٢ سنة .

أصحاب الفتـرة : مهـدئيل ، يارد ، لامك .

الناطق : نوح .

الاساس أو الوصي : « سـام » ولد سـنة ٢١٤٢ من هبـوط آدم وعاش ٦٠٠ سنة .

أصحاب الفترة : تارح – ولد ١٠١١ طوفان ت ١٢٦١ عاش ٢٥٠ سنة ، لوط ، آزر .

الناطق : ابراهيم ولد ١٠٨١ من الطوفان عاش ١٧٥ مات ١٢٥٦ من الطوفان .

الاساس أو الوصي : اسماعيل ٨٦ من ابراهيم عاش ١٣٧ توفي ٢٢٣ من ابراهيم .

أصحاب الفترة : ڤيدار ، يهوذا ، لأوي .

الناطق : موسى من ابراهيـم ٤٢٥ ولدعاش ١٢٠ ت ٥٤٥ من ابراهيم .

الاساس أو الوصي : هـارون : ٤٢٢ – ٥٤٤ من ابراهيم عاش ١٢٢ سنة ، ثم يوشع بن النون عاش ١٢٠ سنة وفاته بعد موسى ٢٨ سنة .

ملاحظـــات

الدور الاول :

ويعرف بدور آدم ومدته حسب ما ورد في المصـادر الاسماعيلية ٢٠٨٠ عـام و ٤ أشهر و ١٥ يوماً ، ولم يكن لنـاطق الدور (آدم) شـريعة ، ويعتبر بحسب التعبير الاسماعيلي(دور التكوين) وتذكر مصادر اسماعيلية أخرى أن هنـالك ما يقارب ٦٠ اماماً قبـل هبوط آدم يوردون أسمائهم بالتسلسل وآخرهم (هنيد) الذي اعتبروه الامام الذي أمر آدم بالهبوط من الجنة كونه حاول التعدي على ما نهاه الله عنه ، واعتبروا (شيث) أساس هذا الدور ، ولامك المتم لانه السابع .

الدور الثـاني :

مدة هذا الدور٧٤٢ سنة و٧ أشهر وخمسة عشر يوما ، وقيل (١٠٠٠) عام ، ولقد نسخ ناطق الدور نوح ما جاء به آدم من الامر ونصب نوح قبلته الى المغرب وصلى اليها ، ثم أشرق من نوره في أساسه (سام) وتنقل حتى ظهور صاحب الدور الثالث(ابراهيم) ومتم الدور الثاني(ناحور) لأنه الامام السابع المستقر للدور الثاني .

الدور الثالث :

مـدة هـذا الدور (١١٥٠) سنة وقيـل سبعة أشهر وثمانية أيام ، نسخ ناطق الـدور (ابراهيم) شريعة نوح ونصب قبلته الى البيت وانتقل النور الى أساسه اسماعيل، وكان متم هذا الدور الامام (أود) السابع .

الدور الرابع :

مدة هذا الدور (١١٣٦) سنة وسبعة أشهر وثمانية وعشرون يوما ، فنسخ موسى شريعة ابراهيم وتوجه الى المغرب اقتداء بأبيه نوح وانتقل الامر الى أساسه هارون ، ولما كان هارون قد توفى فى حياة أبيه فصار أساساً وكفلا

#	الإمام				الحجة			
	سروج	٨٠٢	١١٣٢		يقطان	٦٣٠	١٢٦٠	٦٣٠
	ناحور (متم الدور)	٩٣٢	١١٤٠	٢٠٨	أسحق	١١٨١	١٣٦١	١٨٠

١٠١١ طوفان ت ١٢٦١ عاش ٢٥٠ سنة ، لوط ، آزر .

لأنه الامام السابع المستقر للدور الثاني .

#	الإمام	من ابراهيم			الحجة	من ابراهيم		
	قيدار	١٩٠	٣٤٠	١٥٠	يعقوب	١٦٠	٣٠٧	١٤٧
٢	حمل	٢٣٠	٣٦٠	١٣٠	لؤي	٢٤٦	٣٨٣	١٣٧
٣	نبت	٢٧٠	٣٩٨	١٢٨	قاهاث	٢٩٢	٤١٩	١٢٧
٤	سلامان	٣٠٥	٤٩٧	١٩٢	افراييم	٣١٠	٥٢٥	٢١٥
	الهميع	٣٤٠	٦٠٠	٢٦٠	زارح	٣٢٠	٥٩٠	٢٧٠
٦	اليسع	٣٧٠	٦٨٧	٣١٧	عمران	٣٥٥	٥٩٣	٢٣٨
٧	أدد (متم الدور)	٤٨٠	٦٩٣	٢١٣	ضفون	٤٠٣	٥٩٦	١٩٣

الناطق : ابراهيم ولد ١٠٨١ من الطوفان عاش ١٧٥ مات ١٢٥٦ من الطوفان .

الاساس أو الوصي : اسماعيل ٨٦ من ابراهيم عاش ١٣٧ توفي ٢٢٣ من ابراهيم .

أصحاب الفترة : قيدار ، يهوذا ، لأوي .

الدور الثالث :

مدة هذا الدور (١١٥٠) سنة وقيل سبعة أشهر وثمانية أيام ، نسخ ناطق الدور (ابراهيم) شريعة نوح ونصب قبلته الى البيت وانتقل النور الى أساسه اسماعيل، وكان متم هذا الدور الامام (أود) السابع .

#	الإمام				الحجة			
١	عدنان	٨٧٩			شعيب	٣٨٧	٤٢١	٣٤
٢	معد	٩٢١			صموئيل (حوميل)	٥٦٠	٦٢٢	٦٢
٣	نزار	١٠١٠			داوود	١٠١٠	١٠٨٠	٧٠
٤	مضر	١١٠٥			سليمان	١٠٦٨	١١٢٠	٥٢
٥	الياس	.			العزر	١١٠٣	١١٦٣	٦٠
٦	مدركة	٢١٨٧			فينحاس	١٢٠٧	١٢٦٤	٥٧
٧	خزيمة (متم الدور)	٢٢٣٠	٦٠		يحيى (يوحنا)	٢٢٦٢	٢٢٩٢	٣٠

الناطق : موسى من ابراهيم ٤٢٥ ولدعاش.١٢٠ت٥٤٥من ابراهيم .

الاساس أو الوصي : هارون ٤٢٢ — ٥٤٤ من ابراهيم عاش ١٢٢ سنة ، ثم يوشع بن النون عاش ١٢٠ سنة وفاته بعد موسى ٢٨ سنة .

أصحاب الفترة : عمران ، يونس ، بشر ذو الكفل .

الدور الرابع :

مدة هذا الدور (١١٣٦) سنة وسبعة أشهر وثمانية وعشرون يوما ، فنسخ موسى شريعة ابراهيم وتوجه الى المغرب اقتداء بأبيه نوح وانتقل الامر الى أساسه هارون ، ولما كان هارون قد توفي في حياة أبيه فصار أساساً وكفيلا لأولاده (يوشع بن النون) وأولاده من بعده أئمة استيداع واعتبر (يوشع) أساس مستودع .

#	الإمام				الحجة
١	كنانه				دمية الكلبي
٢	النضر				نوفل
٣	مالك				دانيال
٤	فهر (قريش)				سطيح
٥	غالب				صهيب المرقوي
٦	لؤي				آشعيا
٧	كعب				زراقة
٨	مرة				مرقص
٩	كلاب				مروة
١٠	قصي				يوحنا
١١	عبد مناف				حرقبيل
١٢	هاشم				—
١٣	عبد المطلب				—
١٤	أبو طالب(متم الدور)	٥٦٢ م	٦١٠ م	٤٨	جرجس (أو بحيرة الراهب)

الناطق : عيسى ولد عام ٧٤٧ رومان ومن هبوط آدم (٥٥٨٤) ومن الطوفان (٣٣٤٢) ومن ابراهيم (٢٢٦٢) ومن وفاة موسى (١٧٧٦) .

الاساس أو الوصي : « شمعون الصفا » .

أصحاب الفترة : اصطفانوس ، مرقيا ، الياس .

الدور الخامس :

مدة هذا الدور (٥٧٠) سنة وسبعة عشر يوما وقيل ستمائة سنة ، ومثل ناطق الدور (عيسى) كمثل (آدم) انتقل منه الى وصيه واساسه شمعون الصفا ، وقد بلغ هذا الدور حد الكمال والتمام فاقتضى أن يكون من (١٤) اماما ، واعتبر جرجس متم دور الاستيداع ، وأبو طالب متم دور الاستقرار .

وبانتهاء الدور الخامس تنتهي مدة الفترات . ويطلقون على الدور من آدم الى ابراهيم الدور الصغير وأدوار موسى وعيسى الدور الكبير الذي ختمه محمد . واعتبروا موسى واسطة بين السبعة ثلاثة بازاء ثلاثة ، أولهم آدم وآخرهم القائم لقول جعفر الصادق : « تمام أمرنا في ٣ منا وأربعة من غيرنا » . والسابع يظهر بالقوة وبالفعل معا .

#	الإمام				الحجة
١	علي بن أبي طالب	٦٠٤ م	٤٠ هـ	٥٨	الحسن بن علي
٢	الحسين بن علي	٤ هـ	٦٠ هـ	٥٦	
٣	علي زين العابدين	٣٨ هـ	٩٢ هـ	٥٤	
٤	محمد الباقر	٥٧ هـ	١١٤ هـ	٥٧	موسى الكاظم
٥	جعفر الصادق	٨٣ هـ	١٤٨ هـ	٦٥	
٦	اسماعيل بن جعفر	١١٠ هـ	١٥٨ هـ	٤٨	
٧	محمد بن اسماعيل	١٣٢ هـ	١٩٣ هـ	٦١	ميمون القداح (حجة)

الناطق : محمد صلى الله عليه وسلم ، ت ١١ هـ .

الاساس أو الوصي : علي بن أبي طالب .

الدور السادس :

دور القرآن العظيم ، وهو خاتم الدائرات العظمى .

الفتـــرة :

الفترة وهي المدة بين الناطق والناطق ، وربما كانت هذه الفترة أكثر من الف وخمسمائة عام ، فالمفروض أن تقسم مدة الفترة على الأئمة السبعة ، فاذا أعطينا كل واحد من هؤلاء الأئمة السبعة مائة عام كان المجموع (٧٠٠) عام أي أقل من المدة المطلوبة ، وباعتبار لا يجوز زيادة أئمة الدور عن سبعة لأن ذلك يعتبر تجاوزاً على الاصول والاحكام ، لذا تقع عند ذلك الفترة ، وهي مشتقة من الفتور ، أو الملل ، والاعياء ، فتلحق النفوس الجزئية الاعياء من العالم الجسماني فتعجز عن قبول التأييد ، ومتى مضت الفترة يزول الاعياء وتظهر النفوس زكية فتقبل التأييد . والامامة لا تنقطع لانها حجة على الخلق ولا تنتهي عند فساد أهل العصر ، ولكن يحدث سكون وانفراد من قبل الامام ، وهو مثل الانقطاع ، وفي عهد الدور السادس زالت الفترة .